التراث

تذكرة الأولياء

فريد الدين العطار النيسابوري

الجزء الأول

ترجمة وتقديم وتعليق

دكتورة منال اليمني عبد العزيز

العطار، محمد بن إبراهيم العطار النيسابورى
... - ١٢٣٠
تذكرة الأولياء/ فريد الدين العطار النيسابورى؛
ترجمة وتقديم وتعليق منال اليمنى عبدالعزيز. ـ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
مج ١ : ٢٣ سم . ـ (التراث)
تدمك ٩-٢٠٧-٤١٩-٩٧٧.
١- المتصوفون (مترجم ومقدم ومعلق)
أ- عبدالعزيز، منال اليمنى
ب- العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥١٧٧ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977-419-207-9

ديوى ٩٢٢,٦٩

تذكرة الأولياء

فريد الدين العطار النيسابوري

ترجمة وتقديم وتعليق

دكتورة منال اليمني عبد العزيز

المجلد الأول

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٦

- الكتاب : «تذكرة الأولياء» (المجلد الأول)
- المؤلف : فريد الدين العطار النيسابورى
- ترجمة وتقديم وتعليق : د. منال اليمنى عبد العزيز
- الكتاب مترجم عن اللغة الفارسية الأصل الفارسى طبع عام ١٩٠٥
- الطبعة الأولى: للترجمة ٢٠٠٦ م

- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الخطوط : أوس الأنصارى
- الإخراج الفنى : أميمة على أحمد

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org

E - mail : info @egyptianbook.org

تقديم

موضوع البحث هو كتاب «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار النيسابوري».

ولفريد الدين العطار مؤلفات كثيرة حظى بعضها بالبحث والدراسة مثل: منطق الطيرّ، و«مصيبت نامه»، و«الهى نامه»، و«پندنامه»، ومن مؤلفاته الهامة الأخرى «تذكرة الأولياء».

وكتاب «تذكرة الأولياء» - كما يبدو من عنوانه - وضع فى شرح أحوال عدد من الأولياء ومشايخ الصوفية. وهذا الكتاب يتمتع بأهمية كبرى للأسباب الآتية:

١ - إن كتاب «تذكرة الأولياء» هو المؤلف النثرى الوحيد المعروف «لفريد الدين العطار»، والذى يمكن من خلاله معرفة خصائص أسلوبه النثرى، وهل كان مبرزاً فى نثره كما كان مبرزاً فى شعره، إلى حد أنه اشتهر كشاعر وليس كأديب.

٢ - إن كتاب «تذكرة الأولياء» يعد من أقدم المؤلفات الفارسية التى اختصت بتراجم شيوخ الصوفية، وقد حفل بالكثير والكثير من الروايات المنسوبة إلى مشايخ الصوفية، والكرامات المتعلقة بهم، والأقوال المأثورة عنهم.

٣ ـ إنه يمكن من خلال كتاب «تذكرة الأولياء» التعرف على علم التصوف وأصوله ومبادئه، ومفاهيم الصوفية ومعتقداتهم واصطلاحاتهم.

وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب، والشهرة الواسعة التى حازها، إلا أنه لم يحظ بالدراسة والتحليل والترجمة إلى اللغة العربية، وكذلك فإن ما كتب عنه فى كتب المؤرخين قليل لا يعدو مجرد التعريف به، سوى الدراسة التى قام بها الدكتور استعلامى عن الكتاب، ونال بها درجة الدكتوراه فى الأدب الفارسى وكذلك ما ذكره أحمد ناجى القيسى عنه فى كتابه «عطار نامه».

لذا كان من الضرورى دراسة الكتاب، وترجمته إلى اللغة العربية، ليسهل على القارىء العربى الاطلاع عليه، والاستفادة منه.

والبحث مكون من قسمين:

- القسم الأول:

وعنوانه دراسة فى «كتاب «تذكرة الأولياء» وهو بدوره مقسم إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول:

وعنوانه كتاب «تذكرة الأولياء» ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: يتناول عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه.

والثانى: يتناول موضوع الكتاب.

والثالث: مصادر الكتاب.

والباب الثانى:

وعنوانه منهج فريد الدين العطار فى «تذكرة الأولياء» ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: يتناول المنهج.

والثانى: الأسلوب.

والباب الثالث:

بعنوان «تذكرة الأولياء» دراسة مقارنة ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وعنوانه «تذكرة الأولياء» بين كتب التصوف العربية والفارسية.

والثانى: يوضح مكانة الكتاب بين مصادر التصوف الإسلامى.

والثالث: يبين القيمة الأدبية والعلمية للكتاب.

ثم تأتى بعد ذلك الخاتمة.

*** والقسم الثانى:**

يشتمل على ترجمة النصف الأول من الكتاب، وتسبقها مقدمة تعرف بمخطوطات الكتاب وطبعاته.

وجدير بالذكر أيضاً أننى اعتمدت فى ترجمتى على نسخة نيكلسون؛ لأن هذه النسخة تعد أفضل نسخ «تذكرة الأولياء» للأسباب الآتية:-

١ - إن رنولد آلن نيكلسون اطلع على ست مخطوطات فى سبيل إعداده لهذه النسخة وهى: مخطوطات ليدن، والمتحف البريطانى، ومكتبة باريس الأهلية، وكتالوج ايته، ومخطوط حصل عليه عن طريق إدوارد برون. ونسخة فهرس المخطوطات الفارسية بمكتبة برلين الملكية، ونسخة لاهور المطبوعة طباعة حجرية.

٢ - إن هذه النسخة هى أقرب النسخ إلى المخطوط الذى حصلت عليه للكتاب والذى يرجع تاريخ نسخه إلى ٧٢٥هـ.

ومن المصادر التى أفادتنى كثيراً فى إعداد هذا البحث الدراسة التى قام بها الدكتور محمد استعلامى عن كتاب «تذكرة الأولياء»، والتى نشرت فى إيران ونال عليها درجة الدكتوراه، وقد أمدنى بها أستاذى الدكتور/ فؤاد عبد المعطى الصياد.

وبعد أسأل الله أن أكون قد وفقت فى إلقاء بعض الضوء على هذا الكتاب والتعريف به.

والله ولى التوفيق...

* * *

وأنتهز هذه الفرصة وأقدم خالص شكرى وعظيم امتنانى لأستاذى - الدكتور/ محمد السعيد جمال الدين، وكذلك أستاذتى الدكتورة/ ملكة على التركى على ما بذلاه معى من جهد فى سبيل إتمام هذه الدراسة، جزاهما الله عنى خير الجزاء.

النصف الاول

من

كتاب

تذكرة الأولياء

من تصنيف

الشيخ أبي حامد محمد بن أبي بكر ابراهيم الشهير بفريد الدين

عطار النيسابوري

که در قرن سابع هجری نوشته شد

وحالا بتاريخ ١٣٢٢ هجری مطابق ١٩٠٥ ميلادی

بسعی واهتمام وتصحيح

أقل عباد

رينولد ألن نيكلسون

مدرس زبان فارسی در دار الفنون كمبريج

بزيور طبع اراسته گرديد

ويليه

ان شاء الله النصف الثانی

طبع في مطبعة بريل في مدينة ليدن

تمهيد عن الكاتب ومؤلفاته

إذا أردنا التعريف بفريد الدين العطار فسوف تواجهنا مشكلات عديدة تتعلق بميلاده ووفاته وحتى اسمه؛ وذلك لاختلاف كتب التذاكر، وتأخرها عن عصره.

لذا سنكتفي هنا بإيراد إشارة سريعة للتعريف به نظراً لأنه قد سبقت دراسته أكثر من مرة، ولضيق مجال البحث عن الخوض في هذا المجال. وعلى هذا فمصنف هذا الكتاب هو «أبو طالب محمد» أو «أبو حامد محمد» بن «أبي بكر» بن «اسحق» الملقب بفريدالدين «المشهور» «بالعطار»(١).

كان والده يعمل بالعطارة وورث عنه فريد الدين هذه المهنة(٢).

ولد فريد الدين العطار في قرية كدكن من أعمال نيسابور في عهد السلطان سنجر بن ملكشاه(٣).

قضى فريد الدين العطار في نيسابور حوالي ثلاثة عشر عاما(٤) والمرجح أنه اشتغل في هذه الفترة بمهنة العطارة التي ورثها عن والده، وأحياناً كان يحضره خمسمائة مريض فيقوم بمعالجتهم، وفي نفس الوقت انشغل بتأليف الكتب ونظم الأشعار والزهد والسلوك(٥).

وأمضى فريد الدين العطار فترة من عمره فى السفر والترحال وفقا لعادة السالكين فزار الرى والكوفة ومصر ودمشق ومكة والهند وتركستان(٦).

وزار فريد الدين العطار كثيراً من المشايخ من مكة حتى ما وراء النهر وأدرك صحبة مجد الدين البغدادى فى هذه السفريات واللقاءات(٧).

وتوفى ما بين عامى ٦١٨هـ(٨) و٦٢٧هـ(٩).

ويقع قبره خارج شادياخ فى المنطقة المعروفة بمدينة العظماء بالقرب من نيسابور(١٠).

كان فريد الدين العطار ملماً بالعلوم والفنون الأدبية والحكمة والكلام والنجوم ومحيطاً بالعلوم الدينية من تفسير ورواية أحاديث وفقه، وبصيراً بعلم الأعشاب، وعارفاً بخواص الأدوية والعقاقير، ومدركاً لحركة الأفلاك وسير النجوم(١١).

وللعطار مؤلفات كثيرة أوصل البعض عددها إلى مائة وأربعة عشر مؤلفاً منها: «أسرارنامه»، «الهى نامه»، «خسرونامه»، «مختار نامه»، «مصيبت نامه»، «منطق الطير»، وغيرها من المنظومات بالإضافة إلى ديوان قصائد وغزليات(١٢).

٦

القسم الأول

الباب الأول

دراسة فى كتاب «تذكرة الأولياء»

كتاب «تذكرة الأولياء»

الفصل الأول

عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه

عنوان الكتاب:

ليس هناك شك حول اسم الكتاب فقد أطلق فريد الدين العطار على كتابه اسم «تذكرة الأولياء» حيث قال: ما ترجمته:

«وأسميت هذا الكتاب تذكرة الأولياء»(١٣).

بينما ينفرد بلوشيه فى ذكر أن الاسم الكامل لهذا الكتاب هو: «تذكرة الأولياء وتبصرة الأصفياء»(١٤).

والأرجح أن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء» فحسب، وذلك للأسباب الآتية:

١ - إن فريد الدين العطار قال صراحة فى مقدمة كتابه: «وأسميت هذا الكتاب «تذكرة الأولياء».

٢ - إن النسختين اللتين لهما هذا العنوان أولاهما: من القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، والأخرى: مخطوطة عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م(١٥).

أى أنهما نسختان متأخرتان وأغلب الظن أن إضافة «وتبصرة الأصفياء» إلى «تذكرة الأولياء» كان من عمل النساخ.

٣ ـ إن بلوشيه هو الوحيد الذى انفرد بذكر هذا العنوان «تذكرة الأولياء وتبصرة الأصفياء».

٤ ـ إن المؤرخين أجمعوا على أن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء»[١٦].

٥ ـ أن جميع النسخ الخطية للكتاب والمحفوظة بدار الكتب أو الهيئة المصرية العامة للكتاب والتى يتراوح تاريخ نسخها بين الأعوام ٧٢٥هـ، ١٢٦٧هـ تحمل نفس العنوان[١٧].

بناء على ما سبق يمكن القول إن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء»، وإن فريد الدين العطار ذكر هذا العنوان ذاته فى مقدمة التذكرة وإن المؤرخين الذين خلفوه أكدوا هذا العنوان وأجمعوا عليه.

تاريخ تاليفه:

لم يُحدد العطار تاريخاً معيناً لتأليف كتابه هذا، واختلفت كذلك آراء المؤرخين حول تاريخ تأليفه، فمنهم من يرى أنه ألف فى أوائل القرن السادس الهجرى[١٨]، ومن يرى أنه ألف فى أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع[١٩]، ومن يرى أنه ألف فى أوائل القرن السابع الهجرى[٢٠] بينما يحدد سعيد نفيسى تاريخ تأليف هذا الكتاب بعام ٦١٧هـ معتمداً على ما ذكره بلوشيه من أن العطار أشار فى كتابه «تذكرة الأولياء» إلى أنه ألفه عام ٦١٧هـ فى عهد محمد خوارزمشاه[٢١].

وفى الواقع لا تبدو فى الكتاب أية إشارة من هذا النوع، كما أن أحداً من المؤرخين لم يذكر ذلك، ومع هذا يبدو أن الرأى الذى وصل إليه سعيد نفيسى - والذى اتفق معه فيه صاحب كتاب «كارنامه بزركان ايران» -[٢٢] هو الصائب وذلك للأسباب الآتية:

١ - إن العطار لم يذكر هذا الكتاب فى أى من منظوماته، وهذا يدل على أنه ألفه بعد الفراغ من نظمها.

٢ - إن فريد الدين العطار ذكر فى منظوماته سن الثلاثين حيث قال فى (مختار نامه)[٢٣]:

بحثت بالروح ثلاثين عاماً عن أثر للمعشوق

فضللت ولم أدركه[٢٤].

وذكر سن الأربعين فى منظومته «مختار نامه» أيضاً فقال:

كل روح تبصر مرشداً فى الطريق

فهى تبصر بعين الجنون طيلة أربعين عاماً

طالما مر الأربعون (عاماً) ترى شمساً

وقد فاضت أشعتها من طاقة وجودها[٢٥].

وذكر سن الستين والسبعين فى هذا البيت من ديوانه حيث قال:

وفى السبعين انحنى ظهرك كالقوس وأنت غافل

هنئت بالنوم وتجاوز عمرك الستين كالسهم[٢٦].

وذكر سن التسعين فى ديوانه حيث قال:

اتضح أمر ذلك الشيخ الذى بلغ التسعين

وفى نفس الوقت عقد زنار[٢٧].

فإذا كان العطار قد ذكر بلوغه سن التسعين فى أشعاره، وإذا كان قد ألف كتابه «تذكرة الأولياء» بعد الفراغ من منظوماته فقد ألفه إذن بعد بلوغه التسعين من عمره وهذا يتفق مع التاريخ السابق ذكره.

٣ ـ إن فريد الدين العطار ألف منظومته «لسان الغيب»[٢٨] وهو فى شيخوخته وبعد أن وقعت له حادثة فى نيسابور بعد تأليف منظومته «مظهر العجائب» التى مدح فيها الأئمة الإثنى عشر، وغالى فيها فى وصف مناقب

عليّ، مما أثار عليه سخط أحد فقهاء سمرقند الكبار، فاتهمه بالرفض، وأفتى بوجوب قتله فثار عليه العامة، وأغاروا عليه، وخربوا داره، ونفوه عن البلدة، وأرادوا قتله لكنه نجا بفضل الله واتجه إلى مكة(٢٩).

فإذا أخذنا في الاعتبار أن التذكرة ألفت بعد أن فرغ فريد الدين العطار من تأليف منظوماته، وأنه ألف هذه المنظومة وهو في شيخوخته، فهذا يرجح أن الكتاب ألف في عام ٦١٧هـ.

٤ ـ يذكر بديع الزمان فروزانفر في كتابه «شرح احوال ونقد وتحليل آثار الشيخ فريد الدين عطار» أن خواجه نصير الدين الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ) التقى بالعطار في نيسابور، وكان العطار في ذلك الوقت شيخاً هرماً وقال بديع الزمان نقلاً عن ابن الفوطي:

«رآه مولانا نصير الدين أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بنيسابور وقال: كان شيخاً مفوهاً حسن الاستنباط والمعرفة لكلام المشايخ والعارفين والأئمة والسالكين» والمعروف أن نصير الدين هذا خرج من نيسابور عام ٦١٨هـ بعد قتل أستاذه قطب الدين المصري في القتل العام في نيسابور(٣٠). وبنظرة متفحصة إلى هذا القول يتضح جلياً أن العطار كان في هذا العام أي ٦١٨هـ شيخاً فصيحاً ملماً بأقوال المشايخ والعارفين والأئمة والسالكين مدركاً لها، فليس ببعيد إذن وهو على هذه الخصال أن يكون قد ألف كتابه هذا في تلك الحقبة من الزمن.

٥ ـ يتضح من كتاب «تذكرة الأولياء» أن فريد الدين العطار ألفه بعد أن فرغ من رحلاته ـ التي استمرت ثلاثين سنة والتي شملت الري والكوفة ومصر ودمشق ومكة والهند وتركستان ـ (٣١) وطوافه، وبعد أن جمع مادته ـ حيث اطلع على أربعمائة كتاب من كتب الصوفية ـ (٣٢) وحشد كرامات الأولياء والروايات المنقولة عنهم وبعد أن نضجت قريحته.

الفصل الثانى

موضـوع الكتـاب

موضوع الكتاب :

إذا كان عنوان الكتاب ناطقاً على ما فيه، فلنقرأ عنوان كتابنا لنعرف مضمونه أو موضوعه. وعنوان كتابنا «تذكرة الأولياء» ويشرح د. حسين مجيب المصرى مفهوم لفظ التذكرة فيقول:

«جاء فى لسان العرب لابن منظور أن التذكرة: ما يستذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأمارة ... وفى تفسير البيضاوى أنها التذكر. هذا هو المعنى اللغوى المعجمى للكلمة إلا أن لها معنى اصطلاحياً إلى ذلك فهى تطلق على كتاب يضم بين دفتيه علماً ما وهذا العلم يتذكره القارىء وبذلك يكون هذا الكتاب مذكراً به فهو كتاب يحتوى على ما فيه الحاجة إلى التذكر»[٣٣].

وإذا أردنا أن نطبق المفهوم السابق للفظ التذكرة على مضمون كتابنا لا نطبق تماماً فنحن أمام كتاب يضم علماً يتذكره القارىء ويذكره الكتاب به. ولكن أى نوع من العلم يتناوله هذا الكتاب؟.

فى الواقع أن الكتاب يترجم لعدد من الأولياء ومشايخ الصوفية الذين عاشوا قبل الغزو المغولى، ويذكر أقوالهم وآراءهم ومناقبهم ومكارم أخلاقهم وما أثر عنهم من روايات، وكما قال العطار: «يشرح مقاماتهم وكراماتهم وحالاتهم»[٣٤]. ولا يهتم الكتاب كثيراً بسيرتهم أو حياتهم الخاصة.

ويبدأ الكتاب بالإمام جعفر الصادق وينتهى بحسين بن منصور الحلاج وقد اختلف المؤرخون حول عدد التراجم التى يشملها الكتاب.

فمنهم من قال: إن الكتاب يشتمل على سبع وتسعين ترجمة(٣٥).

ومن قال: إنه يحتوى على ست وتسعين ترجمة(٣٦).

ومن قال: إنه يشتمل على سبعين ترجمة(٣٧).

ومن قال: إنه يضم اثنتين وسعبين ترجمة(٣٨).

وفى الواقع يمكن ترجيح العدد الأخير للأسباب الآتية:

١ - إن فريد الدين العطار ذكر فى مقدمته لكتابه (تذكرة الأولياء) أسماء الأولياء الذين سيترجم لهم وأعد لهم فهرساً يشتمل على اثنين وسبعين ذكراً(٣٩).

٢ - إن القائلين بأن الكتاب يشتمل على سبعين ترجمة ربما لم يطلعوا عليه أو على مقدمة مؤلفه لأنهم إن كانوا قد اطلعوا عليه لكانوا أدركوا بسهولة أنه يشتمل على اثنين وسبعين ترجمة. وربما هم اطلعوا على نسخ سقطت منها ترجمتان على سبيل السهو أو الخطأ.

٣ - إن جميع النسخ المخطوطة أو المطبوعة للكتاب فى أوربا وإيران قبل القرن العاشر الهجرى تحتوى على اثنتين وسبعين ترجمة أما النسخ المتأخرة فتحتوى على ست وتسعين ترجمة(٤٠).

٤ - إن الترجمة الأويغورية للتذكرة التى ترجمت فى عهد الأمير عليشير نوائى (القرن التاسع الهجرى) والتى اطلع عليها الدكتور محمد استعلامى تحتوى على اثنتين وسبعين ترجمة وكذلك فإن التراجم التركية الأخرى التى اطلع عليها تحتوى على نفس العدد(٤١).

٥ ـ أن نيكلسون ذكر في مقدمته للكتاب أن معظم المخطوطات التى إطلع عليها تتضمن اثنتين وسبعين ترجمة أو أقل، ولكن عدة نسخ منها تشتمل على عشرين أو خمس وعشرين ترجمة إضافية خاصة بشيوخ مشاهير في عصور متأخرة فضمنها نسخته لأن مادتها شيقة لكنه أطلق اسم «تذكرة الأولياء» على الاثنتين وسبعين ترجمة فقط[٤٢].

٦ ـ إن د. محمد استعلامى اطلع على نسخة قيمة للكتاب يقال إنها بقيت عن القرن التاسع تنتهى بذكر الحلاج ثم خاتمة الكتاب، وكذلك نسخة أخرى ترجع إلى عام ٩٨٥هـ. تنتهى أيضاً بذكر الحلاج[٤٣].

٧ ـ وجد في أغلب النسخ التى تحتوى على هذه الملحقات أن الخط الذى كتبت به الملحقات غير الخط الذى كتب به النص الأصلي وفى هذا دليل على أن كاتب هذه غير كاتب تلك[٤٤].

٨ ـ أن القائلين بأن الكتاب يحتوى على سبع وتسعين ترجمة أو غير ذلك ظنوا أن الملحق ـ الذى أضيف إلى الكتاب والذى يحمل عنوان «ذكر متأخران مشايخ كبار رحمة الله عليهم أجمعين» ـ متعلق بالكتاب أو هو جزء منه. والواقع أن هذا الملحق أضيف إلى الكتاب بعد أن كتب على شاكلته، وذلك لأنه كما ورد في كتاب «عطار نامه»: «إن ويلهام پيرسچ مؤلف «فهرست المخطوطات الفارسية في برلين عام ١٨٨٨م وجد نسخة مخطوطة للكتاب في مكتبة برلين الوطنية تحتوى على ملحق مكتوب عليه «ذكر متاخران مشايخ كبار رحمة الله عليهم أجمعين على يد أضعف الخلايق وأحقرهم الراجى إلى عفو الله تعالى وغفرانه محمود بن أبى القسم بن عيسى بن حسين بن أبى القسم الكفر بابى»[٤٥].

فلماذا لا يكون محمود هذا هو مؤلف هذا الملحق وليس العطار.

٩ ـ كذلك فإن مجلة «بيام نوين» التى تصدر فى طهران نشرت مقالاً لأحد المستشرقين الروس أثبتت فيه أن هذا الملحق لا صلة له بالعطار أبداً[٤٦].

وقيل إنها مقتبسة من كتاب مجهول لأحمد بن محمد بن الحسين بن أحمد الطوسى، وإنها قد أضيفت فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى إلى «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار[٤٧].

١٠ ـ إن فريد الدين العطار قال فى ذكر الإمام جعفر الصادق ما ترجمته:

«.... لكننا نبدأ بالصادق تبركاً... ولما كان من أهل البيت وقد كثرت الأقوال عن طريقته والروايات عنه، نورد عدة كلمات له. ولأنهم جميعاً متساوون، فعندما يرد ذكر له يكون ذكراً للجميع»[٤٨].

ويتضح مما سبق أن فريد الدين العطار سيكتفى بذكر الإمام جعفر الصادق من أهل البيت جميعاً، لأنه عندما يرد ذكر له فهو ذكر للجميع أى أن فريد الدين لن يذكر أحداً آخر من أهل البيت فكيف نجده بعد ذلك يتحدث عن محمد الباقر أبى جعفر الصادق؟ بناء عليه فالملحقات ليست له.

١١ ـ يتضح مما سبق أن الأسباب التى تدعونا إلى عدم قبول هذه الملاحق كثيرة خاصة إذا استعرضنا معها ما ذكره د. استعلامى حيث قال:

ـ إن آخر ذكر فى هذه الملحقات متعلق بالإمام محمد الباقر وأول ذكر فى التذكرة متعلق بالإمام جعفر الصادق ومن ثم يقول: إن أراد العطار أن يورد اسم الإمام الباقر وحالاته فى كتابه ألا يذكر الأب قبل الابن؟ وهل يورد سيرة الباقر وأقواله فى صفحة أو صفحتين بينما يفرد للشيخ أبى الحسن الخرقانى أكثر من خمسين صفحة من كتابه!.

ـ إن عدد صفحات الملحقات وحجمها غير متناسق كما ذكر فى المثال السابق، وأنه لم ير مثل هذا التفاوت فى التذكرة ويقول وإن رأينا فإنه ليس متعلقاً بشخص مثل الإمام الباقر.

ـ إن هذه الملحقات غير دقيقة وغير بليغة حيث إنه يقول: ورد فى بداية ذكر الإمام الباقر «صاحب باطن وظاهر ابو جعفر محمد باقر» ثم يرد فى السطور التالية «كنيت او أبو عبدالله بود» أى كانت كنيته أبو عبد الله ومن ثم فما أبو جعفر إذن؟(٤٩).

ومن ثم ينتهى د. محمد استعلامى إلى أن مجهولاً جمع الروايات المتعلقة بالمشايخ فى القرن العاشر الهجرى أو الحادى عشر بمراجعة المصادر المتداولة فى ذلك الوقت، وأضافها إلى التذكرة وأن هذه الأذكار تفاوتت طولاً وقصراً حسب ما حصل عليه من معلومات، فظن الكُتّاب أن هذه الملحقات للعطار وزادوها على نسخ القرن الحادى عشرالهجرى(٥٠).

ويبدو رأيه هذا صائباً لكل الأسباب التى سبق ذكرها.

أقسام الكتاب:

وينقسم الكتاب إلى:

١ ـ المقدمة:

يبدأ فريد الدين العطار كتابه بمقدمة عربية فصيحة ـ وهو فيها مقلد للهجويرى فى كتابه «كشف المحجوب» ـ تتضمن حمداً لله وتمجيداً له حيث يقول:

«الحمد لله الجواد بأفضل أنواع النعماء المنان بأشرف أصناف العطاء المحمود فى أعالى ذرى العز والكبرياء... ذى العظمة والجبروت والبهاء»(٥١).

وتتناول فكرة شائعة عند الصوفية وهى فكرة الفناء والبقاء[٥٢] حيث يقول:

«.... وربط طرف بقاء المنغمسين فى لجج بحار توحيده بالفناء وخلط شرف فناء المتغلغلين فى قعر قرية البهاء بمحض البقاء... وأغناهم بالفناء عن البقاء وبالبقاء عن الفناء»[٥٣].

ثم يشهد بعد ذلك بوحدانية الله ويشير إلى فكرة وحدة الوجود[٥٤] حيث يقول:

«.... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يوازيه، ولا نظير له يضاهيه فإن نظرنا إلى الأوصاف الألوهية فلا إله إلا هو وإن تأملنا الوجود فلا هو إلا هو»[٥٥].

ويشهد أن محمداً رسول الله ويصلى عليه وعلى آله وأصحابه فيقول:

«ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه... صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه... وسلم تسليماً كثيراً».

ثم يتبع المقدمة العربية بمقدمة فارسية يتحدث فيها عن أسباب تأليفه للكتاب، وهى كما ذكرها كالآتى:

١ - رغبة إخوان فريد الدين العطار فى الدين[٥٦].

٢ - أن يبقى كتاب تذكرة الأولياء تذكاراً عن فريد الدين العطار بحيث يذكره كل من يقرأه بالدعاء[٥٧].

٣ - أن يستفيد كل من يقرأ التذكرة من كلام المشايخ الذين ورد ذكرهم بها لأن كلام المشايخ فيه فائدتان: الأولى: إذا كان القارئ يرغب فى الاستقامة والاتجاه إلى الحق، تقوى همته ويزداد طلبه، والثانية: إن كان مغروراً، أطاح بالغرور عن نفسه، وحقق قول الشيخ المحفوظ (رحمة الله عليه):

«لا تزن الخلق بميـزانك وزن نفـسك بميـزان الموقنين لتـعلم فـضلهم وإفلاسك»[٥٨].

٤ - أن تجـعل الحكايات والروايات التي وردت في كتـاب التـذكـرة قلب المريد والقـارئ ثابتاً، وتكون له زاداً وزواداً في الدنيـا والآخـرة فـقـد قـال الجنيد[٥٩] حين سئل عن فائدة الحكايات والروايات: إن كلامهم (الأولياء) جند من جنود الله (تعالى) يقوى به قلب المريد ويزوده، بالمدد ودليل هذا القول أن الحق (تعالى) يقول: «**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**»[٦٠][٦١].

٥ - إن سيد الأنبياء (صلوات الله عليه) يقول: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة» أي أن الرحمة تنزل على خوان المؤمن عند ذكره للأولياء والصالحين كأنها الغيث، وسيكون له نصيب منها بلا شك[٦٢].

٦ - إن أرواح الأولياء وأقوالهم وما أثر عنهم كانت عوناً لفريد الدين العطار وملجـأ ومـلاذاً يستكين إليـه بعيـداً عن تقلبـات الزمن المضطرب وتحـقق له السعادة قبل دنو أجله[٦٣].

٧ - أن فـريد الدين العطار رأى أن كـلامـهم هو أفـضل كـلام بعـد القـرآن والأحاديث، وأنه شرح للأحاديث والقرآن؛ فأعد هذا الكتاب ليتشبه بهم وإن لم يكن منهم[٦٤] «فمن تشبه بقوم فهو منهم»[٦٥].

٨ - إن كتاب «تذكرة الأولياء» يشتمل على آيات قرآنية كثيرة وأحاديث، ولما كان القرآن يلزمه لغة ونحواً وصرفاً مما لا يدركه الكثير من الفرس، فقد حرص فريد الدين العطار على أن يترجم تلك الآيات والأحاديث وغيرها إلى اللغة الفارسية حتى تعم الفائدة الجميع[٦٦].

٩ ـ أن يؤثر كلام المشايخ فى تهذيب نفوس من يطالعه لأن عبد الرحمن الإسكافى[٦٧] حين سئل عمن يقرأ القرآن ولا يفهمه هل يؤثر فيه؟ فقال: إن القرآن يؤثر فيه كثيراً وإن كان لا يفهمه. فما بال من يقرأ ويفهم ما يقرأه فلا شك أن التأثير هنا سيكون أوقع[٦٨].

١٠ ـ شغف فريد الدين العطار بسيرة المشايخ وأقوالهم وتعلق قلبه بهم فهو لا يستطيع أن يقول أو يسمع سوى كلامهم لذلك فقد جعل منه عملاً يومياً يشتغل به لصالح أهل الزمان[٦٩].

١١ ـ أن يستفيد الناس من السلف الصالح بعد رحيلهم وذلك بمطالعة أقوالهم وقراءة سيرتهم فقد سأل بعض الناس الإمام أبا يوسف الهمدانى[٧٠] (رحمة الله عليه) ما نفعل ـ حين يمضى الزمان وتوارى هذه الطائفة (الصالحون) وجهها فى النقاب ـ حتى نسلم؟ فقال: إقرأوا كل يوم ثمان ورقات من كلامهم، من ثم رأى فريد الدين العطار أن يعد لهم هذه التذكرة[٧١].

١٢ ـ اهتم فريد الدين العطار بتسجيل أقوال المشايخ وشرحها قدر ما يستطيع لأن هذا النوع من الكلام اختفى كلية ولبس المدعون لباس أهل المعانى وعزَّ العارفون كالكبريت الأحمر[٧٢].

١٣ ـ إن فريد الدين العطار رأى أنه حل زمان الخير فيه شر ونسى أشرار الناس فيه أخيار الناس؛ فأعد تذكرة للأولياء أسماها «تذكرة الأولياء» كى لا ينسى أهل الخسران أهل السعادة، ويسعون إلى الاعتكاف والخلوة ويشغفون بالأولياء حتى يسعدون السعادة الأبدية[٧٣].

١٤ ـ إن فريد الدين العطار وجد أن كلام الأولياء والصالحين أفضل كلام فهو يحقر الدنيا فى عين الرجل، ويذكره بالآخرة ويغرس فيه محبة الحق

ويجعله يتزود لطريق لا نهاية له؛ لهذا كان كتابه هذا من جملة الواجبات فمن يقرأه يدرك أى باعث فى نفوسهم جعلهم يقولون ما يقولون، ما يفعلون[٧٤].

١٥ ـ أن يكون هذا الكتاب شفيعاً لفريد الدين العطار يوم القيامة[٧٥].

وبعد ذلك يختم فريد الدين العطار مقدمته بدعاء إلى الله (تعالى) ألا يحجبه عن هؤلاء القوم وأن يجعل كتابه هذا سبباً للقرب إليه لا البعد عنه. ثم يعقب ذلك بفهرس للكتاب وذكر للأولياء الذين سيترجم لهم.

هذا وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول:

ويشتمل على أربعين ذكراً للأشخاص التالية أسماؤهم :

١ ـ الإمام جعفر الصادق.
٢ ـ أويس القرنى.
٣ ـ الحسن البصرى.
٤ ـ مالك بن دينار.
٥ ـ محمد بن واسع.
٦ ـ حبيب العجمى.
٧ ـ أبو حازم المكى.
٨ ـ عتبه بن الغلام.
٩ ـ رابعة العدوية.
١٠ ـ الفضيل بن عياض.
١١ ـ إبراهيم بن أدهم.
١٢ ـ بشر الحافى.
١٣ ـ ذو النون المصرى.
١٤ ـ أبو يزيد البسطامى.
١٥ ـ عبد الله بن المبارك.
١٦ ـ سفيان الثورى.
١٧ ـ شقيق البلخى.
١٨ ـ أبو حنيفة الكوفى.
١٩ ـ محمد بن إدريس الشافعى.
٢٠ ـ أحمد بن حنبل.
٢١ ـ داود الطائى.
٢٢ ـ الحارث المحاسبى.
٢٣ ـ سليمان الدارانى.
٢٤ ـ محمد بن السماك.
٢٥ ـ محمد بن أسلم.
٢٦ ـ أحمد بن حرب.

٢٧ ـ حاتم الأصم.
٢٨ ـ سهل بن عبد الله التسترى.
٢٩ ـ معروف الكرخي.
٣٠ ـ سرى السقطى.
٣١ ـ فتح الموصلى.
٣٢ ـ أحمد الحوارى.
٣٣ ـ أحمد خضرويه.
٣٤ ـ أبو تراب النخشبى.
٣٥ ـ يحيى بن معاذ الرازى.
٣٦ ـ شاه بن شجاع الكرمانى.
٣٧ ـ يوسف بن الحسين.
٣٨ ـ أبو حفص الحداد.
٣٩ ـ حمدون القصار.
٤٠ ـ منصور بن عمار.

القسم الثانى:

ويشتمل على اثنين وثلاثين ذكراً للأشخاص التالية أسماؤهم:

٤١ ـ أحمد بن عاصم الأنطاكى.
٤٢ ـ عبد الله بن خبيق.
٤٣ ـ الجنيد البغدادى.
٤٤ ـ عمرو بن عثمان المكى.
٤٥ ـ أبو سعيد الخراز.
٤٦ ـ أبو الحسين النورى.
٤٧ ـ أبو عثمان الحيرى.
٤٨ ـ عبد الله بن الجلا.
٤٩ ـ أبو محمد بن رويم.
٥٠ ـ ابن عطاء.
٥١ ـ إبراهيم الرقى.
٥٢ ـ يوسف الأسباط.
٥٣ ـ أبو يعقوب النهرجورى.
٥٤ ـ سمنون المحب.
٥٥ ـ أبو محمد المرتعش.
٥٦ ـ محمد بن فضل.
٥٧ ـ أبو الحسن البوشنجى.
٥٨ ـ محمد بن على حكيم الترمذى.
٥٩ ـ أبو الخير الأقطع.
٦٠ ـ عبد الله الروعدى.
٦١ ـ أبو بكر الوراق.
٦٢ ـ عبد الله بن منازل.

٦٣ ـ على بن سهل الإصفهانى.
٦٤ ـ خير النساج.
٦٥ ـ أبو حمزة الخراسانى.
٦٦ ـ أحمد بن مسروق.
٦٧ ـ عبد الله بن أحمد المغربى.
٦٨ ـ أبو على الجرجانى (الجوزجانى).
٦٩ ـ أبو بكر الكتانى.
٧٠ ـ عبد الله بن محمد بن خفيف.
٧١ ـ أبو محمد الجريرى.
٧٢ ـ حسين بن منصور الحلاج.

الفصل الثالث

مصادر الكتاب

اعتمد فريد الدين العطار فى تصنيف كتابه على مصادر متعددة، وأشار فى مقدمة كتابه وثناياه إلى بعض هذه المصادر إشارات طفيفة، فهو غالباً لا يذكر المصادر ولا يبين الأسانيد. وتنقسم مصادر «تذكرة الأولياء» إلى قسمين:

أولاً: الروايات الشفوية:

لا شك أن الروايات التى رددتها الألسنة عن مشايخ الطريقة والأولياء وتناقلتها الأفواه، وترامت إلى مسامع فريد الدين العطار، قد شكلت مصدراً هاماً من المصادر التى استمد منها مادة كتابه.

فقد قال فى ذكر سفيان الثورى:

كما يروى الدراويش عنه...(76).

وقال فى ذكر الإمام جعفر الصادق:

وقد كثر الكلام عن طريقته وكثرت الروايات عنه...(77).

وقد تكونت حصيلته من هذه الروايات من منابع متعددة هى:

١ - بيئته العامة:

ولد فريد الدين العطار فى قرية «كدكن» التابعة لنيسابور(78)، وعاش فيها فترة من حياته.

ومدينة نيسابور فى عهد شيخنا كانت تعد منبعاً للعلماء، وواحدة من المراكز العلمية الهامة فى العالم الإسلامى، بها مدارس كثيرة للشافعية والحنفية، وكانت مقصداً لكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والصوفية وطلاب العلم، ذخرت بالعديد من المكتبات المكدسة بنفائس الكتب(٧٩).

ونيسابور إحدى مدن إقليم خراسان هو الإقليم الشمالى الشرقى من إيران وكانت حلقة الإتصال بين إيران وآسيا الغربية وأوربا وأفريقية وآسيا الشرقية والشمالية. والواقع أن كثيراً من الصوفية عاشوا فى هذا الإقليم مثل إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخى وبشر الحافى والفضيل بن عياض وأبويزيد البسطامى وحاتم الأصم وأبو حفص الحداد وأبو عثمان الحيرى وغيرهم(٨٠).

ومثل هذه الظروف البيئية - من حركة علمية ثقافية مزدهرةوتجمع للعلماء والفقهاء والأدباء، وامتزاج حضارى بين شعوب مختلفة، ووجود لعدد من شيوخ صوفية ذاع صيتهم وشاع الحديث عنهم وعن كراماتهم فى تلك الآونة - كانت لابد أن تؤثر فى شخصية كاتبنا وثقافته، وأن تجعله محيطاً بكثير من الحكايات والكرامات المتعلقة بهؤلاء المشايخ وغيرهم.

٢ - بيئته الخاصة:

نشأ فريد الدين العطار في أسرة متدينة، فقد كان والده مريداً لقطب الدين حيدر(٨١).

«وكانت أمه ورعة تقية دينة زاهدة اعتبرها تالية لرابعة العدوية»(٨٢). ولا شك أن هذه النشأة جعلته محباً للأولياء شغوفاً بسيرتهم، ووفرت له فرصة الاطلاع على الكثير من الروايات والكرامات المتعلقة بهم.

٣ ـ رحلاته :

أمضى فريد الدين العطار فترة من عمره فى السفر والترحال، زار خلالها مكة ومصر ودمشق والكوفة والرى وبلاد الهند والترك.

وصرح العطار بذلك حيث قال فى منظومته «لسان الغيب»:

تطلعت إلى عشق محبوب

فسرت إلى مكة ومصر ودمشق

وطفت الكوفة والرى حتى خراسان

وعبرت سيحون وجيحون

واتجهت من الصين إلى ملك الهند وبلاد الترك

مثل أهل الخطا

وفى النهاية استقررت فى نيسابور

وذاع صيتى فى العالم(٨٣).

ولا شك أن هذه الرحلات قد هيأت له فرصة الالتقاء بالعديد من الناس على اختلاف درجاتهم من علماء ومشايخ وعامة وصوفية، سمع منهم العديد من الحكايات والروايات والأقاويل، وأخذ عنهم الكثير من المعلومات القيمة التى ضمنها كتابه.

٤ ـ صحبته للمشايخ :

على الرغم من أن فريد الدين العطار لم يذكر صراحة إرادته لشيخ من المشايخ إلا أنه زار كثيراً من المشايخ من مكة حتى ما وراء النهر(٨٤).

ويقال: إنه التحق بخدمة ركن الدين أكاف، وتاب على يده، وحضر حلقة دراويشه[٨٥] وأدرك صحبة الشيخ مجد الدين البغدادى[٨٦] والشيخ نجم الدين كبرى[٨٧]. وكذلك أدرك صحبة قطب الدين حيدر في طفولته[٨٨].

وصحبته لهؤلاء المشايخ بلا شك وفرت له الاستماع إلى كثير من الحكايات والأقوال والكرامات عن الصوفية، وعرفته بالطريق وسلوكه وخباياه مما أفاده فى كتابه.

ثانيًا: الكتب المدونة:

ذكر فريد الدين العطار فى مقدمة كتابه أنه استفاد من بعض الكتب وإن كان لا يفصح عن أسمائها أو أسماء مؤلفيها إلا فى القليل النادر.

فيقول فى ذكر أبى حازم المكى:

«وكلامه كثير فى الكتب...»[٨٩].

ويقول فى مقدمة الكتاب:

«وإن أراد شخص أن يستزيد من أقوالهم فإنه سيجدها كثيرة فى كتب المتقدمين والمتأخرين»[٩٠].

وذكر العطار فى مقدمته أيضاً أسماء ثلاثة كتب هى:[٩١]

١ - كتاب شرح القلب:

فى الواقع ليس لدينا معلومات عن هذا الكتاب سوى ما ورد فى كشف الظنون، حيث ذكره حاجى خليفة تحت عنوان «شرح القلوب» وقال إنه فى أحوال الأولياء[٩٢]، وعده المرحوم القزوينى من مؤلفات فريد الدين العطار نفسه، وذكر فريد الدين العطار هذا الكتاب فى نهاية ذكر أبى على الجرجانى كأحد أعماله وهو حتى الآن فى زاوية النسيان[٩٣].

٢ - كتاب كشف الأسرار:

ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون خمسة كتب تحمل عنوان كشف الأسرار منها : كشف الأسرار في التصوف لأبي الصادق بن الحسن الطبري، وكشف الأسرار في التصوف لأبي الفتوح محمد بن الفضل الشعراني المتوفى ٥٣٨هـ. «كشف الأسرار» للامام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفي عام ٤٦٣هـ[٩٤]. وكل واحد من هذه الكتب الثلاثة يمكن أن يكون هو ما ذكره العطار، وفي الواقع ليس في متناول أيدينا نسخة لأي منهم، ولا نعرف إلى أي كشف منهم كانت إشارة العطار.

٣ - معرفة النفس والرب:

ذكره د. محمد استعلامي باسم «معرفة النفس» فقط.

وكما قال د. استعلامي هذا الكتاب مجهول ولا يمكن أن نقول أي شيء يتعلق به[٩٥].

والواقع إننا لم نطلع على هذه الكتب الثلاثة حتى نحدد مدى استفادة العطار منها.

وبالطبع ليست هذه الكتب الثلاثة فقط هي التي اعتمد عليها العطار في كتابه، فقد اتضح لنا بعد ترجمة عدد من الأذكار أن العطار أخذ عن كتب أخرى، أغلبها كانت عربية كما ذكر في مقدمة كتابه[٩٦].

وجدير بالذكر إننا سنكتفي في هذا الفصل بمجرد الإشارة إلى هذه الكتب على أن نعرف بها ونبين مدى استفادة العطار منها تفصيلياً في الباب الثالث بعون الله.

٤ ـ اللمع :

لأبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى المتوفى (٣٧٨هـ ـ ٩٨٨م) .

وقد استفاد فريد الدين العطار من هذا الكتاب، ونقل منه بعض الحكايات المتعلقة بالمشايخ وبعض الأقوال والأخبار المأثورة عنهم.

٥ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف:

لأبى بكر محمد بن اسحق البخارى الكلابادى (م ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م) .

استفاد فريد الدين العطار من هذا الكتاب خاصة فيما يتعلق بأقوال الصوفية .

٦ ـ طبقات الصوفية :

لأبى عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى (م ٤١٢هـ ـ ١٠٢١م) .

واستفاد العطار من هذا الكتاب فى نقل بعض الحكايات والأخبار عن الصوفية . وكذلك أخذ عنه الكثير من الأقوال المتعلقة بهم. وهناك ترجمة لطبقات الصوفية باللغة الفارسية الهروية جمعها أحد تلاميذ شيخ الإسلام أبى إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى من خلال وعظ أستاذه فى مجالس الدرس، وهذه الترجمة عبارة عن كتاب طبقات الصوفية بالإضافة إلى موضوعات وأقوال أخرى كان يزيدها الأستاذ على المضمون الأصلى(٩٧) .

وبمقارنة عقدها د. محمد إستعلامى بين النص الفارسى للطبقات وبين تذكرة الأولياء اتضح له أن العطار استفاد من النص العربى، ويجوز أنه لم يكن لديه علم قط بوجود ترجمة السيد الأنصارى الهروية(٩٨) .

٧ ـ حلية الأولياء:

للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهانى (م ٤٣٠هـ ـ ١٠٣٨م)

استفاد العطار من هذا الكتاب خاصة فيما يتعلق بالحكايات التى رويت عن الأولياء الذين ترجم لهم.

٨ - الرسالة القشيرية :

لأبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى (م ٤٦٥هـ - ١٠٧٢م). استفاد فريد الدين العطار كثيراً من الرسالة القشيرية فيما يتعلق بالروايات عن المشايخ وكراماتهم وأقوالهم.

«وترجمت الرسالة القشيرية بعد الإمام القشيرى على يد أحد تلاميذه ويدعى أبوعلى حسن بن أحمد العثمانى إلى الفارسية، وطبع الأستاذ بديع الزمان فروزانفر هذه الترجمة وصححها»(٩٩).

وبمقارنة عقدها د. استعلامى بين ترجمة الرسالة والتذكرة اكتشف أن أغلب عبارات هذه الترجمة بعينها أو بقليل من الاختلاف موجودة فى تذكرة الأولياء وبناء عليه فقد قال إن هذه الترجمة هى أهم مصدر للعطار(١٠٠).

وقبل أن نؤيد د. استعلامى فى رأيه أو نخالفه ننظر فى الأمثلة التى ساقها:

المثال الأول:

ترجمة الرسالة

جنيد كَويد هركَز نديدم كسى به
عبادت سرى نود وهشت سالش بود
وهركَز پهلويش بربستر نرسيده بود
مكَر اندر علت مرك(١٠١).

وترجمتها :

تذكرة الأولياء

جنيد كَفت كه هيچ كس را نديدم در
عبادت كاملتر سرى كه نود وهشت
سال بر او بكَذ شت كه پهلو بر زمين
ننهاد مكَر در بيمارى مرك(١٠٢).

وترجمتها :

يقـول الجنيـد: لم أر شـخـصـاً قط (عبادته مثل) عبادة سرى فقد بلغ الثامنة والتسعين من عمره ولم يكن قـد وضع جانبه على الفـراش قط سوى في علة الموت.

المثال الثانى:

ترجمة الرسالة

سـهل بن ابراهيم كويد: با ابراهيم ادهم سفـر كردم بيمار شـدم، آنچه داشت بر من نفقه كرد. آرزويى از او خـواستم، خـرى داشت بفـروخت وبر من نفقه كرد. چون بهتر شدم كفـتم: خــركــجــا ست؟ كفت: بفروختم. كفتم: برچه نشينم؟ كفت يا برادر بر كردن نشين. سه منزل مرا بر كردن همى كشيد[١٠٣].

وترجمتها:

يقول سهل بن إبراهيم: سافرت مع إبراهيم بن أدهم، فمرضت، فـأنفق مـا يملكه على. طلبت منه طلباً وكان له حمار فباعه وأنفق (ثمنه) علىّ، عندمـا شعرت بتحـسن قلت:

قال الجنيد: لم أر شخصاً قط أكمل فى العبادة من سرى فقد مرت عليه ثمانية وتسعون عاماً لم يضع فيها جـانبـه على الأرض سـوى فى مرض الموت.

تذكرة الأولياء

سـهل بن ابراهيم كفت: با ابراهيم ادهم سفر كردم، بيمار شدم، آنچه داشت بر من نفـقـه كـرد. آرزويى ازاو خـواسـتم، خـرى داشت، بفروخت وبر من نفقه كرد. چون بهتر شدم كفتم: خر كجا ست؟ كفت: بفروختم. كفتم: من ضعيفم بر چه سوار شوم؟ وچه بر نشينم؟ كفت: يا برادر بركردن من نشين. سه منزل مرا بركردن نهاد وبرفت[١٠٤].

وترجمتها:

قـال سهل بن إبراهيم: سافـرت مع إبراهيم بن أدهم، فمـرضت، فـأنفق مـا يملكه على، وطلبت منه طلباً وكان له حمار فباعه وأنفق (ثمنه) علىّ. وعندما شعرت بتحسن قلت:

أين الحمار؟ قال: بعته، فقلت: علام أجلس؟ قال: اجلس على رقبتي يا أخي. وكان يحملني على رقبته ثلاثة منازل.	أين الحمار؟ قال: بعته، قلت: وعلام أركب وأنا ضعيف؟ وعلى أي شيء أجلس، فقال: اجلس على رقبتي يا أخي ووضعني على رقبته ثلاثة منازل ومضى.

ويتضح من المثالين ما يلي:

في المثال الأول نجد تشابهاً في المضمون لا العبارة وهذا لأن المصدر في العبارتين كان واحداً وهو النص العربي للرسالة القشيرية.

وفي المثال الثاني نجد تشابهاً في المضمون والعبارة.

ويستفاد من هذا أن العطار كان يأخذ أحياناً عن النص العربي للرسالة القشيرية، وأحياناً أخرى كان يأخذ عن النص الفارسي لها.

٩ ـ صفة الصفوة:

لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي (م ٥٩٧ ـ ١٢٠١م).

استفاد فريد الدين العطار من هذا الكتاب في نقل العديد من الحكايات والأقوال المتعلقة بمشايخ الصوفية ويمكن القول إننا نجد ترجمة لعبارات بن الجوزي في «تذكرة الأولياء».

ومن المصادر الفارسية التي أشار إليها العطار في كتابه كتاب.

١٠ ـ كشف المحجوب:

لأبي الحسن الهجويري[١٠٥] (المتوفى ٤٦٧هـ ـ ١٠٧٥م).

اعتمد العطار كثيراً على هذا الكتاب وغالباً ما كان ينقل عنه عين عباراته مع اختلافات بسيطة في اللفظ.

١١ ـ أسرار التوحيد:

في مقامات الشيخ أبي سعيد لمحمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي الخير (م ٥٧٤ ـ ١١٧٩م).

في الواقع كانت استفادة العطار من هذا الكتاب محدودة ويمكن القول: إنه استفاد منه في الشكل العام أو المنهج باعتبار أنه أقدم مؤلف فارسي كتب في شرح حال أحد الصوفية.

ولا شك أن فريد الدين العطار قد اعتمد على مصادر أخرى غير تلك التي سبق ذكرها. فقد انشغل بجمع حكايات الصوفية سبعين عاماً[١٠٦]، وطالع أربعمائة كتاب لأهل الطريقة[١٠٧] وبالإضافة إلى ذلك استند العطار في كتابه إلى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة. فقد كان محيطاً بالعلوم الدينية من تفسير ورواية أحاديث وفقه[١٠٨].

وكذلك عمد العطار في «تذكرة الأولياء» إلى الأشعار العربية والفارسية.

الباب الثانى

منهج «فريد الدين العطار» فى «تذكرة الأولياء»

الفصل الأول

المنهــج

لا شك أن لكل كاتب طريقته فى تناوله لموضوع ما، وتتوقف هذه الطريقة على عوامل متعددة منها: طبيعة هذا الموضوع ومضمونه والغرض منه وغيرها من العوامل.

وإذا أردنا أن نتعرف على طريقة فريد الدين العطار فى تناوله لموضوع كتابه تذكرة الأولياء، فسوف نجد أنه قد شرح لنا منهجه فى «تذكرة الأولياء» فى مقدمته لهذا الكتاب . ويمكن تلخيص منهجه ـ كما بينه ـ فى النقاط التالية:

إن فريد الدين العطار حين جمع مادة كتابه حصل على أخبار وحكايات وأقوال كثيرة جداً إن سجلها كلها خرج الكتاب عن حد الاختصار؛ لذلك فقد انتخب بعض هذه الأخبار والحكايات والأقوال(١٠٩) .

إن فريد الدين العطار نقل بعض الأخبار والحكايات والأقوال ـ التى وردت فى كتابه تذكرة الأولياء ـ عن كتب التصوف المتقدمة السابقة عليه، فكما ذكر بنفسه اطلع على كتاب «شرح القلب» و«كتاب كشف الأسرار» وكتاب «معرفة النفس والرب» ويحتمل أن يكون قد نقل عنها أيضاً(١١٠) .

وقد سلك فريد الدين العطار فى تناوله «لتذكرة الأولياء» مسلك الاختصار والإيجاز سواء فى سرده لبعض الحكايات، أو فى شرحه لبعض الأقوال والحكايات فى حالات الضرورة القصوى(١١١) .

كذلك يتضح مما ذكره فريد الدين العطار أنه لم يهتم بذكر الأسانيد أو المصادر التي نقل عنها مادة كتابه «تذكرة الأولياء»(١١٢).

كما اتخذ فريد الدين العطار جانب الحيطة والحذر قدر استطاعته في نقله لحكايات المشايخ وأقوالهم، فإن كان هناك شك في نسبة رواية أو قول أو كرامة لأحد المشايخ كان يتجاوزها ولاينقلها. وإن كان هذا لم يمنعه من نقل بعض الحكايات الخاطئة(١١٣).

وبالإضافة إلى ماسبق فقد ذكر فريد الدين العطار أنه لم يتدخل في شرح كلام المشايخ أو تفصيله إلا نادراً وفي حالات الضرورة القصوى وذلك للأسباب الآتية:

١ - إن فريد الدين العطار رأى أنه من الأدب ألا يقحم كلامه بين كلام الأولياء سوى أنه أضطر إلى ذلك للدفاع عنهم والرد على المنتقدين والمدعين(١١٤).

٢ ـ وقد رأى فريد الدين العطار أنه من الأولى بمن يحتاج إلى شرح أو توضيح لكلام الأولياء أن يعود إلى كلامهم ذاته ويشرحه(١١٥).

٣ ـ ويقول العطار أيضاً: إن الأولياء مختلفون فبعضهم أهل معرفة وبعضهم أهل معاملة، وبعضهم أهل محبة، وبعضهم أهل توحيد، وبعضهم يجمع بين كل ذلك، ولكل منهم طريقته التي تفرض عليه رسوماً وآداباً وعبادة معينة ومفاهيم محددة، لذلك فهو إن شرح حال كل منهم على حدة لخرج الكتاب عن حد الاختصار(١١٦).

هذا هو المنهج كما شرحه فريد الدين العطار في مقدمته «لتذكرة الأولياء».

لكن بعد الاطلاع على كتاب «تذكرة الأولياء» ودراسته وبالإضافة إلى ماذكره فريد الدين العطار عن منهجه يمكن القول:

إن فريد الدين العطار كان يبدأ ذكره أو ترجمته لأى من الأولياء بمجموعة من الجمل المسجعة التى تصف صاحب الذكر وتعدد مناقبه وغالباً ماتكون على وزن اسمه أو لقبه، وهذه الجمل تدل أيضاً على تسلط فريد الدين العطار على المصطلحات والمفاهيم والمعانى الصوفية ومهارته فى استخدامها للدلالة على مكانة صاحب الترجمة ومقامه فى التصوف. وهذه الجمل غالباً ماتهيئ القارئ لما يقرأه، والمستمع لما يتلى عليه.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى بداية ذكر إبراهيم بن أدهم:

هو سلطان الدنيا والدين، وعنقاء قاف اليقين، هو كنز عالم العزلة، وخزينة قصر الثروة، هو ملك الإقليم الأعظم، وربيب اللطف والكرم، شيخ الزمان إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه)(١١٧).

ويتضح من العبارة السابقة أن إبراهيم بن أدهم كان سلطاناً للدنيا ومن المشهور عنه أنه كان ملك بلخ وكان من أبناء الملوك، وكان سلطان دين، فقد ترك الملك واتجه إلى الحق ثم اعتزل الخلق وأصبح شيخ زمانه.

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار فى بدئه لأذكاره فى تذكرة الأولياء بهذه الجمل المسجعة لم يكن مبتكراً إنما كان متأثراً بل ومقلداً فى ذلك لكتاب التصوف السابقين عليه مثل الحافظ أبى نعيم الإصفهانى فى كتابة حلية الأولياء، والهجويرى فى كشف المحجوب.

وبعد أن يصف فريد الدين العطار صاحب الترجمة ويعدد مناقبه، يمدحه بمجموعة من الجمل التى تبين مكانته فى التصوف.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر إبراهيم بن أدهم أيضاً:

«كان تقى زمانه، وكان ربيب الإقبال، وكان حجة الزمان وبرهانه، وله فى مختلف معاملات الملة وأصناف الحقائق حظ كامل، وكان مقبولاً لدى الجميع»(١١٨).

وبعد ذلك ينقل فريد الدين العطار مجموعة من الأخبار المتعلقة بصاحب الترجمة، وغالباً ماتتعلق بموطنه ورحلاته وتلقيه العلم، وصحبته للمشايخ وتعرّف بشيوخه وأتباعه.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر بشر الحافى:

«كان قد أدرك الفضيل بن عياض، وكان مريداً لخاله على بن حشرم، وكان عالماً فى علم الأصول والفروع. ولد فى مرو، وكان يقيم فى بغداد»(١١٩).

وبعد ذلك يبدأ فريد الدين العطار فى سرد مجموعة من الحكايات التى تتعلق بصاحب الترجمة.

وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن الحكايات فى كتاب «تذكرة الأولياء» يجدر بنا أن نعرف بمدلول لفظ الحكاية، ونبين لماذا لجأ فريد الدين العطار وغيره من شيوخ الصوفية بصفة عامة إلى إيراد الحكايات فى كلامهم.

أما عن مدلول لفظ «الحكاية» فقد قال د. أمين عبد المجيد بدوى(١٢٠) فى تعريفه للحكاية:

«وأما الحكاية ... فلا تخرج عن سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية وهى أكثر ماتكون منقولة عن الغير ويرسل الحاكى الكلام فيها على سجيته إرسالاً دون تقيد بقواعد فنية دقيقة».

فالحكاية إذن قصة قصيرة يقتصر دور الحاكى فيها على النقل والتعبير.

والقصة قد تتعلق بحادثة من الأحداث وفى هذه الحالة يوجه القاص جل اهتمامه إلى هذه الحادثة دون الأفكار أو الشخصيات، وقد تتعلق بفكرة من الأفكار فيوجه القاص كبير عنايته إلى هذه الفكرة دون الأحداث أو الأشخاص، وقد تدور القصة حول شخصية من الشخصيات فيحاول القاص إبراز ملامح هذه الشخصية وتجسيدها وتحديد اتجاهاتها والعوامل المؤثرة فيها بشتى السبل سواء بإيراد حادثة وقعت لها أو فكرة روجت لها أو أى شىء يعينه على إبراز تلك الشخصية(١٢١).

والحكايات فى «تذكرة الأولياء» وإن تنوعت من حيث مضمونها ـ كما سنشرح فيما يلى ـ إلا أنها جميعاً تحاول أن تبرز شخصية من حيكت عنه هذه الحكايات وتجسدها للقارئ.

هذا عن تعريف الحكاية فماذا عن لجوء مشايخ الصوفية إلى إيراد الحكايات فى كلامهم.

فى الواقع إن بديع الزمان فروزانفر يرجع اهتمام الصوفية بإيراد الحكايات والتمثيل فى كلامهم إلى الأسباب الآتية(١٢٢):

١ ـ إن الصوفية إن نظموا شعراً، أو عقدوا مجلساً، أو ألفوا كتاباً فهم غالباً مايوجهون كلامهم إلى العامة، ويهدفون إلى نصحهم وإرشادهم، ومن البديهى أن البراهين والاستدلالات المنطقية لاتجدى مع العامة لذلك فهم يلجئون إلى الحكاية والقصة فى كلامهم للعامة من أجل الوصول إلى الغرض المنشود.

٢ ـ إن كثيراً من موضوعات التصوف لايتيسر فهمها بالقول الصريح المباشر (مثل وحدة الوجود والفناء والبقاء مثلاً) لذلك يلجأ الصوفية إلى شرحها وتفسيرها عن طريق الحكاية والتمثيل فتكون سهلة الفهم للعامة.

٣ - إن أغلب كلام الصوفية هو نتيجة للوجد والحال وثمرة للمشاهدة والكشف (مثل أقوالهم فى الفناء والبقاء والتوحيد والعشق والمحبة والسكر والحيرة) ولا يتيسر فهم مثل ذلك الكلام للعامة إلا عن طريق الحكاية.

٤ - خاف أغلب الصوفية أن تظهر عقائدهم وينتشر مذهبهم فكانوا يرمزون إلى مايريدون الحديث عنه عن طريق التمثيل والحكايات، لتصل آراؤهم إلى الناس بطريق غير مباشر ويتضح مما سبق أن بعض حكايات الصوفية هدفها النصح والإرشاد وبعض هذه الحكايات تشرح المفاهيم الصوفية، وبعضها يفسر أقوال الصوفية، وبعضها حكايات رمزية تعبر عن مذهب الصوفية وعقائدهم.

وقد لجأ فريد الدين العطار إلى نقل الحكايات فى كتابه «تذكرة الأولياء»؛ لأنها أيسر السبل التى يستطيع بها أن يبلغ مراده، ويوصل مفاهيم الصوفية وأفكارهم لأكبر قدر ممكن من الناس، ويشرح لهم بها أقوال الصوفية واصطلاحاتهم ويطلعهم على آدابهم ورسومهم، ويبين لهم طيب أخلاق الأولياء وحسن معاملتهم، وكان هدفه هو نصح العامة وإرشادهم فهم عندما يطلعون على هذه الحكايات، يحسن اعتقادهم بالأولياء، ويحاولون اتباعهم والسير على نهجهم.

والحكايات فى «تذكرة الأولياء» متنوعة المضامين وإن كانت جميعها تهدف إلى إبراز شخصية الولى، وإيجاد حسن الاعتقاد به فيتبعه الناس ويسيرون على نهجه.

وكما قلنا فالحكايات متنوعة يمكن تصنيفها إلى مايأتى:

حكايات تتعلق بكرامات الأولياء:

وكتاب «تذكرة الأولياء» يزخر بمثل هذه الحكايات.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر مالك بن دينار (رحمة الله عليه):

إن مالكاً كان قد جلس في سفينة، ولما طلب منه أهل السفينة الأجرة، قال: لا أملك شيئاً، فضربوه حتى فقد وعيه، ولما ثاب إلى رشده طالبوه بالأجرة ثانية، فقال: لا أملك نقوداً فهموا أن يلقوا به في البحر فظهر ماكان في البحر من سمك، وفي فم كل سمكة ديناران من الذهب، فمد مالك يده، وأخذ دينارين من سمكة، وأعطاهما لهم، ولما رأى ملاحو السفينة ذلك خروا أمام قدميه(١٢٣).

حكايات تتعلق بمجاهدات الأولياء ورياضاتهم:

وهذه الحكايات منتشرة على طول الكتاب.

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر أويس القرني (رضي الله عنه):

يروى عن أويس: أنه لم ينم الليل قط طوال عمره، وكان يمضي ليلة في القيام وليلة في الركوع وليلة في السجود(١٢٤).

حكايات تتضمن أخباراً متعلقة بصاحب الترجمة:

وهذه الحكايات منتشرة في كتاب «تذكرة الأولياء».

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر محمد بن السماك (رحمة الله عليه): يروى عن محمد بن السماك: أنه كان أعزباً، ولم يرد أن يتزوج لأن زوجه سيكون لها شيطان، وهو له شيطان، ووجود شيطانين في بيت واحد أمر لايطيقه محمد بن السماك(١٢٥).

حكايات تتعلق بآداب الأولياء ورسومهم:

وهي متوفرة في كتاب «تذكرة الأولياء» وتبين آدابهم في الصحبة والجيرة

والسماع والخلوة والعبادات مثل الصلاة. وسنورد مثالاً على آداب الأولياء في الصحبة.

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه):

يروى أن سهلاً بن إبراهيم سافر مع إبراهيم بن أدهم، وحدث أن مرض؛ فأنفق إبراهيم عليه كل ماكان معه، فطلب سهل منه طلباً، ولم يكن لديه شيء؛ فباع حماره ولبى له رغبته ولما تماثل سهل للشفاء، ولم يجد الحمار، قال لإبراهيم: وعلام أجلس؟، قال له إبراهيم: على كتفي وحمله على عنقه ثلاثة منازل(١٢٦).

حكايات تتعلق بطيب أخلاق الأولياء وحسن معاملتهم:

وهذه الحكايات وردت كثيراً في «تذكرة الأولياء».

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر مالك بن دينار (رحمة الله عليه):

يروى: أن مالكاً كان قد استأجر داراً أمام دار يهودي. وكان محراب دار مالك ملاصقا لباب اليهودي، فأراد اليهودي أن يؤذيه؛ فحفر حفرة وأعد لها منفذاً قرب المحراب، وكان يقضي فيها حاجته، فتتسرب النجاسة إلى دار مالك، ومع هذا لم يغضب مالك وكان يكظم غيظه(١٢٧).

حكايات تبين مدى توكل الأولياء على الله واعتمادهم عليه وثقتهم به:

وتكثر مثل هذه الحكايات في كتاب «تذكرة الأولياء».

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر رابعة العدوية (رحمة الله عليها):

قصدت رابعة الحج ذات مرة، وحدث أن نفق حمارها الذى كانت تحمل عليه متاعها فى البادية، فعرض عليها الناس المساعدة، لكنها أبت وقالت: إنها جاءت متوكلة على الله، وناجت ربها مناجاة ماكادت أن تنتهى منها حتى نهض حمارها، فوضعت متاعها عليه ومضت(١٢٨).

حكايات تتضمن شرحًا لبعض المفاهيم الصوفية:

مثل الفناء والبقاء ووحدة الوجود وغيرها.

وقد وردت مثل هذه الحكايات متفرقة فى كتاب «تذكرة الأولياء».

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر أبى يزيد البسطامى (رحمة الله عليه):

يروى: أن أبا يزيد كان يتحدث عن الحقيقة ذات يوم، وكان يمص شفتيه ويقول: أنا الشارب والشراب والساقى أيضا(١٢٩).

وفى هذه الحكاية إشارة إلى فكرة وحدة الوجود.

حكايات تتعلق بحوادث وقعت للأولياء وجعلتهم يتجهون إلى الحق:

وقد ذخر كتاب «تذكرة الأولياء» بمثل هذه الحكايات التى تبين سبب توبتهم وسلوكهم السلوك القويم.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر عبد الله بن المبارك (رحمة الله عليه):

وكان سبب توبته أنه فتن بجارية، فوقف تحت حائط دارها ليلة كاملة حتى صباحها، وكانت ليلة قارصة البرد ولما أذن لصلاة الفجر وكان يظنها العشاء، خجل من نفسه إذ وقف ليلة كاملة موافقة لهواه بينما كان يمل إذا قرأ الإمام سورة طويلة فى الصلاة، وتاب(١٣٠).

إذن فالحكايات فى «تذكرة الأولياء» متنوعة المضامين كما سبق أن ذكرنا، وإن كان هدفها واحد، وهى كثيرة جداً فقد ذخر كتاب تذكرة الأولياء بكم هائل من هذه الحكايات.

وقد أحصى بديع الزمان فروزانفر عدد هذه الحكايات فوجدها تسعمائة وثمان وثمانين حكاية منها:

خمسمائة وأربع وأربعون حكاية فى النصف الأول.

أربعمائة وأربع وأربعون حكاية فى النصف الثانى.(١٣١)

وجدير بالذكر أن عدد الحكايات يختلف من ذكر لآخر حسب مكانة صاحب الذكر في التصوف، وحسب المادة المتوفرة لفريد الدين العطار.

فقد ذكر فريد الدين العطار سبع وثمانين حكاية عن أبى يزيد البسطامى.

وبعد أن يسرد فريد الدين العطار الحكايات المتعلقة بصاحب الترجمة يذكر الأقوال المأثورة عنه، ويمكن تصنيف هذه الأقوال بدورها إلى:

أقوال تعرف بمقامات الصوفية:

مثل: التوبة والزهد والفقر والتوكل والخوف والرجاء والورع.

أقوال تعرف بأحوال الصوفية:

مثل: العشق والمحبة والرضا والتسليم والأنس والتوحيد.

أقوال تعرف بآداب الصوفية:

مثل: التواضع والطاعة والقناعة والصدق والتقوى والخشوع فى الصلاة والجهاد.

أقوال توحي ببعض المفاهيم الصوفية:

مثل: وحدة الوجود والفناء والبقاء.

أقوال توضح معاني ألفاظ تدور بين الصوفية:

مثل: الصدق والإيثار والجوع والتصوف والفتوة والإلهام واليقين.

أقوال تعرف بأنواع من الناس:

مثل: المؤمن والمنافق والأحمق والبخيل والحقود والفاسق.

وكذلك هناك أقوال تتضمن نصحاً وإرشاداً.

وهذه الأقوال كثيرة ومنتشرة على طول الكتاب، ويختلف مفهوم كل قول منها من شيخ إلى آخر.

وعلى هذا فكتاب «تذكرة الأولياء» يحظى بكم هائل من الأقوال أيضا. وقد أحصى بديع الزمان فروزانفر عدد هذه الأقوال فوجدها ألفين وثمانمائة وأربعة وستين قولاً منها:

ألف ومائة واثنان وتسعون قولاً فى النصف الأول من تذكرة الأولياء.

وألف وستمائة واثنان وسبعون قولاً فى النصف الثانى من تذكرة الأولياء(١٣٢).

ولاشك أن عدد هذه الأقوال يختلف من ذكر إلى آخر حسب مكانة صاحب الذكر فى التصوف، وحسب المادة المتوفرة لفريد الدين العطار.

وقد بلغ عدد الأقوال التى ذكرها فريد الدين العطار عن أبى الحسن الخرقانى أربعمائة وتسعة قولا(١٣٣).

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار كان أحياناً يورد مجموعة من الأقوال، ثم ينقل بعدها مجموعة من الحكايات، لكنه كان فى أغلب الأحيان يسرد مجموعة من الحكايات المتعلقة بصاحب الترجمة، ثم يتبعها بمجموعة من الأقوال.

وبعد أن ينقل فريد الدين العطار الأقوال المأثورة عن صاحب الترجمة، كان أحياناً ينتقل إلى ذكر مناجاته، لكنه فى أغلب الأحيان كان ينتقل بعد ذكر الأقوال مباشرة إلى الحديث عن وفاة صاحب الذكر والكرامات المتعلقة بها.

ثم يختتم الذكر بالدعاء لصاحبه بالمغفرة والرحمة.

وبناء على ماسبق يمكن تلخيص منهج فريد الدين العطار فيما يلى:

أن فريد الدين العطار كان يبدأ الذكر بمجموعة من الجمل المسجعة فى مناقب صاحب الذكر، ثم يمدحه بمجموعة أخرى من الجمل التى تبين مكانته فى التصوف، ثم يورد بعض الأخبار المتعلقة بصاحب الذكر، ثم يسرد الحكايات التى رويت عنه، ثم ينتقل إلى ذكر الأقوال المأثورة عن صاحب الذكر، ثم ينتقل إلى الحديث عن وفاته وكراماته عند الوفاة، ثم الدعاء له بالمغفرة والرحمة.

الفصل الثانى

الأسلوب

تعد الفترة مابين أواسط القرن الخامس الهجرى وحتى أوائل القرن السابع الهجرى من أزهى فترات اكتمال النثر الفارسى ونضجه، ففى هذه الفترة ظهر كثير من الكتاب الفرس الكبار، وألفت العديد من الكتب المتعلقة بالحكمة والعرفان والعلم والأدب، ولم تترك هذه الكتب مجالاً من المجالات إلا وطرقته، وراج تأليف الكتب الفارسية إلى جانب العربية، وكانت قوة المتصوفة وانتشار التصوف - فى هذه الفترة - سبباً من أسباب رواج النثر، وألفت عدة كتب صوفية بالنثر الفارسى تتناول مسائل صوفية مختلفة: من بيان لأصول التصوف وشرح لأحوال المتصوفة.(١٣٤) وإلى هذه الفترة ينتمى كتاب «تذكرة الأولياء»، وكتاب «تذكرة الأولياء» وإن كان قد تأثر بسمات الأسلوب فى تلك الفترة(١٣٥) كاستعمال للألفاظ والتركيبات العربية وإيراد للشعر ضمن النثر، فإن له سمات أخرى قد أخذها عن العهد السامانى(١٣٦) أو استمدها من الأسلوب القديم أو انفرد بها سنوردها فيما يلى.

خصائص أسلوب فريد الدين العطار في تذكرة الأولياء:

قبل الحديث عن خصائص أسلوب فريد الدين العطار فى «تذكرة الأولياء»، لابد أن نتذكر أن فريد الدين العطار كان قد اعتمد فى تصنيف كتابه على مصادر متعددة استمد منها مادة كتابه كما سبق شرحه، وهذا الأمر جعل أحد المؤرخين يقول: «إن نثر تذكرة الأولياء ليس نثراً خاصاً بفريد الدين العطار

لأن كتاب العطار مؤلف من أجزاء مقتبسة من الكتب الأخرى، وإن كانت هناك عبارات من عنده فى بعض الأحيان، فقد اتبع أسلوب الشخص الذى أخذ عنه، وحتى فى مقدمة التذكرة - التى كتبها بفكرة وقلمه - مشابهة لأسلوب التأليف الذى يلاحظ فى متن الكتاب وطريقة تناوله التى تشبه طريقة الهجويرى والعثمانى (مترجم الرسالة القشيرية) اللذين إتبعهما العطار، وكلما ترجم العطار رواية من الكتب العربية كتبها بعبارات فارسية على نفس نمط المترجمين السابقين عليه كالهجويرى والعثمانى»(١٣٧).

هذه هى وجهة نظر د. محمد استعلامى فى نشر «تذكرة الأولياء». لكن لايمكننا أن نسلم بهذا الرأى للأسباب الآتية:

(١) إن فريد الدين العطار صنف هذا الكتاب بعد أن نظم العديد من المنظومات الصوفية الرائعة، وبعد أن نضجت قريحته، فكان تصنيف مثل ذلك الكتاب أمراً سهلاً بالنسبة له.

(٢) كان لابد لفريد الدين العطار أن يتأثر بالمصدر الذى ينقل عنه وإن كان - كما ذكر د. استعلامى - كلما ترجم رواية من الكتب العربية كتبها بعبارات فارسية على نفس نمط المترجمين السابقين له كالهجويرى والعثمانى فسنجد أنه لم ينقل عن الهجويرى والعثمانى فقط وإنما نقل عن مصادر تصوف عربية أيضاً وأنه كلما كان ينقل رواية كان ينقلها على نفس النمط لابنفس الألفاظ فعندما كان ينقل عن مصدر فارسى، كان يبدل الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة مثلاً. وعندما كان ينقل عن مصدر عربى كان يسعى جاهداً للحفاظ على مضمون الرواية، وإن اضطره هذا إلى استعمال ألفاظ عربية بعينها وردت فى المصادر التى نقل عنها وذلك تأكيداً للمعنى وحفاظاً عليه.

(٣) إن كان فريد الدين العطار قد أخذ معظم مادته من المصادر السابقة عليه؛ لأن طبيعة موضوع كتابه قد فرضت عليه ذلك فليس معنى هذا أنه كان مجرد ناقل، لأنه تدخل بإبداء رأيه في بعض المسائل الصوفية التي تعرض لها.

(٤) إن تأثر فريد الدين العطار باللغة العربية الذي بدا جلياً في كتابه ـ لا يرجع لكونه مجرد ناقل عن مصادر عربية ولكن يرجع إلى:

(أ) رواج اللغة العربية وازدهارها في فترة تاليف الكتاب والفترة السابقة عليها.

(ب) معرفة فريد الدين العطار بالعربية.

(جـ) رواج المؤلفات الصوفية العربية وانتشارها منذ أواخر القرن الرابع الهجري وحتى أوائل القرن السابع الهجري.

(د) استفادة فريد الدين العطار من المصادر الصوفية العربية ونقله عنها.

(هـ) ازدياد نفوذ الدين الإسلامي وانتشار المدارس الدينية وتعددها في أنحاء البلاد واقبال الطلاب عليها.

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار كان قد أورد في كتابه بعض الألفاظ والتركيبات وأحياناً العبارات العربية؛ حفاظاً على المعنى فقد كان حريصاً على تأكيد المعنى الذي يريده، ومع ذلك كان فريد الدين دائماً يترجم العبارات العربية التي ينقلها إلى الفارسية حتى يعرفها من لايفهمون العربية.

(٥) أما عن مقدمة الكتاب فقد قال د. استعلامي عنها: إن فريد الدين العطار كتبها بفكره وقلمه.

بناء على ماسبق يمكن القول: أن اسلوب «تذكرة الأولياء» هو أسلوب فريد الدين العطار ولاشك، إذن ماهى خصائص أسلوب العطار فى تذكرة الأولياء ؟.

قسم محمد بن عبد الوهاب القزوينى خصائص أسلوب «تذكرة الأولياء» إلى خصائص نحوية، وخصائص صرفية، وخصائص لغوية[١٣٨] (صوتية).

ويمكن أن نضيف إلى التقسيم السابق الخصائص البلاغية وخصائص أخرى، بالإضافة إلى رسم الخط أو طريقة الكتابة.

أولاً: الخصائص النحوية:

(١) كان فريد الدين العطار يورد الفعل مع الجمع واسم الجمع مصرفاً مع الضمير المفرد الغائب (او)[١٣٩] وهذه سمة من سمات الأسلوب فى القرنين الخامس والسادس[١٤٠].

مثال (١):

«آدم وحوا بمرد ونوح وابراهيم خليل بمرد»[١٤١].

وترجمته:

«مات آدم وحواء، ومات نوح وإبراهيم الخليل».

والفاعل هنا آدم وحواء جمع والفعل (بمرد) مصرف فى الماضى المطلق مع الضمير(او) فى حين أنه كان يجب أن يصرف مع الضمير (ايشان) أى (بمردند) ونفس القول ينطبق على الشق الثانى من العبارة.

مثال (٢):

«بيشتر خلق از معانى آن بهره نمى توانست كَرفت»[١٤٢]

وترجمته :

«لايستطيع أغلب الخلق الاستفادة من معانيها»

والفاعل هنا (بيشتر خلق) وهو اسم جمع في حين أن الفعل مصرف مع الضمير الثالث (أو) وكان يجب أن يكون (نمى توانستند كرفت) .

(٢) كان فريد الدين العطار أحيانا يستعمل (را) لاحقة المفعول الصريح بعد المفعول الغيرصريح[١٤٣] .

مثال :

«دنيارا بكير ازبراى تن را وآخرت را بكير ازبراى دل را»[١٤٤]

وترجمته :

اتخذ الدنيا من أجل الجسد والآخرة من أجل القلب» .

والمفعول الغير صريح هنا (تن) ومع ذلك جاء العطار بـ (را) لاحقة المفعول الصريح بعده وكذلك الحال مع (دل) .

(٣) كذلك كان فريد الدين يلحق (را) علامة المفعول الصريح بالفاعل أحيانا[١٤٥] .

مثال :

«ويراكشت سلطانيان خورده است»[١٤٦]

وترجمته :

«إنه قد أكل زرع السلاطين» .

والفاعل هنا (وى) والحق به العطار (را) .

(٤) كان فريد الدين العطار كثيراً مايستبدل دال فى (يد) ضمير فاعلية المخاطبين بـ (التاء).

مثال:

«شما درس كرديد وبدان عمل نكرديت»[١٤٧]

وترجمته:

«تعلمتم الدرس ولم تعملوا به».

(٥) كان فريد الدين العطار كثيراً مايستعمل (تا) كأداة ربط.

مثال (١):

«خواستم تادستش فراكيرم»[١٤٨].

وترجمته:

«اردت أن أمسك يده».

مثال (٢):

«جمله منبرها بفرمود تابشكستند»[١٤٩].

وترجمته:

«أمر بتحطيم كل المنابر».

(٦) استخدم فريد الدين العطار السابقة (نا) كثيراً فى النفى.

مثال:

«كفتم نام من وپدر من چون دانستى ومرابچه شناختى هركز ناديده»[١٥٠].

وترجمته :

«قلت كيف علمت اسمي واسم أبى وبأى شئ عرفتنى ولم ترنى قط» .

(٧) كذلك استعمل «نه» للنفى كثيراً.

مثال :

«ومى كَريد ونه بشب قرار كَيرد ونه بروز»[١٥١] .

وترجمته :

«وهو يبكى ولايهدأ ليلاً أو نهاراً» .

كان فريد الدين العطار يستعمل (در) بدلاً من الباء.

مثال (١) :

«در حسن نكَريد»[١٥٢]

وترجمته :

«ينظر إلى الحسن» .

مثال (٢) :

«فرداى قيامت حق تعالى هفتاد هزار فرشته بيا فريند در صورت اويس»[١٥٣]

وترجمته :

«يخلق الحق (تعالى) يوم القيامة سبعين ألف ملَكاً على شاكلة أويس»

(٩) كذلك استعمل فريد الدين العطار أكثر من حرف من حروف الجر بصورة متتالية.

مثال (١) :

«چنان نقل كرده آمد كه چون نشسته بودى كَفتى در بيش جلاد نشسته»[١٥٤] .

وترجمته :

«يروى كذلك: «إنه عندما كان يجلس، فكأنه جلس أمام جلاد»

مثال (٢) :

«سايلى فرا درآمد»[١٥٥] .

وترجمته :

«حل سائل» .

(١٠) كان فريد الدين العطار يضع باء الزينة قبل نون النفى.

مثال :

«وقدم در راه ننهى وهفتاد مقام بنكَذارى»[١٥٦] .

وترجمته :

«ولاتضع قدماً فى الطريق ولاتتجاوز سبعين مقاماً» .

(١١) كان فريد الدين العطار يستخدم الهمزة بدلا من (اى) مع المخاطب فى زمن الماضى النقلى.

مثال (١) :

«اكنون تو هفتاد سال و را برستيدة»[١٥٧]

وترجمته :

«لقد عبدته أنت الآن سبعين عاماً» .

مثال (٢) :

«كَفت تو ندانسته كه كاركنان خداى رابه پيشه حاجت نيست»[١٥٨]

وترجمته :

قال ألا تعلم أن عمال الله لاحاجة لهم بالحرفة».

(١٢) كذلك استعمل فريد الدين ازبس كه وازآنكه وازجهت كه بدلا من زيراكه أو زيرا.

مثال :

«وكَفت ياطيفور دانى بچه چشمم خلل كرد ازبس كه در فراق توميكَريستم وپشتم دوتاشد ازبس كه غم تو خوردم»[١٥٩].

وترجمته :

«قالت: أتعلم ياطيفور أن عينى أضيرت؛ لأننى كنت أبكى فراقك وأن ظهرى انحنى لأننى حزنت عليك».

(١٣) استعمل فريد الدين العطار المصدر «شدن» كثيراً بمعنى (رفتن).

مثال(١) :

«كَفتم ببا زار شوم»[١٦٠]

وترجمته :

«قلت أذهب إلى السوق».

مثال(٢) :

«چون مردى سخت انداز بود تيراو دورترشود»[١٦١].

وترجمته :

«كلما كان الرجل حاذقاً يبعد سهمه».

(١٤) كذلك ألحق فريد الدين (تر) لاحقة الصفة التفضيلية بالاسم لا الصفة[١٦٢].

مثال :

«فريضة تر»[١٦٣]

(١٥) وردت فى «تذكرة الأولياء» بعض الاستعمالات القديمة مثل عطف الفعل المصرف مع الجمع على الفعل المصرف مع المفرد.

مثال :

«اصحاب در ببستند وكَفت»[١٦٤].

وترجمته :

«أغلق الأصحاب الباب وقالوا».

والمفروض أن تكون:

«أصحاب دربستند وكَفتند».

(١٦) أحياناً كان فريد الدين يتبع كاشكى بكه أو كى وكاشكى لاتتبع بكه[١٦٥].

مثال(١) :

«وكَفت كاشكى كى خلق بشناخت خود توانندى رسيد»[١٦٦].

وترجمته :

«ليت الخلق يعرفون أنهم يستطيعون الوصول».

مثال (٢) :

«وسخن اوست كه كاشكى كه بدانمى كه مرا دشمن مى دارد»[١٦٧].

وترجمته :

«وقوله ليتنى أعلم أنه يعادينى».

(١٧) كذلك استعمل فريد الدين اكَر همه بمعنى اكَر[١٦٨].

مثال (١) :

قـدم بريساط سلاطين منه اكَر همه محض شفقت بود بر خلق»[١٦٩]

وترجمته :

«لاتضع قدماً على بساط السلاطين وإن أشفقوا على الخلق محض الشفقة».

مثال (٢) :

«كفت آرزو آنست كه پيش ازانك بميرم اكَر همه يك لحظه بود او را بدانم[١٧٠]»

وترجمته :

«قال: رغبتى أن أعرفه قبل أن أموت وإن بقيت هناك لحظة».

(١٨) استـعمل فـريد الدين (آن) كـأداة للتـعريـف وهـذه سمـة من سمـات الأسلوب القديم.

مثال :

«آن بيشواى اهل ملامت، آن شمع جمع قيامت، آن برهان مرتبت وتجريد، آن سلطـان مـعرفت وتـوحـيـد، آن حـجـة الفـقـر فـخـرى، قطب وقت ذو النون مصرى»[١٧١].

وترجمته:

هو إمام أهل الملامة، وشمع جمع القيامة، هو برهان المرتبة والتجريد، وسلطان المعرفة والتوحيد هو حجة الفقر فخرى، قطب الزمان ذو النون المصرى (رحمة الله عليه).

(١٩) لم يكن فريد الدين العطار يهتم بسياق الجملة كأن يقدم ويؤخر فى الإضافات.

مثال:

«وكَفت دنيا بكَذاشتن زهد نفس است وآخرت بكَذاشتن زهد دل وترك خود كَفتن زهد جان»(١٧٢).

وترجمته:

«وقال: ترك الدنيا زهد النفس، وترك الآخرة زهد القلب، وترك النفس زهد الروح».

وكان يجب أن تكون العبارة:

«وكَفت: كَذاشتن دنيا زهد نفس است، وكَذاشتن آخرت زهد دل، وترك كَفتن خود زهد جان».

(٢٠) وكذلك لم يكن فريد الدين يهتم بالإتيان بالفعل فى آخر الجملة وفقاً للقواعد الفارسية، وكان يأتى به فى وسط الجملة فى كثير من الأحيان، وأغلب الظن أن هذا تأثير عربى.

مثال:

«كَفت اين تن با من قرار نمى كَيرد در طاعت حق تعالى»(١٧٣).

وترجمته :

«قال: لايطاوعني هذا الجسد فى طاعة الحق تعالى» .

(٢١) كذلك كثرت الالتفاتات[١٧٤] فى أسلوب فريد الدين.

مثال :

«زانكه ميكَفت انا الحق كَفتند: بكَوى: هو الحق كَفت: بلى همه او ست شما ميكَوئيد كه كَم شده است»[١٧٥] .

وترجمته :

لأنه كان يقول: أنا الحق، قالوا: قل: هو الحق، قال: بلى فالكل هو، وأنتم تقولون إنه فقد.

(٢٢) كذلك كان فريد الدين يستخدم المصدر كاملاً فى زمن المستقبل دون حذف النون.

مثال :

«بزركَى كَفت كه اى اهل معنى طريق معنى بنكَريد كه باحسين منصور چه كردند تابا مدعيان چه خواهند كردن»[١٧٦] .

والمفروض:

(چه خواهند كرد) .

وترجمته :

«قال شيخ: ياأهل المعنى، انظروا إلى طريق المعنى، ومافعلوا مع حسين منصور (لتدركوا) ماسيفعل مع المدعين» .

وجدير بالذكر أن الجمل فى «تذكرة الأولياء» فى أغلبها متداخلة لايفصلها عن بعضها البعض شيء.

ثانيًا: الخصائص الصرفية:

(١) استعمل فريد الدين العطار صيغة خاصة للمضارع الإخبارى لاتوجد إلا فى بعض الصيغ النادرة فى بعض أشعار القدماء مثل: كنمى بدلاً من مى كنم، وكنى بدلا من مى كنى، وكندى بدلا من مى كند، وكنندى بدلاً من مى كنند[١٧٧].

مثال (١):

أ ـ «اكر توانمى خود را طلاق دهمى»[١٧٨].

وترجمته:

«إن استطعت أن تطلق نفسك».

مثال (٢):

ب ـ «اكرهمه عمر بشكر مشغول كردئى»[١٧٩].

وترجمته:

«إن شغلت بالشكر طول عمرك».

(٢) كذلك استعمل فريد الدين فى أسلوبه صيغة قديمة للماضى الاستمرارى الكامل[١٨٠].

فاستعمل مثلا: كرد مى بدلا من ميكردم، وكردى بدلاً من ميكرد، وكرديمى بدلاً من ميكرديم، وكردندى بدلا من ميكردند وغالباً ماكان يستعمل كردتى للمفرد المخاطب، وأحياناً كان يستعملها كردمانى بدلا من ميكرديم.

أمثلة :

أ ـ «تواكر امروز حرب كردتى اسيرشدى.. وچون كوشت خوك بخوردتى كافرت كردندى»(١٨١).

وترجمتها :

«إن حاربت اليوم أسرت... وطالما أكلت لحم الخنزير جعلوك كافرا»

ب ـ «اكر شما درانجا نكه نميكردتى ايشان چندين اسراف نكردندى پس چون شما نظر ميكنيد شريك باشيد در مظلمت اين اسراف»(١٨٢).

وترجمتها :

«لو لم تكن تنظر إلى ذلك المكان لما كانوا يسرفون كل هذا الإسراف، ومن ثم عندما تنظرون، تشاركون فى مظلمة هذا الإسراف.

جـ ـ «اكردست ديكر بيرون بودى نصيب وى بدادمانى»(١٨٣).

وترجمتها :

«إن أخرجت يدك الأخرى لكنا نعطيها نصيبها».

د ـ «اين حال كه ترا پيش آمده است اكريمال وجمال راست آمدى مالهاى عظيم بداديمى»(١٨٤).

وترجمتها :

(هذه الحال التى اعترتك لو تستقيم بالمال والجمال، لكنا نبذل المال الوفير).

هـ ـ «كاشكى كوسفندى بودى تابريان كردمانى»(١٨٥).

وترجمتها :

«ليتها كانت شاه لكنا شويناها».

(٣) كان فريد الدين يأتى بفعل بودن ـ الذى يستخدم فى تصريف الفعل فى زمن الماضى البعيد ـ فى زمن الماضى البعيد (أى بوده بود)[١٨٦].

مثال:

«آنجا كه آن چهار دانك درجيب مى نهادى خداى تعالى حاضر نبود، وآن ساعت اعتماد برخداى نبوده بود»[١٨٧].

وترجمته:

ألم يكن الله تعالى موجوداً عندما كنت تضع تلك العملات الأربع فى جيبك، ولم تكن قد اعتمدت عليه في ذلك الوقت.

ثالثًا: الخصائص الصوتية:

وهى كثيرة منتشرة فى الكتاب نذكر منها:

(١) قلب الباء واو مثل:

كاويين = كابين ومعناها مهر أو صداق.

اشتروار = اشتربار ومعناها الحمل.

اشترواني = اشتربانى ومعناها الجمّال.

(٢) قلب الواو باءمثل:

كجابه= كجاوه ومعنها هودج.

(٣) قلب الباء فاء مثل:

زفان = زبان ومعناها لسان.

(٤) قلب الباء الفارسية واواً مثل.

وادید = پدید ومعناها رأى.

(٥) قلب الشين جيم مثل:

کاجکی = کاشکی ومعناها ليت.

(٦) استعمال اينچ مقابل آنچ وكذلك اينك مقابل آنك مثل:

«هرچه در بغداد کردی برای من کردی ومن اینچکردم برای خدا کردم»[١٨٨].

وترجمتها:

كل مافعلته في بغداد فعلته من أجلي وكل مافعلته أنا فعلته من أجل الله.

(٧) وكذلك استعمل فريد الدين العطار پانجده بدلاً من پانزده، وهژده وهشده بدلاً من هجده، ودیبه بدلاً من ديروز، ونبايد بدلاً من مبادا، وبخفت بدلاً من بخواب (أمر الحاضر)، وبوك بدلاً من بوَد (أي شايد)، وسديكَر بدلاً من سوم[١٨٩].

رابعًا: خصائص رسم الخط أو (طريقة الكتابة):

توجد في «تذكرة الأولياء» بعض خصائص رسم الخط لكنها ليست خاصة به، وإنما كانت رائجة في أغلب الكتب التي ألفت قبل القرن السابع.

(١) فمثلا كانت كى تكتب بدلا من كه، وآنك تكتب بدلا من آنكه، وآنچ بدلاً من آنچه، وهرچ تكتب بدلاً من هرچه، وكبا بدلا من كه + با، وهيچيز تكتب بدلا من هيچ چيز، وسختر بدلاً من سخت + تر[١٩٠].

(٢) ومن خصائص رسم الخط كتابة ياء المخاطب بعد الهاء غير الملفوظة مثل:

مانده ى، بوده ى، نه ى، كه ى.

وتعنى مانده°، بودّه°، نهء (أى نيستى) وكه (كيستى)(١٩١).

(٣) كذلك كتابه الجيم والباء الفارسيتين بنقطة واحدة مثل الجيم والباء فى العربية(١٩٢).

خامسًا: الخصائص البلاغية:

إذا نظرنا إلى الصناعات البلاغية فى كتاب تذكرة الأولياء فسنجد أنه خلا منها تقريباً سوى صنعتين هما: السجع والترصيع.

(١) فقد التزم فريد الدين العطار ـ كما سبق ذكره ـ بإيراد أسجاع فى بداية كل ذكـــر على نفس وزن اسم أو لقب صـــاحب الذكـــر، وتبين مكانتـــه فى التصوف، مما جعله يأتى أحياناً بأسجاع ركيكة متكلفة كما يقول بهار وغيره.

مثال (١):

«آن از دو كون كرده اعراض، پير وقت فضيل بن عياض»(١٩٣).

وترجمته:

«هو المعرض عن الكونين، شيخ الزمان فضيل بن عياض».

مثال (٢):

«آن خليفة° الهى، آن دعامة° نامتناهى، آن سلطان العارفين، آن حجة الخلايق اجمعين، آن بخته جهان ناكامى، شيخ بايزيد بسطامى رحمه الله عليه»(١٩٤).

وترجمته:

«هو الخليفة الإلهى، والدعامة اللامتناهية، هو سلطان العارفين، وحجة الخلائق أجمعين، هو خبير عالم المعاناة، الشيخ أبو يزيد البسطامى (رحمة الله عليه)».

(٢) كذلك أتى فريد الدين العطار ببعض العبارات المرصعة[١٩٥].

مثال:

«آن مرد ميدان معنى، آن فرد ايوان تقوى، آن محقق حق ونبى، قطب وقت أبو تراب النخشبى»[١٩٦].

وترجمتها:

«هو رجل ميدان المعنى، وفرد إيوان التقوى، هو محقق الحق، ونبى زمانه وقطبه، أو تراب النخشبى».

وفيما عدا هاتين الصنعتين، فقد خلا الكتاب من الصناعات البلاغية تقريباً؛ ليكون قريباً من فهم العامة، وملائماً للهدف الذى ألف من أجله وهو نصح العامة وإرشادهم.

سادسًا: خصائص أخرى:

بالإضافة إلى الخصائص التى سبق ذكرها فقد اتسم كتاب «تذكرة الأولياء» بخصائص أخرى منها:

(١) الاستشهاد بالشعر العربى والفارسى، وهى سمة من سمات الأسلوب فى العصر الذى ألف فيه الكتاب. وقد بلغ عدد الأبيات ثمانية عشر بيتاً.

(٢) التضمين بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وهى تمثل نسبة كبيرة فى الكتاب.

(٣) تكرار لفظ بود وداشت فى بداية التراجم.

مثال (١):

«صاحب حسن بصرى بود، وازيزركان اين طايفه بود، ويرا كرامات

مشهور بود، ورياضات مذكور، ودينار نام پدرش بود، ومولود او در حال عبوديت پدر بود، اكرچه بنده زاده، بود ازهر دو كون آزاده بود»[197].

وترجمته :

«كان صاحب الحسن البصرى، وكان من مشايخ هذه الطائفة، وله كرامات مشهورة، ورياضات مذكورة. كان اسم والده (دينار)، وولد فى ظل عبودية والده، ومع أنه كان ابن عبد، (إلا أنه) كان متحرراً من الكونين».

مثال (٢) :

«وزباني داشت در بيان معارف واسرار... وبا ابو تراب صحبت داشته... واوخود اديب بود ورياضاتى وكراماتى داشت، ودرملامت قدمى محكم داشت وهمتى بلند[198]».

وترجمته :

«وله بيان فى بيان المعارف والأسرار، وصاحب أبى تراب، وكان هو نفسه أديب، وله رياضات وكرامات، وله فى الملامة قدم محكم وهمة عالية».

(٤) كذلك فإن الأثر العربى بدا جلياً منتشرا على طول الكتاب سواء من حيث الألفاظ والتركيبات، أو الجمل والعبارات، وذلك للأسباب التى سبق ذكرها.

وقد احصى بهار نسبة الكلمات العربية إلى الفارسية فى الكتاب فوجدها من ١٠ ٪ إلى ١٢ ٪[199].

وخلاصة القول أن أسلوب كتاب «تذكرة الأولياء» تميز بالبساطة والسلاسة واللطافة والبعد عن التكلف كما أجمع الكثيرون على ذلك[200]. وجمل الكتاب

فى أغلبها بسيطة ليست مركبة ولا معقدة، وألفاظه فى معظمها مؤدية للمعنى ومؤكدة له.

وكذلك فقد وفق العطار فى الإتيان بالحكايات فى ثنايا كتابه لأن هذه الحكايات ساهمت فى تقريب المعنى و الهدف المنشود إلى أذهان العامة، والحكايات عنده تجرى مجرى الأمثال فى أقوال غيره.

ولاشك أن البساطة والسلاسة، والبعد عن التكلف، وبساطة التعبير وانتقاء الألفاظ فى كتاب «تذكرة الأولياء» جاءت مناسبة للهدف الذى صنف الكتاب من أجله، وهو نصح العامة وإرشادهم فقد كان الكتاب سهل الفهم بالنسبة لهم أولاً وأيضاً بالنسبة للخاصة فعمت الفائدة وشملت الجميع.

الباب الثالث

تذكرة الأولياء : دراسة مقارنة

الفصل الأول

تذكرة الأولياء بين
كتب التصوف العربية والفارسية

يعد كتاب «تذكرة الأولياء» من أقدم المؤلفات التى تختص بتراجم الأولياء والصوفية فى اللغة الفارسية، فلم يسبقه فى هذا المجال سوى «كشف المحجوب» لأبى الحسن على بن عثمان الجلابى الغزنوى «م٤٦٥هـ» وترجمة طبقات الصوفية للسلمى والتى قام بها أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصارى (م٤٨١هـ) . هذا وقد ألفت قبله كتب عربية كثيرة فى تراجم الأولياء ومناقب الصوفية ومشايخ الطريقة مثل: «طبقات الصوفية» لأبى عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمى النيسابورى (م- ٤١٢هـ) و«حلية الأولياء» لأبى نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهانى (م ٤٣٠هـ) و«صفة الصفوة» لجمال الدين أبى الفرج عبدالرحمن بن على الجوزى (م ٥٩٧ هـ) وغيرها.

وكتاب «تذكرة الأولياء» وإن كان قد تميز على الكتب الفارسية السابقة عليه باتساع موضوعه وشموله، وكذلك إختصاصه بتراجم الأولياء والصوفية إلا أنه استفاد إلى حد كبير من الكتب السابقة عليه سواء كانت عربية أو فارسية، وكذلك استفادت منه الكتب الفارسية المؤلفة بعده وتأثرت به.

وقبل أن نبين مواضع استفادته من هذه الكتب، ومدى تأثيره فيها وتأثره بها لنحدد مكانته بين مصادر التصوف الاسلامى - وهو موضوع الفصل التالى - يجدر بنا أن نعرف بهذه الكتب:

أولا: كتب التصوف المؤلفة قبل «تذكرة الأولياء»:

الكتب العربية:

١ ـ اللمع:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو نصر عبدالله بن على السراج الطوسى المتوفى ٣٧٨هـ[٢٠١] والملقب «بطاووس الفقراء». [٢٠٢] كان السراج مريداً لأبى محمد المرتعش، وكان قد أدرك سرى السقطى وسهل التسترى[٢٠٣].

تجول السراج فى أرجاء العالم الإسلامى فزار القاهرة وبغداد ودمشق والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور. واجتمع بأعلام التصوف الإسلامى، ونشر علوم الصوفية ومعارفهم[٢٠٤].

وكتاب «اللمع» هو الكتاب الأم فى تاريخ التصوف الإسلامى فهو أكبر المراجع وأوثقها وأغزرها مادة فى التصوف ومن مادته اقتبس كافة من أرخ للتصوف.[٢٠٥]

وكتاب «اللمع» يشتمل على مائة وخمسة وخمسين باباً تتناول:

بيان علم التصوف ومذهب الصوفية ونعت طبقات أصحاب الحديث وذكر طبقات الفقهاء والصوفية والرد على أعداء الصوفية واعتراض الصوفية على المتفقهة، والكشف عن اسم الصوفية، وإثبات علم الباطن والتوحيد، وصفة العارف، والفرق بينه وبين المؤمن ، وتشرح لأحوال الصوفية ومقاماتهم، وتتحدث عن أهل الصفوة واتباعهم لكتاب الله (عز وجل) واقتدائهم برسول الله (ﷺ)، وتتناول هذه الأبواب أيضاً ذكراً لأصحاب الرسول، وآداب المتصوفة فى الوضوء والزكاة والصوم والصحبة والضيافة وغيرها، وتتطرق الأبواب كذلك إلى مكاتبات الصوفية وأشعارهم، وتفسير السماع والوجد، وشطحات الصوفية وأخطائهم فى الحرية والعبودية والفناء وغيرها[٢٠٦].

والكتاب يعبر عن التصوف من وجهة نظر أهل السنة، فالسراج يحيل كل أصل من الأصول التي يتعرض لها في كتابه إلى القرآن والسنة، ويدعمه بالآيات القرآنية والأحاديث[٢٠٧].

وقد صدرت طبعة للمع في مصر ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م قام بتحقيقها والتقديم لها وتخريج أحاديثها د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور.

٢ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف:

مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ أبو بكر محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي (م ٣٨٠هـ)[٢٠٨]، كان الكلاباذي يلقب بتاج الإسلام، وكان فقيهاً حنفياً صوفياً[٢٠٩].

ويعد كتاب التعرف من أقدم ما كتب عن التصوف فقد ألفه الكلاباذي في أوائل القرن الرابع الهجري[٢١٠].

وكتاب التعرف موسوعة علمية كبرى في التصوف، فهو يشتمل على خمسة وسبعين بابا يتناول فيها المؤلف: سبب تسمية الصوفية بالصوفية والتعريف برجال التصوف ويشرح أقوالهم في التوحيد والصفات والرؤية والقدر وخلق الأفعال والاستطاعة والجبر والوعد والوعيد والشفاعة والروح والملائكة والرسل والكرامات والإيمان وغيرها. ثم يتطرق إلى الحديث عن علوم الصوفية، وأحوالهم ومقاماتهم كالتوبة والزهد والصبر والفقر ثم يتحدث عن مجاهداتهم ومعاملاتهم، ثم يختتم كتابه بالحديث عن السماع[٢١١].

وللكتاب شرح لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى ٤٨١هـ، وشرح للقاضي علاء الدين التبريزي، وشرح للإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الله المستملي المتوفى في ٤٣٤هـ [٢١٢] ونشرت ترجمة إنجليزية له في كمبردج عام ١٩٣٦م.[٢١٣]

٣ـ طبقات الصوفية:

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن راوية ين سعيد بن قبيصة بن سراقة المعروف بأبى عبد الرحمن السلمى [٢١٤] (م ٤١٢ هـ).[٢١٥]

صرف أبو عبد الرحمن همه إلى دراسة الحديث والتصوف فرحل إلى العراق والرى وهمدان ومرو والحجاز وغيرها، وتتلمذ على يد عدد من الشيوخ منهم: المحدث أبى الحسن الدارقطنى والصوفى أبى نصر السراج وأبى القاسم النصر آبادى وأبى عمرو بن جنيد [٢١٦]، وكذلك فقد أدرك الشيخ أبو سعيد ابن أبى الخير صحبته[٢١٧].

ولأبى عبد الرحمن السلمى مؤلفات فى الحديث والتفسير والتصوف أشهرها كتاب «طبقات الصوفية» الذى ألفه فى نهاية القرن الرابع الهجرى [٢١٨].

والكتاب يشتمل على خمس طبقات، تتناول كل طبقة ترجمة لأحوال عشرين رجلاً من رجال الصوفية - تقريباً - ظهروا فى زمن واحد أو أزمنة متقاربة وتذكر أقوالهم.

وكان عبد الله الأنصارى يملى كتاب الطبقات فى مجالس وعظه ويضيف إليه تراجم لمشايخ آخرين وذلك باللهجة الهروية القديمة، لذلك قام الجامى بتلخيصه وتهذيبه بالفارسية الحديثة وأضاف إليه تراجم أخرى وأعد كتاب نفحات الأنس [٢١٩].

٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:

مؤلف هذا الكتاب هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهانى المتوفى ٤٣٠هـ [٢٢٠].

وقد ألف هذا الكتاب باللغة العربية عام ٤٢٢ هـ [٢٢١].

«وكتاب «حلية الأولياء» أوسع كتاب ألف في تراجم الصوفية، فهو يشتمل على شرح لأحوال ستمائة وتسعة وثمانين شخصاً من الزهاد والعباد والصوفية في صدر الإسلام وحتى أواخر القرن الرابع الهجري، هذا إلى جانب الكلمات والمواعظ والحكم والآداب والقصص والحكايات المنسوبة إلى كل واحد منهم، والأخبار التي رواها عدد كبير منهم» [٢٢٢].

وطبع هذا الكتاب في مصر من سنة ١٣٥١ إلى ١٣٥٧ هـ. ق واختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وسماه «صفة الصفوة»، واختصره كذلك محمد بن الحسن الحسيني [٢٢٣] وتوالى طبع «حلية الأولياء» بعد ذلك.

٥ ـ الرسالة القشيرية:

مؤلفها أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٤٦٥ هـ. [٢٢٤]

وكان القشيري تلميذاً لأبي علي الدقاق (م ٤٠٥هـ) وزوجاً لإبنته وكان تلميذاً أيضاً لأبي عبد الرحمن السلمي، ومعاصراً لأبي سعيد بن أبي الخير ـ الذي كان يعقد مجلساً في زاويته كل أسبوع ـ والهجويري [٢٢٥]. وكذلك كان أستاذاً لأبي علي الفارمدي [٢٢٦].

وقد ألف القشيري هذه الرسالة عام ٤٣٧ هـ [٢٢٧].

وتعد الرسالة من الكتب الأساسية في التصوف وتشتمل على أربعة وخمسين بابا وثلاثة فصول توضح عقائد الصوفية وتشرح لأحوال ثلاثة وثمانين شخصاً من مشاهير المشايخ، وتفسر الألفاظ الصعبة الشائعة بين العارفين، وتبين مقامات أهل السلوك وأحوالهم وآدابهم وكرامات الأولياء [٢٢٨].

ونظراً لأهمية الرسالة فقد شرحها القاضى زكريا بن محمد الأنصارى (م ٩١٠هـ) فى مجلد مع المتن سماه «أحكام الدلالة على تحرير الرسالة»، وشرحها الشيخ الفقيه سديد الدين أبو محمد عبد المعطى بن عبد العلى اللخمى فى كتاب سماه «الدلالة على فوائد الرسالة» وشرحها المولى على القارئ فى مجلدين (٢٢٩).

وقد ترجمت الرسالة إلى الفارسية مرتين:

الأولى: ترجمها أبو على بن أحمد العثمانى أحد تلاميذ القشيرى وهى ترجمة سقيمة بها كثير من الأخطاء، وتوجد نسخة منها فى مكتبة «أيا صوفيه» تحت رقم ٢٠٧٧، ونسخة منها فى المتحف البريطانى.

والثانية: ترجمها أبو الفتوح عبد الرحمن بن محمد النيسابورى عام ٥٥٠ هـ، وتوجد نسخة منها فى مكتبة «لالا إسماعيل» تحت رقم ١٢٠(٢٣٠).

وطبعت فى مصر عام ١٣٤٦ هـ. ق. ثم طبعت بعد ذلك عدة مرات، وأهم طبعاتها الطبعة المحققة «لعبد الحليم محمود» و «محمود بن الشريف» التى نشرت فى القاهرة عام ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦م وتقع فى جزئين.

٦ـ صفة الصفوة:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى المتوفى ٥٩٧ هـ (٢٣١).

تتلمذ ابن الجوزى على يد على بن عبد الواحد الدينورى وابن الحصين وأبى عبد الله البارع، وله مصنفات كثيرة فى أنواع العلوم والتفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ قيل إنها تزيد على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً منها ما هو عشرون مجلدا أو أقل (٢٣٢).

وكتاب «صفة الصفوة» هو اختصار لكتاب «حلية الأولياء» للحافظ أبى نعيم الإصفهانى فقد أخذ ابن الجوزى على كتاب الإصفهانى الإطالة فى الأسانيد، وتكرار كثير من الحكايات منها ما هو باطل وموضوع وغير مجاز، وكذلك أخذ على أبى نعيم خلطه فى ترتيب القوم فقدم من ينبغى أن يؤخر وأخر من ينبغى أن يقدم إلى غير ذلك (٢٣٣) مما جعله يختصر كتاب الحلية، ويضيف إليه بعض تراجم الصفوة، وقد ترجم ابن الجوزى فى هذا الكتاب لما يزيد على ألف شخص من الأولياء والصالحين والصحابة والتابعين والصوفية من الرجال والنساء، وشرح أحوالهم وتتبع أخبارهم والحكايات المروية عنهم، والأقوال المنسوبة إليهم (٢٣٤).

وقد قام الشيخ إبراهيم بن أحمد الرقى بدوره باختصار هذا الكتاب وسماه «أحسن المحاسن»، وكذلك اختصره أبو عمرو مرزوق بن حميد القرشى (م ٥٦٤هـ) ونظمه أبو المعالى سعد بن على الوراق الحظيرى (م٥٢٨ هـ)(٢٣٥).

الكتب الفارسية:

٧ـ كشف المحجوب:

مؤلفه أبو الحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى الهجويرى الغزنوى (م ـ ٤٧٠ هـ) (٢٣٦).

كان الهجويرى تلميذاً لأبى العباس أحمد بن محمد وأبى القاسم على الجرجانى الطوسى، ومريداً لأبى الفضل محمد بن الحسن الختلى وصحب خواجه أبا أحمد المظفر بن أحمد بن حمدان، وكان معاصراً لأبى القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى وأبى سعيد بن أبى الخير (٢٣٧).

وللهجويرى مؤلفات كثيرة فى التصوف لم يصلنا منها سوى «كشف المحجوب».

وقد أتم الهجويرى تأليف كتابه «كشف المحجوب» بين عامى ٤٤١، ٤٤٢ هـ[٢٣٨].

والكتاب يشتمل على أربعين باباً : تتناول إثبات فضيلة العلم، وتشرح مقامات الصوفية وعقائدهم فى معرفة الله والتوحيد والإيمان وعباداتهم كالصلاة والزكاة والصوم والطهارة والحج، وتوضح آدابهم ورموزهم ورسومهم، وتشرح لأحوال مشاهير مشايخ التصوف منذ القرون الإسلامية الأولى وحتى عهد المؤلف، وتعرف ببعض فرقهم ومذاهبهم وتشتمل على توضيح للألفاظ الصوفية والمفاهيم والمصطلحات الصوفية الصعبة[٢٣٩].

وقد طبع چوكوفسكى هذا الكتاب عام ١٣٤٤ هـ. ق- ١٩٢٦م فى ليننجراد ،وكتب له مقدمة باللغة الروسية[٢٤٠].

هذا وقد قامت الأستاذة الدكتورة إسعاد عبد الهادى قنديل بترجمته إلى اللغة العربية.

٨ - أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبي سعيد:

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن المنور بن أبى سعيد بن أبى طاهر بن أبى سعيد بن أبى الخير[٢٤١].

وألف ابن المنور هذا الكتاب حوالى عام (٥٧٤ هـ)[٢٤٢]. ويعد هذا الكتاب أول مؤلف فى الفارسية يتعلق بحياة أحد الصوفية وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:

الأول: فى بداية حياة الشيخ أبى سعيد، والثانى: فى أواسط حياة الشيخ،

والثالث: فى إنتهاء حياة الشيخ. وهذه الأبواب تشتمل على معلومات قيمة عن رسوم وعادات الصوفية واجتماعاتهم وتشكيلاتهم، ويشرح المفاهيم والمصطلحات الصوفية مثل الخلوة والزاوية والرياضة والسماع والرقص والخرقة والمرقع والوجد والحال، ويصف أنواع المجاهدات والآداب الصوفية، والشروط التى ينبغى توفرها فى الشيخ والمريد، وطبيعة الحياة فى الخانقاهات(٢٤٣).

وقد قامت الأستاذة الدكتورة إسعاد عبد الهادى قنديل بترجمته إلى اللغة العربية.

ثانياً: الكتب المؤلفة بعد تذكرة الأولياء:

«نفحات الإنس من حضرات القدس»

أما عن الكتب التى ألفت بعد تذكرة الأولياء، وتأثرت به، واستفادت منه، فمنها كتاب «نفحات الانس من حضرات القدس»: لمولانا نور الدين عبدالرحمن بن أحمد الجامى المتوفى ٨٩٨هـ (٢٤٤).

بدأ جامى تصنيف كتابه عام ٨٨١ هـ وأتمه عام ٨٨٣ هـ ويشتمل الكتاب على مقدمة قصيرة للمؤلف وتسع مقولات فى الأصول الصوفية، وتراجم لشيوخ الصوفية تتجاوز الستمائة ترجمة (٢٤٥).

وكتاب «نفحات الأنس» ترجمة لكتاب «طبقات الصوفية» الذى ألفه محمد بن حسين السلمى النيسابورى ونقله خواجه عبد الله الأنصارى إلى اللغة الهروية ثم نقله جامى بناء على طلب أمير عليشير نوائى إلى الفارسية الحديثة (٢٤٦) وكذلك نقل جامى عن «كشف المحجوب» و«أسرار التوحيد» الجزء الأكبر من مادة كتابه (٢٤٧).

وبناء على ما سبق فإن تأثر «نفحات الأنس» «بتذكرة الأولياء» كان تأثراً محدوداً للغاية لا يعدو نقله جملة أو عبارة فى أغلب الأحيان، لذلك سنركز فى دراستنا على كتاب كان تأثره بالتذكرة شديداً وواضحاً وجلياً وكذلك اعترف مؤلفه فى مواضع كثيرة من الكتاب بنقله عن فريد الدين العطار، والمتصفح

لهذا الكتاب يرى مدى تأثر مؤلفه بالعطار ونقله عنه فالكتاب يكاد يكون نقلاً موجزاً «لتذكرة الأولياء» سوى أن المؤلف أضاف إلى كتابه بعض تراجم لم ترد في التذكرة والكتاب هو:

٩- خزينة الأصفياء:

مؤلف هذا الكتاب هو غلام سرور صاحب اللاهورى المفتى غلام محمد بن المفتى رحيم الله القريشى الأسدى الهاشمى.

وغلام سرور من علماء بلاد الهند فى القرن الثالث عشر الهجرى وكان على قيد الحياة حتى عام ١٢٨٣ هـ، وكانت له يد طولى فى النظم والنثر والإنشاء.

بدأ غلام سرور تأليف هذا الكتاب عام ١٢٨٠ هـ وأتمه عام ١٢٨١ هـ.

وخزينة الأصفياء كتاب فى شرح أحوال كبار رجال الدين ومشايخ الصوفية والعارفين فى إيران والهند والكتاب مكون من سبعة مخازن:

المخزن الأول: فى شرح حال الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأئمة (رضوان الله عليهم) والخلفاء وأتباع أهل السنة.

والخمسة مخازن التالية: فى ذكر مشايخ وأولياء الأسر: القادرية والجشتية والنقشبندية والسهروردية.

والمخزن السابع: يشتمل على شرح لأحوال زوجات النبى وبناته ومجموعة من عارفات النساء وصالحاتهم ومجاذيب عقلاء المجانين.

ويتميز كتاب «خزينة الأصفياء» بأن مؤلفه كان يورد تاريخ ميلاد من يترجم له وكذلك تاريخ وفاته من أكثر من مصدر تاريخى.

طبع كتاب «خزينة الأصفياء» عام ١٣٣١هـ. ق فى مطبعة «منشى نولكشور» فى كانپور التابعة للهند [٢٤٨].

الفصل الثاني

مكانة الكتاب بين مصادر التصوف الإسلامي

سبق أن ذكرنا أن فريد الدين العطار اعتمد كثيراً فى كتابة «تذكرة الأولياء» على مصادر التصوف المؤلفة قبله سواء أكانت عربية أو فارسية، وإن كان لا يهتم بذكر هذه المصادر أو بيان هذه الأسانيد فى المواضع التى ينقل فيها عنها أو يستفيد منها فيها، إلا أن المتصفح لهذه المصادر يدرك مدى التأثير والتأثر بينها وبين التذكرة، وإن كان فريد الدين قد تأثر بالمصادر المؤلفة قبله، فإنه أيضاً أثر فى المصادر المؤلفة بعده، ولنعرف مكانة كتابه «تذكرة الأولياء» بين هذه المصادر سواء المؤلفة قبله أو بعده علينا أن نبين مظاهر التأثير والتأثر بينها.

مظاهر التأثير والتأثر

أولاً: بين اللمع وتذكرة الأولياء:

استفاد فريد الدين العطار فى كتابه «تذكرة الأولياء» من «اللمع» استفادة محدودة، ونقل منه بعض الحكايات المتعلقة بالمشايخ والأقوال والأخبار المأثورة عنهم، نذكر منها بعض الأمثلة:

اللمــع

(ص ١٤٥)

وسمعت طيفور يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل، ومؤنة النساء ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل الله عز وجل هذا ولم يسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم أسأله وكفاني الله تعالى مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

ص (٢٤٤):

وقال أبو تراب: عرض علي طعام، فامتنعت من أكله فعوقبت بالجوع أربعة عشر يوماً، فعلمت أني عوقبت، فاستغثت إلى الله (تعالى) وتبت.

ص (٢٦٥):

وحكى عن إبراهيم ابن أدهم (رحمه الله تعالى) أنه قال: إذا

تذكرة الأولياء

(ص١٥٣) ذكر أبي يزيد البسطامي

يروى أن الشيخ قال: أردت أن أسأل الحق تعالى أن يكفيني مؤنة النساء ثم قلت: لا يجوز لي هذا، ولم يسأله النبي (عليه السلام) هذا، وبهذه الحرمة كفاه الحق تعالى ذلك حتى تساوت لدى المرأة والحائط [٢٤٩].

ص (٢٩٦ ، ٢٩٧) ذكر أبي تراب:

وقال (أبو تراب): عرض علي طعام ذات يوم، فامتنعت عنه فظللت جائعاً أربعة عشر يوماً بشؤم ذلك الامتناع [٢٥٠].

ص (٩٣) ذكر إبراهيم بن أدهم:

قال (إبراهيم بن أدهم): الفقير الذي تزوج كأنه جلس في سفينة، وطالما

التعرف لمذهب أهل التصوف	تذكرة الأولياء
تزوج الفقير فمثله مثل رجل ركب السفينة، فإذا ولد له قد غرق.	رزق بولد غرق [٢٥١].
ص (٨٠): الرضا سرور القلب بمر القضاء.	**(ص١٣٠) ذكر ذى النون:** وقال: الرضا سرور القلب بمر القضاء [٢٥٢].

ثانيًا: بين التعرف لمذهب أهل التصوف وتذكرة الأولياء:

نقل فريد الدين العطار فى كتابه «تذكرة الأولياء» العديد من الحكايات والأقوال المتعلقة بمشايخ الصوفية عن هذا الكتاب كما سيتضح من الأمثلة الآتية:

التعرف لمذهب أهل التصوف	تذكرة الأولياء
(ص ١٤٧): وقال أبو عثمان: كنت عند أبى حفص، وبين يديه زبيب، فأخذت زبيبه ووضعتها فى فمى، فأخذ بحلقى وقال يا خائن، تأكل زبيبتى؟ فقلت: لثقتى بزهادتك فى الدنيا وعلمى بإيثارك أخذت الزبيبة، فقال يا جاهل! تثق بقلب لا يملكه صاحبه؟!.	**ص (٣٨، ٣٩) ذكر أبى حفص:** يقول أبو عثمان الحيرى: كنت أمضى يوماً إلى أبى حفص، فرأيت أمامه بضع حبات من الزبيب، فأخذت زبيبة ووضعتها فى فمى فأمسك بحلقى وقال: يا خائن، لما أكلت زبيبتى وبأي سبب؟ فقلت: إننى أعرف قلبك وأثق فيك، وعلمت أيضاً أن كل ما تملكه

تؤثره، فقال: إنى لا أثق بقلبي أيها الجاهل، فكيف تثق أنت به [٢٥٣].

ص (١٤٤) :

قال السرى السقطى: إنى أذكر مجيئ الناس إلى، فأقول: اللهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عنى فإنى لا أحب مجيئهم إلىّ.

حـ١ (ص٢٧٨) ذكر سرى

قال السرى: عندما أعلم مجيىء الناس إلىّ ليتعلموا منى العلم، أدعو (قائلاً): يا رب هب لهم علماً يشغلهم على، حتى لا يشغلوننى، فإنى لا أحب مجيئهم إلى[٢٥٤].

التعرف لمذهب أهل التصوف

ص (١٢١)

قال سهل: التجلى على ثلاثة أحوال: تجلى الذات وهى المكاشفة، وتجلى صفات الذات وهى موضع النور، وتجلى حكم الذات وهى الآخرة وما فيها.

تذكرة الأولياء

حـ١ ص (٢٦٥) ذكر سهل:

وقال (سهل): التجلى على ثلاثة أحوال تجلى الذات وهى المكاشفة، وتجلى الصفات وهى موضع النور وتجلى حكم الذات وهى الآخرة وما فيها [٢٥٥].

ص (١٣٧) :

قيل لذى النون: ما أول درجة يرقاها العارف؟ فقال: التحير، ثم الافتقار، ثم الاتصال، ثم التحير.

حـ ١ (١٣٣) ذكر ذى النون:

سئل (ذو النون) : ما أول درجة يرقاها العارف؟ فقال: التحير، ثم الافتقار، ثم الاتصال، ثم الحيرة[٢٥٦].

ثالثًا: بين طبقات الصوفية وتذكرة الأولياء:

اعتمد فريد الدين العطار على هذا الكتاب فى نقل بعض الحكايات والأخبار المتعلقة بمشايخ الصوفية، واعتمد عليه أكثر فى نقل العديد من أقوال المشايخ.

والمتصفح للكتابين يدرك مدى التأثير بينهما فى هذا الشأن، ومعظم الأذكار فى «تذكرة الأولياء» لا تكاد تخلو من قول أو أكثر ورد «طبقات الصوفية».

والأمثلة هى:

طبقات الصوفية	تذكرة الأولياء
ص (٣٧، ٣٨)	جـ١، ص (١٠٠) ذكر إبراهيم بن أدهم:
سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت محمد بن حامد، يقول: سمعت أحمد خضرويه، يقول: قال إبراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف: اعلم، أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب: أولاها: (أن) تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة. والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل. والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة: أن تغلق باب النوم، وتفتح	وقال أحمد بن خضرويه: قال إبراهيم لرجل فى الطواف: لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب: تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة، وتغلق باب العز، وتفتح باب الذل، وتغلق باب النوم، وتفتح باب السهر، وتغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر، وتغلق باب الأمل وتفتح باب الأجل والتزين والاستعداد للموت(٢٥٧).

باب السهر. والخامسة: أن تغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر والسادسة: أن تغلق باب الأمل، وتفتح باب الاستعداد للموت.

ص (٦٥):

وبإسناده (حاتم الأصم) قال شقيق: «ليس شيء أحب إليّ من الضيف، لأن رزقه ومؤنته على الله، ولى أجره.

حـ ١ (ص ٢٠١) ذكر شقيق:

وقال (شقيق): ليس هناك شيء أحب إليّ من الضيف لأن رزقه ومؤنته على الله - وأنا لا شأن لى بينهما - ولى أجره وثوابه (٢٥٨).

ص (٩٥)

وبإسناده (حامد اللفاف)، قال حاتم: «أطلب نفسك فى أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع والعطاء بغير منه، والإمساك بغير بخل.

حـ ١ ص (٢٥٠) ذكر حاتم:

وقال (حاتم) اطلب نفسك فى أربعة مواضع: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منة، والإمساك بغير بخل (٢٥٩).

ص (١٠١):

وبهذا الإسناد (العباس بن حمزة) قال أحمد: «ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة والقسوة».

حـ ١ (٢٨٧) ذكر أحمد الحوارى:

وقال (أحمد): ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة وقسوة القلب(٢٦٠).

ص (١٠٤) :	حـ ١ ص (٢٩٣) ذكر أحمد بن خضرويه :
قال (محمد بن حامد الترمذى)، وقال أحمد: «من صبر على صبره فهو الصابر، لا من صبر وشكا».	وقال (أحمد): «من صبر على صبره فهو الصابر لا من صبر وشكا»[٢٦١].
ص (١١٠) :	حـ ١ (٣٠٢) ذكر يحيى بن معاذ:
قال (منصور بن عبدالله)، وسمعت يحيى يقول: «ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله فى كل شىء، والغنى به عن كل شىء، والرجوع إليه فى كل شىء.	وقال: «ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله فى كل شىء، والغنى به عن كل شىء، والرجوع إليه فى كل شىء»[٢٦٢].

رابعا: بين حلية الأولياء وتذكرة الأولياء:

كان طبيعياً أن يتأثر فريد الدين العطار «بحلية الأولياء» لأن «حلية الأولياء» و«تذكرة الأولياء» كتبا في شرح أحوال مجموعة من الزهاد والعباد والصوفية وتناولا أقوالهم ومواعظهم وآدابهم بالإضافة إلى القصص والحكايات المنسوبة إلى كل واحد منهم والأخبار المتعلقة بهم.

والأمثلة التالية توضح هذا التأثر:

حلية الأولياء	تذكرة الأولياء
حـ ٨ ص (١١٣) : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا اسحق بن أبى إحسان ثنا أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أبا عبد الله الساجى يقول: سأل رجل فضيل بن عياض فقال: يا أبا على متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال له الفضيل: إذا كان عطاؤه ومنعه إياه عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حبه.	حـ ١ ص (٨٠) ذكر الفضيل: قالوا: متى يبلغ الرجل غايته من حب الله (تعالى)؟ فقال: طالما تساوى لديه المنع والعطاء، فقد بلغ غاية محبته [٢٦٣] .
(حـ ٨ ص (٣٣٦) : حدثنا محمد بن على ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم قال: سمعت أحمد بن محمد البراء يقول: سمعت سفيان بن محمد المصيصى يقول: رأيت بشر بن الحارث فى النوم، فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لى وأباح لى نصف الجنة. وقال لى يا بشر لو سجدت على الجمر ما أديت شكر ما جعلت لك فى قلوب عبادى.	حـ١ ص (١١٣) ذكر بشر: ورأى آخر (بشر) فى المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى، وأباح لى نصف الجنة، وقال لى: يا بشر لو سجدت لى على الجمر، ما أديت شكر ما وهبتك من منزلة فى قلوب عبادنا [٢٦٤].

حـ ٩ (٣٨٠):

حدثنا أبي ثنا أحمد ثنا سعيد قال ذو النون وسأله رجل فقال: يا أبا الفيض ما التوكل؟ فقال له: خلع الأرباب وقطع الأسباب فقال له: زدني فيه حالة أخرى فقال: إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية.

حـ١ ص (١٣٢) ذكر ذي النون:

سئل (ذو النون) ثانية: عن علامة التوكل فقال: هو خلع الأرباب وقطع الأسباب قالوا: زدنا، قال: طرح النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية[٢٦٥].

حـ ٩ (ص٣٢٧):

وقال (منصور): إن الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكير، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير.

حـ١ ص (٣٣٧) ذكر منصور:

وقال منصور: إن الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان التفضيل وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكير، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير[٢٦٦].

خامسًا: بين الرسالة القشيرية وتذكرة الأولياء:

استفاد فريد الدين العطار من «الرسالة القشيرية» ـ خاصة الجزء المتعلق بتراجم شيوخ الصوفية ـ في نقل بعض الحكايات المنسوبة إلى هؤلاء المشايخ خاصة المتعلقة بكراماتهم، وكذلك نقل عن الرسالة بعض الأقوال المأثورة عن شيوخ الصوفية والأخبار المتعلقة بهم.

كما سيتضح من الأمثلة الآتية:

تذكرة الأولياء	الرسالة القشيرية
حـ ص (١٠٨) ذكر بشر: يروى أن بلالاً الخواص، قال: كنت أمضى فى تيه بنى إسرائيل، وكان رجل يمضي معى، فألهمنى قلبى أنه الخضر، قلت: بحق الحق قل، ما اسمك؟ قال: أخوك الخضر قلت: ما تقول فى الشافعى؟ قال: هو من الأوتاد قلت: ما تقول فى أحمد بن حنبل؟ قال: هو من الصديقين. قلت: ما تقول فى بشر؟ قال: لن يوجد بعده مثله(٢٦٧).	(ص ١٨، ١٩): سمعت محمد بن الحسين (رحمه الله) يقول: سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول: سمعت بلالاً الخواص يقول: كنت فى تيه بنى إسرائيل، فإذا رجل يماشينى، فتعجبت منه، ثم ألهمت أنه الخضر (عليه السلام) فقلت له: بحق الحق من أنت؟ فقال: أخوك الخضر، فقلت له: أريد أن أسألك، فقال: سل، فقلت: ما تقول فى الشافعى (رحمه الله)، فقال: هو [من] الأوتاد. فقلت: ما تقول فى أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) قال: رجل صديق. قلت: فما تقول فى بشر بن الحارث الحافى؟ فقال: لم يخلق بعده، مثله.
حـ١ ص (٢٣٥، ٢٣٦): وكانت عناية الحق (تعالى) تحفظه إلى حد أنه عندما كان يمد يده إلى	ص (٢٠): سمعت الأستاذ أبا على الدقاق (رحمه الله تعالى) يقول: كان

الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى إصبعه عرق، فكان يمتنع عنه.

طعام فيه شبهة، كان عرق يتحرك داخل إصبعه، بحيث لا يطاوعه الإصبع، فكان يعرف أن تلك اللقمة فيها شبهة (٢٦٨).

ص (١٧):

ويحكى عن السرى أنه قال: التصوف اسم لثلاث معان: وهو الذى يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

جـ١ ص (٢٨٢) ذكر سرى:

وقال السرى: التصوف اسم لثلاث معان: وهو الذى لا يطفئ (نور) معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، وتحمله الكرامات على نهى الناس عن المحارم (٢٦٩).

ص (٣١):

ومات صديق له وهو عند رأسه، فلما مات، أطفأ حمدون السراج، فقالوا له: فى مثل هذا الوقت، يزداد فى السراج الدهن، فقال لهم: إلى هذا الوقت، كان الدهن له، ومن هذا الوقت، صار الدهن للورثة.

جـ١ ص (٣٣٢). ذكر حمدون:

ووصل (حمدون) فى التقوى إلى حد أنه: كان بجوار فراش صديق له ذات ليلة، وكان فى النزع فلما مات، أطفأ حمدون السراج، وقال: لهذا السراج وارث فى هذه الساعة، ولا يجوز لنا إشعاله (٢٧٠).

سادسا: بين صفة الصفوة وتذكرة الأولياء:

سبق أن ذكرنا أن كتاب «صفة الصفوة» هو اختصار لكتاب «حلية الأولياء» مع إضافة بعض التراجم إليه لذلك كثيراً ما نجد حكايات وأخباراً وأقوالاً متعلقة بمشايخ التصوف وردت في الحلية و«صفة الصفوة» وكذلك «تذكرة الأولياء» إلا أن فريد الدين العطار نقل عن «صفة الصفوة» حكايات وأقوالاً لم ترد في «حلية الأولياء» نذكر منها على سبيل المثال:

صفة الصفوة	تذكرة الأولياء
حـ٤ ص (١٠١) علي بن المثنى قال: سمعت عمي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا زيد يقول: رأيت رب العزة (تبارك وتعالى) في المنام، فقلت: يا بارخدا، كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ثم تعال.	**حـ ص (١٧١) ذكر أبي يزيد:** وقال (أبو يزيد) : رأيت الحق (عز وجل) في المنام ، فسألته: كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك تصل إليّ (٢٧١).
حـ٤ ص (١٨٩) أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسي، يقول: ... وإن الجوع عنده في خزائن مدخرة، ولا يعطى إلا من أحب خاصة.	**حـ١ ص (٢٣٢) ذكر أبي سليمان:** وقال (أبو سليمان): الجوع عند الله خزينة من الخزائن المدخرة، لا يعطى إلا من يحب (٢٧٢).

حـ ٢ ص (٢٤٢):

قال علان: وأى شىء أعجب من هذا، اشترى (سرى) كر لوز بتسعين ديناراً. فأتاه الدلال وقال: أريد ذاك اللوز، فقال: خذه. فقال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً. قال له الدلال: إن اللوز قد صار الكر بتسعين فقال له الدلال: وإنى قد عقدت بينى وبين الله (تعالى) لا أغش مسلماً. لست آخذ منك إلا بتسعين ديناراً. فلا الدلال اشترى منه، ولا سرى باعه.

حـ١ ص (٢٧٤) ذكر سرى:

يروى أن السرى لم يكن يطلب فى البيع والشراء ربحاً سوى نصف دينار على كل عشرة، وذات مرة أشترى لوزاً بستين ديناراً، وحدث أن ارتفع ثمن اللوز. فأتاه دلال وقال: بعه، قال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً. قال الدلال: ثمن اللوز اليوم تسعون ديناراً، فقال: إنى قد عقدت العزم ألا آخذ أكثر من نصف دينار على كل عشرة دنانير، ولن أنقض عزمى، فقال الدلال: وأنا أيضاً لا أجيز أن أبيع بضاعتك بالقليل، فلم يبع الدلال، ولم يجز سرى(٢٧٣).

حـ٤ (ص ١٥٠، ١٥١):

أبو العباس الشرقى قال: كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة، فمرض، فعدل عن الطريق إلى ناحية، فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان، قال: فضرب برجله فإذا عين من ماء زلال. فقال الفتى: أحب أن أشربه فى قدح، فضرب بيده الأرض، فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن مارأيت، فشرب، وسقانا، ومازال القدح معنا إلى مكة.

حـ١ ص (٢٩٦) ذكر أبى تراب:

يقول أبو العباس السيرمى: كنت مع أبى تراب فى البادية، فقال أحد الأصحاب: أنا عطشان: فضرب الأرض برجله، فإذا عين من ماء. فقال الرجل: أحب أن أشربه فى قدح، فضرب بيده الأرض، فاذا قدح من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب من ذلك الماء، وسقى الرفاق، ومازال القدح معنا إلى مكة(٢٧٤).

سابعًا : بين كشف المحجوب وتذكرة الأولياء:

اعتمد فريد الدين العطار اعتماداً كبيراً على «كشف المحجوب» في نقل الحكايات والأخبار والأقوال المتعلقة بمشايخ الصوفية. وهو كما ذكر بهار [٢٧٥] غالباً ماكان ينقل عنه نفس عباراته مع قليل من التصرف بأن يبدل الألفاظ القديمة بالحديثة.

والأمثلة على تأثر فريد الدين «بكشف المحجوب» كثيرة ومنتشرة على طول الكتاب، وقد عقد بهار موازنة بين الكتابين[٢٧٦] وأورد محمد عباسي [٢٧٧] في مقدمته لكشف المحجوب مثالاً لهذا التأثير والتأثر بينهما.

الأمثلة:

كشف المحجوب	تذكرة الأولياء
ص (٢٩٧) من الترجمة العربية: ... أن الحسن مرّ يوماً بباب صومعته (حبيب) وقت صلاة العشاء، وكان قد أقام الصلاة ووقف يصلي، فدخل الحسن ولم يقتد به، لأن لسانه لم يكن جارياً على قراءة القرآن.	**حـ١ (٥٣) ذكر حبيب:** مرّ الحسن على باب صومعة (حبيب) وقت صلاة العشاء، وكان قد أقام الصلاة، ووقف، فدخل الحسن، وكان حبيب يقرأ الحمد «الهمد» فقال الحسن: إن الصلاة خلفه ليست صحيحة، ولم يقتد به، وكبرّ-
ص (١٠٧) من الأصل الفارسي: ... كى نماز شامى حسن بدر صومعه وى (حبيب) بكذ شت. وى قامت نماز شام كفته بود، واندر نماز ابستاده، حسن اندر آمد، واقتدا بدونكرد، از آنچ زبان وى برخواندن قرآن.	**الأصل الفارسي للعبارة:** وقتى نماز شام حسن بدر صومعه او (حبيب) بكذشت، وقامت نماز شام كفته بود، ودر نماز ايستاده، حسن درآمد، حبيب الحمد را الهمدمى خواند، كفت نماز دربى او درست نيست، بدو اقتدا نكرد، وخود بانكك نماز

كشف المحجوب	تذكرة الأولياء
ولما نام (الحسن) رأى الله سبحانه وتعالى فى منامه فقال: يا إلهى ياذا الجلال! فيم يكون رضاؤك؟ فقال: يا حسن، كنت قد أدركت رضاءنا فلم تعرف قدره، فقال: يا إلهى تعاليت! ما هو؟ قال: لو أنك صليت خلف حبيب بالأمس .. لكنا رضينا عنك.	وكبر للصلاة بنفسه، ولما حل الليل، نام فرأى الحق تبارك وتعالى فى المنام، فقال: يا إلهى! فيم [يكون] رضاؤك؟ قال: كنت قد أدركت رضاءنا يا حسن فلم تعرف قدره، قال: يا إلهى، وما هو؟ قال: لو أنك صليت خلف حبيب لكنت قد نلت رضاءنا.
ص (٢٤٣) من الترجمة العربية:	**حـ ١ ص (٨٥، ٨٦) ذكر إبراهيم بن أدهم:**
وجاء إبراهيم بن أدهم أبا حنيفة (رحمه الله) وعليه مرقعة من الصوف فنظر اليه أصحاب ـ أبى حنيفة ـ بعين الاحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيدنا إبراهيم بن أدهم فقال له أصحابه: لا يجرى الهزل على لسان إمام المسلمين،	وجاء إبراهيم بن أدهم أبا حنيفة (رضى الله عنه) ذات يوم ، فنظر إليه أصحاب أبى حنيفة بعين الإحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيدنا إبراهيم. فقال له أصحابه: وبما وجد هذه السيادة، قال: لأنه انشغل دائماً بخدمة الله، وانشغلنا نحن بخدمة أنفسنا.
جاری نبود، بشب کی بخفت، خداوند سبحانه وتعالی بخواب دید، کفت: بار خدایا رضای تو اندر چه جیزا است؟ کفت: یا حسن: رضای ما یافته بودی، قدرش ندانستی، کفت بار خدایا آن چه چیز بود، کفت: اکرتواز پس حبیب دوش نماز بکردی،.. ازتو راضی شدیمی.	بکزار، چون شب درآمد، بخفت، حق را تبارك وتعالی بخواب دید، کفت: ای بار خدای رضای تودر چه چیز است، کفت: یا حسن رضاء من در یافته بودی، قدرش ندانستی، کفت: بار خدایا آن چه بود، کفت: اکر تونماز کردی ازپس حبیب، رضاء ما دریا فته بودی.

كشف المحجوب

ص (٥١) من الأصل الفارسي:

وابراهيم ادهم بنزديك ابو حنيفه آمد (رح)، با مرقعة از صوف، أصحاب ويرا بچشم تصغير نكريستند بو حنيفه كفت : سيدنا ابراهيم بن ادهم آمد، اصحاب كفتند: بر زبان امام مسلمانان هزل فبم وجد هذه السيادة؟ قال: بالمداومة على الخدمة، فقد انشغل بخدمة الله، وانشغلنا بخدمة أنفسنا حتى صار سيدنا.

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسى للعبارة:

ويك روز بيش ابو حنيفه (رضى الله عنه) درآمد، اصحاب ابو حنيفه ويرا بچشم تقصير نكرستند، ابو حنيفه كفت: سيدنا ابراهيم آمد، اصحاب كفتند، اين سيادت بچه يافت؟ كفت. بدانكك دايم بخدمت خداوند مشغول بود، وما بخدمت تنهاء خود مشغول.

ص (٥٤٢، ٥٤٣) من الترجمة:

ويقول واحد من المشايخ: سألت حاتماً الأصم، (رحمة الله عليه)، كيف تصلى؟ قال: حين يدخل الوقت أتوضأ وضوءاً ظاهرياً وآخر باطنياً: الظاهرى بالماء، والباطنى بالتوبة. ثم أدخل المسجد وأجعل المسجد الحرام شاهدى، وأضع مقام إبراهيم بين عينى، وأرى أن الجنة عن يمينى، والنار عن يسارى، والصراط تحت قدمى، وملك الموت خلفى، وعندئذ

حـ١ ص (٣٤٨، ٣٤٩) ذكر حاتم:

وسأل أحد المشايخ حاتماً: كيف تصلى؟ قال: حين يدخل الوقت، أتوضأ وضوءاً ظاهرياً وآخر باطنياً، وقال: الظاهرى بالماء والباطنى بالتوبة، وعندئذ أدخل المسجد، وأجعل المسجد الحرام شاهدى، وأضع مقام إبراهيم بين حاجبى، وأرى الجنة عن يمينى، والجحيم عن يسارى، والصراط تحت قدمى، وأتخيل ملك الموت خلفى،

كشف المحجوب	تذكرة الأولياء
نرود، اين سيادت بچه يافت؟ كفت: بخدمت بردوام، كى بخدمت خداوند مشغول شد، وما بخدمت تنهاء خود، تاوى سيد ما كشت.	
ص (٣٨٧) من الأصل الفارسي:	**الأصل الفارسى للعبارة:**
يكى ارمشايخ كويد: ازحاتم اصم رحمة الله عليهم پرسيدم، كه نماز چكونه كنى؟ كفت: چون وقت اندر آيد،، يك وضوئى ظاهرى وباطنى بكنم بآب، وباطنى بتوبه، آنكاه در مسجد اندرآيم، ومسجد حرام را شاهد كنم، ومقام ابراهيم راميان دو ابروى خود نهم، وبهشت رابراست خود دانم، ودوزج را برچپ خود، وصراط را زير قدم خود، وملك الموت را ازپس پشت خود، آنكاه تكبيرى كنم، أكبر بتعظيم، وأقوم بحرمة، وأقرأ بهيبة، وأسجد بتضرع ، واركع بتواضع وأجلس بحلم ووقار، واسلم بالشكر، وبالله العون.	ويكى ازمشايخ حاتم را پرسيد، كه نماز چكونه كنى كفت: چون وقت درآيد، ووضوء ظاهر كنم، ووضوء باطن كنم، كفت: ظاهر را بآب باك كنيم، وباطن را بتوبه، وآنكاه بمسجد درايم، ومسجد حرام را مشاهده كنم، ومقام ابراهيم را در ميان دو ابروى خود بنهم، وبهشت را برراست خود، ودوزخ بر چپ خود، وصراط زير قدم خود دارم، وملك الموت راپس پشت وأعهد بقلبى لله، وعند ئذ أكبر بتعظيم، وأقوم بحرمة، وأقرأ بهيبة، وأسجد بتضرع، وأركع بتواضع، وأجلس بحلم، وأسلم بالشكر، وهكذا تكون صلاتى.

كشف المحجوب	تذكرة الأولياء
ص (٣٣٤) من الترجمة العربية: يرد عنه أنه قال: الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.	جـ ١ ص (٢٩٨) ذكر أبى تراب: وقال (أبو تراب): الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل.
با تعظيم، وقيامى بحرمت، وقراءتى با هيبت، وسجودى بتضرع، وركوعى بتواضع وجلوسى بحلم ووقار، وسلامى بشكر، وبالله العون.	خود انكارم، ودلرا بخداى سپارم، آنكاه تكبير بكويم با تعظيم، وقيامى بحرمت، وقراءتى با هيبت، وسجودى با تضرع، وركوعى با تواضع، وجلوسى بحلم، وسلامى بشكر بكويم، نماز من اين چنين بود
ص (١٥٢) من الأصل الفارسي: ازوى مى آيد كه كفت: الفقير قوته ماوجد، ولباسه ماستر، ومسكنه حيث نزل، درويشى قوتش آن بود كه بيابد، ودرآن اختيار نكند، ولباسش آنك ويرا بپوشد اندر آن تصرف نكند، وجايكا هش آنكك فرود آيد، ومنزل كند، وخود راجائى نسازد.	الاصل الفارسى للعبارة: وكفت: فقير آنست كه قوت او آن بود كه بيابد، ولباس او آن بود كه عورتى بپوشد، ومسكن او آن بود كه در آنجا باشد.

ثامنًا: بين أسرار التوحيد وتذكرة الأولياء:

استفاد فريد الدين العطار من «أسرار التوحيد» في ناحيتين:

الأولى: أنه نقل عنه بعض القصص والحكايات المتعلقة بمشايخ الصوفية.

الثانية: أنه نقل عنه الكثير من الألفاظ والمصطلحات الصوفية والتي أعد لها بهار فهرساً في كتابه «شبك شناسي» شرح فيه معناها الصوفي ونذكر منها على سبيل المثال:

آداب، ادب، ادب وقت: الأدب المراد الثقافة وآداب كل عمل هي مراعاة ضرورياته وواجباته وتحسينه واتمامه .

آدمي كَرى: أحياناً بمعنى البشرية وأحياناً بمعنى الإنسانية.

آزادى، آزاد: آزادى تأتي أحياناً بمعنى «تشكر» ولكن في «أسرار التوحيد» بمعنى النجاة والنجاة من الماديات (٢٧٨).

أما عن الحكايات التي نقلها العطار عن «أسرار التوحيد» فيمكن القول: إنها محدودة إذا ما قيست باستفادته من بقية مصادر التصوف الإسلامي السابقة عليه.

مثال :

أسرار التوحيد	تذكرة الأولياء
ص (٢٨٤) من الترجمة العربية:	**حـ١ ص (٢٧٤) من ذكر سرى:**
قال الشيخ: كان سرى السقطي يملك حانوتاً في بغداد اعتاد أن يجلس فيه، ولم يكن الحانوت يبيعه،	وفي بدء أمره كان يقيم في بغداد، وكان له حانوت، كان يعلق ستاراً على بابه ويدخل فيه، ويصلي وفي كل يوم كان يصلي.

أسرار التوحيد

ص (٢٦٤) من الأصل الفارسي:

شيخ كفت: سرى سقطى دربازار بغداد نشستى، ودكانى داشتى وهيچيزدر دكان نبودكه بفروختى(٢٧٩)

قد علق على بابه ستاراً، وأخذ يصلى خلفه. وجاء رجل من جبل اللكام لتحيته فأرشدوه إلى مكانه، فدخل السوق، وسار حتى بلغ الحانوت، ورفع الستار وحياه. قيل لسرى: لقد حياك الشيخ فلان من اللكام فقال: أين ذهب؟ قيل: لقد عاد إلى الجبل، فقال: لا ينبغي هذا لكي يكون الرجل رجلاً، بل ينبغي للرجل أن يشتغل بعبادة الله، ولو كان في سوق وسط الناس. وألا يجعل قلبه يخلو من ذكر الله لحظة.

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسى للعبارة:

در ابتدا، در بغداد نشستى، دكانى داشت، وپرده ازدر دكـــــان در آويخته، درآمدى، ونمازكردى، هر روز چندين ركعت نماز كردى، فجاء رجل من جبل اللكام لزيارته، ورفع الستار عن الباب، وسلم، وقال لسرى: يبلغك الشيخ فلان من جبل اللكام السلام، فقال السرى: إنه قد سكن الجبل ولا يعمل، ويجب على الرجل الانشغال بالحق فى السوق بحيث لا يغيب عنه لحظة.

ولكن پرد ككى ازآن دكان آويخته بودى، وپس پرده نمازمى كردى، وقتى كسى از جبل اللكام بزيارت وى بنشان، ببازار درآمد، تابدكان وى، وآن پرده بركرفت، وسلام كفت، سرى سقطى راكفت فلان پيراز جبل اللكام ترا سلام كفته است، كفت: از اينجا رفته است، باز كوه شدن، مردى نبود مردمان بخداى مشغول باشد، ويك لحظه بدل ازو خالى نبود.

تاسعًا : بين تذكرة الأولياء وخزينة الأصفياء:

وكما تأثر فريد الدين العطار بالمصادر السابقة عليه فقد أثر أيضاً في المصادر اللاحقة له ومنها «خزينة الأصفياء» فقد تأثر غلام سرور صاحب اللاهوري مؤلف هذا الكتاب بالعطار تأثراً شديداً واعترف في مواضع كثيرة من كتابه بنقلة عن فريد الدين العطار والمتصفح لهذا الكتاب يدرك شدة تأثر مؤلفه بالعطار في نقل الحكايات المنسوبة إلى المشايخ ويجد أنه يسرد مجموعة من الحكايات المتصلة والمنقولة حرفياً في معظم الأحيان وبنفس ترتيبها من التذكرة سوى أنه بدل بعض الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة وهذا في التراجم التي وردت في «التذكرة» وفي «خزينة الأصفياء».

والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها:

تذكرة الأولياء	خزينة الأصفياء
حـ١ص (١٥) ذكرة أويس: أحياناً كان سيد الأنبياء (عليهم السلام) يلتفت ناحية اليمن، ويقول: إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن. وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً: يخلق الحق (تعالى) سبعين ألف ملاك يوم القيامة على شاكلة أويس	حـ٢ص (١١٨) أويس: يقول فريد الدين العطار في «تذكرة الأولياء»: إن حضرة خاتم النبوة عليه الصلاة والتحية كان يلتفت بوجهه المبارك ناحية اليمن، ويقول: إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن. وقال سيد الأنبياء (عليه الصلاة الأعلى): يخلق الحق تعالى سبعين

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسي للعبارة

كاه كاه خواجة انبيا عليهم السلام روى سوى يمن كردى، وكفتي: إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن. يعني نسيم رحمت از جانب يمن مى يابم. وباز خواجه انبيا كفت عليهم السلام، كه فرداى قيامت حق تعالى هفتاد كى يحمل أويس بينهم إلى الحضرة ويذهب إلى الجنة، فلا يعرف شخص قط إلا ما شاء الله أيهم أويس

حـ١ ص(٤١) ذكر مالك:

ويقول البعض: إن مالكاً بن دينار كان قد جلس في سفينة، وعندما وصلت إلى وسط البحر، قال أهل السفينة: هات أجرة السفينة. قال: ليس لدى، فضربوه طويلاً حتى فقد وعيه، وعندما ثاب إلى رشده ثانية، قالوا له: هات أجرة السفينة، فقال: لا أملك، قالوا: فلنمسك بقدميه، ونلقى به في البحر، فظهر كل ما كان من سمك في الماء، وقد أمسكت كل واحدة .

خزينة الأصفياء

الأصل الفارسي للعبارة

فريد الدين العطار در تذكره الاولياى فرمايد، كه حضرت خاتم النبوة عليه الصلوة والتحية روى مبارك بجانب يمن كردى، وفرمودى، كه إني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن. يعني مى يابم نسيم رحمت از جانب يمن. ونيز خواجه انبيا عليه الصلوة الاعلى ألف ملاك يوم القيامة على شاكلة أويس حتى يذهب بينهم إلى الجنة ولا يعرفه أحد.

حـ٢ ص (١٢٢) مالك:

يروى أن مالكاً بن دينار جلس في سفينة، وعندما وصلت إلى وسط الماء، طلب ربان السفينة الأجرة من ركابها، قال مالك: لا أملك شيئاً أمنحه لكم فغضب الملاحون وضربوه حتى فقد وعيه، وعندما ثاب إلى رشده. طلبوا منه الأجرة ثانية. وقالوا: إن أمسكنا بك ألقينا بك في البحر، فاتجه مالك إلى البحر، وفي حال ظهرت أسماك البحر، وفي فم كل واحدة دينار من الذهب، فمد مالك يده، وأخذ ديناراً من فم

تذكرة الأولياء

هزار فرشته را بيافريند، در صورت اويس تا اويس را درميان ايشان بعرصات برآ ورند، وببهشت رود، تاهيچ آفريده الا ما شاء الله واقف نگردد، كه در آن ميان اويس كدامست.

الأصل الفارسى للعبارة:

وبعض كويند: مالك دينار در كشتى نشسته بود، جون بميان دريا رسيد، اهل كشتى كفتند: غله كشتى بيار، كفت: ندارم، چندانش بزدند هوش ازو بيرون رفت، چون بهوشى بازآمد، كفتند: بايش كيريم، ودر درياانذازيم، هرچه در آب ما هى بود همه سر بر آوردند، هر يكى دو دينا زر درد هان كرفته، مالك، دينارين من الذهب بفيها، فمد مالك يده، وأخذ يثارين من سمكة وأعطاها لهم وعندما رأى ملاحو السفينة ذلك، خروا أمام قدميه، ثم مضى على وجه الماء حتى اختفى. ولهذا السبب سمي مالك بن دينار.

خزينة الأصفياء

فرمود: كه فرداى قيامت حق تعالى هفتاد وهزاز فرشته بصورت اويس قرنى بيافريند، تادر ميان ايشان اودر بهشت رود، وكسى او رانشناسى.

الأصل الفارسى للعبارة:

نقل است كه روزى مالك دينار دركشتى سوار شد، چون كشتى درعين دريا رسيد، كشتيبانان مزد كشتى از راكبان كشتى در خواستند، مالك كفت: كه هيچ ندارم كه بدهم، ملاحان برآشفتند، وچندان زدند كه بيهوش شد، چون بازبه هوش آمد، بار ديكر طلب كردند، كفتند، اكرتو كرفته، دريا مى اندازيم، مالك متوجه بدريا شد، فى الحال ما هيان دريا سر در رآب بيرون آوردند، بحاليكه دردهان هريك ديناری سمكة، وألقاه إلى الملاح فتعجب ملاحو السفينة لهذه الحال، وخروا أمام قدميه، وتابوا، قال مالك: إنه أخرج قدمه من السفينة، ومضى على وجه الماء. واشتهر بمالك بن دينار منذ ذلك اليوم.

تذكرة الأولياء

حـ ١ ص (٢٣٧):

قال أحمد الحواري: مرض ابن السماك وأخذنا بوله لنعرضه على طبيب نصراني كان معاصراً له، وفي الطريق الذي كنا نسير فيه رأينا رجلاً جميل الوجه، زكي الرائحة، طاهراً يرتدي ثياباً نظيفة قدم إلينا، وقال: إلى أين تذهبون؟

خزينة الأصفياء

حـ٢ ص (١٣٢)

ويروى عن الشيخ أحمد الحواري (رحمة الله عليه) أن ابن السماك مرض ذات مرة فحملت بوله إلى طبيب، وفي الطريق تقدم إلى شيخ نقي السريرة وضاء الوجه وقال لي: إلى أين تذهب؟

دست فراكرد، وازيك ما هى دو دينار بستد وبديشان داد، چون كشق بانان چنين ديدند، درپاى او افتاد ند اوبر روى آب برفت، تا نا پيدا شد، ازين سبب، نام او مالك دينار آمد.

از زر بود، مالك دست درازكرد، ويك دينار ازدهان ما هى كرفته پيش ملاح انداخت، بمعائنه اينحال ملاحان متحير شده، سرو پاى وى آوردند، وتائب كشتند، مالك كفت: ويا ازكشتى بيرون نهاد، وبر روى آب برفت، از آن روز نامش مالك دينار مشهور است.

الأصل الفارسى للعبارة:

أحمد حوارى كفت: ابن سماك بيمارشد تا آب او حاصل كرديم، تا نزد طبيب بريم نصرانى، كه در وقت او بود، در راه كه مى رفتيم، مردى راديديم، نيكوروى، وخوشى بوى، وپاكيزه، رجامه پاك پوشيده، پيش ما بازآمد، وكفت: كجامى رويد؟

الأصل الفارسى للعبارة:

واز شيخ احمد حوارى رحمة الله عليه روايت است، كه وقتى ابن السماك رنجور شد، قاروره وى پيش طبيب مى بردم، در راه پيرى رو شنضميرى با چهره پرنور پيش من آمد، وكفت: كجا ميروى؟.

تذكرة الأولياء	خزينة الأصفياء
قلت: إلى الطبيب النصرانى فلان، نريدم أن يفحص ابن السماك، ونحمل البول لنعرضه عليه. فقال: سبحان الله! أيستعين حبيب الله بعدو الله! وتذهبون إليه عودوا، واذهبوا إلى ابن السماك وقولوا له أن يضع يده على تلك العلة ويقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و «بالحق أنزلناه وبالحق نزل» فعدنا وشرحنا له الحال ففعل ما أمر به فشفى فى الحال.	قلت: ابن السماك مريض، وأريد دواء له من الطبيب قال: سبحان الله! أيستعين حبيب الله بغير الله. عد، اذهب إلى ابن السماك وقل له أن يضع يده على ذلك العضو المعتل ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «وبالحق نزل». فعدت وشرحت له الحال ففعل ابن السماك ذلك، وشفي في الحال.
كَفتم: بفلان طبيب ترسا، خواهيم كه ابن سماك را تجربت كند، وآبِ مى بريم، تا بروى عرضه كنيم، كَفت : سبحان الله دوست خداى از دشمن خداى استعانت مىِ جويد، وبنزديك وى مى رويد، بازكرديد، وبنزديك ابن سماك رويد، وبكوئيد تا دست برآن علت نهدو بر خواند: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و «بالحق أنزلناه، وبالحق نزل».. ما باز كشتيم، وحال بدو نموديم، او چنان كرد كه فرموده بود، در حال شفا يافت.	كَفتم ابن السماك بيمار است، براى وى داروى از طبيب ميخواهم، كَفت: سبحان الله دوست خدا ازغير خدا استعانت ميخواهد! باز كَيرد، وبه نزديك ابن سماك برو، وبكَو، كه دست بدانِ عضو كه رنج دارد به نهد، وبكَويد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «وبالحق نزل» من بازكَشتم، وحال باوى بيان كردم، ابن سماك همچنان عمل كرد، فى الحال صحت يافت.

وبعــد أن ذكرنا مواضع التأثير والتأثر يتضح أن فريد الدين نقل الكثير من مادة كتابه من الكتب المؤلفه قبله كما نقلت عنه الكتب الصوفية المؤلفة بعده.

وأن فريد الدين كان أحياناً يبدل بعض الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة تناسب العصر الذى صنف فيه كتابه.

كما أنه أغفل ذكر الأسانيد فى معظم الأحيان مراعاة للاختصار. كذلك فان تأثره بهذه المصادر اتضح جلياً فى الموضوع لا الشكل فقد نقل أخباراً وأقوالاً وحكايات لمشايخ الصوفية ولم يتبع منهج كاتب غيره بل كان له منهجه الخاص به فى معالجة موضوعه اللهم إلا فى المقدمة فقد حذا فيها حذو الكتاب السابقين عليه كما سبق أن ذكرنا.

وجدير بالذكر أنه تم توضيح مواضع التأثير والتأثر بين «تذكرة الأولياء» ومصادر التصوف المؤلفة قبله فى الجزء الخاص بالترجمة.

الفصل الثالث

القيمة الأدبية والعلمية للكتاب

سبق أن ذكرنا أن هناك مجموعة من المصادر الصوفية التى ألفت قبل «تذكرة الأولياء» والتى ألفت بعده، وقلنا إن بعض هذه المصادر كان عربياً وبعضها كان فارسياً، وبينّا مظاهر التأثير والتأثر بين هذه المصادر وبين «تذكرة الأولياء»، وبناء على ذلك نحاول أن نقيم الكتاب فى هذا الفصل ونحدد مكانته بين هذه المصادر .

(١) بالنسبة للكتب السابقة عليه:

أولاً:الكتب العربية:

وتتمثل هذه الكتب فى «اللمع» و«التعرف لمذهب أهل التصوف» و«طبقات الصوفية» و«حلية الأولياء» و«الرسالة القشيرية» و«صفة الصفوة» .

أما عن اللمع: فقد اقتصر على بيان أصول التصوف، وأساس مذهب المتصوفة وعقائدهم وذلك، بإيراد أقوال المشايخ فى الموضوع الذى يتطرق إليه دون أن يبدى المؤلف رأيه إلا نادراً .[٢٨٠]

والتعرف لمذهب أهل التصوف: موسوعة فى علم التصوف وجوهره عن طريق إيراد العديد من أقوال الصوفية، مع التدليل والتحليل والبرهان فهو يحلل كل ما يتحدث عنه، ويبرهن عليه ويأتى له بالدليل من الكتاب والسنة[٢٨١] .

وطبقات الصوفية : يشتمل على تراجم لمجموعة من شيوخ الصوفية ويذكر الحكايات المنسوبة لهم، والأقوال المأثورة عنهم، وكذلك ما سمعه المؤلف مما يتعلق بهم، واقتصر دور مؤلفه على عرض هذه المعلومات فقط.

وحلية الأولياء : كتاب يشرح أحوال مجموعة كبيرة من الزهاد والعباد والصوفية ويورد الكلمات والمواعظ والحكم والقصص والأقوال والحكايات المنسوبة إلى كل منهم وبعض الأحاديث التى أسندت إليهم.

أما الرسالة القشيرية : فقد جمع مؤلفها بين الأصول المتعلقة بالتصوف وتراجم شيوخ الصوفية، فهى تبين عقائد الصوفية، وتشرح لأحوال ثلاثة وثمانين شخصاً من الصوفية، وتذكر أقوالهم والحكايات المتعلقة بهم، وقد سلك مؤلفها مسلك الإيجاز، ولم يكن يبدى رأيه فى مسألة من المسائل التى تعرض لها المشايخ أو قول من أقوالهم.

وصفة الصفوة : يمكن أن يقال عنه ما قيل عن الحلية سوى أن مؤلفه مال إلى الإيجاز واختصار الأسانيد.

أما عن تذكرة الأولياء : فقد اختص بتراجم الأولياء، واقتصر على شرح لأحوال اثنين وسبعين شخصا من المتصوفة، وأورد الحكايات المتعلقة بهم والأقوال المأثورة عنهم، والأفعال والكرامات المنسوبة إليهم مثله فى ذلك مثل الطبقات والرسالة (الجزء الخاص بالتراجم) والحلية والصفوة إلا أنه تميز عليها جميعا بما يأتى:

١ - إن فريد الدين العطار فى تذكرته التى اختصت بتراجم الأولياء وجه جل اهتمامه إلى عرض الحكايات والأقوال والأخبار المتعلقة بأصحاب التراجم ،وبذل جهدا كبيرا فى جمعها وذكرها أكثر من أى مؤلف آخر؛ لذلك وجدنا أن بعض الأذكار استغرقت عددا كبيراً من الصفحات مثل ذكر أبى يزيد البسطامى الذى استغرق أربعاً وأربعين صفحة.

٢ ـ بالرغم من أن «تذكرة الأولياء» كتاب يشرح لأحوال عدد من الأولياء إلا أن مؤلفه فريد الدين تعرض من خلال ترجمته لهؤلاء الأولياء لبعض الأصول والمفاهيم والمعتقدات الصوفية، وكذلك الأحوال والمقامات والمجاهدات والرياضات ففريد الدين إذن عرّف بالتصوف وأصوله ومفاهيمه من خلال شرحه لأحوال المتصوفة.

٣ ـ كان فريد الدين يدلى برأيه أحيانا فى بعض المسائل التى قد يعرض لها فى ذكر من الأذكار، وإن كان يتحرز من ذلك فى معظم الأحيان، لأنه كان من الطبيعى أن يعرض آراء من يترجم له لا آراءه هو، ولأنه لا يريد أن يقحم كلامه وسط كلام المشايخ والأولياء.

مثال:

ورد فى ذكر محمد بن واسع أن شخصا طلب العظة منه فقال له: كن ملكاً فى الدنيا والآخرة بالزهد. ويفسر فريد الدين العطار ذلك بأن الشخص حين يزهدفى الدنيا فإنه يستغنى عن الخلق ويصبح غنياً كالملك، وهكذا يكون ملكا فى الدنيا والآخرة(٢٨٢).

ثانيا: الكتب الفارسية:

وتتمثل فى كشف المحجوب وأسرار التوحيد.

أمـا كشف المحجوب: فقد جمع مؤلفه بين الأصول الصوفية وتراجم الشيوخ محتذيا حذو القشيرى، وتميز على الرسالة بأنه كان يتناول كل شئ بالتفسير والإيضاح، ويناقش الآراء المتعلقة بالموضوع الذى يتحدث عنه ثم يأتى المؤلف برأيه الخاص فهو معلم أكثر منه مؤرخ أو راوية وتميز الكتاب بإيراده لمجموعة من الفرق الصوفية (اثنتى عشرة فرقة) نسب كلاً منها إلى مؤسسها، وشرح المذهب الخاص بها والرسوم والعادات المتعلقة بها(٢٨٣).

وكتاب أسرار التوحيد:

ألف في شرح حال الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير، لكنه اشتمل على معلومات عن رسوم الصوفية وعاداتهم واجتماعاتهم وتشكيلاتهم والمفاهيم والمصطلحات المتعلقة بهم.

وإن كان «كشف المحجوب» يتميز على «تذكرة الأولياء» بعرضه ودراسته للعديد من الأصول والمبادئ والفرق الصوفية، فقد تعرض العطار لبعض هذه الأصول من خلال تراجمه للأولياء، ولم يفرد لها فصولاً مستقلة وإذا كان الهجويرى توسع في دراستها أكثر من العطار وذلك لاختلاف الغرض عند كل منهما، فقد كان هدف العطار نصح العامة وإرشادهم بأن يجعلهم يتبعون الأولياء، ويسيرون على نهجهم، ولم يكن غرضه إعداد مؤلف في التصوف كعلم له أصول ومبادئ.

وتميزت التذكرة على كشف المحجوب بالمميزات التالية:

١- إن اختصاص التذكرة بالتراجم جعل مؤلفها (فريد الدين) يبذل أقصى جهده في جمع الحكايات والأقوال والأخبار المتعلقة بأصحاب التراجم.

فجاءت التذكرة سجلاً حافلاً بالعديد من الحكايات والأقوال والأخبار، فقد احتفظت لنا بثمان وثمانين وتسعمائة حكاية وأربعة وستين وثمانمائة وألف من الأقوال المتعلقة بالتصوف وأصوله ومفاهيمه.

٢- كذلك فإن أسلوب التذكرة جاء أسهل من «كشف المحجوب» حتى إن فريد الدين العطار عندما كان ينقل عن «كشف المحجوب» بعض العبارات كان يبدل الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة ملائمة للعصر الذى ألف فيه العطار كتابه فجاءت لغته سهلة بسيطة.

وتميزت التذكرة على أسرار التوحيد:

بأنها شرحت لأحوال اثنين وسبعين شخصاً من شيوخ الصوفية فى حين أن «أسرار التوحيد» اقتصر على شرح لحال شيخ واحد من شيوخ الصوفية هو الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير.

وهناك مميزات أخرى اختصت بها التذكرة هى:

١- أن «تذكرة الأولياء» هى المؤلف النثرى الوحيد لفريد الدين العطار ويمكننا من خلاله معرفة سمات أسلوب فريد الدين العطار، وكذلك سمات النثر الفارسى فى القرن السابع الهجرى.

٢- تعد التذكرة من أقدم المؤلفات الفارسية التى اختصت بتراجم شيوخ الصوفية.

٣- تميز أسلوب التذكرة بالبساطة واللطافة والبعد عن التكلف والصنعه (٢٨٤) فقد كتبت بلغة سهلة سلسلة يمكن للعامة والخاصة فهمها وإدراكها.

هذا وتعد التذكرة أفضل نموذج للنثر الفارسى فى القرن السابع الهجرى.(٢٨٥)

ونظراً لقيمة الكتاب فقد ألزم قطب بن محى الجهرمى - وهو من متصوفة القرن التاسع وعارفيه - مريديه بمطالعة «تذكرة الأولياء» و«كيمياى سعادت» و«إحياء علوم الدين». (٢٨٦)

ولأهمية الكتاب أيضاً ترجم إلى عدة لغات هى :

اللغة العربية

يقال: إن هناك نسخة عربية من «تذكرة الأولياء» فى مكتبة جامعة طهران محفوظة تحت رقم (٣٣٧) وتشتمل هذه النسخة على ثلاثمائة وثمان وثلاثين

صفحة تبدأ بذكر جعفر الصادق. هذا وقد استنتج القزويني وجود اسم سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني في الورقة الأولى من النسخة (المتوفى بقول السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ للذهبي سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م وبقول محشي الكتاب سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) وبقول مؤلف الأعلام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) وبناء عليه فإنه رجح أن الترجمة تمت بعد سنة ٧٤٨ أو ٧٧٥هـ . هذا وقد عثر أحمد ناجي القيسي في هامش الصفحة الرابعة بعد الثلاثمائة على هذا السطر: «اين كتاب رادرشب ٣١ دلو ٨٨٠ خط براى يا دكارى است» وترجمتها: «كتبت هذا الكتاب في ليلة ٣١ دلو سنة ٨٨٠ وهو للذكرى». واستنتج د. القيسي من ذلك أن الترجمة تمت ما بين ٧٤٨، ٨٨٠ هـ ويذكر أن المترجم مال إلى الاختصار فقد حذف بعض أقوال المشايخ وكلماتهم في الجزء الأول، وقدّم وأخر في الجزء الثاني، وأسقط ثلاث تراجم من القسم الأول، هي: ترجمة محمد بن فضل وأبي الحسن البوشنجي والحلاج [٢٨٧]. وقد حاولت الحصول على صورة لهذه النسخة العربية لكني لم أستطع للأسف، لذلك فلا يمكن إضافة شئ لما سبق ذكره وقد قام عبد الرحمن بدوي بترجمة ذكر رابعة العدوية إلى اللغة العربية [٢٨٨].

وقد عثر د. القيسي على فصل متعلق بمناقب الحلاج مترجم إلى اللغة العربية في مكتبة الأوقاف العامة [٢٨٩].

اللغة التركية:

ترجمت التذكرة إلى اللغة التركية الشرقية (بالحروف الأويغورية)، وتوجد نسخة من هذه الترجمة في المكتبة الوطنية في باريس محفوظة تحت رقم ١٠٠، وقد قام پاڤيت كورتي بنشرها في باريس سنة ١٨٩٠م، وتشتمل هذه الترجمة على نفس أبواب التذكرة الأصلية وتختتم بالحلاج، لكن بها سقطات وأحياناً لم يكن المترجم الأويغوري يدرك المعاني ودقائق العبارات، فعجزت عباراته عن بيان حقائق المعرفة. [٢٩٠]

وقد كتبت هذه الترجمة بخط كان رائجاً فى بلاط الجنكيزيين وتوجد منها نسخة فى خزانة السلطان الفاتح محفوظة تحت رقم ٢٨٤٨ (٢٩١).

وقد ترجمت التذكرة إلى التركية عدة مرات:

فهناك ترجمة باللغة التركية القديمة قام بها آيدين أوغلى محمد بك فى ٧٠٧ ـ ٧٣٤هـ / ١٣٠٧ ـ ١٣٣٣م وتوجد مخطوطة منها فى خزانة ولى الدين افندى محفوظة تحت رقم ١٦٤٣ (٢٩٢).

وترجمة قام بها سنان الدين يوسف بن خضر خواجه باشا (م ٩٩١ هـ/ ١٤٨٦م).

وترجمة قام بها رضا القره حصارى.

وترجمة يمتلكها العالم التركى حلمى ضيا كتبت بين سنتى ١٠٠٠ و ١١٠٠ هـ/ ١٥٩١ ـ ١٦٨٨م.

وترجمة أعدها خواجه شاه بن سيد أحمد بن سيد أسد الله الخوارزمى بالتركية الشرقية، توجد فى المتحف الآسيوى فى ليننجراد ١٢٣٤ هـ / ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ م.

وترجمة أخرى بالتركية الشرقية الأوزبكية (بلهجة خيوه) موجودة فى أكاديمية العلوم السوفيتية التاجيكية فى طاشقند، ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادى (٢٩٣).

اللغة الأوردية:

ترجم عطاء الرحمن صديقى التذكرة إلى الأوردية، ونشرت الترجمة فى لاهور ١٩٢٥م.

وكذلك ترجمة ملك محمد غايت إلى الأوردية، ونشرت الترجمة عام ١٩٣٠م (٢٩٤).

اللغة الفرنسية :

قام بافيت دى كورتى بترجمة التذكرة إلى الفرنسية عن النسخة المترجمة إلى التركية الشرقية ذات الحروف الأويغورية، المحفوظة فى المكتبة الوطنية فى باريس ونشرها عام ١٨٩٠ هـ، وهذه الترجمة تشتمل على اثنين وسبعين ذكراً أسوة بالترجمة الأويغورية وفى بدايتها مقدمة متعلقة بكتاب «تذكرة الأولياء» وموضوعه [٢٩٥].

اللغة السويدية :

ترجمها إلى السويدية البارون ايرك هيرملين عن طبعة نيكلسن الفارسية ونشرها مع النص الفارسى فى مجلدين فى استكهولم سنة ١٩٣١م [٢٩٦].

اللغة الإنجليزية :

نقلت مارجريت سمث بعض النماذج من التذكرة إلى الإنجليزية فى رسالتها عن العطار ونشرتها فى لندن عام ١٩٣٢م.

وأعد آربرى ترجمة مختصرة للتذكرة مشتملة على تراجم الأولياء ومجردة من الأقوال والروايات ونشرها عام ١٩٦٦م تحت عنوان:

Muslem saints and Mystics

بدأها بمقدمة عن العطار ثم تحدث عن أصول التصوف والتصوف فى إيران، وازدهار الأدب الصوفى بها، ثم انتقل إلى الحديث عن أسباب تأليف التذكرة ومصادرها ثم ختم مقدمته بجدول بين فيه مواضع التأثير والتأثر بين السلمى والقشيرى والهجويرى والعطار [٢٩٧].

هذا وقد نظم حافظ العلاف ـ أحد شعراء القرن التاسع الهجرى وكان يقيم فى شيراز ـ التذكرة عام ٨٢١ هـ بتشجيع من أبى الفتح إبراهيم سلطان بن

شاهرخ - أحد ملوك الأسرة التيمورية المشهورين والراعين للعلم، وكان يحكم العراق وفارس - وسماها «ولى نامه» وهو يقول فى مقدمتها: إنه ألهم بأن ينظم هذا الكتاب وعندما وصل الخبر إلى السلطان إبراهيم شجعه على ذلك.

وقد انشغل حافظ بنظمها ست سنوات وهى تشتمل على أربعة وعشرين ألف بيت من الشعر وأتمها عام ٨٢١ هـ فى حرم جامع البيت العتيق ويقال جامع شيراز العتيق، وتوجد نسخة من هذه المنظومة فى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية فى موسكو، ويقال: إن هناك نسخة أخرى منها فى مكتبة المتحف الآسيوى بلينينجراد (موزه آسياى لينينگراد) [٢٩٨].

ومع أن كتاب «تذكرة الأولياء» يتمتع بأهمية كبرى وقيمة عظيمة كما سبق أن ذكرنا إلا أن هناك بعض المآخذ التى تؤخذ عليه هى:

١- لم يهتم فريد الدين العطار بالترتيب التاريخى فى سرده للشخصيات فنجده مثلاً بدأ بذكر محمد بن جعفر الصادق (المتوفى ١٤٣هـ) ثم تبعه بذكر أويس القرنى (المتوفى ٣٧هـ) ثم ذكر الحسن البصرى (المتوفى ٣٧١ هـ) ثم مالك بن دينار (المتوفى ١٣١هـ).

٢- على الرغم من أن فريد الدين العطار اتخذ جانب الحيطة والحذر فى نقله للحكايات المنسوبة إلى الأولياء، إلا أن بعض هذه الحكايات جاءت كاذبة بعيدة عن الواقع، فمثلاً يقول فريد الدين فى ذكر أبى يزيد البسطامى: «إنه خدم مائة وثلاثة عشر شيخاً كان الصادق من بينهم». [٢٩٩] بينما توفى جعفر الصادق سنة ١٤٣ هـ، وتوفى أبو يزيد سنة ٢٦١ هـ. وفى ذكر إبراهيم بن أدهم نقل العطار رواية وقعت له مع الصنبورى عندما جلسا تحت شجرة رمان، وطلبت الشجرة من الصنوبرى أن يشفع لها عند إبراهيم ليأكل من رمانها، وقد كانت شجرة قصيرة ثمارها حامضة فاينعت ببركة إبراهيم بن أدهم [٣٠٠].

والجدير بالذكر أن الصنوبرى شاعر توفى عام ٣٣٤ هـ ولم يكن معاصراً لإبراهيم بن أدهم (المتوفى ١٦١ أو ١٦٢هـ) [٣٠١].

وكذلك فى ذكر سرى السقطى، ذكر فريد الدين العطار حكاية وقعت بين حبيب الراعى وسرى فحواها «أن حبيباً الراعى مرّ بدكانه يوماً فأعطاه شيئاً للفقراء فدعا له فنفرت الدنيا على قلبه» [٣٠٢].

والمعروف أن سرى (م ٢٥٧ هـ) لم يكن معاصراً لحبيب الراعى.

وجدير بالذكر أن هذه الحكاية وردت فى «كشف المحجوب» ونقلها العطار عنه.

ويقول العطار عن حمدون القصار: أنه كان شيخاً لعبد الله بن المبارك [٣٠٣] فى حين أن عبد الله توفى قبله بتسعين عاماً.

٣- جاءت بعض الحكايات التى نقلها فريد الدين غريبة تتسم بالمبالغات والشطط أحياناً فمثلاً ورد فى ذكر إبراهيم بن أدهم «أن إبراهيم كان فى سفر وفرغ زاده فصبر أربعين يوماً وأكل الطين» [٣٠٤].

وذكر كذلك «أن إبراهيم لم يجد ما ينفقه فأكل الحصى خمسة عشر يوماً»[٣٠٥]. والمعروف أن النتيجة فى هاتين الحالتين غالباً ما تكون الموت.

وفى ذكر الشافعى ورد أنه «أراد أن يرى امرأة منافقة فعقد قرانه عليها ورآها ثم طلقها» [٣٠٦].

ولا ندرى ما هدف الكاتب من إيراد هذه الحكاية.

ويذكر عن سهل بن عبد الله التسترى «أنه كان يفطر مرة كل ليلة ثم مرة كل ثلاثة أيام، ثم مرة كل خمسة أيام، ثم مرة كل سبعة أيام، ثم مرة كل عشرين يوما ثم مرة كل سبعين يوماً» [٣٠٧].

وإن كان يفطر مرة كل سبعين يوماً لكان قد انتهى قبل أن يتم السبعين يوماً.

ومن الأمور الغريبة التي ذكرها عن شاه شجاع «أنه لم ينم طيلة أربعين عاماً، وكان يضع الملح في عينه، فكانت قد أصبحت كقدحين من الدماء»[308].

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار كان معبراً عن الفكر السائد في عصره، ويبدو أن مثل هذه الحكايات كانت مقبولة لدى العامة والخاصة على السواء. وجدير بالذكر أيضاً أن بعض هذه الحكايات وردت في مصادر التصوف الأخرى.

٤- كذلك اشتملت بعض الحكايات على مبالغات مرفوضة، فقد ورد في ذكر أبي يزيد حين سئل عن مجاهداته ورياضاته «أنه منع الماء عن نفسه عاماً لأنها لم تطع له أمراً» [309].

وجاء في ذكر أحمد بن حنبل «أن محمد بن خزيمة رآه في المنام بعد الوفاة فسأله ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي، ووضع تاجاً على رأسي، ونعلاً في قدمي» [310].

٥- أحياناً كان فريد الدين لا يراعي الدقة في نقل الحكايات، ففي ذكر الفضيل بن عياض يقول العطار: «أن بول ابنه احتبس فدعا له بالشفاء فشفي في الحال [311]».

في حين أن الحكاية وردت في الحلية بإسناد العباس بن أبي طالب عن محمد بن اسحاق عن إبراهيم بن عبد الله «أن بول فضيل نفسه هو الذي احتبس فدعا الله بالشفاء فشفي» [312].

ونقل فريد الدين حكاية وقعت بين أبي حفص ويهودي طلب منه أبو

حفص أن يعد له طلسماً، يقرب بينه وبين محبوبته فأعده له لكن المراد لم يتحقق لأن اليهودي طلب من أبي حفص ألا يفعل خيراً طيلة أربعين يوماً، لكنه وهو قادم إلى اليهودي بعد انقضاء المهلة، أزال حجراً في الطريق؛ حتى لا يتعثر فيه أحد. فقال له اليهودي: لا تغضب الله الذي عصيته أربعين يوماً لكنه أكرمك لعمل خير قمت به في يوم فتاب أبو حفص على يد اليهودي»[٣١٣].

وهذه الحكاية نقلها العطار عن «كشف المحجوب» كما هي إلا نهايتها ففي كشف المحجوب «فتاب أبو حفص وأسلم اليهودي» [٣١٤].

وربما يشير هذا إلى أن كثرة تردد هذه الحكايات على الألسنة أفقدها عنصر الدقة.

٦ـ كذلك نقل العطار أقوال المشايخ الشائعة دون تدقيق ففي ذكر حارث يقول: «وقال (حارث): هناك ثلاثة أشياء إن ظفروا بها استفادوا منها، ولم نجدها نحن هي: المحبة الحسنة بالرعاية والوفاء والشفقة» [٣١٥].

في حين أنها وردت في الحلية بإسناد الجنيد بن محمد عن أبي العباس بن مسروق على هذا النحو: قال الحارث: «فقدنا ثلاثة أشياء لا نكاد نجدها إلى الممات: حسن الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة»[٣١٦].

ونقل عن أبي سليمان الدارني أنه قال: لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب الشبع» [٣١٧].

في حين أن هذا القول ورد في الرسالة كما يأتي:

وقال (أبو سليمان): «لكل شئ علم وعلم الخذلان ترك البكاء، وقال: لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن» [٣١٨].

وفى ذكره ليحيى بن معاذ قال: قال (يحيى) : «العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بنى قبره قبل أن يدخله، ومن أرضى ربه قبل أن يلقاه» (٣١٩) .

وقد ورد هذا القول فى الحلية على هذا النحو: «وقال: المصيب من عمل ثلاثة أشياء: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه» (٣٢٠) .

٧ـ كذلك يؤخذ على العطار إغفاله ذكر الأسانيد فى معظم الأحيان أو اختصارها وإن كان هذا قد حقق له غاية قصدها وهى الاختصار إلا أن ذكره للأسانيد كان سيعطى كتابه مزيداً من القيمة والثقة فى المعلومات التى أتى بها. والأمثلة على ذلك كثيرة ومنتشرة على طول الكتاب .

٨ـ كذلك تضمن الكتاب بعض الأحاديث الموضوعة مثل: «قال رسول الله سيكون فى أمتى رجل يقال له نعمان بن ثابت وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتى (٣٢١) » .

والخلاصة أن كل عمل ـ سواء أكان عملاً أدبياً أو غير ذلك ـ يتمتع بمزايا لا يخلو من عيوب، وكذلك الحال فى «تذكرة الأولياء» فكما أن له مزاياه التى تتلخص فى أنه من أقدم المؤلفات الفارسيةالتى اختصت بتراجم الصوفية، وأنه حفظ لنا الكثير من الحكايات والأقوال المتعلقة بالأولياء، وأن لغته جاءت سلسة سهلة يمكن للعامة والخاصة إدراكها وذلك لتلائم الهدف الذى ألف من أجله الكتاب وهو النصح والإرشاد، كما أن أسلوب الكتاب يعد من أفضل نماذج النثر الفارسى الغير متكلف فى القرن السابع الهجرى ـ فإن عليه بعض المآخذ أيضاً ـ والتى سبق شرحها ـ إلا أن هذه المآخذ لا تقلل من شأنه وقيمته خاصة إذا قرأ الكتاب وتم تناوله بشئ من التدقيق والتمحيص.

الخاتمة

بناء على ما سبق يمكن القول:

١- إن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء» فحسب.

٢- إن فريد الدين العطار ألف كتابه هذا عام ٦١٧ هـ بعد أن أتم تأليف منظوماته، وفرغ من رحلاته، ومال إلى العزلة والاعتكاف، وانتهى من جمع مادته.

٣- إن كتاب «تذكرة الأولياء» يشتمل على اثنين وسبعين ترجمة لأولياء عاشوا قبل الغزو المغولي، ويذكر أقوالهم وآراءهم ومناقبهم ومكارم أخلاقهم وما أثر عنهم من روايات، ويشرح مقاماتهم وكراماتهم وأحوالهم.

٤- إن فريد الدين العطار استفاد في تصنيف كتابه هذا من الروايات الشفوية التي تناقلتها الأفواه والتي ترامت إلى مسامعه وكذلك من الكتب الصوفية المؤلفة قبله سواء أكانت عربية مثل «اللمع» و«التعرف لمذهب أهل التصوف»، و«طبقات الصوفية» و«حلية الأولياء» و«الرسالة القشيرية»، و«صفة الصفوة» أم كانت فارسية مثل «كشف المحجوب» و«أسرار التوحيد».

٥- إن فريد الدين العطار كان يبدأ الذكر بمجموعة من الجمل المسجعة التي تصف صاحب الذكر، وتعدد مناقبه، وغالباً ما تكون على وزن اسمه أو لقبه، ثم يمدحه بمجموعة من الجمل التي تبين مكانته ومقامه في التصوف، ثم

يسرد بعد ذلك مجموعة من الحكايات التى تتعلق بصاحب الترجمة، ثم ينقل مجموعة من الأقوال المأثورة عنه ثم ينتقل إلى الحديث عن وفاة صاحب الذكر والكرامات المتعلقة بها.

٦- إن مضامين الحكايات تنوعت فى «تذكرة الأولياء» من حكايات تتعلق بكرامات الأولياء، وأخرى تتعلق بمجاهداتهم، وحكايات تتضمن أخباراً متعلقة بصاحب الترجمة، وأخرى تتعلق بآداب الأولياء ورسومهم وطيب أخلاقهم وحسن معاملتهم وتوكلهم على الله وثقتهم به، وكذلك عرفت الأقوال بمقامات الصوفية وأحوالهم وآدابهم ومفاهيهم.

٧- إن نثر «تذكرة الأولياء» تميز بالسلاسة واللطافة والبعد عن التكلف والصنعة، وجمله فى أغلبها بسيطة ليست مركبة ولا معقدة وألفاظه منتقاه مؤدية للمعنى ومؤكدة له، وهذه الخصائص جاءت مناسبة للهدف الذى صنف من أجله الكتاب وهو نصح العامة وإرشادهم عن طريق ذكر مناقب الصوفية وأخلاقهم.

هذا ويعد نثر الكتاب من أفضل نماذج النثر الفارسى فى القرن السابع الهجرى.

٨- إن فريد الدين العطار اعتمد على كتاب «كشف المحجوب» اعتماداً كبيراً فى تصنيف كتابه «تذكرة الأولياء»، فهو كثيراً ما كان ينقل عنه عين عباراته سوى أنه كان يبدل الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة مناسبة للعصر الذى ألف فيه الكتاب.

٩- إن استفادة فريد الدين العطار من «اللمع» و «أسرار التوحيد» كانت استفادة محدودة تتلخص فى أنه نقل منهما بعض الحكايات المتعلقة بمشايخ الصوفية، ونقل من أسرار التوحيد بعض الألفاظ والمصطلحات الصوفية.

١٠ ـ إن فريد الدين العطار أثّر في المصادر اللاحقة له ـ كما تأثر بالمصادر السابقة عليه ـ ومن هذه المصادر «خزينة الأصفياء» التي تأثر مؤلفها غلام سرور صاحب اللاهوري تأثراً شديداً بفريد الدين العطار، وكان ينقل عنه عين عباراته سوى أنه بدل بعض الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة مناسبة للعصر الذي ألف فيه الكتاب.

١١ـ إن كتاب «تذكرة الأولياء» تميز على غيره من المؤلفات الصوفية بالمميزات الآتية:

(أ) إن «تذكرة الأولياء» تعد من أقدم المؤلفات الفارسية التي اختصت بتراجم شيوخ الصوفية.

(ب) إن فريد الدين العطار وجه جل اهتمامه إلى عرض الحكايات والأقوال والأخبار المتعلقة بأصحاب التراجم، وبذل جهداً كبيراً في جمعها، فجاءت تذكرته سجلاً حافلاً بالعديد من الحكايات والأقوال، فقد احتفظت لنا بثمان وثمانين وتسع مائة حكاية وأربعة وستين وثمانمائة وألف من الأقوال المتعلقة بالتصوف وأصوله ومفاهيمه.

(جـ) شرح فريد الدين العطار بعض الأصول والمفاهيم والمعتقدات الصوفية، وكذلك الأحوال والمقامات والمجاهدات والرياضات من خلال شرحه لأحوال المتصوفة.

(د) كان فريد الدين العطار يدلي برأيه أحياناً في بعض المسائل التي تعرض لها في أذكاره.

١٢ـ إن كتاب «تذكرة الأولياء» نظرا لأهميته، فقد ترجم إلى لغات عدة منها: التركية والأوردية والفرنسية والإنجليزية والسويدية.

كذلك نظمه حافظ العلاف - أحد شعراء القرن التاسع - شعراً وسماه «ولى نامه».

وبما أن كل عمل له جوانب إيجابية وأخرى سلبية، فهناك بعض المآخذ التى أخذت على التذكرة مثل: عدم إهتمام فريد الدين بالترتيب التاريخى فى سرده للشخصيات، ونقله لحكايات غريبة وكاذبة وبعيدة عن الواقع، وأقوال خاطئة، وكذلك إغفاله ذكر الأسانيد، وذكره لبعض الأحاديث الموضوعة، لكن هذه المآخذ لا تقلل من قيمة الكتاب وأهميته إذا تم تناوله بحرص ودقة. وربما نتذكر هنا ما نادى به فضيلة شيخ الأزهر عند استقباله لأحد الوفود الأجنبية من ضرورة تنقية التصوف الإسلامى مما علق به من شوائب.

الحواشى والتعليقات

(١) ادوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، (ص ٦٤٣).

(٢) أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازى السمرقندى/ تذكرة الشعراء بسعى واهتمام وتصحيح ادوارد برون انكليسى، ليدن ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م، (ص ١٩٢).

(٣) السابق (ص ١٨٨).

(٤) ادوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب من الفردوسى إلى السعدى، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربى (ص ٦٤٤).

(٥) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، بسعى واهتمام وتصحيح رنولد آلن نيكلسون، ليدن ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٥م، النصف الأول (ص د) من مقدمة القزوينى.

(٦) ادوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى/ ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربى، (ص ٦٤٤).

(٧) على أكبر دهخدا: لغت نامه، زير نظر دكتر محمد معين، دكتر سيد جعفر شهيدى، ١٣٤٥هـ. ش، (ص ٣١٠).

(٨) انظر: بديع الزمان فروزانفر: شرح أحوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريدالدين محمد عطار نيشابورى، تهران ١٣٥٣هـ، ش، چاپ دوم (ص ٩١).

(٩) انظر: سعيد نفيسى: جستجودر احوال وآثار تاريخى فريد الدين عطار نيشابورى، تهران ١٣٢٠هـ. ش، (ص ٣٩).

(١٠) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه: تذكرة الشعراء (ص ١٨٩).

(١١) انظر: بديع الزمان فروزانفر: شرح أحوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابورى، (ص ٣٨، ٤١).

(١٢) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بسعى واهتمام وتصحيح رنولد آلن نيكلسون، النصف الأول، ص (د) من مقدمة القزوينى

(١٣) الأصل الفارسى للعبارة:

«واين كتاب تذكرة الاوليا نام نهادم».

الشيخ أبي حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم الشهير بفريد الدين عطار النيسابوري، تذكرة الأولياء بسعى واهتمام وتصحيح رنولد آلن نيكلسون، ليدن ١٣٢٢هـ - ١٩٠٥م، النصف الأول (ص ٦) من المقدمة.

(١٤) أحمد ناجي القيسي، عطار نامه أو كتاب فريد الدين العطار النيسابوري وكتابه «منطق الطير»، بغداد ١٣٨٨هـ، ١٩٧٨م. الطبعة الأولى (ص ٤٣٥).

(١٥) السابق (ص ٤٣٥).

(١٦) منهم على سبيل المثال:

محمد نصير ميرزا حسين شيرازي، آثار عجم، ١٣١٤هـ. ش (ص ٧٢).

رضا قليخان هدايت، تذكرة رياض العارفين، ١٣١٦هـ.ش، چاپ دوم، (ص ١٨٣)

سعيد نفيسي، جستجو در احوال وآثار تاريخي فريد الدين عطار نيشابوري (ص ١١٠).

شبلي النعماني، شعر العجم يا تاريخ شعرا وادبيات ايران، ترجمة سيد محمد تقي فخر داعي گيلاني، تهران ١٣٢٧هـ. ش جلد دوم (ص ٨).

حمد الله بن أبي بكر المستوفي القزويني، تاريخ گزيده، بسعي واهتمام ادوارد براون انكليسي، جلد اول (ص ٧٤٠).

مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، على بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين يالتقا ورفعت بيلكه انكليسي، ١٣٦٠هـ. ق، ١٩٤١م، المجلد الأول (ص ٣٨٥).

ادوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي (ص ٣٨٥).

(١٧) انظر فهرست المخطوطات الفارسية بالهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٨) د. زهراى خانلر (كيا). فرهنك ادبيات فارسي درى، ايران، (ص ١٣١).

(١٩) د. ذبيح اللغ صفا، تاريخ ادبيات در ايران، چاپ سوم تهران ١٣٣٩هـ.ش، جلد دوم از ميانه قرن پنجم تا آغاز قرن هفتم هجرى (ص ١٠٢٢).

محمد تقي بهار، سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي، تهران، جلد دوم، (ص ٢٠٥).

(٢٠) د. رضا زاده شفق، تاريخ ادبيات ايران، تهران ١٣٢١هـ.ش. (ص ٢٣٣).

(٢١) جستجو در احوال وآثار تاريخي فريد الدين عطار نيشابوري (ص ٤٩).

(٢٢) كارنامه بزركان ايران، ١٣٤٠هـ.ش، (ص ٢٤٢).

(٢٣) جدير بالذكر أن فريد الدين العطار ذكر هذه المنظومة كأحد مؤلفاته في مقدمة منظومته خسرو نامه حيث قال:

مصيبت نامه زاد رهروا نست
الهى نامه گنج خسرو انست
جهان معرفت اسرار نامه است
بهشت اهل دل مختار نامه است

وترجمتها:

مصيبت نامه زاد السالكين.

الهي نامة كنز الملوك.

اسرار نامه دنيا المعرفة.

وجنة العارفين مختار نامه.

خسرو نامه فريد الدين أبو حامد محمد بن أبو بكر ابراهيم عطار نيشابورى، بتصحيح واهتمام احمد سهيلى خوانسارى، تهران (ص ٣٣).

(٢٤) الأصل الفارسي للبيت:

سى سال بجان نشان جانان جستم

من كم شدم ونيافتم او راباز

نقلاً عن بديع الزمان فروزانفر، شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ. عطار، (ص ٧).

(٢٥) الأصل الفارسي للبيتين:

هرجان كه براه رهنمون مى نكَرد

چل سال بديده جذون مى نكَرد

چون چل بكَذشت آفتابى بوند

كز روزن هر ذره برون مى نكَرد

نقلاً عن المرجع السابق (ص ٩).

(٢٦) الأصل الفارسي للبيت:

تو غافلى وبهفتاد پشت شد چو كمان

توخوش بخفته وعمرت چوتير رفته زشست

نقلاً عن المرجع السابق (ص ١٠).

(٢٧) الأصل الفارسي للبيت:

كاريش بد بد آمد كمان بيسر نود ساله

برجست وميان حالى بربست زنارى

نقلاً عن المرجع السابق، (ص ١٠).

(٢٨) ذكرت معظم المصادر هذه المنظومة على أنها من مؤلفات فريد الدين العطار- وإن كان هناك شك فى نسبتها إليه - ومن هذه المصادر على سبيل المثال:

شبلى النعمانى، شعر العجم، (ص ٧).

د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران (ص ٨٦١).

سعيد نفيسى، جستجو در احوال وآثار تاريخى فريد الدين، (ص ٩٧).

د. ادوارد برون، تاريخ الأدب من الفردوسى إلى السعدى، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى (ص ٦٤٤ و ٦٤٥).

د. ذبيح الله صفا، كَنج سخن، شاعران بزرك پارسى كَوى ومنتخب آثار آنان، تهران ١٣٥٤، چاپ دوم، جلد دوم ازنظامى تا جامى، (ص ١٠٨).

محمد علي مدرسي، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب يا كني والقاب، تبريز، چاپ دوم، جلد چهارم، (ص ١٤٥).

(٢٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الاولياء، بسعي واهتمام وتصحيح رنولد الن نيكلسون، (ص ى) من المقدمة.

(٣٠) ص (١٣).

(٣١) ادوارد براون، تاريخ الأدب من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربي (ص ٦٤٤).

د. عبد الوهاب عزام، التصوف وفريد الدين العطار (ص ٥٥).

(٣٢) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي، تذكرة الشعراء، (ص ١٨٧).

د. بديع محمد جمعة، منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابوري، مراجعة وتقديم د. عبد النعيم محمد حسنين، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، (ص ٢٣).

(٣٣) جراهام بيلي، الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، قدم له وعلق عليه وأضاف إليه ونقله عن الإنجليزية د. حسين مجيب المصري، القاهرة ١٩٨٨م، (ص ١٩٥) من التعليقات.

(٣٤) الأصل الفارسي للجملة: «بعد ازآن شرح مقامات وكرامات وحالات ايشان آغاز نهيم بعون الله تعالى».

فريد الدين عطار، تذكرة الاولياء، بسعي واهتمام وتصحيح رنولد الن نيكلسون (ص ٧) من مقدمة العطار.

(٣٥) د. قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت، راجعه د. أحمد ناجي القيسي، د. محمد مصطفى مراد ١٩٧٢م، الجزء الثاني، (ص ٥٨).

(٣٦) د. رضا زاده شفق، تاريخ ادبيات ايران، (ص ١٣٣).

(٣٧) حاجي خليفه: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (ص ٣٨٥).

د. سيد عليرضا نقوي، تذكره نويس در هند وپاكستان، ١٣٤٣ هـ.ش، ١٣٨٣هـ.ق، ١٩٦٤م، (ص ٧٥٨).

أحمد سهيلي خوانساري: خسرو نامه فريد الدين ابو حامد محمد بن ابو بكر إبراهيم عطار نيشابوري، تهران ١٣٣٩ هـ.ش، (ص ٥٨).

(٣٨) سعيد نفيسي: جستجو در احوال وآثار تاريخي فريد الدين عطار، (ص ٩١).

هرمان اته: تاريخ ادبيات فارسي، ترجمة د. رضا زاده شفق، تهران ١٣٥١، (ص ١٥٨)، بديع الزمان فروزانفر، شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين، (ص ٨٦).

د. ابراهيم الدسوقي شتا: التصوف عند الفرس، (ص ٢٠).

(٣٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، ص (٧، ٨، ٩) من المقدمة.

(٤٠) فريد الدين عطار نيسابوري، تذكرة الأولياء، بر رسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس دكتر محمد استعلامي، چاپ دوم: ٢٥٣٥ شاهنشاهي (ص ٢٧) من المقدمة.

(٤١) السابق، (ص ٢٧، ٢٨) من المقدمة.

(٤٢) Faridu "Ddin" Attar, Tadhkiratu, L- Awliya, Edited in the Original Persian, With - Preface Indices and Variants By Reynold A. Nicholson, M.A. P - (7).

(٤٣) فريد الدين عطار نيسابورى، تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامى، (ص ٣٠).

(٤٤) المرجع السابق، (ص ٢٨).

(٤٥) أحمد ناجى القيسى، (ص ٤٣٨).

(٤٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤٨) الأصل الفارسى للعبارة هو:

«.. اما بسبب تبرك بصادق ابتدا كنيم... وچون ازاهل بيت بود وسخن طريقت او بيشتر كفته است وروايت ازوى بيشتر آمد، كلمه چند از آن او بيا وريم كه ايشان همه يكى اند چون ذكر او كرده، شود از آن همه بود».

فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٩، ١٠).

(٤٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامى (ص ٢٨، ٢٩).

(٥٠) انظر: المرجع السابق (ص ٣٠، ٣١).

(٥١) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، ص (١) من المقدمة.

(٥٢) الفناء: واحد من أسمى المقامات الصوفية، ويعنى سقوط الأوصاف المذمومة والبقاء بقيام الأوصاف المحمودة وفى هذا المقام لا يرى السالك التعينات الظاهرية والموجودات وإنما يرى باطنها وحقيقتها بقلبه الملكوتى لا ارتباطه واتصاله بالمبدأ، وفى هذا المقام يتحرر السالك من الشهوات والرغبات كلية ويفنى عن نفسه ويدور فى فلك عالم الوحدة وتذوب صفاته البشرية فى آثار الربوبية ويفنى عن ذاته وعندئذ يبقى بالحق.انظر: أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى، الرسالة القشيرية طبعة محمد على صبيح، (ص ٦١).

د. قاسم غنى: بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، قسمت أول تاريخ تصوف در اسلام وتطورات وتحولات مختلفه آن ازصدر اسلام تا عصر حافظ، جلد دوم، (ص ١٢٨، ١٢٩).

(٥٣) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١) من المقدمة.

(٥٤) وحدة الوجود: تعنى أن الوجود واحد حقيقى ووجود الأشياء عبارة عن تجلى للحق فى صورة الأشياء، وهى نزعة فارسية هندية نفذت إلى التصوف الإسلامى عن طريق الصوفى أبى يزيد البسطامى فى أواخر القرن الثالث الهجرى الذى قال: أنا الشارب والشراب والساقى ،وتطورت على يد الحلاج الذى اعتقد بأنه لا موجود إلا الله فهو الوجود الحقيقى وما عداه وجود وهمى لا يقوم إلا به، وروج الشاعر أبو سعيد بن أبى الخير لهذه الفكرة فى القرن الخامس الهجرى ثم اكتملت ونضجت على يد محيى الدين بن عربى فى القرن السابع الهجرى ونظريته فى وحدة الوجود هى: «لا موجود إلا الله وهو وحده الوجود الحق والمطلق ولا موجود سواه ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، والحقيقة الوجودية واحدة لا

كثرة فيها ولا تعدد، وما تراه الحواس من كثرات لا يعدو أن يكون صوراً ومجالي تتجلى فيها الذات الالهية.

انظر: د. سيد جعفر سجادى، فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفانى، ١٣٥٤هـ. ش، چاپ دوم، (ص ٤٨٣).

إبراهيم حامد الصفارى، التصوف فى عصر الشبسترى، بحث غير منشور للحصول على درجة الدكتوراه فى الأدب الفارسى، (ص ٩٧ - ٩٩).

(٥٥) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، ص (١) من المقدمة.

(٥٦) انظر: السابق، (ص ٣) من المقدمة.

(٥٧) انظر السابق، نفس الصفحة.

(٥٨) انظر: السابق، (ص ٤) من المقدمة.

(٥٩) الجنيد: أبو القاسم جنيد بن محمد النهاوندى ثم البغدادى، أصله من نهاوند ومولده ونشأته بالعراق، كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له: القواريرى. تفقه على أبى ثور أحد أصحاب الشافعى ببغداد وكان يفتى على مذهب الشافعى، توفى عام ٢٩٨هـ.

انظر: أبو بكر ابن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف، طبقات الشافعية، بغداد ١٣٥٦هـ، (ص ١٠).

أبو عبد الرحمن السلمى، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، (ص ١٥٥).

(٦٠) سورة هود، الآية (١٢٠).

(٦١) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٤) من المقدمة.

(٦٢) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٦٣) انظر: فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص٤) من المقدمة.

(٦٤) انظر السابق ، نفس الصفحة.

(٦٥) ورد هذا الحديث فى مسند أحمد بن حنبل، بيروت، ١٩٨٥م، جـ ٢، (ص ٥٠).

(٦٦) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٥) من المقدمة.

(٦٧) الإمام عبد الرحمن الإسكافى أو الأكافى: اسمه عبد الجبار ويبدو أنه كان معاصراً للسلطان سنجر السلجوقى وقتل فى أحد الاضطرابات المذهبية.

فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامى (ص ٨٢٤، ٨٢٥).

(٦٨) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥) من المقدمة.

(٦٩) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٧٠) أبو يوسف الهمدانى: هو يوسف بن أيوب ولد ٤٤١هـ وتوفى ٥٣٥هـ كان زاهداً وصوفياً، وتعلم الفقه فى بغداد ودفن فى مرو وله أثران فى الحديث هما: منازل السالكين وزبدة الحياة.

فريد الدين عطار، تذكرة الاولياء، بر رسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. استعلامى (ص ٨٢٥).

(٧١) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥).
(٧٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٧٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٦).
(٧٤) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٧٥) انظر: المرجع السابق، (ص ٧).
(٧٦) انظر: السابق، (ص ١٩١).
(٧٧) انظر: السابق (ص ١٠).
(٧٨) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازى السمرقندى، كتاب تذكرة الشعراء، بسعى واهتمام وتصحيح ادوارد برون انكليسى، ليدن ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، (ص ١٨٨).
(٧٩) انظر: الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، كتاب معجم البلدان، على بتصحيحه وترتيب وضعه وكتابة المستدرك عليه محمد أمين الخانجى الكتبى بقرائته على الأديب النحوى أحمد بن الأمين الشنقيطى، الطبعة الأولى اختتام سنة ١٣٢٣هـ، وافتتاح سنة ١٩٠٦م، المجلد الثامن، (ص ٣٥٨، ٣٥٩)، بديع الزمان فروزانفر، شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ عطار، (ص ٣٨).
(٨٠) انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، (ص ٣٥٦: ٣٥٩).
د. عبد الوهاب عزام، التصوف وفريد الدين العطار، (ص ٤٦).
(٨١) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه: تذكرة الشعراء، (ص ١٩٢) وقطب الدين حيدر واحد من كبار العارفين، يتصل نسبه بالإمام عبد الله بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وتنسب إليه الجماعة الحيدرية ويقال: إنه كان يجعل الحديد فى يده كالشمع، توفى عام ٦١٨هـ.
فريد الدين عطار، خسرو نامه، بتصحيح واهتمام أحمد سهيلى خوانسارى (ص ٤٢).
(٨٢) ملكة على التركى، منظومة الهى نامه للشاعر فريد الدين العطار، بحث غير منشور أعدته للحصول على الدكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها عام ١٩٧٩م، (ص ٢٧).
(٨٣) الأصل الفارسى للأبيات:

سـر برآورده به مـحـبـوبى عـشق
سيركرده مكه ومصـر ودمشق
كـوفـه ورى تا خـراسان كشته لم
سيحى وجيحونش را بپريده لم
ملك هند وستان وتركستان زمين
رفته چون أهل خطا از سوى چين
عاقبت كردم به نيشابور جاى
اوفتاد از من به عالم اين صدا

نقلا عن شبلى النعمانى: شعر العجم، (ص ٧).
(٨٤) على اكبر دهخدا: لغت نامه، زير نظر د. محمد معين، د. سيد جعفر شهيدى، ١٣٤٥هـ ش، (ص ٣١٠).

(٨٥) فريد الدين عطار، خسرو نامه، بتصحيح واهتمام أحمد سهيلي خوانساري، (ص ٣٦، ٣٧).
وركن الدين أكاف: هو ركن الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد بن علي أكاف كان من كبار الوعاظ والزهاد، ولد في «سختن» إحدى قرى نيسابور وكان من تلاميذ الشيخ أبي نصر بن أبي القاسم القشيري وتلميذ أبي سعد بن أبي صادق الحيري وأبي بكر السروي وإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الحديث صاحب عبد الملك الطبري في سفره للحج وكان يدرس مختصر أبي محمد عبد الله بن يوسف الشافعي م ٤٣٨هـ في فروع الشافعية هناك، ثم اختار العزلة بعد عودته إلى مكة.
انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٨٦) رضا قليخان هدايت، مجمع الفصحاء، ١٢٧١هـ، الجزء الأول (ص ٣٦٧).
ومجد الدين البغدادي: هو أبو سعيد مجد الدين شرف بن مؤيد البغدادي من كبار مشايخ الصوفية المشهورين، أصله من بغدادك التابعة لخوارزم، كان أبوه ماهراً في الطب، وكان مجد الدين فريد زمانه في العلم والمعرفة. وهو من تلاميذ شيخ الشيوخ نجم الدين كبرى. يقال: إنهم ألقوه في نهر جيحون متهمينه بعلاقة مع والدة خوارزمشاه، لكن خوا رزمشاه ندم بعد قتله والتحق بخدمة الشيخ نجم الدين كبرى.
انظر: فريد الدين عطار، خسرو نامه، بتصحيح واهتمام احمد سهيلي خوانساري، (ص ٣٨).
(٨٧) فريد الدين عطار: خسرو نامه، بتصحيح واهتمام احمد سهيلي خوانساري (ص ٣٩، ٤١).
ونجم الدين كبرى: هو مرشد الأولياء الشيخ نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخيوقي الخوارزمي الملقب بكبرى من كبار مشايخ الزمان وعارفيه، ولد عام ٥٤٠هـ. قام بالسياحة والتجوال في شبابه وبعد إتمامه التحصيل، وأدرك مجالس كبار العلماء. وكان يتغلب على جميع مناظريه ومناقشيه ولهذا سمي «الطامة الكبرى».
انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٨٨) محمد علي مدرسي: ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب ياكنى والقاب، تبريز، چاپ دوم، جلد چهارم (ص ١٤٥).
وقطب الدين حيدر سبق التعريف به.
(٨٩) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥٦).
(٩٠) السابق (ص ٢) من المقدمة.
(٩١) السابق نفس الصفحة.
(٩٢) جـ ٢. عمود (١٠٤٢).
(٩٣) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بررسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامي (ص ١٣).
(٩٤) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ ٢ (عمود ١٤٨٦).
(٩٥) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، بررسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامي، (ص ١٣).
(٩٦) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥).

(٩٧) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. استعلامى (ص ١٣).

(٩٨) انظر: السابق (ص ١٤، ١٥).

(٩٩) أنظر: السابق (ص ١٨).

(١٠٠) انظر: السابق (ص ١٨).

(١٠١) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(١٠٢) المرجع السابق (ص ١٩).

(١٠٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١٠٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١٠٥) ذكر فريد الدين العطار الهجويرى فى موضعين من كتابه.
النصف الأول (ص ٢٠٨)، النصف الثانى (ص ٦٨).

(١٠٦) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه: تذكرة الشعراء (ص ١٨٨).
د. أحمد معوض، شاعر الصوفية فريد الدين العطار وقصتاه رابعة وبكتاش، (ص ٢٤).

(١٠٧) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه: تذكرة الشعراء، (ص ١٨٧).
سعيد نفيسى: جستجو در احوال وآثار تاريخى فريد الدين عطار، ص (٩١).

(١٠٨) بديع الزمان فروزانفر: شرح احوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين عطار، (ص ٣٨).

(١٠٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص٢، ٣) من المقدمة.

(١١٠) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١١١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١١٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١١٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٣).

(١١٤) انظر: المرجع السابق، (ص ٣) من المقدمة.

(١١٥) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١١٦) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١١٧) الأصل الفارسى للعبارة:
آن سلطان دنيا ودين، آن سيمرغ قاف يقين، آن كنج عالم عزلت، آن خزينة سراى دولت، آن شاه اقليم اعظم، آن پرورده لطف وكرم، پيروقت ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه.
فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٨٥).

(١١٨) الأصل الفارسى للعبارة:
«متقى وقت بود وصديق دولت بود وحجت وبرهان روزكار بود ودار انواع معاملات ملت واصناف حقايق حظى تمام داشت ومقبول همه بود».
انظر: فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص٨٥).

(١١٩) الأصل الفارسى للعبارة: فضيل عياض در يافته بود، ومريد خال خود بود على بن حشرم، ودر علم اصول وفروع عالم بود، مولد او ازمرو بود، ببغداد نشستى فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ١٠٦، ١٠٧).

(١٢٠) القصة فى الأدب الفارسى، (ص ٨٨).
(١٢١) انظر: السابق، (ص ٨٩، ٩٠).
(١٢٢) شرح احوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين، (ص ٥٢).
(١٢٣) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٤١).
(١٢٤) انظر: السابق (ص ٢١، ٢٢).
(١٢٥) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٣٣٦).
(١٢٦) المرجع السابق (ص ٩٦).
(١٢٧) المرجع السابق (ص ٤٤).
(١٢٨) انظر: المرجع السابق، (ص ٦١).
(١٢٩) انظر: المرجع السابق (ص ١٥٩).
(١٣٠) المرجع السابق (ص ١٧٩).
(١٣١) شرح أحوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين، (ص ٥١).
(١٣٢) المرجع السابق (ص ٥١).
(١٣٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٨٧).
(١٣٤) انظر د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، جلد دوم، (ص ٨٧٨: ٨٧٩).
(١٣٥) تحول النثر منذ أواسط القرن الخامس وحتى أوائل القرن السابع من نثر بسيط سلس إلى نثر متكلف مصنوع يمتزج كثيراً بالعربية وترك الكتاب الإيجاز واهتموا بالإطناب والوصف والتمثيل وظهرت الألفاظ والتركيبات والاصطلاحات الجديدة وراج استعمال الشعر ضمن النثر.

انظر: المرجع السابق، (ص ٨٧٩، ٨٨٠).
(١٣٦) يتسم الأسلوب فى العهد السامانى بأنه كان بسيطاً وموجزاً وغير مصطنع ومرسلاً وكانت تختلط فيه الألفاظ الفارسية بالعربية.

انظر: محمد تقى بهار (ملك الشعرا)، سبك شناسى ياتاريخ تطور نثر فارسى، تهران، جلد دوم، (د) من المقدمة، (ص ٢٠٥).
(١٣٧) انظر: فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامى، (ص ٢٤).
(١٣٨) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، ،ص يط، من مقدمة القزوينى.
(١٣٩) انظر: المرجع السابق، (ص ك) من مقدمة القزوينى.
(١٤٠) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس، د. محمد استعلامى، (ص ٢٧).
(١٤١) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٢٠).
(١٤٢) انظر: المرجع السابق، (ص٥).
(١٤٣) انظر: المرجع السابق، (ص ك) من مقدمة القزوينى.
(١٤٤) المرجع السابق، (ص ١٩٣).

(١٤٥) Faridu "Din" Attar. Tadkiratu "L - Awliya' With Preface BY Nicholson. M.A.P. (d)

(١٤٦) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٨٠).

(١٤٧) انظر: المرجع السابق، (ص ٣٩).

(١٤٨) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٨).

(١٤٩) المرجع السابق (ص ٢٩).

(١٥٠) انظر: السابق، (ص ٣٠).

(١٥١) انظر: السابق، (ص ٢٢).

(١٥٢) انظر: السابق، (ص٢٩).

(١٥٣) السابق (ص ١٥).

(١٥٤) انظر: السابق، (ص ٣٩).

(١٥٥) انظر: السابق، (ص ٦٣).

(١٥٦) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(١٥٧) السابق (ص ٣٤).

(١٥٨) انظر: السابق، (ص ٩٨).

(١٥٩) انظر: السابق، (ص ١٣٨).

(١٦٠) انظر: السابق، (ص١٤٦).

(١٦١) السابق (ص١٠٥).

(١٦٢) Faridu "Din" Attar, Tadkiratu "L - Awliya' With Preface BY Nicholson. M.A.P. (9).

(١٦٣) تذكرة الأولياء، النصف الثاني، (ص ١٩٦).

(١٦٤) انظر: المرجع السابق، (ص ١٦٤).

(١٦٥) Faridu "Din" Attar, Tadkiratu "L - Awliya' With Preface BY Nicholson, M.A.P. (10).

(١٦٦) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٦٤).

(١٦٧) انظر: المرجع السابق، (ص ٢٤٤).

(١٦٨) Tadhkiratu' L - Awliya, With Preface By Nicholson M.A. P -- (10)

(١٦٩) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٣١).

(١٧٠) انظر: المرجع السابق، (ص ١٣٤).

(١٧١) السابق (ص ١١٤).

(١٧٢) تذكرة الأولياء، النصف الثاني، (ص ١٤٠).

(١٧٣) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١١٥).

(١٧٤) الالتفات هو أن ينتقل المتحدث من الحديث عن المخاطب إلى الغائب، ومن الغائب إلى المخاطب وأمثال ذلك.

انظر: محمد بن عمر الرادوياني، كتاب ترجمان البلاغة، باهتمام وتصحيح حواشي وتوضيحات احمد اتش، استانبول ١٩٤٩ هـ، (ص ٧٩).

(١٧٥) تذكرة الأولياء، النصف الثاني، (ص١٤٠).

(١٧٦) انظر: المرجع السابق، (ص ١٤٥).

(١٧٧) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ك) من مقدمة القزويني.

(١٧٨) المرجع السابق، (ص ٩٣).

(١٧٩) السابق (ص ١١٣).

(١٨٠) المرجع السابق، (ص كا) من مقدمة القزويني.

(١٨١) المرجع السابق، (ص ٤٢).

(١٨٢) السابق (ص ١٩١).

(١٨٣) المرجع السابق، (ص ٢٩٩).

(١٨٤) المرجع السابق، (ص ٢٦).

(١٨٥) المرجع السابق، (ص ٣٢٤).

(١٨٦) المرجع السابق، (ص كب) من مقدمة القزويني.

(١٨٧) السابق: (ص ٢٠٠).

(١٨٨) السابق: (ص ٣٢٩).

(١٨٩) المرجع السابق، (ص كج وكد) من مقدمة القزويني.

(١٩٠) السابق: (ص ك)، من مقدمة القزويني.

(١٩١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١٩٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١٩٣) السابق: (ص ٧٤).

(١٩٤) السابق، (ص ١٣٤، ٢٣٥).

(١٩٥) بهار: سبك شناسي، (ص ٢٠٦) والترصيع معناه في اللغة غرس الجوهر ومعناه في الاصطلاح هو أن يأتي الشاعر في مصرعي بيته أو الكاتب في شقي عبارته بكلمات متقابلة متفقة في الوزن والحرف الأخير.

انظر: محمد بن عمر الرادوياني، ترجمان البلاغة، باهتمام وتصحيح حواشي وتوضيحات أحمد آتشي، (ص ٧).

(١٩٦) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٢٩٤).

(١٩٧) السابق (ص ٤٠، ٤١).

(١٩٨) المرجع السابق، (ص ٣١٦).

(١٩٩) بهارسبك شناسي، (ص ٢١٠).

(٢٠٠) منهم على سبيل المثال:

شبلي النعماني: شعر العجم، (ص ٨).

أحمد سهيلي خوانساري: خسرونامه فريد الدين عطار، (ص ٥٨). بديع الزمان فروزانفر:

شرح احوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين، (ص ٨٨). رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، (ص ١٢٠).

(٢٠١) حاجي خليفة: كشف الظنون، المجلد الثاني، ١٩٤٣ ـ ١٣٦٢ هـ، عمود (١٥٦٢).

(٢٠٢) د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات درايران، جلد اول از آغاز عهد اسلامى تا دوره سلجوقى، تهران ١٣٤٢ هـ. ش چاپ چهارم، (ص٢٥٧).

(٢٠٣) جامي، نفحات الانس، (ص٢٨٣).

(٢٠٤) أبونصر السراج الطوسي، اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مصر ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠، (ص١٤).

(٢٠٥) انظر المرجع السابق، (ص١٠).

(٢٠٦) انظر فهرس اللمع، (ص ٦٣٧ : ٦٤٦).

(٢٠٧) الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي (ص ١٥٤).

(٢٠٨) حاجي خليفة ، كشف الظنون، حـ١ ، عمود (٤١٩).

(٢٠٩) أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، حققه وعرف بأعلامه وقدم له د. عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور، القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م (ص١٦٢).

(٢١٠) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص١٦٢).

(٢١١) انظر: فهرس موضوعات التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص ١٦٥ وما بعدها).

(٢١٢) التعرف، (ص ١٦٢).

(٢١٣) انظر: المرجع السابق، ص (١٦٣).

(٢١٤) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، الطبعة الثالثة، (ص ١٦) من مقدمة المحقق.

(٢١٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، (عمود ١١٠٤).

(٢١٦) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، (ص١٩)، من مقدمة المحقق.

(٢١٧) جامي، نفحات الأنس (ص٣١١).

(٢١٨) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، (ص ٥٠) من مقدمة نور الدين شريبة.

(٢١٩) د. قاسم غني: بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، تهران ١٣٤٠ هـ. ش، جلد دوم (ص ٤٧٦).

(٢٢٠) حاجي خليفة: كشف الظنون، عمود (٦٨٩).

(٢٢١) د. قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، راجعه د. أحمد ناجي القيسي، د. محمد مصطفى حلمي، حـ٢ ، (ص ٧٥٠).

(٢٢٢) انظر: د. قاسم غني، بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، جلد دوم، (ص ٤٧٥).

(٢٢٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٦٨٩).

(٢٢٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٨٨٢).

(٢٢٥) انظر: الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي، ص (١٥٧).

(٢٢٦) جامي، نفحات الأنس، ص (٣١٣).

(٢٢٧) أبوالقاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري رحمه الله، القاهرة طبعة محمد على صبيح وأولاده، ص (٢).

(٢٢٨) انظر: فهرست موضوعات الرسالة القشيرية، (ص ٣٢٤ وما بعدها)، كشف الظنون، (ص٨٨٢)، تاريخ التصوف في الإسلام، (ص٧٥١).

(٢٢٩) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٨٨٢).

(٢٣٠) انظر: صفا، تاريخ ادبيات ، جـ٢ ، (ص٨٨٩).

(٣٢١) حاجي خليفة،كشف الظنون، عمود (١٠٨٠).

(٢٣٢) انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، بيروت ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م، الطبعة الأولى، الجزء الأول (ص، ب) من ترجمة المؤلف.

(٢٣٣) انظر: المرجع السابق، جـ١ ، ص (١٣:٥)، حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٦٨٩).

(٣٢٤) انظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، (ص١٤ : ١٦).

(٣٢٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، (عمود ١٠٨٠).

(٢٣٦) د. قاسم غني، تاريخ التصوف في الاسلام ح٢، (ص٧٥١).

(٢٣٧) انظر: الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة د. إسعاد عبد الهادي، (ص٥٧: ٦٥).

(٢٣٨) انظر: المرجع السابق، (ص ١١٩).

(٢٣٩) انظر ابن الجوزي، صفة الصفوة، فهرست الموضوعات، (ص ٣٩٤، ٦٧١) وما بعدها.

(٢٤٠) د. قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، جـ٢، (ص ٧٥١).

(٢٤١) انظر: المرجع السابق، ص (٧٥٥).

(٢٤٢) محمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير، أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د. يحيى الخشاب، (ص ٦) من مقدمة المترجم.

(٢٤٣) انظر: المرجع السابق، (ص٩، ١١).

(٢٤٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ٢ ، عمود (١٩٦٧).

(٢٤٥) الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي، ص (١٦٣).

(٢٤٦) جامي، نفحات الأنس، ص (١٦٤).

(٢٤٧) كشف المحجوب، دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي قنديل، ص (١٦٣).

(٢٤٨) انظر: محمد على مدرسي، ريحانة الأدب، جلدچهارم، چاپ دوم، تبريز، (ص ٢٥٠ : ٢٥٣).

(٢٤٩) النص الفارسي للعبارة: نقلست كه كفت: خواستم تا ازحق تعالى درخواهم، مؤنت زنان ازمن كفايت كند، بس كفتم: روانبود اين، خواستن كه پيعمبر عليه السلام نخواست، بدين حرمت داشت پيغمبر حق تعالى آنرا كفايت كرد، بيش من چه زني چه ديوارى هرد ويكى است.

(٢٥٠) النص الفارسي للعبارة: «وكفت: روزى طعامى برمن عرضه كردند، منع كردم، چهارده روز كرسنه ماندم، از شومى آنك منع كردم».

(٢٥١) النص الفارسي للعبارة :«گفت: آن درويشي كه زن كرد دركشتي نشست، و چون فرزند آمد، غرق شد» .

(٢٥٢) النص الفارسي للعبارة: وگفت: رضا شاد بودن دلست در تلقي قضا» .

(٢٥٣) النص الفارسي، ابو عثمان حيرى گويد: كه روزى درپيش ابو حفص مي رفتم، ميونيرى چند ديدم پيش او نهاده، يكى بردا شتم، ودر دهان نهادم، حلق مرا بگرفت، وگفت: اى خاين، ميويز من بخوردى، ازچه وجه؟ گفتم: من ازدل تو دانم، بر تو اعتماد دارم، ونيز دانستم كه هرچه دارى، ايثاركنى، گفت: اى جاهل، من بردل خويش اعتماد ندارم، توبردل من چون اعتماد دارى؟» .

(٢٥٤) النص الفارسي للعبارة: «سرى گفت: چون خبر مى يابم، كه مرد مان بر من مى آيند، تا از علم آموزند، دعا گويم: يا رب تو ايشانرا علمى عطاكن، كى مشغول كرداند، تامن ايشانر بكار نيابم، كه من دوست ندارم، كى ايشان سوى من آيند» .

(٢٥٥) النص الفارسي للعبارة: «وگفت: تجلى برسه حال است: تجلى ذات وآن مكاشفة است، وتجلى صفات وآن موضع نور است، وتجلى حكم ذات وآن آخرت است، وما فيها» .

(٢٥٦) النص الفارسي للعبارة: «برسيد ند كه اول درجه كى عارف روى بدانجا نهد چيست؟ گفت: تحير، بعد ازآن افتقار، بعد از آن اتصال، بعد از آن حيرت» .

(٢٥٧) النص الفارسي للعبارة: «واحمد خضرويه گفت: ابراهيم مردى رادر طواف گفت: درجه صالحان نيابى، تا از شش عقبه نگذ رى، يكى آنك در نعمت برخود ببندى، ودر محنت بر خود بگشائى، ودر عز بر بندى، ودر ذل بگشائى، ودر خواب بربندى، ودر بيدارى بگشائى، ودر توانگرى ببندى، ودر درويشى بگشائى، ودر امل ببندى، ودر اجل ودر آراسته بودن ودر ساختگى كردن مرگ بگشائى» .

(٢٥٨) النص الفارسي للعبارة: «وگفت: هيچيز دوست تراز مهمان ندارم، ازبهر آنك روزى ومؤنت اوبر خداى است، ومن درميان هيچ كس نيم، ومزد وثواب مرا» .

(٢٥٩) النص الفارسي للعبارة: وگفت: درچهار موضع نفس خود را بازجوى، در عمل صالح بى ريا، ودر گرفتن بى طمع، ودر دادى بي منت، ودر نگاه داشتن بى بخل» .

(٢٦٠) النص الفارسي للعبارة: وگفت: مبتلا نكرد اند حق تعالى هيچ بنده را بچيزى سخت تراز غفلت وسخت دلى» .

(٢٦١) الأصل الفارسي للعبارة : وگفت: هركه صبر كند برصبر خويش او صابر بود، نه آنك صبر كند وشكايت كند» .

(٢٦٢) الأصل الفارسي للعبارة: وگفت: سه خصلت از صفت اولياست: اعتماد كردن بر خداى در همه چيزها، وبى نياز بودن بدو ازهمه چيزها، ورجوع كردن بدو در همه چيزها» .

(٢٦٣) الأصل الفارسي للعبارة: «گفتند: مرد در كدام وقت درد وستى حق بغايت برسد؟ گفت: چون منع وعطا هرد ويكى برو يكسان شوند، بغايت محبت رسيده است» .

(٢٦٤) الأصل الفارسي للعبارة: وگفت: ديگرى بخوابش ديد، گفت: خداى باتو چه كرد؟ گفت: مرا بيامرزيد، ويك نيمه ازبهشت مرا مباح كرد انيد، ومرا گفت: يا بشر، تا بودى، اگر مرا در آتش سجده كردتى، شكر آن نگزاردى، كه ترا دردل بند گان خود جاى دادم» .

(٢٦٥) الأصل الفارسي للعبارة: بارد بكر برسيدند از علامت توكل، كفت: خلع ارباب، وقطع اسباب، كفتند: زيادت كن، كفت: انداختن نفس در عبوديت، وبيرون آوردن نفس از ربوبيت».

(٢٦٦) الأصل الفارسي للعبارة: وكفت: حكمت سخن كويد دردل عارفان بزبان تصديق، ودر دل زاهدان بزبان تفضيل، ودر دل عابدان بزبان توفيق، ودر دل مريدان بزبان تفكر، ودر عالمان بزبان تذكر».

(٢٦٧) الأصل الفارسي للعبارة: «نقلست كه خواص كفت: درتيه بنى إسرائيل مى رفتم، مردى با من مى رفت، الهامى بدل من آمد، كه او خضر است، كفتم: بحق حق كى بكوى، كه ترا نام چيست؟ كفت: برادر تو خضراست كفتم: در شافعي چه كوئى؟ كفت: از اوتاداست كفتم: در احمد حنبل چكوئى؟ كفت: ازصد يقا نست. كتم: در بشر چكوئى؟ كفت ازپس او چون او نبود.

(٢٦٨)الأصل الفارسي للعبارة: «وعنايت حق تعالى در حفظ او چندان بود كه، چون دست بطعامى بردى، كه شبهت درو بودى، ركى در پشت انكشت او كشيده شدى، چنانك انكشت فرمان او نبردى، او بدانستى، كه آن لقمه بوجه نيست».

(٢٦٩) الأصل الفارسي للعبارة: «وكفت: تصوف نا ميست سه معنى را: يكى آنك معرفتش نور ورع فرونكيرد، ودر عالم باطن هيچ نكويد كه نقض ظاهر كتاب بود، وكرامات اورا بدان دارد كه مردم باز دارد از محارم».

(٢٧٠) الأصل الفارسي للعبارة: « ودر تقوى چنان بود كه شبي بر بالين دوستى بود، در حالت نزع، چون آن دوست وفات كرد، چراغ بنشاند، وكفت: اين ساعت اين چراغ وارث است، مارا روا نباشد سوختن.

(٢٧١) الأصل الفارسي للعبارة: «وكفت: حق را بخواب ديده، پرسيدم، كه راه بتو چونست؟ كفت: ترك خود كوى كه بمن رسيدى».

(٢٧٢) الأصل الفارسي للعبارة: «وكفت: جوع نزديك خداى از خزانه مدخر كه ندهد بكسى الا بدان كه او رادوست دارد».

(٢٧٣) الأصل الفارسي للعبارة: « نقلست كه در خريد وفروخت خرده نيم سود نخواستى، يكبار بشصت دينار بادام خريد بادام كران شد، دلال بيامد، وكفت: بفروش، كفت: بچند؟ كفت: بشصت وسه دينار، كفت: بهاء بادام امروز نود دينار است، كفت: قرار من اينست كه هرده دينار نيم دينار بيش ستانم، من عزم خود نقض نكنم، دلال كفت: من نيز روا ندارم كه كالاى نو بكم بفروشم، نه دلال فروخت، ونه سرى روا داشت».

(٢٧٤) الأصل الفارسي للعبارة: «ابو العباس سيرمى كويد: كبا بو تراب در باديه بودم، يكى از ياران كفت: مرا تشنه است. باى بر زمين زد، چشمه آب پديدامد، مرد كفت: مرا چنان آرزوست كه بقدح بخورم، دست بر زمين زد، قدحى برآمد، از آبكينه سپيد كه ازآن نيكوتر نباشد، وى از آن آب بخورد، وياران آب داد، وآن قدح تا بمكه با ما بود».

(٢٧٥) انظر: سبك شناسى، جلد دوم، (ص٢٠٦).

(٢٧٦) انظر، السابق، (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٩).
(٢٧٧) أبو الحسن على بن عثمان الجلابى الهجويرى: كشف المحجوب، از روى متن تصحيح شده والنتين زو كوفسكي، ترجمة مقدمه مفصل روسى بفارسى با تحقيقات نوين راجع به مصنف وآثار وى وبحث تاريخي در باره تجليات تصوف ايرانى بانضمام فهرستهاى هفتگانه والحاق دو فهرست بقلم: محمد عباس ١٣٣٦ هـ. ش، (ص ٣٢).
(٢٧٨) انظر، سبك شناسى، جلد دوم، (ص ٢١٠ ـ ٢٢١).
(٢٧٩) محمد بن منور ابى سعيد بن ابى طاهر بن ابى سعيد مهيلى: أسرار التوحيد، باهتمام د. ذبيح الله صفا، تهران، ١٣٣٢ هـ. ش.
(٢٨٠) انظر: اللمع: (ص ١٨)، من مقدمة المؤلف، كشف المحجوب، ص (١٨١).
(٢٨١) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص ٧).
(٢٨٢) انظر: تذكرة الأولياء: النصف الأول، ص (٢).
(٢٨٣) انظر، كشف المحجوب، ترجمة د. إسعاد عبد الهادى قنديل، (ص ١٨٢، ١٨٣).
(٢٨٤) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص يط) من مقدمة القزوينى.
(٢٨٥) سعيد نفيسى، جستجود راحوال، (ص ١١٠) وهذا الرأى بالطبع يستحق المناقشة إلا أنه يشير لأهمية نثر تذكرة الأولياء.
(٢٨٦) بديع الزمان فروزانفر، شرح أحوال، (ص ٨٧).
(٢٨٧) انظر: أحمد ناجى القيس، عطار نامه، (ص ٤٤٣، ٤٤٤)، تذكرة الأولياء، بررسى تصحيح متن د. استعلامى (ص ٣٠، ٣١).
(٢٨٨) انظر: شهيدة العشق الإلهى، رابعة العدوية، الكويت ١٩٧٨، الطبعة الرابعة، (ص ١٤٦: ١٦١).
(٢٨٩) عطار نامه، (ص ٤٤٥).
(٢٩٠) انظر: أحمد ناجى القيسى، عطار نامه، (ص ٤٤٥)، تذكرة الأولياء، بررسى د. استعلامى، (ص ٣٢).
(٢٩١) انظر: المرجعان السابقان، نفس الصفحات.
(٢٩٢) أحمد ناجى القيسى، عطار نامه، (ص ٤٤٥).
(٢٩٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٤٤٦).
(٢٩٤) انظر، سعيد نفيسى، جستجو در احوال عطار، (ص ١١١).
(٢٩٥) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٣٦).
(٢٩٦) انظر: المرجع السابق، (ص ١٠٤، ١٠٥).
(٢٩٧) عطار نامه (ص ٤٤٦).
(٢٩٨) انظر: عطار نامه (ص ٤٤٧)، تذكرة الأولياء، بررسى د. استعلامى، (ص ٣٢).
(٢٩٩) انظر: عطار نامه (ص ٤٤٧).
(٣٠٠) انظر: المرجع السابق (ص ٤٤٧: ٤٤٩).
(٣٠١) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، بررسى د. استعلامى (ص ٨٣٤).

(٣٠٢) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٢٧٥).
(٣٠٣) انظر المرجع السابق، (ص ٣٣٢).
(٣٠٤) انظر: المرجع السابق، (ص٩٦)
(٣٠٥) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٣٠٦) انظر : المرجع السابق، (ص ٢١٣).
(٣٠٧) انظر: المرجع السابق، (ص ٢٥٣).
(٣٠٨) انظر: المرجع السابق، (ص ٣١٢).
(٣٠٩) انظر: المرجع السابق، (ص ١٥٦).
(٣١٠) انظر: المرجع السابق، (٢١٩).
(٣١١) انظر: المرجع السابق، (ص ٨٤).
(٣١٢) انظر : حيلة الأولياء، حـ٨، (ص ١٠٩).
(٣١٣) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٣٣٣).
(٣١٤) انظر كشف المحجوب، ص (٣٣٦).
(٣١٥) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٢٢٨).
(٣١٦) حلية الأولياء: حـ١٠، (ص ٧٥).
(٣١٧) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٢٣).
(٣١٨) ص (٢٥).
(٣١٩) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٣٠٤).
(٣٢٠) حـ١٠، (ص ٦٨).
(٣٢١) نقلا عن تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص كه) من مقدمة القزويني.

القسم الثاني

مقدمة مخطوطات الكتاب وطبعاته

ا ـ مخطوطات الكتاب:

هناك العديد من النسخ الخطية لكتاب «تذكرة الأولياء» هى نسخ:

ـ المتحف البريطانى.

ـ ريو ٨٠٦، ١٩ اضافى القرن ١٤م.

ـ المتحف البريطانى ٧٣١، ١٦ إضافى القرن ١٧م.

مجموعة المرحوم براون كمبرج رقم ٧ ـ ١٤ سنة ١٣٠٧ .

ـ نفسها رقم ١٢٧ .

ـ نفسها رقم ١٢٨ .

ـ نفسها رقم ٢٢١ .

ـ نفسها رقم جى ٣ ـ ٧ سنة ١٢٩٧ (منتخبات).

ـ نفسها رقم جى ٤ ـ ٩ سنة ١٢٦٩ (مختصرة).

ـ جامعة كمبردج ـ ملحق رقم ٢٩١ .

مجموعة شفر رقم ٣٨١ ـ قرن ١٣ .

- نفسها رقم ١٤٦٦ سنة ٩٨٨ .

المكتبة الوطنية باريس ٢٣٠٦ سنة ١٢٢٤ .

- نفسها رقم ٤٠٣ سنة ١١٥٩ .

- نفسها رقم ٤٠٤ - القرن ١٣ - ١٤ .

- نفسها رقم ٤٠٥ سنة ٨٨٨.

- نفسها رقم ٤٠٦ - القرن ١٦ .

- نفسها رقم ٤٠٧ سنة ١٠٤٩ .

- نفسها رقم ٤٠٨ - القرن ١٣ .

نفسها رقم ١٥٣ - القرن ١٨ (منتخبات) .

- ديوان الهند اته رقم ١٠٥١ سنة ١٠٩١

- نفسها رقم ١٠٥٢ (٧٠ ترجمة) .

- نفسها رقم ١٠٥٣ (٧٠ ترجمة) .

- نفسها رقم ١٠٥٤ (قطعة منه) .

بانكيبور الهند- رقم ٦٥٩ سنة ٧٢٤ (جزآن) .

- نفسها رقم ٦٦٠ سنة ٨٣٠.

- نفسها رقم ٦٦١ سنة ٩٣٩ .

البودلية سخاو رقم ٦٢٢ عليها ختم ١٠٢٠ (جزآن) .

- نفسها رقم ٦٢٣ سنة ١٠٢٦ - ١٠٢٧ .

- نفسها رقم ٦٢٤ سنة ١٠٧٨ .

- نفسها رقم ٦٢٥ مجلدان.

بودلية بيستن رقم ٢٥٦٧ سنة ٦٩١ (٧٢ ترجمة).

- نفسها رقم ٦٥٦٨ سنة ٦٩٥ (٧٢ ترجمة).

- نفسها رقم ٦٥٦٩ سنة ٩٨٧ (٩٦ ترجمة).

- نفسها رقم ٦٥٧٠ - القرن ١٩.

- طاشقند رقم ٢٢١٣ سنة ٦٩٨ (الجزء الثانى).

- طاشقند رقم ٢٢١٢ سنة ١٣٢٧ مع ترجمة أوزبكية.

- نفسها رقم ٢٢٠٧ - القرن ١٩.

- نفسها رقم ٢٢٠٦ سنة ١٢٦٢.

- نفسها رقم ٢٢٠٥ سنة ١٢٥٣.

- نفسها رقم ٢٢٠٤ سنة ١٢٤١

- نفسها رقم ٢٢٠٣.

- نفسها رقم ٢٢٠٢ سنة ١٢٣٥.

- نفسها رقم ٢٢٠١ - القرن ١٨ - ١٩.

- نفسها رقم ٢٢٠٠ سنة ١٢١٢.

- نفسها رقم ٢١٩٩ - القرن ١٨

- نفسها رقم ٢١٩٨ - القرن ١٧ - ١٨

- نفسها رقم ٢١٩٧ - القرن ١٧.

- نفسها رقم ٢١٩٦ - القرن ١٦ - ١٧.

- نفسها رقم ٢١٩٥ - القرن ١٧.

نفسها رقم ٢١٩٤ سنة ٦٩٨.

موسكو ميكلوخو رقم ١٤٠ سنة ٨٨٩ (٩٧ ترجمة).

- نفسها رقم ١٤١ - القرن ١٥.

- نفسها رقم ١٤٢ سنة ١٠٠٣.

- نفسها رقم ١٤٣ - القرن ١٧ (٧٢ ترجمة).

- نفسها رقم ١٤٤ - القرن ١٧ (٩٦ ترجمة).

- نفسها رقم ١٤٥ - القرن ١٧.

- نفسها رقم ١٤٦ - القرن ١٨.

- نفسها رقم ١٤٧ سنة ٩٢٥ (٩٧ ترجمة).

- نفسها رقم ١٤٨ - القرن ١٧.

- بهر كلكته رقم ٨٣ - القرن ١٦.

- الجمعية الآسيوية ايڤانوف رقم ٧٧٠ قطعة منها قرن ١٩.

- نفسها رقم ٧٧١ سنة ١١١٢ (الاول).

ابسالا زنترستين رقم ٤٠٨ سنة ٧٩١.

- نفسها رقم ٦٣٦.

آصفية حيدر آباد رقم ١٣٥ (انتخاب).

- نفسها رقم ٣٤.

ا- نفسها رقم ٣ سنة ٩٢٨.

- نفسها رقم ٣١ (انتخاب).

- نفسها رقم ١١ سنة ١٠٨٢.

- آصفية سركار عالى ص ١٦.

- ولى الدين استانبول رقم ١٦٤٢ .

- نفسها رقم ١٦٤٥ .

نور عثمانية استانبول رقم ٢٢٩٧ .

- نفسها رقم ٢٥٣١ .

- قليج على باشا استانبول رقم ٧٣١ .

- نفسها رقم ٧٣٢ .

- جامعة القاهرة رقم ١٤٨ سنة ١٢٦٠ .

- نفسها رقم ٥٢٤ (منتخبات) .

- دار الكتب المصرية رقم ٨ تصوف فارسى سنة ٧١٥ .

- نفسها رقم ٢ تاريخ فارسى قوله سنة ٧١٧ .

- نفسها رقم ٣ تاريخ فارسى .

- نفسها رقم ٤ تاريخ فارسى .

- نفسها رقم ٥ تاريخ فارسى سنة ١٢٦٧ .

- آستان قدس رضوى رقم ٨٣٤٧ - قرن ١١ .

- مصطفى عاطف استانبول (فى جامعة طهران) فلم ١٠٤ سنة ٨٢٨ .

كلية الآداب طهران رقم ٢٤٣ ج - قرن ١١ .

- سپهسالار طهران رقم ٧٣٤٢ .

---

* بشأن المخطوطات راجع فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، أحمد ناجى القيسى، عطار نامه (ص ٤٥٣ : ٤٥٧)

طبعاته

طبع كتاب «تذكرة الأولياء» عدة طبعات هى :

١ـ طبعة لا هور ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م.

٢ـ طبعة لاهور ١٣٠٨ هـ.

٣ـ طبعة لكنهو ١٣٠٨ هـ = ١٨٩١م.

٤ـ طبعة بمبى بلا تاريخ.

٥ ـ طبعة ليدن باهتمام رنولد آلن نكلسون (با مقدمة قزوينى ج ١٣٢٢١ هـ = ١٩٠٥ .ج٢، ١٣٢٥ هـ= ١٩٠٧م.

٦ـ طبعة استكهولم ١٩٣١م (عن الطبعة السابقة بالزنكغراف).

٧ـ طبعة طهران الأولى (عن طبعة نكلسون) ١٣٢١ش.

٨ـ طبعة طهران االثانية (عن طبعة نكلسون).

٩ـ طبعة طهران ا لثالثة(عن طبعة نكلسون) ١٣٣٦ش.

١٠ـ طبعة دهلى (مطبعة فخر المطابع ١٨٥٢).

١١ـ طبعة دهلى (مطبعة مجتبائى).

١٢ـ طبعة بمبى ـ مطبعة محمدى ١٣٢٥ (حجرية).

١٣ـ طبعة بمبى ـ مطبعة محمدى ١٣٨١هـ (حجرية).

١٤ـ طبعة بمبى ـ ١٣٠٥ (حجرية).

١٥ـ طبعة لاهور سنة ١٣٤١ هـ. (حجرية).

١٦ـ طبع الهند ١٢٨٣ هـ (حجرية).

١٧ـ طبع بمبى ١٢٩٤ (حجرية).

١٨- طبع دهلى ١٣١٧ هـ (حجرية).

١٩- متحف الآثار القديمة طهران رقم ٣٥٩٢ سنة ١٠٠٧ (أسرار الأبرار وأخبار الأخيار).

٢٠- جامعة توبنكن رقم ١٥٨٦.

خزانة أحمد ناجى القيسى عليها بعض التواريخ أقدمها ١٢٣٣ عليها تملك لعبد القادر إبراهيم باشا بابان.

* أحمد ناجى القيسى: عطارنامه، (ص ٤٥١، ٤٥٢).

نص الترجمة
لكتاب تذكرة الأولياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الجواد بأفضل أنواع النعماء، المنان بأشرف أصناف العطاء المحمود فى أعالى ذرى العز والكبرياء، المعبود بأحسن أجناس العبادات فى أعماق الأرض وأطباق السماء، ذى العظمة والجبروت والبهاء والجلالة والملكوت والثناء، الذى علا فاحتجب بأنوار المجد والقدس والثناء عن أعين الناظرين وأبصار البصراء، ودنا فاقترب من بصائر المحترقين فى وهج العناء، وربط طرف بقاء المنغمسين فى لجج بحار توحيده بالفناء، وخلط شرف فناء المتغلغلين فى قعر قرية البهاء بمحض البقاء، وأغناهم بعزة الفقر إليه عن ذل الركون إلى الأشياء، وأولاهم التوفيق للحمد عما هو فى خزانة الآلاء، وأغناهم بالفناء عن البقاء وبالبقاء عن الفناء، فصاروا بنور فناء الفناء مخلصين عن هواء الأهواء، وحطوا رحال الأنس بفناء القدس مودعين بفناء الفناء، وانقطعوا بالنور الحقيقى عن تخاييل الأظلال وتماثيل الأفياء التى هى أعيان الدهماء وأشخاص الإنشاء. نحمده أن كفانا كيد من عادانا فيه، ودفع عنا شر من ناوانا بقلبه وآوانا بفيه، وشغل عنا كل شاغل عنه، وألف بيننا وبين كل مؤلف بيننا وبينه، وجعلنا خدماً وعباداً له، وأكرمنا بشريف خطابه وكريم كتابه، وجعلنا متبعين لحبيبه، ثم من جملة أحبابه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

يوازيه ولا نظير له يضاهيه، فإن نظرنا إلى الأوصاف الأولوهية فلا إله إلا هو، وإن تأملنا الوجود فلا هو إلا هو، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه، أرسله بالحق إلى كافة الخلق، فحل برفيع محله عقد أهل الزيغ والضلال، وفل بحده عدد زمر الخزى والنكال، وأطفأ بنوره نار الغواية، وبوأ أنصاره دار الهداية، وأضاء قلوب المهتدين بهديه بأنوار جواهر الدين، ووفقهم لاقتناء مفاخر ذخائر اليقين، وبصرهم بغوامض سراير النبيين، وخص الأصفياء والأتقياء من أتباعهم الذين نفضوا أيديهم عن الكونين، ورفضوا عن قلوبهم الالتفات إلى نعيم الدارين، من شواهد الغيب المكنون، بما لا يبصره لواحظ العيون، ولا يستشرف له طوالع العقول ونواجم الظنون، وبلغ قلوبهم بما كاشفها به من نهايات المطالب وغايات الهمم، واقتنع عن أسرارهم مما طالعها به من أقاصى المقاصد وغايات القمم، واستصفى أرواحهم بما يستملكه من أنوار الجلايا القدسية عن شوائب الأنوار وكدورات الظلم.

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما ذر شارق لطف من مشرق فضل، وما وقب غاسق بعد من أفق طرد ما ابتلى بالبعد العاشق، وما أومض بارق هداية من سحاب عناية، وما لفظ ناطق صدق بكلمة عشق، وما تقلقل قدم شوق فى بادية ذوق، وسلم تسليماً كثيراً.

مقدمة

إن تجاوزت القرآن والأحاديث، فليس هناك كلام أسمى من كلام مشايخ الطريقة (رحمة الله عليهم)، لأن كلامهم نتيجة للعمل والحال وليس ثمرة للحفظ والقال، ومن العيان لا البيان، ومن الأسرار لا التكرار، ومن العلم اللدنى لا العلم الكسبى ومن المعاناة لا الاجتهاد، ومن عالم أدبنى ربى لا من عالم علمنى أبى، فهم ورثة الأنبياء (صلوات اللهم عليهم أجمعين).

وكنت أرى رغبة شديدة لجماعة من الأصحاب فى كلام هؤلاء القوم، ورغبت أنا أيضاً فى مطالعة أحوالهم رغبة ملحة، وكانت أقوالهم كثيرة، فإن جمعتها كلها طال (الحديث) (لذا) انتخبت (بعضها) من أجلى ومن أجل الأصحاب، وإن استفدت أنت منها فمن أجلك أنت (أيضاً). وإن أراد شخص مزيداً من أقوالهم، فكتب المتقدمين والمتأخرين تذخر بذكر هذه الطائفة حيث يجد مراده. وإن طلب طالب شرحاً مستفيضاً لكلمات هؤلاء القوم فليتصفح كتاب «شرح القلب» وكتاب «كشف الأسرار» وكتاب «معرفة النفس والرب» ليحيط بتلك المعانى. ونعتقد أن كل من اطلع على هذه الكتب الثلاثة، لا يخفى عليه أى قول من أقوال هذه الطائفة إلا ما شاء الله. وإن شرحت هذه الأقوال هنا لاستغرقت ألف صفحة، لكن طريق الإيجاز والاختصار سنة كما فخر رسول الله ﷺ فقال:

«أوتيت جوامع الكلم، واختصر لى الكلام اختصاراً».

وحذفت الأسانيد لأن الكلام كان (على هذا النحو): نقل عن شيخ فى كتاب ما وذكر فى كتاب آخر عن شيخ آخر ما هو مخالف لما نقله الشيخ الأول، وكذلك كانت تفاصيل الحكايات والحالات مختلفة أيضاً. فاحتطت (فى ذلك) قدر الإمكان.

ومن الأسباب الأخرى لعدم إيراد شرح لأقوالهم: أننى لم أر أنه من الأدب أن أقحم كلامى بين كلامهم، ولم أجد ذلك من الذوق، ولم أستسغ كلامى بين مثل هذا الكلام سوى إشارات وردت فى أماكن قليلة، لدفع خيال الغرباء والمدعين. وسبب آخر هو: أن كل من يحتاج إلى شرح أقوالهم فالأولى به أن ينظر إلى كلامهم ويشرحه.

وسبب آخر هو: أن الأولياء مختلفون: فبعضهم أهل معرفة، وبعضهم أهل معاملة وبعضهم أهل محبة، وبعضهم أهل توحيد، وبعضهم يجمع بين كل هذا، وبعضهم (يتصف) بصفة، وبعضهم دون الصفة وبعضهم لا صفة له. فإن شرحت كلا منهم على حدة، لخرج الكتاب عن حد الاختصار. وإن ذكرت الأنبياء والصحابة وأهل البيت، يلزمنى كتاب آخر منفصل. وكيف يستقيم بلسانى شرح (حال) قوم مذكورين لدى الله ورسوله، ومحمودين فى القرآن والأخبار، وهم أهل عالم آخر ودنيا أخرى، فالأنبياء والصحابة وأهل البيت ثلاثة أقوام سأعد كتاباً فى ذكرهم إن شاء الله، ليبق عن العطار تذكاراً ثلاثياً عن هؤلاء الأقوام الثلاثة.

وقد حملنى على جمع هذه الأقوال (تصنيف هذا الكتاب) عدة أسباب:

أولاً: رغبة إخوان الدين الذين كانوا يطلبون ذلك، وسبب آخر هو: أن يبقى تذكاراً عنى ينشرح به كل من يقرأه، ويذكرنى بدعاء الخير، ويسبب انشراحه

يوهب لي الانشراح في التراب، فعندما توفي يحيى بن عمار ـ الذي كان إماماً للهروي، وأستاذاً للشيخ عبد الله الأنصاري ـ شوهد في المنام فسئل: ما فعل الله بك؟ قال: جاءني الهاتف قائلاً: كان لي حساب شديد معك يا يحيى، لكنك كنت تثني علينا في مجلس ذات يوم، فمر على مجلسك أحد أحبائنا، وسمع ذلك، فطاب وقته. فجعلت لك ثواباً لإسعاده، وإلا كنت سترى ماذا كنت أفعل بك؟ وسبب آخر هو: أنهم قالوا للشيخ أبي علي الدقاق: هل توجد فائدة (لنا) في سماع كلام الرجال طالما أننا لا نستطيع العمل به؟ قال: بلى: إن فيه فائدتين: الأولى: إن كان الرجل طالباً تقوى همته ويزداد طلبه **والثانية**: إن وجد شخص أن نفسه تتسم بالغرور أطاح بذلك الغرور، وطرد هذا الإدعاء من رأسه، ويدى الحسن منه سيئاً، ويرى نفسه كان مبصراً كما قال الشيخ المحفوظ (رحمة الله عليه) «لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان الموقنين لتعلم فضلهم وإفلاسك. وسبب آخر هو: أنهم قالوا للجنيد: ما فائدة هذه الحكايات والروايات للمريد؟ فقال: إن كلامهم (الأولياء) جند من جنود الله (تعالى)، يقوى به قلب المريد إن كان محطماً، فيجد في أولئك الجند مدداً له والدليل على هذا القول أن الحق (تعالى) يقول: «**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**». وسبب آخر هو: أن سيد الأنبياء (صلوات الله عليه) يقول: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة» فإن وضع شخص مائدة تنزل الرحمة عليها كالمطر، ولا يمكن إعادته من هذه المائدة بلا نصيب. وسبب آخر هو: أن أرواح الأولياء المقدسة ستكون عوناً له في هذا الزمان المضطرب، وستظلله بظل السعادة قبل الأجل. وسبب آخر هو: أنني رأيت أن أفضل كلام بعد القرآن والأحاديث هو كلامهم (الأولياء)، ورأيت أن كلامهم في مجمله هو شرح للأحاديث والقرآن، فشغلت بهذا العمل لعلي أتشبه بهم، وإن لم أكن منهم أكون قد تشبهت بهم «فمن تشبه بقوم فهو منهم» كما قال الجنيد (رحمة الله

عليه): أحسنوا للمدعين فهم أهل تحقيق، وقبلوا أقدامهم، فإنهم إن لم تكن لهم همة عالية (في شيء) كانوا يدعون شيئاً آخر. وسبب آخر هو: أنه طالما يلزم (فهم) القرآن والأخبار (معرفة) اللغة والنحو والصرف، لأن أغلب الخلق لايستطيعون الاستفادة من معانيهما فهذا الكلام ـ الذي هو شرح لهما وللخاصة والعامة نصيب فيه ـ مع أن أغلبه كان باللغة العربية، فقد نقلته إلى اللغة الفارسية حتى تعم (الفائدة). سبب آخر يبدو لي واضحاً وهو: إنهم إن قالوا قولاً مخالفاً لهواك، فإنك تسعى للثأر من ذلك الشخص (الذي خالفك) وتنكر هذا القول أعواماً، فطالما أن القول الباطل له مثل هذا الأثر في نفسك، فإن قول الحق يمكن أن يكون له في قلبك مثل (هذا) الأثر آلاف المرات، وإن لم تكن تدري، بذلك مثلما سئل الإمام عبد الرحمن الإسكافي عمن يقرأ القرآن، ولا يفهم ما يقرأه، أيكون لذلك القرآن أي تأثير فيه، فقال: يتناول المرء الدواء، ولا يعلم تأثير ما يتناوله، والقرآن لا يوثر فقط، بل يؤثر بعمق، فكيف لو أنه أدرك ما يقرأه، فسيكون أثر ذلك كبيراً. سبب آخر هو: أن لي قلباً لا يمكنه أن يقول أو يسمع سوى هذا الكلام إلا مكرها ومضطراً ،وما لابد لا جرم، فجعلت من كلامهم (الأولياء) واجباً على أهل الزمان، لأجد لي مؤنساً على هذه المائدة، كما يقول الشيخ أبو علي سياه: لي رغبتان الأولى: أن أسمع قولاً من أقواله، والثانية: أن أرى ولياً من أوليائه. ثم قال: أنا رجل أمي لا أستطيع أن أكتب شيئاً، أو أقرأ شيئاً، يلزمني شخص يتحدث هو، وأسمعه أنا، أو أتحدث أنا، ويسمعني هو، فإن لم يكن هناك حديث عنه (الله) في الجنة، لضاق بها أبو علي.

وسبب آخر هو: أنهم سألوا الإمام أبا يوسف الهمداني (رحمة الله عليه) ماذا نفعل ـ عندما يمضي هذا الزمان، وتواري هذه الطائفة (الأولياء) وجهها في النقاب ـ حتى نسلم؟ فقال: تقرءون كل يوم ثمان ورقات من كلامهم، ومن ثم

فقد رأيت أن إعداد ورد لأهل الغفلة هو فرض عين. سبب آخر هو: أن رياح محبة هذه الطائفة كانت تموج في قلبي منذ الطفولة بلا سبب، وكان كلامهم مفرحاً لقلبي طوال الوقت، فجمعت كلامهم قدر استطاعتي على أمل أن «المرء مع من أحب»، لأن هذا النوع من الكلام قد اختفى كلية في هذا الزمان، ولبس المدعون لباس أهل المعاني، وعز العارفون كالكبريت الأحمر، كما قال الجنيد للشبلي (رحمة الله عليهما): «إذا وجدت من يوافقك على كلمة مما تقول فتمسك به». سبب آخر هو: إنني مثلما أرى فقد حل زمان «الخير فيه شر» ونسي فيه أشرار الناس أخيار الناس، فأعددت تذكرة للأولياء، وأسميت هذا الكتاب «تذكرة الأولياء» حتى لا ينسى أهل الخسران في هذا الزمان أهل السعادة، ويسعون إلى أهل الاعتكاف والخلوة، ويرغبون في وصالهم حتى ينعمون بالسعادة الأبدية في ظل سعادتهم. سبب آخر هو: أنه لما كان هذا الكلام (كلام الأولياء) هو أفضل كلام لعدة أسباب هي: أولاً: أنه يحقر الدنيا في عين الرجل، ثانياً: يذكره بالآخرة، ثالثاً: يغرس في قلب الرجل محبة الحق، رابعاً: عندما يسمع الرجل هذا النوع من الكلام يعد العدة لطريق لا نهاية له، لذا كان جمع مثل هذا الكلام من جملة الواجبات. ويمكن القول: إنه ليس هناك أفضل من هذا الكتاب في الدنيا، لأن كلامهم شرح للقرآن والأخبار وهما أفضل الكلام. ويمكن القول: إن هذا الكتاب يجعل المخنثين رجالاً، والرجال شجعانا والشجعان أفراداً والأفراد عين المعاناة وشرط على من يقرأ هذا الكتاب أن يدرك أي معاناة في أرواحهم (الأولياء) بحيث جعلت مثل هذه الأفعال والأقوال تنبعث من قلوبهم. وقد دخلت يوماً على الإمام مجد الدين الخوارزمي فرأيته يبكي، قلت: خير، قال: ما أطيب قادة كانوا في هذه الأمة بمثابة الأنبياء (عليهم السلام) «فإن علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ثم قال: أبكي لأنني قلت البارحة: يا إلهي، أن أمرك لا علة له فاجعلني من هؤلاء

القوم أو من المشمولين بالرعاية منهم، فإننى لا أطيق القسم الآخر وأبكى لأنه ربما يكون قد استجاب لى، وسبب آخر هو: أن ينظر فى أمر هذا العاجز نظرة شفاعة غداً، وألا يعيدوننى يائساً مثل كلب أصحاب الكهف وإن كانوا جميعاً يملكون العظم. يروى: أن جمال الموصلى (رحمة الله عليه) كان يبذل الدم زمنا ويضحى بالروح، وينفق المال والجاه، حتى دفن إلى جوار روضة سيد الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)، وعندئذ أوصى (قائلاً) أكتبوا على شاهد قبرى «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» وأنا أيضاً أدعى محبة أحبائك، إلهى مع أننى لست أى شخص من المعنيين بهذا الكلام، لكننى محب لهم، فبحق أرواح الأنبياء والأولياء والعلماء الطاهرة لا تحجبنى أنا الغريب العاجز عن هؤلاء القوم، ولا تحرمنى من رعايتك لهم، واجعل هذا الكتاب سبب قرب لك لابعد عنك، إنك ولى الإجابة.

الآن نذكر أسماء هؤلاء المشايخ المذكورين فى هذا الكتاب، وبعد ذلك نبدأ فى شرح مقاماتهم وكراماتهم وأحوالهم بعون الله تعالى.

فهرست الكتاب

وذكر أولياء الله قدس الله أرواحهم

قدس الله أرواحهم. بعد ذلك نبدأ بتوفيق الله تعالى بمقامات الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه .

ذكر ابن محمد جعفر الصادق[1] عليه السلام

هو سلطان الملة المصطفوية، وبرهان الحجة النبوية، هو العامل الصديق، وعالم التحقيق، هو منية قلب الأولياء، وفلذة كبد الأنبياء، هو ناقد علي[2]، ووارث النبي، هو العارف العاشق جعفر الصادق رضي الله عنه.

كنا قد قلنا: إن نذكر الأنبياء والصحابة وأهل البيت، يلزمنا أن نعد كتابا مستقلا. (لكن) هذا الكتاب هو شرح للأولياء الذين قد خلفوهم.

لكننا نبدأ بالصادق تبركاً، ولأنه قد خلفهم أيضا.

ولما كان من أهل البيت، وقد كثرت الأقوال عن طريقته، والروايات عنه، نورد عدة كلمات له. ولأنهم جميعا متساوون، عندما يرد ذكر له يكون ذكراً للجميع. ألا ترى أن القوم الذين يعتنقون مذهبه، (هم قوم) يعتنقون مذهب اثنى عشر إماماً. أى أن الواحد هو اثنا عشر والاثنا عشر واحد.

إن أصفه فقط، لا تستقيم (صفته) بلساني وعبارتي، لأنه كان كاملاً في جملة العلوم والإشارات والعبارات بلا مبالغة. وكان قدوة لجملة المشايخ، واعتمدوا جميعا عليه، فكان المقتدى المطلق (لهم). وكان أيضاً شيخاً للربانيين، وإماماً للمحمديين، وهادياً لأهل الذوق ومرشداً لأهل العشق، ومقدماً لدى العباد، ومكرماً لدى الزهاد وكان أيضاً مصنفاً للحقائق، وفريداً في لطائف

التفسير وأسرار التنزيل. وقد نقل أقوالاً كثيرة عن باقر رضي الله عنه. وأعجب من أولئك القوم الذين يظنون أن لأهل السنة والجماعة اختلافا عن أهل البيت إلا أنه حقيقة يجب أن يقال لأهل السنة والجماعة أهل البيت.

وأنا لا أعتقد أن شخصاً وقد سيطر عليه الخيال الباطل، ما أعتقده، أن كل من يؤمن بمحمد ولا يؤمن بأبنائه فهو لا يؤمن بمحمد.

حتى إن الشافعى قد أحب أهل البيت لدرجة أنه نسب إلى الرافضة[٣] وحبس. وقد قال شعراً فى هذا المعنى وهذا بيت (منه):

لو كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافض

ولو أن معرفة آل الرسول وأصحابه ليست من أصول الإيمان فإن كثرة الفضول الذى لا يفيد لا بأس به ـ كما تعلم ـ إن علمته أيضا بل إن الإنصاف هو طالما أنك تعلم أن محمداً هو ملك الدنيا والآخرة، فيجب أن تعلم أن لوزرائه مكانته ولأصحابه ولأبنائه أيضاً. فبذلك تكون سنياً طاهراً ولا يكون لك شأن بأى فرد من خاصة الملك (أتباع رسولك).

مثلما سئل أبو حنيفة[٤] رضي الله عنه عن خاصة النبى ﷺ، أيهم أفضل؟ قال: الصديق والفاروق من الشيوخ، وعثمان وعلى من الشباب، وعائشة من النساء، وفاطمة من الفتيات (رضى الله عنهم أجمعين).

يروى: أن الخليفة المنصور[٥] قال للوزير ذات ليلة: اذهب، واحضر الصادق، كى أقتله، قال الوزير: إنه قد جلس فى زاوية، واعتزل، وانشغل بالعبادة، وقصر يده عن الملك. وليس هناك ضرر منه على أمير المؤمنين فما هى الفائدة من قتله؟ ومهما تحدث لم يجد قوله، فذهب الوزير فى طلب الصادق، وقال المنصور للغلمان: عندما يدخل الصادق، وأرفع العمامة عن

رأسي، اقتلوه. أحضر الوزير الصادق، فهب المنصور في الحال، وتقدم مسرعاً نحو الصادق وأجلسه في الصدارة وجلس أمامه راكعا. فتعجب الغلمان. ثم قال المنصور: ماذا تريد؟ قال الصادق: ألا تستدعيني أمامك، وتتركني في طاعة الله، فأصدر أمراً (بذلك). وأرسله في إعزاز تام. في الحال، اعترت المنصور رعشة فسحب الملاءة على رأسه، وفقد وعيه. يقال: مرت عليه ثلاث صلوات، وعندما عاد إلى رشده، سأله الوزير: أي حال تلك؟ قال: عندما دخل الصادق من الباب، رأيت ثعباناً كان معه، وضع إحدى شفتيه تحت الصفة والأخرى فوقها، وقال لي بلسان حاله: إن تؤذه، أبتلعك وهذه الصفة، فلم أعرف ما أقول خوفاً من ذلك الثعبان، فطلبت المعذرة منه، وهكذا فقدت وعيي(٦).

يروى: أن داود الطائي(٧) مثل ذات مرة أمام الصادق، وقال: يا ابن رسول الله: عظني، فقد أظلم قلبي، قال يا أبا سليمان، أنت زاهد الزمان، فأي حاجة لك بموعظتي؟ قال: يا ابن الرسول، لك الفضل على كل الخلائق، وعظة الجميع واجبة عليك. قال يا أبا سليمان، أخاف أن يطرق جدي بابي في القيامة (قائلاً) لماذا لم تؤد حق متابعتي؟ إن هذا الأمر لا يكون صحيحا بالنسب وقويا به، هذا الأمر يكون بالمعاملة اللائقة بحضرة الحق. فبكى داود، وقال يا إلهي، ذلك الذي معجون طينته من ماء النبوة، وتركيب طبيعته من أصل البرهان، وحجته جده الرسول، وأمه البتول، وهو في هذه الحيرة! فأنى لداود أن يزهو بحاله.

يـــروى: أنه كان قد جلس ذات يوم مع مواليه، وقال لهم: تعالوا، حتى نتبايع، ونتعاهد، بأن كل من ينجو منا يوم القيامة، يشفع للجميع، فقالوا: يا ابن رسول الله، أي حاجة لك بشفاعتنا؟ إن جدك شفيع جملة الخلائق، فقال الصادق: أخجل أن أنظر في وجه جدي يوم القيامة بأفعالي هذه.

يروى : أن جعفر الصادق اختلى مدة، ولم يخرج، فدخل سفيان الثورى[٨] داره، وقال : الناس محرومون من فوائد أنفاسك. فلماذا اعتزلت؟ أجاب الصادق، الحال السائد الآن، «فسد الزمان وتغير الإخوان» وأنشد هذين البيتين:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب والناس بين مخايل ومآرب

يفشون بينهم المودة والوفا وقلوبهم محشوة بعقارب

يروى : أنهم رأوا الصادق، وكان قد ارتدى خزاً ثميناً، فقالوا: يا ابن رسول الله، «ليس هذا من زى أهل بيتك» فأخذ بيد رجل منهم وأدخلها فى كمه، فكان قد ارتدى مرقعة خشنة، أخذ يوخز بها يد الرجل، وقال: «هذا للحق وهذا للخلق».

يروى : أنهم قالوا للصادق: تتحلى بكل الفضائل: الزهد، وكرم الباطن، وقرة العين، والإنتساب إلى أسرة شريفة، ولكنك متكبر جداً، قال: إننى لست متكبراً لكن الكبر كبرياء، إننى عندما أطحت بالكبر عن رأسى، ساد كبرياؤه هو، وحل محل كبرى. فلا يجوز لى أن أتكبر بكبرى، لكن بكبريائه هو.

يروى : أن الصادق سأل أبا حنيفة، من العاقل؟ فقال: من يميز بين الخير والشر، فقال الصادق: تستطيع البهائم أيضا أن تميز بين من يضر بها، ومن يمنحها العلف، فقال أبو حنيفة (إذن): من العاقل فى رأيك؟ قال: من يميز بين خيرين وشرين، حتى يختار من الخيرين خير الخيرين، ومن الشرين خير الشرين.

يروى : أن كيس ذهب كان قد سرق من أحد الرجال، فتعلق ذلك الرجل بالصادق (قائلا) أنت الذى سرقته، ولم يكن يعرفه، فقال الصادق: كم كان مقداره؟ قال: ألف دينار، فحمله إلى الدار، ومنحه ألف دينار، وبعد ذلك عثر

الرجل على ذهبه. فحمل الذهب إلى الصادق، وقال: كنت قد أخطأت، قال الصادق: لا نسترد ما منحناه، بعد ذلك سأل الرجل شخصاً من يكون (هذا الرجل)؟ فقيل له: جعفر الصادق، فخجل الرجل، ومضى.

يروى: أن الصادق كان يسير ذات يوم في طريق بمفرده، وهو يقول: الله الله، وكان عارف يتبعه، ويردد معه: الله الله. فقال الصادق: يا إلهي، ليست لدي جبة، يا إلهي، لا أملك رداء، وفي الحال، ظهرت مجموعة ملابس جميلة، ارتداها جعفر، فتقدم ذلك العارف، وقال: أيها السيد: شاركتك في قول «الله»، فامنحني (خرقتك) البالية فسر الصادق، ومنحه تلك الخرقة البالية.

ويروى: أن رجلا مثل أمام الصادق، وقال: أظهر الله لي، فقال: ألم تسمع بعد، أنه قال لموسى: «لن تراني»، قال: بلى، لكن هذه هي ملة محمد الذي يهتف مرة، «رأى قلبي ربي». ويصيح أخرى، «لم أعبد ربا لم أره»[٩]. فقال الصادق: قيدوه، والقوه في دجلة، فقيدوه، والقوه في دجلة، فابتلعه الماء، وقذف به ثانية، فقال: يا ابن رسول الله، الغوث الغوث، فقال الصادق: أيها الماء، ابتلعه، فابتلعه ثم لفظ به، وقال: يا ابن رسول الله، الغوث، الغوث، قال: ابتلعه، وعلى هذا النحو مضى يقول للماء عدة مرات: ابتلعه، فكان يبتلعه، وعندما كان يعيده، كان يقول: يا ابن رسول الله، الغوث، الغوث، وعندما يئس من الجميع، وغرق جسده كله، ويئس من الخلائق، عندما رفعته المياه هذه المرة قال: يا إلهي، الغوث، الغوث، فقال الصادق: أخرجوه، فاخرجوه، وتركوه برهة، حتى قر قراره ثانية. ثم قال الصادق أرأيت الحق؟ قال: منذ طرقت باب الغير حجبت (عنه)، عندما لجأت إليه كلية، وصرت مضطراً، فتحت طاقة داخل قلبي، نظرت منها، فرأيت كل ما كنت أبحث عنه، ولولا الاضطرار، لما كان ذلك.

«أمن يجيب المضطر إذا دعاه»[١٠]، قال الصادق: عندما كنت تنادى الصادق كنت كاذباً والآن احفظ تلك الطاقة، لأن العالم الإلهى قابع فيها.

وقال: كل من يقول الله على شىء، أو فى شىء، أو من شىء، كان كافراً.

وقال: كل معصية كان أولها خوف وآخرها عذر تقرب العبد إلى الحق.

وقال: كل طاعة كان أولها أمن وآخرها عجب تبعد العبد عن الله. لأنه بهذا يصير العبد المطيع بعجب عاصياً بالنسبة للحق، والعاصى بعذر مطيعاً بالنسبة له.

سئل، أيهما أفضل فقير صابر أم غنى شاكر؟ فقال: الفقير الصابر، لأن قلب الغنى يتطلع إلى الحافظة، والفقير قلبه مع الله.

وقال: لا تستقيم العبادة إلا بالتوبة، لأن الحق تعالى قدم التوبة على العبادة، كما قال الله تعالى: «**التائبون العابدون**»[١١]، وقال: إن ذكر التوبة عند ذكر الله غفلة عن الذكر، وذكر الله فى الحقيقة هو: أن ينسى الإنسان كل شىء إلى جانب الله، لأن الله يعوضه عن كل شىء، وقد قال (سبحانه) فى هذا المعنى آية «**يختص برحمته من يشاء**»[١٢]. وقد محا الواسطة والعلل والأسباب حتى يعلمون أن العطاء محض.

وقال: المؤمن من ثبت مع نفسه، والعارف من ثبت مع ربه.

وقال: كل من يجاهد بالنفس، من أجل نفسه، يدرك الكرامات، وكل من يجاهد بالنفس من أجل ربه، يصل إلى الله.

وقال: الإلهام من أوصاف المقبولين، والدليل أن عدم الإلهام من علامات المطرودين.

وقال: أليس الله أكثر خفية فى العبد من سير النملة على حجر أسود فى ليلة مظلمة.

وقال: العشق جنون إلهى لا مذموم، ولا محمود.

وقال: ذلك الوقت الذى انكشف لى فيه سر المشاهدة، خلعوا على صفة الجنون.

وقال: إن من حسن طالع الرجل أن يكون خصمه عاقلا.

وقال: احذر مصاحبة خمسة رجال:

أولاً: الكاذب الذى تكون دائماً منه على غرور.

ثانياً: الأحمق الذى يضرك فى الوقت الذى يريد فيه أن ينفعك دون أن يدرى.

ثالثاً: البخيل الذى يقتطع منك أفضل وقت.

رابعاً: الحقود الذى يتركك ضائعاً عند الشدة.

خامساً: الفاسق الذى يبيعك بلقمة، وبأقل منها، قالوا: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها.

وقال: للحق (تعالى) فى الدنيا جنة وجحيم: الجنة هى العافية، والجحيم هو البلاء، العافية: هى أن تدع أمرك لله، والجحيم: أن تترك أمر الله عليك.

وقال: «من لم يكن له سر فهو مضر» لو كانت صحبة الأعداء ضارة بالأولياء للحق الضرر بآسيا بسبب فرعون، ولو كانت صحبة الأولياء نافعة للأعداء للحقت المنفعة بامرأتى نوح ولوط. ولم يكن ذلك سوى القبض والبسط.

وأقواله كثيرة، وقد ذكرنا عدة كلمات كأساس، وختمناها.

ذكر أويس القرنى[١٣] رضي الله عنه

هو قبلة التابعين، وقدوة الأربعين[١٤]، هو الشمس المحتجبة، هو نفس الرحمن، السهيل اليمنى أويس القرنى رضي الله عنه.

قال النبى ﷺ: «أويس خير التابعين بإحسان وعطف».

كيف يتأتى للسانى مدح شخص كان مادحه هو رحمة للعالمين، ونفسه نفس رب العالمين أحياناً كان سيد الأنبياء (عليهم السلام) يلتفت ناحية اليمن، ويقول: «إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»[١٥]. وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً: يخلق الحق (تعالى) سبعين ألف ملاك يوم القيامة على شاكلة أويس، كى يحمل أويس بينهم إلى الحضرة، ويذهب إلى الجنة، فلا يعرف شخص قط إلا ما شاء الله أيهم أويس؟ لأنه كما كان يعبد الحق فى الدنيا تحت قبة التوارى، وكان يعزل نفسه عن الخلق، يبقى فى الآخرة أيضاً محفوظاً عن أعين الأغيار وفقا للقول: «أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى»[١٦].

وقد ورد فى الأخبار الغريبة: أن سيد الأنبياء (عليهم السلام) يخرج غداً (يوم القيامة) من حجرته فى الجنة، بحيث يطلب (الناس) فرداً، فرداً. فيأتى خطاب: من تريد؟ يقول: أويس، فيأتى نداء: لا تحزن فإنك كما لم تره فى

الدنيا، لن تراه هنا أيضا. فيقول: يا إلهى، أين هو؟ فيصل الأمر الإلهى: فى مقعد[١٧] صدق». يقول: ألا يرانى؟ فيصل الأمر الإلهى: لماذا يراك شخص يرانا؟

وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً: فى أمتى رجل سيشفع لعدد يساوى عدد شعر أغنام[١٨] ربيعة ومضر فى يوم القيامة[١٩]، وكما يقال: لم يكن لأى قبيلة فى العرب مثل عدد الأغنام التى كانت لهاتين القبيلتين. فقال الصحابة: من يكون هذا؟ قال: عبد من عبيدالله. فقالوا: كلنا عبيد ما اسمه؟ قال: أويس، قالوا: أين يكون؟ قال: بقرن، قالوا أهو قد رآك؟ قال: لم يرنى بالعين الظاهرة بعد، فقالوا: يا للعجب، (أيكون) عاشقاً لك هكذا، ولم يسرع إلى خدمتك بعد؟ قال: لسببين: أولهما: غلبة الحال، والآخر: تعظيم شريعتى، فإن أمه عاجزة، مؤمنة، ضريرة، مقعدة[٢٠]. وفى النهار يعمل أويس بالرعى، وينفق أجره على حوائجه وعلى أمه، قالوا: أتراه؟ فقال للصديق: لن تراه فى عهدك، لكنه قال للفاروق والمرتضى (رضى الله عنهما) أنتما سوف تريانه. وهو رجل غزير الشعر، وعلى جانبه الأيسر وكف يده بياض بحجم درهم؛ وهو ليس بياض برص. وعندما تلقياه، أبلغاه سلامى، وقولا له: أدع لأمتى.

وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً: «أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء»[٢١]. فقال البعض: يا رسول الله، لانجد هذا بيننا. فقال السيد ﷺ: إنه راع فى اليمن يقال له أويس، اتبعوه.

يروى: أن سيد الأنبياء (عليهم السلام) عندما قارب الوفاة، قالوا: يا رسول الله، لمن تمنح مرقعتك؟ قال: لأويس القرنى، وعندما قدم الفاروق والمرتضى إلى الكوفة بعد وفاة النبى، قال الفاروق ضمن الخطبة: يا أهل نجد، قوموا، فقاموا. فقال: أبينكم شخص من قرن؟ قالوا: بلى، وأرسلوا إليه قوما، سألهم

الفاروق رضي الله عنه عن أخبار أويس، فقالوا: لا ندرى قال عمر: قد أخبرنى صاحب الشرع عنه، وهو لا يتحدث عبثاً. لعلكم لا تعرفونه، فقال أحدهم: هو أحقر شأناً من أن يطلبه أمير المؤمنين، فهو مجنون أحمق، ومعتزل عن الخلق، فقال: إننى أريده، أين هو؟ فقالوا: في وادى عرنه(٢٢)، يرعى الإبل فى ذلك الوادى، فنعطيه أجره ليلا وهو هائم، لا يأتى إلى المناطق العامرة، ولا يتحدث مع أحد، لا يأكل ما يأكله الناس، ولا يعرف الحزن والفرح، يبكى عندما يضحك الناس، ويضحك حين يبكون. قال: أريده.

ثم اتجه الفاروق والمرتضى (رضى الله عنهما) إلى ذلك المكان، فرأياه قائماً يصلى، وكان الحق (تعالى) قد خصه بملك يرعى إبله. وحين سمع صوت حركة آدمية، قصر الصلاة، وعندما سلم، نهض الفاروق وسلم عليه، فرد عليه السلام قال الفاروق: ما اسمك؟ قال: عبد الله، قال عمر: كلنا عباد الله، ما هو الاسم الخاص بك؟ قال: أويس، قال: أرنى يدك اليمنى، فأظهرها له، فرأى البياض الذى كان الرسول ﷺ قد أشار إليه، فقبل يده، وقال له: قد أبلغك الرسول ﷺ السلام، وقال: ادع لأمتى، فقال: أنت أولى بالدعاء لجميع المؤمنين، فليس هناك شخص أعز منك على وجه الأرض. فقال الفاروق: إننى أفعل هذا الأمر، فنفذ أنت وصية الرسول ﷺ. قال: يا عمر لعله غيرى، فقال: قد أشار النبى إليك: فقال أويس: امنحنى مرقعة النبى، كى أدعو، فمنحاه المرقعة، ثم قالا: ارتديها وادع، فقال: أصبر حتى أدعو بشىء، ولم يرتديها، ومضى بعيداً عنهم، وألقى بتلك المرقعة، وسجد على الأرض، وهو يقول: يا إلهى، لا أرتدى هذه المرقعة، ما لم تهبنى أمة محمد كلها، فقد حولها نبيك إلى هنا، وهو رسول الفاروق والمرتضى. يا إلهى إنهما أديا ما عليهما، الآن الأمر لك. جاءه خطاب: منحتك كثيراً، أرتد المرقعة، فكان يقول: لا، اريد الجميع. فجاءه خطاب ثانية: أمنحك عدة آلاف أخرى، فارتد المرقعة، فكان يقول: أريد

الجميع. وهكذا كان يقول فى المناجاة ويسمع حتى نفذ صبر الصحابة؛ فذهبا إليه ليعرفا ماذا يفعل، ووصلا إليه، ولما رآهما أويس قال: آه، لماذا جئتما؟ لو لم يكن مجيئكما هذا، لما كنت ارتديت المرقعة، لأننى لم أكن أريد أمة محمد كلها، (لكن) يجب أن أصبر.

رآه الفاروق، مشتملاً بمرقعته، عارى الرأس والقدم، فرأى ثراء ثمانية عشر ألف عالم تحت تلك المرقعة، فضاق بنفسه وبخلافته، وقال: من يبتاع هذه الخلافة منى برغيف؟ قال أويس: شخص لا يعقل، فالق بما تبيعه حتى يحمل كل شخص ما يلزمه. أى جدوى للبيع والشراء فى ذلك! فصاح الصحابة: الأمر الذى قبلته من الصديق أمر يخص آلاف مؤلفة من المسلمين ولا يمكن التفريط فيه، ويوم عدل لك يسمو على ألف عام عبادة. فارتدى أويس المرقعة، وقال: منح من أمة محمد ﷺ ما يعادل شعر إبل ربيعة ومضر وأبقارها وأغنامها من بركات هذه المرقعة(٢٣).

وهنا يمكن لشخص أن يظن أن أويس كان مقدماً على الفاروق. وليس الأمر هكذا، ولكن التجريد كان خاصية أويس، وحظى الفاروق بذلك كله، وكان يريد التجريد أيضاً. كما كان سيد الأنبياء ﷺ يطرق أبواب العجائز (قائلا): تذكرن محمداً بالدعاء. فجلس المرتضى صامتاً، فقال الفاروق: لماذا لم تأت يا أويس كى ترى الأعظم؟ قال: أرأيتماه أنتما إذن، قالا: بلى، قال: لعلكما رأيتما جبته لو أنكما رأيتما إياها فقولا: هل كان حاجباه معقودين أم منبسطين؟ ويا للعجب كانا قد شاهداها عدة مرات لكنهما لم يستطعا أن يحددا شكلاً لها بسبب الهيبة التى كانت له. قال: أأنتما صاحبا محمد؟ قالا: بلى، قال: لو أخلصتما فى محبته، فلماذا لم تكسرا أسنانكما فى ذلك اليوم الذى انكسرت فيه أسنانه المباركة بحكم الموافقة، لأن شرط المحبة الموافقة، ثم أظهر أسنانه فإذا به ليس

لديه سنة واحدة في فمه، وقال: وافقته بصورة خفية، لأن الموافقة من الدين. فذاب الاثنان رقة، وعلما أن الموافقة مقام، والأدب مقام آخر. فهو لم يكن قد رأى الرسول (ولكن) ينبغي على الفاروق أن يتعلم منه. ثم قال الفاروق: ادع لي يا أويس، فقال: لا أهواء في الإيمان، قد دعوت، وأتشهد في كل صلاة قائلاً: «اللهم أغفر للمؤمنين والمؤمنات»، إن ذهبت إلى القبر بإيمانك كاملا، تجد الدعاء، وإلا فأنني لا أضيع الدعاء. فقال الفاروق: عظني، قال: أتعرف الله يا عمر؟ قال : أعرفه، قال: لو أنك لا تعرف سوى الله، أفضل لك. قال عمر: زدني، فقال: أيعرفك الله ياعمر؟ قال: يعرفني. قال: لو ما عرفك سوى الله، أفضل لك، فقال الفاروق: انتظر حتى أحضر شيئاً لك يا أويس ووضع يده في جيبه، وأخرج درهمين، وقال قد اكتسبتهما من الرعي، (فقال أويس) : لو تضمن لي أن أعيش طويلا حتى آكل بهما، عندئذ آخذها. مضت فترة، ثم قال: تعبتما، ارجعا، فإن القيامة قريبة، وعندئذ لنا لقاء حيث لا مجال للعودة، وإنني مشغول الآن بإعداد زاد طريق القيامة.

عندما عاد أهل قرن من الكوفة، ظهرت لأويس بينهم حرمة وجاه، ولم يكن يطيق هذا، ففر من هناك، وذهب إلى الكوفة، ولم يره شخص بعد ذلك إلا هرم بن حيان[٢٤] رضي الله عنه [٢٥]. قال هرم: عندما سمعت ذلك الحديث، وإلى أي حد كانت درجة شفاعة أويس، غلبتني رغبة في رؤيته، فذهبت إلى الكوفة وبحثت عنه، حتى وجدته على شاطىء الفرات كان يتوضأ، ويغسل ثيابه، فعرفته لأنني كنت قد سمعت بأوصافه سلمت فأجاب السلام، ونظر إلي، فأردت أن أصافحه، فلم يصافحني، قلت: رحمك الله يا أويس، وغفر لك، كيف حالك؟ وغلبني البكاء بسبب محبته وشفقتي عليه لضعفه، فبكى أويس أيضا، وقال: حياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي؟ ومن دلك على الطريق؟ فقلت كيف عرفت اسمي واسم أبي؟ وبما عرفتني؟ ولم ترني قط!

قال: نبأني العليم الخبير الذى لا يبعد شيء عن علمه وخبره، وعرفت روحى روحك، فإن أرواح المؤمنين تتآلف مع بعضها البعض، وإن لم تكن قد رأت بعضها البعض. فقلت: قص لي شيئاً عن الرسول ﷺ، فقال: إنني لم أدركه، وقد سمعت أخباره من الآخرين، ولا أريد أن أفتح سبيل الحديث على نفسي وأكون مفتياً، ومذكراً، إنني مشغول، لا أقوم بهذا. فقلت: اتل على آية (من القرآن)، أسمعها منك، فأمسك بيدى وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وبكى منتحباً، ثم قال: هكذا يقول الله جل جلاله: «وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون» «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عبين ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون» «حتى إنه هو العزيز الرحيم». عندئذ صاح صيحة، فظننته فقد صوابه، ثم قال: يا ابن حيان ما أتى بك إلى هنا؟ فقلت: حتى آنس بك، وأستكين إليك. قال: لم أعرف شخصاً قط عرف الله، ويستطيع أن يأنس بأى شيء آخر (دونه). قال هرم: عظنى فقال أويس: ضع الموت تحت الوسادة حين تنام، وأمام العين حين تستيقظ، ولا تستصغر الذنوب، أنظر إلى ضخامتها، لأنك تصير عاصياً بها، فإنك إن استصغرت ذنباً فإنك تستهين بالله، وإن استعظمته، فإنك تعظم الله. قال هرم: أين تأمر أن أقيم؟ قال: فى الشام، فقال: وكيف تكون المعيشة هناك؟ فقال أويس «أف لهذه القلوب قد خالطها الشك ولا تنفعها الموعظة».

قلت: عظنى عظة أخرى، فقال يا ابن حيان، مات أبوك، ومات آدم وحواء، مات نوح وإبراهيم الخليل، ومات موسى بن عمران، ومات داود خليفة الله، ومات محمد (رسول الله)، ومات خليفته أبو بكر، ومات أخى عمر، ومات حبيبى. واعمراه، واعمراه. فقلت: رحمك الله، لم يمت عمر بعد. فقال: نعاه الحق تعالى لى، ثم قال: أنا وأنت من جملة الموتى، وأدى الصلاة، ودعا ما تيسر من الدعاء، وقال: وصيتى هى: أن تعمل بكتاب الله، وتسلك طريق أهل

الصلاح، ولا تغفل لحظة عن ذكر الموت، وعندما تصل إلى قومك انصحهم، ولا تمنع النصيحة عن خلق الله، ولا تحد خطوة عن موافقة الجماعة، لأنك حينئذ تصير بلا دين، وأنت لا تعلم، وتقع في الجحيم. ودعا عدة أدعية. وقال: أنت ذاهب يا هرم بن حيان أيضاً ولن تراني، ولن أراك، وتذكرني بالدعاء، كي أتذكرك أنا أيضا، وأذهب أنت من هذه الناحية، وأنا من تلك. قال: أردت أن أمشي معه برهة، فأبى ومضى، وكان يبكي، فحملني على البكاء، وكنت أتابعه بنظرى، حتى نزل بحي، ولم أعرف عنه شيئاً بعد ذلك، وقال: أغلب الكلام الذى قاله لي كان عن الأميرين الفاروق والمرتضى (رضى الله عنهما)[٢٦].

ويقول الربيع بن خثيم[٢٧]: ذهبت لأرى أويس، وكان يصلى الفجر، وعندما فرغ، قلت: أصبر حتى ينتهى من التسبيح، فأبطأت، فلم ينهض من مكانه حتى أدى صلاة الظهر والعصر، والخلاصة أنه لم يفرغ من الصلاة ثلاثة أيام بلياليها، ولم يأكل أو ينم قط (خلالها) وفي الليلة الرابعة كنت أنصت إليه، (وحدث أن) غلبه النوم فناجى الحق فى الحال، وقال: يا إلهى، أعوذ بك من عين كثيرة النوم وبطن نهمة. فقلت: يكفينى هذا ولم أزعجه وعدت.

يروى: عن أويس أنه لم ينم الليل أبداً طوال عمره، فكان يقول فى ليلة: هذه ليلة القيام، ويقول فى ليلة أخرى: هذه ليلة الركوع، وفى ليلة تالية: هذه ليلة السجود. فكان يمضى ليلة فى القيام، وليلة فى الركوع، وليلة فى السجود[٢٨]. قالوا: يا أويس، كيف تستطيع (أن تمضى) ليلة بهذا الطول على حال واحد. فقال: إننا لم نكد نقل سبحان ربي الأعلى مرة واحدة فى السجود حتى ينبلج النهار، والتسبيح ثلاث مرات سُنة. إننى أفعل هذا لأننى أريد أن أتعبد مثل أهل السماء.

سـئل: ما هو الخشوع في الصلاة؟ فأجاب: من إذا ضرب بحربة على جانبه وهو في الصلاة لا يعلم خبرها. قالوا: كيف حاله؟ قال: كشخص يستيقظ في الصباح ولا يعرف هل سيعيش إلى المساء أم لا. قالوا: وكيف يتحقق هذا الأمر؟ قال: واقلة زادى واطول طريقاه.

وقـال: إن تعبد الله (تعالى) عبادة قدرها السموات والأرض، لايقبلها (منك) ما لم تصدقه (فيها). قالوا: وكيف نصدقه؟ قال: بألا تأمن بما كتبه لك، ولا ترى نفسك فارغاً طالما لا تنشغل بشيء آخر في عبادته.

وقـال: كل من يحب ثلاثة أشياء كانت جهنم أقرب إليه من حبل الوريد: تناول الطعام الطيب، وارتداء اللباس الحسن، والجلوس مع الأغنياء: قالوا لأويس رضي الله عنه: على مقربة منك رجل منذ ثلاثين عاما، حفر قبراً، وعلق كفناً، وجلس أمامه، وهو يبكي، ولا يهدأ ليلاً ولا نهاراً. قال أويس: إحملوني إلى هناك، لأراه، فاصطحبوه إليه، فرآه ذابلاً، نحيفا، غائر العينين بسبب البكاء. فقال له: يا فلان شغلك القبر عن الله. أيها الرجل، شغلك القبر والكفن عن الله ثلاثين عاماً، وانشغلت بهما، فأصبحا وثنا طريقك، فأدرك الرجل تلك الآفة في نفسه على هدى أويس، وانكشف الحال له، فصاح صيحة، وسقط في ذلك القبر، وأسلم الروح. ولو أن القبر والكفن سوف يكونان حجابين فانظر ما هي حجب الآخرين وكم يبلغ عددها؟!

يروى: أن أويس ذات مرة لم يكن قد أكل قط طيلة ثلاثة أيام بلياليها، وفي صباح اليوم الرابع، خرج، كان دينار من الذهب ملقى في الطريق، فقال: ربما يكون قد وقع من شخص، والتفت، ليقطف عشبا من الأرض ويأكله، فرأى كبشاً قادماً يمسك بفمه رغيفاً ساخناً، وضعه أمامه فقال: ربما كان قد اختطفه من شخص ما، وأشاح بوجهه. فتحدث الكبش قائلاً: أنا عبد من أنت عبده،

فخذ رزق الله من عبد الله. قال (أويس): مددت يدى لآخذ الرغيف، فرأيت الرغيف في يدى، واختفى الخروف.

إن محامده كثيرة، وفضائله وفيرة، فى البداية، قد ذكره الشيخ أبو القاسم الجرجانى(٢٩) رضي الله عنه، حين كان يقول: أويس، أويس، أويس، هم يعلمون قدره.

ومن أقواله أنه قال: من عرف الله لا يخفى عليه شىء، ومعنى آخر هو من عرف من هو، هو العارف. ومعنى آخر هو: كل من عرف الأصل، كانت معرفة الفروع سهلة عليه، لأنه ينظر إلى الفروع بعين الأصل. ومعنى آخر هو: يمكن معرفة الله بالله لأن عرفت ربى بربى، فكل من يعرف الله بالله، يعرف كل شىء.

وقوله: السلامة فى الوحدة، والوحدة هى أن يكون الفرد فى وحدة، والوحدة لا تتسع للغير، حتى تتحقق السلامة، ولا يصح أن تتخذ الوحدة صوريا لأن: «الشيطان أبعد من الاثنين»(٣٠) حديث.

وقوله: عليك بقلبك، أى عليك أن تستحضر قلبك دائماً، كى لا يجد الغير سبيلا إليه.

وقوله: طلبت الرفعة فوجدتها فى التواضع، وطلبت الرياسة فوجدتها فى نصيحة الخلق، وطلبت المروءة فوجدتها فى الصدق، وطلبت الفخر فوجدته فى الفقر وطلبت النسبة فوجدتها فى التقوى، وطلبت الشرف فوجدته فى القناعة، وطلبت الراحة فوجدتها فى الزهد، ومعانى هذا الكلام معروفة ومشهورة.

يروى: أن جيرانه قالوا، إننا كنا نعده من المجانين، وفى نهاية الأمر، عرضنا عليه أن نبنى له داراً بجانب ديارنا، فكان يقيم فيه عاماً أو عامين، ولم يكن يظهر له وجه، كان طعامه فى الإفطار أنه كان يقطف سبطة من التمر،

كان يبيعها ليلاً، وينفقها على قوته، ليفطر به، وإن وجد التمر يابساً، كان يحتفظ به، حتى يفطر به، وإن وجد التمر اليابس كثيراً، كان يبيعه، ويتصدق بثمنه. وكان رداؤه خرقة بالية، كان يلتقطها من سلال المهملات، وينظفها، ويوصلها (يحيكها مع بعضها البعض) ويرتديها. يا للعجب، يرتفع النفس الرباني من بين مكان كهذا.

كان يخرج عند صلاة الصبح، ويعود بعد صلاة العشاء. وفي كل ناحية كان ينزل بها، كان الأطفال يضربونه بالحجارة، فكان يقول: إن قدمي هزيلة، احملوا حجارة أصغر، حتى لا تنكسر قدمي، وتنزف الدماء، وحتى لا أعجز عن الصلاة، فغايتي هي الصلاة لا القدم.

هكذا قالوا: أن بياضاً ظهر عليه في آخر عمره، وكان في ذلك الوقت يحارب مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في صفين، حتى قتل. عاش وحيداً ومات شهيداً رضي الله عنه .

اعلم أن هناك قوما يسمون أويسيين، ولا حاجة لهم بشيخ، لأن النبوة تربيهم في حجرها دون واسطة الغير، كما منحها لأويس، بالرغم من أنه لم ير سيد الأنبياء في الظاهر، لكنه كان يتلقى التربية منه، فكانت ترعاه النبوة. وفي الحقيقة كان ملازماً لها، وهذا هو المقام العظيم العالي. فمن يرسل إلى هناك؟ ولمن تؤول هذه العظمة؟! «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(٣١)».

ذكر الحسن البصرى[٣٢] رحمة الله عليه

هو ربيب النبوة، ومعتاد الفتوة، هو كعبة العمل والعلم، وخلاصة الورع والحلم، هو السابق إلى صاحب الصدارة، صدر السنة الحسن البصرى رضي الله عنه .

مناقبه كثيرة، ومحامده وفيرة، كان صاحب علم ومعاملة، وكان الحزن والخوف من الحق قد شمله بصفة دائمة، وكانت أمه من موالى أم سلمة، وعندما كانت تنشغل بأمر، كان الحسن يبكى، فكانت أم سلمة (رضى الله عنها) ترضعه ثديها، فيمتصه، فتظهر عدة قطرات من اللبن، وآلاف البركات التى أظهرها الحق عليه ـ كلها من أثر لبن أم سلمة[٣٣][٣٤] .

يروى: أن الحسن عندما كان طفلا، شرب ماء ذات يوم من قدح الرسول ﷺ فى دار أم سلمة، فقال النبى ﷺ من شرب هذا الماء؟ قالوا: الحسن قال: إن علمى يسرى إليه بقدر ما شرب من هذا الماء.

يروى: أن الرسول ﷺ دخل دار أم سلمة ذات يوم، فوضعوا الحسن فى طرفه، فدعا له الرسول ﷺ وكل ما أدركه، أدركه ببركات دعائه.

يروى: أن الحسن عندما ولد، أحضروه أمام عمر، فقال: «سموه حسناً فإنه حسن الوجه» قبلت أم سلمة (رضى الله عنها) تربيته والتعهد به، وبحكم الشفقة

التى أشفقتها عليه ـ ظهر لبنها، وكانت دائماً تقول: «اللهم إجعله إماماً يقتدى بـه».

وكان قد أدرك مائة وثلاثين رجلاً من الصحابة، وعمر سبعين بدراً. وقد كانت إرادته لعلى (رضى الله عنهما)، ورجع إليه فى العلوم. وأخذ الطريقة منه.

كانت بداية توبته، أنه عندما كان بائع جواهر، وكان يسمى الحسن اللؤلؤى، ويتاجر فى بلاد الروم، ويتعامل ﷺ مع أمراء القيصر ووزرائه توجه ذات مرة إلى الروم، وذهب إلى الوزير، وتحدث (معه) فترة ، فقال الوزير، إننا سوف نمضى إلى مكان ما فهل ترافقنا؟ قال: كما تريد، أرافقكم فأمر فأحضروا جواداً للحسن، ركبه مع الوزير ومضى، عندما وصلا إلى الصحراء، رأى الحسن خيمة منصوبة من الحرير الرومى، مثبتة فى الأرض بالحبال الحريرية والأوتاد الذهبية. وقف الحسن فى ناحية، عندئذ خرجت عدة فرق جرارة من الجنود مرتدية جميعها معدات الحرب، والتفت حول تلك الخيمة، وقالت شيئاً، وانصرفت. عندئذ وصل ما يقرب من أربعمائة من الفلاسفة والكتاب، والتفوا حول تلك الخيمة، وقالوا شيئا، وانصرفوا. بعد ذلك اتجه ثلاثمائة من المشايخ النوارنيين ذوى اللحى البيضاء إلى الخيمة، والتفوا حولها ، وقالوا شيئاً، وانصرفوا. بعد ذلك التفت أكثر من مائتين من الجوارى الجميلات وقد حملت كل منهن وعاء من الذهب والفضة والجواهر حول الخيمة، وقلن شيئاً، وانصرفن. عندئذ دخل كل من القيصر وكبير وزرائه الخيمة، وخرجا، وانصرفا. قال الحسن: ظللت حائراً متعجباً وقلت لنفسى أى حال هذه؟ ولما نزلنا، سألته، فقال: كان لقيصر الروم ولد، يستحيل (أن يكون هناك) آدمى فى جماله، كامل فى أنواع العلوم، فريد فى ميدان البطولة.

عشقه والده بشغاف قلبه وحدث أن مرض فجأة، وعجز جملة الأطباء الماهرين عن علاجه، وفى النهاية توفى، فدفنوه فى تلك الخيمة، وفى كل عام يخرجون مرة لزيارته، أولاً: يطوف جيش جرار حول الخيمة، وهم «يقولون: يا ابن الملك، لو كانت هذه الحال ـ التى اعترتك ـ تنجلى بالحرب، لكنا ضحينا بأرواحنا جميعا كى نستردك، لكن هذه الحال التى اعترتك بيد شخص لا نستطيع أن نحاربه بأى وجه ولا يمكننا مبارزته، يقولون هذا، ويعودون وعندئذ يتقدم الفلاسفة والكتاب، ويقولون: هذه الحال قد فعلها شخص لا يمكن مواجهته قط بالعلم والفلسفة والمعرفة والبحث فجميع حكماء العالم عاجزون أمامه، وكل العلماء جاهلون إلى جانب علمه. وإلا كنا تدبرنا وتناقشنا، فالكافة كانوا يعجزون أمام قدرته، يقولون هذا، ويعودون. عندئذ يتقدم الشيوخ فى حرمة عظيمة، ويقولون: يا ابن الملك، لو كانت هذه الحال ـ التى اعترتك ـ تنجلى بشفاعة الشيوخ، لكنا تشفعنا لك جميعاً وتضرعنا، ولما تركناك هنا، لكن هذه الحال قد أصابتك من شخص لا تجدى معه شفاعة أى عبد. يقولون هذا، وينصرفون. عندئذ تتقدم تلك الجوارى الجميلات بأوعية الذهب والجواهر، وتلتف حول الخيمة، وتقلن، يا ابن القيصر، لو كانت هذه الحال ـ التى اعترتك ـ تستقيم بالمال والجمال، لكنا ضحينا بأنفسنا جميعاً، ولكنا منحنا المال الوفير، ولما تركناك، لكن هذه الحال كتبت عليك من شخص لا تأثير للمال والجمال عليه، يقلن هذا، ويعدن. ثم يدخل القيصر مع كبير وزرائه الخيمة، ويقول: لتعلم يا عين الأب وسراجه، ويا منية قلبه، ويا فلذة كبده، ماذا بيد أبيك؟ أحضر لك جيشاً جراراً، وجلب لك فلاسفة وشيوخاً وشفعاء ومستشارين، وجاء لك بالحسناوات والأموال وألوان النعم، وجاء بنفسه، (لعل) الأمر يتحقق بكل هذه الأشياء، ويوفر لك أبوك بذلك كل ما يمكن عمله لكن هذه الحال قد تسبب فيها شخص يعجز الأب أمامه بكل هذا الشأن والجند والحشم والنعمة والمال

والكنوز، السلام عليك حتى العام التالى، يقول هذا، ويعود، أثر هذا الكلام فى الحسن بحيث ذاب قلبه؛ فدبر للعودة فى الحال، واتجه إلى البصرة، وأقسم أيضاً ألا يضحك طوال حياته طالما أن عاقبة أمره غير معلومة. كما ألقى بنفسه فى أنواع المجاهدة والعبادة، لدرجة إنه لم يتأت لأحد فى عهده رياضة تفوق تلك الرياضة، حتى أن رياضته وصلت إلى درجة أنهم قالوا: ظل سبعين عاماً لا تفسد طهارته سوى عند قضاء الحاجة، كما أنه اعتزل إلى حد أنه قطع الأمل عن جملة الخلق، لا جرم أنه فاق الجميع. وحدث أن نهض رجل ذات يوم فى جماعة وقال: لماذا الحسن أعظمنا وأفضلنا؟ فقال شيخ كان حاضراً: لأن جملة الخلق فى حاجة إلى علمه اليوم، وهو ليس محتاجاً إلى الخلق مثقال ذرة، الجميع محتاج له فى الدين، وهو فى غنى عن الجميع فى الدنيا، والسمو والفضل يتمثلان فى هذا. كان (الحسن) يتحدث مرة فى الأسبوع فى مجلس الوعظ، وكل مرة كان يعتلى فيها المنبر، ولا يرى رابعة[٣٥]، كان يترك المجلس، ويهبط. فيقولون له: أيها السيد: قدم إليك كل هذا الحشد من العظماء والسادة والمشايخ، فماذا يهم لو لم تأت العجوز؟ فكان يقول: بلى، إننا لا نستطيع صب الحساء - التى نكون قد أعددناها من أجل حوصلة الأفيال - فى صدور النمل، وكلما تزداد الإثارة فى المجلس، كان يتجه إلى رابعة (قائلاً) : يامن ارتديت الصوف «هذا من جمرات قلبك يا سيدة».

سألوه: نعلم أنك تسعد بهذا الجمع الذى يحتشد تحت منبرك، فقال: إننى لا أسعد بكثرة الجمع، ولكن إن حضر فقير واحد يسعد قلبى.

وسـئل أيضاً: ما هو الإسلام؟ ومن هو المسلم؟ قال: الإسلام فى الكتب والمسلمون تحت التراب.

وسئل: ما أصل الدين؟ «قال: الورع»، فقالوا: وما الشىء الذى يفسد الورع؟ «قال الطمع».

وسئل: ما هى جنات عدن؟ قال: قصر من الذهب لا يدخله إلا رسول، أو صديق، أو شهيد، أو سلطان عادل.

وسـئل: الطبيب المريض، كيف يعالج الآخرين؟ قال: عالج نفسك أولاً، وعندئذ عالج الآخرين. وقال: استمعوا إلى كلامى، فإن علمى يفيدكم، ولا يضركم عملى.

وسـئل: يا شيخ، لقد نامت قلوبنا، فلا يؤثر قولك فيها، فماذا نفعل؟ قال: ليتها كانت قد نامت، فعندما تُحرَّك النائم يستيقظ، ولقد ماتت قلوبكم، ومهما تحركها لن تستيقظ.

سئل: أيجدر بقوم أن يخيفونا بأقوالهم لدرجة أن قلوبنا تتمزق من الخوف؟ قال: إن تتحدثوا مع قوم يخيفونكم اليوم فتأمنوا غداً، أفضل من أن تتحدثوا مع قوم يطمئنوكم (اليوم) فتواجهوا الخوف غداً.

قالوا: يأتى قوم إلى مجلسك، ويذكرون أقوالك، ليعترضوا عليها، ويتقصون عيوبها. قال: لقد رأيت نفسى، تطمع فى الفردوس الأعلى ومجاورة الحق تعالى، ولا تطمع فى السلامة من الناس أبداً، لأن خالقهم لا يسلم من لسانهم.

قـالوا: يقول رجل: لاتدع الخلق، ما لم تتطهر أمام نفسك، قال: إن الشيطان لا يتمنى شيئاً قط قدر أن يزين هذه الكملة فى قلوبنا، ليغلق باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

قـالوا: أيحسد المؤمن؟ قال: أنسيتم إخوة يوسف عليه السلام، ولكن طالما لاتطهرون صدوركم من الحقد فلا بأس. كان للحسن مريد، كلما سمع آية من القرآن، يضرب نفسه على الأرض. فقال له ذات مرة: أيها الرجل: إن كنت تستطيع ألا تفعل ما تفعله فأنت لست ناراً أشعلتها فى عمرك كله، وإن كنت

لا تستطيع التوقف لابتعدت عنا عشرة منازل، ثم قال: «الصعقة من الشيطان»، كل من يصدر عنه صوت ما هو إلا من الشيطان، وهنا قد رجح الحكم، فلا يكون الأمر كذلك، وشرح بنفسه هذا، أى أن من يستطيع أن يبطل ذلك، وتصدر عنه تلك الصعقة، فهى من الشيطان.

ذات يوم: كان يعقد مجلساً، فدخل الحجاج[٣٦] مع جند غفير، شاهرى السيوف، وكان أحد الشيوخ حاضراً، فقال: لأختبر الحسن اليوم، فهذا وقت الاختبار. جلس الحجاج، والحسن غير عابىء به مثقال ذرة، وركز اهتمامه فى حديثه الذى كان يقوله، حتى انفض المجلس. فقال ذلك الشيخ: الحسن حسن، فى النهاية توجه الحجاج حيث (جلس) الحسن، وأمسك بساعده، وقال: «انظروا إلى الرجل»، إن أردتم أن تروا رجلا، انظروا إلى الحسن.

شوهد الحجاج فى المنام واقفاً فى عرصات القيامة، وقالوا: ماذا تطلب؟ قال: اطلب ما يطلبه الموحدون، وهذا لأنه كان قد قال وهو فى حالة النزع: يا إلهى، اظهر لحفنة العجولين هؤلاء أنك معى الغفار وأكرم الأكرمين فالجميع (يقرون) بقلوبهم وألسنتهم أنك سوف تعذبنى فنجنى بحقدهم، واظهر لهم أنك معى «فعال لما تريد». أخبروا الحسن بهذا القول، فقال: سوف يفوز هذا الخبيث بالآخرة أيضاً بالنصب.

يروى: أن المرتضى رضي الله عنه دخل البصرة، عاقداً زمام ناقة على وسطه، ولم يستغرق أكثر من ثلاثة أيام، أمر فيها، فحطموا جملة المنابر، ومنعوا الوعاظ وقدم إلى مجلس الحسن، وكان الحسن يتحدث، فسأله: أنت عالم أم متعلم؟ قال: إننى أقص أى قول وصلنى عن الرسول ﷺ فلم يمنعه المرتضى (رضوان الله عليه)، وقال: هذا شاب أهل للكلام، ثم مضى، فعرف الحسن بفراسته من هو، فهبط من فوق المنبر، وأسرع فى إثره، حتى لحق به، وأمسك بطرفه،

وقال: من أجل الله علمنى الوضوء، أحضروا الطست من مكان يسمونه باب الطست، فعلم الحسن الوضوء، ومضى.

ذات مرة: حدث فى أحد الأعوام قحط بالبصرة، فذهب مائتا ألف من الخلق، وأقاموا منبراً، ورفعوا الحسن فوق المنبركى يدعو، فقال الحسن: أتريدون أن ينزل الغيث قالوا: بلى، لقد جئنا لهذا، قال: اخرجوا الحسن من البصرة. وكان الخوف قد غلب الحسن إلى درجة أنه ـ كما روى ـ عندما كان يجلس كأنه قد جلس أمام جلاد، ولم يره أحد مبتسماً أبداً، (كأنما) قد اعتراه ألم عظيم.

يروى: أن (الحسن) رأى رجلاً ذات يوم، كان يبكى، فقال له: لماذا تبكى؟

قال الرجل: كنت فى مجلس محمد بن كعب[٣٧] القرظى. فقال: أيكون الرجل من المؤمنين، ويظل عدة أعوام فى الجحيم بشؤم الذنوب، فقال (الحسن): ليت الحسن كان منهم، لكان يخرج من الجحيم بعد عدة أعوام.

يروى: أنه كان يقرأ هذا الحديث ذات يوم: «آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد»[٣٨]. فقال الحسن: ليتنى كنت ذلك الرجل.

قال أحد الرفاق: كان الحسن ينوح فى دارى ذات ليلة، فقلت (له) لم نواحك هذا؟ مع مثل ذلك الزمن الذى أتاح لك التنعم بهذه العظمة، فقال: أنوح وأبكى خشية صدور عمل ناشيء عن غفلة وسوء قصد، أو تكون القدم قد خطت خطوة أو جرى كلام على لسانى مما لا يرضاه الحق تعالى. فيقول للحسن: اذهب، لم يعد لك الآن قدر فى حضرتنا. ولن نقبل أى شيء منك منذ الآن.

يروى: أن شخصاً كان قد جلس بجانب باب صومعة الحسن ذات يوم، وكان الحسن يصلى فوق سطح الصومعة، فبكى فى سجدة لدرجة أن الماء أخذ

يقطر من ماسورة السطح، وسقط على رداء الرجل، فطرق الرجل الباب، وقال: أهذا ماء طاهر أم لا؟ كى أغتسل، قال الحسن: اغتسل، لأنه لا يجوز الصلاة به فهو دمع عصاة.

يــروى: أن الحسن ذهب ذات مرة إلى جنازة، عندما وضعوا الميت فى القبر، وواروه التراب، جلس الحسن فوق القبر، وبكى عليه إلى حد أن تحول التراب إلى طين ثم قال: أيها الناس، اللحد هو الأول والآخر والقبر هو نهاية الدنيا، وأول الأخرة، ألا ترى أنه القبر «فالقبر أول منزل من منازل الآخرة» فلم تزهون بعالم آخره هذا (أى القبر) ؟! وكيف لا تخافون من عالم أوله هذا (أى القبر) ؟! طالما أن هذا هو بدايتكم ونهايتكم، فأعدوا أمرهما، يا أهل الغفلة، فبكى الحاضرون لدرجة أنهم صاروا جميعاً على شاكلة واحدة.

يــروى: أنه كان يمر ذات يوم بالمقابر مع جماعة من الفقراء، وقال لهم: فى هذه القبور رجال لم تصل همتهم إلى الجنة، لكن حسرتهم البالغة معبئة فى التراب بحيث إن عرضت ذرة من تلك الحسرة على أهل الأرض والسماء، لخرّ الجميع صرعى من الخوف.

يــروى: أن معصية كانت قد صدرت من الحسن فى الطفولة، وكلما كان يحيك قميصاً جديداً كان يكتب تلك المعصية على تلابيبه، ثم يبكى طويلاً حتى يفقد وعيه.

ذات مرة: كتب عمر بن عبد العزيز[٣٩] رضي الله عنه رسالة إلى الحسن، وقال فى تلك الرسالة: عظنى عظة قصيرة، بحيث أتذكرها، وأجعلها هادية لى، فكتب الحسن على ظهر الرسالة: يا أمير المؤمنين، عندما يكون الله معك، ممن تخاف؟ وإن لم يكن الله معك ففيم تأمل؟

مـرة أخـرى، كتب له الحسن رسالة (فحواها): عش يومك لأن نهاية الشخص أن يموت كما كتب له وقد كتب عليه الموت، والسلام. فأجابه تمسك بيومك، لأن الدنيا والآخرة لايجتمعان أبداً.

ذات مـرة: كتب ثابت البناني[٤٠] (رحمة الله عليه) رسالة إلى الحسن (فحواها): أسمع أنك سوف تذهب إلى الحج، وأريد أن أكون في صحبتك، فأجابه: دعك (من هذا)، كي نعيش في ستر الله، فإن وجودنا معا يظهر عيوبنا معاً، (ويجعلنا) نعادي بعضنا البعض.

يروى: أن سعيداً بن جبير[٤١] قال في وعظ (له): لا تفعل **ثلاثة أفعال**:

أولاً: لاتخط على بساط السلاطين ولو أخلصوا الشفقة على الخلق.

ثانياً: لا تجلس في خلوة مع إمـرأة، ولو كانـت رابعـة، وكنـت تعلمـها كتـاب الله.

ثالثاً: لا تعير أذنك لأمير قط، وإن كنت من أشجع الشجعان، لأنه لا يخلو من آفة، وفي نهاية الأمر يصيب جرحك.

قـال مـالك بن دينار[٤٢]: سألت الحسن: ما هي عقوبة العالم؟ قال: موت القلب. قلت: وما هو موت القلب؟ قال: حب الدنيا.

قـال شـيخ: ذهبت إلى مسجد الحسن وقت السحر للصلاة، وكان باب المسجد مغلقاً والحسن يدعو داخله والقوم يقولون: آمين، فانتظرت، حتى صارت (الدنيا) أكثر إشراقاً، ووضعت يدي على الباب، ففتح، فدخلت، ورأيت الحسن بمفرده! فتعجبت، وعندما أدينا الصلاة، حكيت القصة له، وقلت: لله أخبرني بهذا الأمر! قال: ولا تقل لأحد، كل ليلة جمعة، يأتي الملائكة إلي، أحدثهم في العلم، وأدعو فيقولون آمين.

يــروى: أن الحسن عندما كان يدعو، كان حبيب العجمى[٤٣] يرفع ذيل ثوبه، ويقول: أرى الإجابة.

يــروى: أن شيخاً قال: كنت أمضى مع الحسن وجماعة إلى الحج، وفى البادية، فانتابنا العطش، ووصلنا إلى حافة بئر، ولم أر دلواً ولا حبلاً، فقال الحسن: عندما أشرع فى الصلاة، اشربوا الماء، وما أن بدأ الصلاة، حتى أدركنا الماء الذى كان قد ارتفع حتى حافة البئر، فشربنا، ورفع أحد الرفاق ركوة ماء، فانخفض الماء داخل البئر، وعندما فرغ الحسن من الصلاة، قال: لم تستقيموا لله، فانخفض الماء فى البئر، ثم رحلنا عن ذلك المكان. وفى الطريق وجد الحسن تمراً، فمنحه لنا، فأكلناه، وكان له نوى ذهبى! حملناه إلى المدينة وابتعنا به طعاماً، تصدقنا به.

يروى: أن أبا عمرو (إمام القراء)[٤٤] عندما كان يعلم القرآن، جاءه فجأة، طفل جميل ليتعلم القرآن؟ فنظر إليه أبو عمرو نظرة خائنة، فنسى القرآن كله من ألف «الحمد» إلى سين «من الجنة والناس»، وتأججت النار داخله، فذهب إلى الحسن البصرى وقص عليه الأمر وبكى منتحباً، وقال: أيها السيد، هكذا وقع الأمر، فنسيت القرآن كله، فحزن الحسن لذلك الأمر! وقال: الآن، وقت الحج، فاذهب وأد وحج، وعندما تفرغ، اذهب إلى مسجد خيف[٤٥]، حيث ترى شيخاً جالساً فى المحراب لاتقطع عليه خلوته، ودعه، حتى ينتهى، ثم قل له أن يدعو لك. هكذا فعل أبو عمرو، جلس فى زاوية المسجد، فرأى شيخاً مهيباً، تحلق الخلق حوله، وبعد فترة، دخل رجل برداء أبيض طاهر، تزاحم الخلق أمامه، وسلموا عليه، وتحدثوا مع بعضهم البعض، عندما انقضى وقت الصلاة، ذهب ذلك الرجل، وذهب الخلق معه. وبقى ذلك الشيخ وحيداً. قال أبو عمرو: تقدمت إليه، وسلمت، وقلت: الله الله، اغثنى! وقصصت عليه الأمر،

فحزن الشيخ، ونظر إلى السماء بطرف عينه، ولم يكن قد أنزل رأسه بعد، حتى استرجعت القرآن، وقال أبو عمرو: ركعت أمامه من السرور، ثم قال: من أرشدك عني؟ قلت: الحسن البصرى، قال: من يكون له إمام كالحسن، أى حاجة له بشخص آخر؟!، ثم قال: فضحنا الحسن، فلنفضحه نحن أيضاً، مزق حجابنا، فلنمزق حجابه أيضاً، ثم قال: ذلك الشيخ ذو الرداء الأبيض ـ الذى رأيته، والذى جاء بعد صلاة الظهر، ومضى قبل الجميع، وجلله الجميع ـ كان الحسن ، وهو كل يوم يؤدى فى البصرة صلاة الظهر، ويأتى إلى هنا، ويتحدث معنا، ثم يؤدى صلاة العصر فى البصرة. وعندئذ قال: كل من له إمام مثل الحسن، لماذا يطلب الدعاء منا؟

يروى: أنه فى عهد الحسن، أصيب جواد أحد الرجال بعجز فأسقط فى يد الرجل وقص حاله على الحسن، فابتاع الحسن ذلك الجواد منه بأربعمائة درهم من أجل الجهاد، ومنحه الدراهم الفضية، وفى الليل رأى ذلك الرجل فى المنام مرحاً فى الجنة، وبها جواد وأربعمائة من الجياد الصغار يمرحون معا، فسأل: ملك من هذه الجياد؟ فقالوا كانت ملكك، الآن، سجلت باسم الحسن، وعندما استيقظ، مثل أمام الحسن، وقال: أيها الإمام، الغ البيع، فإننى نادم، قال الحسن: اذهب، فذلك المنام الذى رأيته، رأيته أنا قبلك، فعاد الرجل حزيناً. وفى الليلة التالية، رأى الحسن قصوراً ورياضاً (جميلة) فى المنام، سأل: ملك من هذه؟ فقيل له: إنها ملك الشخص الذى يلغى البيع فطلب الحسن ذلك الرجل فى الصباح، وألغى البيع.

يروى: أن (الحسن) كان له جار يعبد النار، (يدعى) شمعون، حدث أن مرض وانتهى به الأمر إلى النزع الأخير، فقالوا للحسن: أدرك جارك، اقترب الحسن من فراشه فرآه وقد اسود من النار والدخان، فقال: اخش الله، فقد

أمضيت العمر كله بين النار والدخان، أسلم، كى يرحمك الله، قال شمعون: تمنعنى عن الإسلام ثلاثة أشياء:

أولاً: أنكم تذمون الدنيا، وتطلبونها ليلاونهاراً!

ثانياً: أنكم تقولون: إن الموت حق، ولا تعدون العدة له قط.

ثالثاً: أنكم تقولون: إن لقاء الحق يجدر الفوز به، والآن تفعلون كل ما هو مخالف لرضائه. فقال الحسن: هذه علامة العارفين، أن يفعل المؤمنون مثل ذلك، ماذا تقول أنت؟ فهم مُقَّرون بوحدانيته، (بينما) أفنيت عمرك فى عبادة النار، فعبدت النار سبعين عاماً، وأنا الذى لم أعبدها، كلانا سيدخل الجحيم، فتحرقك وتحرقنى، ولا تحفظ لك حقاً، لكن إن يرد ربى لا تجرؤ النار على أن تحرق شعرة فوق جسدى، لأن النار مخلوق لله، والمخلوق مأمور، والآن وقد عبدتها أنت سبعين عاما، تعال نضع كلانا أيدينا فوق النار، كى تشاهد ضعف النار وقدرة الله (تعالى)، قال هذا ووضع يده داخل النار، واستمر (لفترة) ولم يتأثر بها قط ولم يحترق، وعندما رأى شمعون ذلك تحير وأشرق داخله صبح المعرفة، فقال للحسن: قد عبدت النار طيلة سبعين عاماً، الآن وقد بقيت لى عدة أنفاس، ماذا أفعل؟ قال: أن تسلم فقال شمعون: إن منحتنى مكتوباً، حتى لايعاقبنى الحق تعالى، أؤمن، ولكن إن لم تمنحنى مكتوباً، لا أؤمن، فكتب الحسن رسالة، فقال شمعون: مُر بأن يشهد عليها عدول البصرة، فسجلوا شهادتهم عليها، فبكى شمعون كثيراً، وأسلم، وأوصى الحسن (قائلاً): عندما أموت مر بتغسيلى وضعنى بيدك فى التراب، وضع هذا المكتوب فى يدى، لأنه سوف يكون حجتى، أوصى بهذه الوصية، ونطق الشهادة، وتوفى فغسلوه، وصلوا (عليه)، ودفنوه، ووضعوا ذلك المكتوب فى يده. فى تلك الليلة، غلبه النوم وهو يهذى، ما هذا الذى فعلته؟ أنا نفسى غريق، فكيف آخذ بيد غريق

آخر؟! لا سيطرة لي على ملكي، فلماذا تطاولت على ملك الله؟!، واستغرق في النوم بين هذه الأفكار، فرأى شمعون كالشمع المضيئ، فوق رأسه تاج، ويرتدي حلة، مبتسماً مختالاً في رياض الجنة فقال الحسن: يا شمعون، كيف أنت؟ قال: لم تسأل؟ كما ترى أن الحق تعالى أنزلني بفضله إلى جواره، وتجلى (لي) بكرمه وما أمر به بلطفه لي، لا يتأتى وصفه والتعبير عنه. أنت الآن برئ، تحللت من ضمانك، خذ مكتوبك هذا، فلم تعد لي حاجة به بعد الآن. عندما استيقظ الحسن، رأى تلك الورقة في يده، فقال: يا إلهي، الواضح أن أمرك لا علة له، سوى الفضل المحض. من يضر على بابك؟ هديت المجوسي البالغ من العمر سبعين عاماً السبيل إلى قربك بكلمة واحدة، فكيف تحرم المؤمن البالغ سبعين عاماً؟

يروى: أنه كان متواضعاً لدرجة أنه كان يعد كل شيء - ينظر إليه - أفضل منه، ذات يوم، كان يمر على شاطيء دجلة، فرأى عبداً معه ركوة وأمامه سيدة جالسة، تشرب من تلك الركوة، فجال في خاطر الحسن أن هذا الرجل وهو أفضل مني، حاد عن الشرع فهو إذن ليس أفضل مني؛ فقد جلس مع امرأة محرمة عليه، كانت تشرب من القربة، وبينما كان مستغرقاً في هذه الأفكار، وصلت فجأة سفينة مثقلة بالأحمال، وعليها سبعة رجال، وفجأة جنحت. وغرقت فأسرع ذلك العبد، وأنقذ ستة أفراد ثم اتجه إلى الحسن. وقال: إنهض، إن كنت أفضل مني، فأنا أنقذت ستة أشخاص فأنقذ أنت الشخص (الباقي). يا إمام المسلمين في تلك (القربة) ماء وتلك المرأة أمي. وأردت أن أختبرك، هل ترى بعين الظاهر أم بعين الباطن؟ الآن صار معلوماً أنك رأيت بعين الظاهر، انحنى الحسن أمامه وطلب المعذرة، وعلم أنه من رجال الحق ثم قال: أيها العبد: أنقذني من بحار الشك، كما أنقذتهم من البحر، فقال العبد: لتقر عيناك، لاشك أنه بعد ما حدث لم تعدّ نفسك أفضل من أي شخص آخر. حتى

حدث أن رأى كلباً، وقال: إلهى، إرفعنى إلى درجة هذا الكلب فسألوه: أأنت أفضل أم الكلب؟ قال: إن نجوت من عذاب الله، أكون أفضل منه، وإلا فبعزة الله وجلاله هو أفضل من مائة مثلى.

يــــروى: أن الحسن قال: عجبت من قول أربعة أشخاص: طفل، وثمل، ومخنث، وامرأة! قالوا: كيف؟ قال: ذات يوم، كشفت ستر مخنث كنت أمر عليه، فقال: أيها السيد، لم يتضح حالنا بعد، فلا تكشف سترى، لأن الله يعلم كيف تصير الأمور فى الآخرة!. ورأيت ثملاً، كان يسير فى الوحل مترنحاً، «فقلت له: ثبت قدمك يا مسكين حتى لاتنزل». قال: ثبت أنت قدمك مع كل هذه الدعاوى؟ إن زللت وأنا ثمل، وأنهض ملوثاً بالطين، واغتسل، فهذا سهل، لكننى أخشى وقوعك أنت، ترك هذا الكلام فى قلبى أثراً عظيماً. ذات مرة، كان طفل يحمل مصباحاً، فقلت (له): من أين أحضرت هذا الضوء؟ فاهتزت ريح داخل المصباح، فقال: قل إلى أين ذهب هذا الضوء؟ كى أقول لك من أين أحضرته! وكانت امرأة ـ مكشوفة الوجه، منبسطة اليدين، عيناها يتسمان بجمال عظيم ـ تشكو لى من زوجها، قلت (لها): استرى وجهك أولاً، قالت: لقد زال عقلى على بسبب محبة مخلوق، وإن لم تكن تخبرنى، فإننى سأذهب إلى السوق هكذا. وماذا لو لم ترّ عورة وجهى مع كل هذه الدعاوى فى محبته. فتعجبت منها أيضاً.

يــــروى: أنه عندما كان يهبط المنبر كان يمسك بيد عدة أفراد من هذه الطائفة ويقول: «هاتوا بنشر النور» أى تعالوا ننشر النور، ذات يوم، رافقهم رجل ليس من أهل هذا الحديث، فقال له الحسن: لتعد.

يسروى: أنه قال لأصحابه ذات يوم: قد شابهتم أصحاب الرسول ﷺ، فسروا، فقال الحسن: فى الوجه والذقن، لا فى شيىء آخر، لو كانت عيونكم وقعت على أولئك القوم، لكان الجميع يبدون مجانين فى أعينكم، وإن هم

اطلعوا على سرائركم، لما اعتبروا أحدكم مسلما، لأنهم كانوا طلائعاً تقدموا فوق جياد منطلقة مثل الطيور المحلقة، والريح العاصفة، وقد بقينا نحن فوق حمير ظهورها مجروحة.

يروى: أن إعرابيا مثل أمام الحسن، وسأله عن الصبر، قال: الصبر نوعان: أحدهما: الصبر على البلاء والمصائب، والثانى: الصبر على الأشياء التى نهانا الحق تعالى عنها وهكذا بين الصبر الحق للإعرابى. قال الإعرابى: «ما رأيت أزهد منك»، وما سمعت عن من هو أكثر صبرا منك، قال الحسن: أيها الأعرابى، إن زهدى ـ كله ـ ميل، وصبرى جزع، فقال الإعرابى: إشرح كلامك لأنك شوشت خاطرى! فقال: إن صبرى فى البلاء أو فى الطاعة ناطق بخوفى من نار جهنم، وهذا هو عين الجزع. وزهدى فى الدنيا رغبة فى الآخرة، وهذا هو عين الطلب. ثم قال: إن صبر الشخص يكون قويا عندما يستغنى عن نصيبه، كى يكون صبره للحق، لا لإنقاذ جسده من الجحيم، ويكون زهده للحق، لا لوصوله للجنة، وهذه هى علامة الإخلاص.

وقال: يلزم للرجل: علم نافع، وعمل كامل، وإخلاص فيه، وقناعة تامة وصبر معها. إذا ما تحققت هذه الثلاثة لا أعلم بعد ذلك ماذا تفعل به طالما تحققت له؟

وقال: إن الأغنام أكثر علماً من الإنسان، لأن صوت الراعى يمنعها عن الرعى، ولا يمنع كلام الله الإنسان عن رغباته.

وقال: إن مجالسة الأشرار تسيىء ظن الناس بالأخيار.

وقال: إن دعانى شخص لشرب الخمر أحب إلى من أن يدعونى لطلب الدنيا.

وقال: المعرفة هى ألا تجد فى نفسك ذرة خصومة واحدة.

وقال: إن جنة الخلود ليست بهذا العمل اليومى الضئيل، إنها بالنية الحسنة.

وقـــال: فى البـداية عندما ينظر أهل الجنة إلى الجنـة، يفنون عن أنفسهم سبعمائة ألف عام، لأن الحق تعالى يتجلى لهم، فإن نظروا إلى جلاله، يثملون بالهيبة، وإن نظروا إلى جماله. يغرقون فى الوحدة.

وقال: الفكرة مرآة تظهر لك حسناتك وسيئاتك.

وقال: كل من لا يتصف كلامه بالحكمة، فهو عين الآفة. وكل من لاينبع صمته من الفكر، فهو مملوء بالشهوة والغفلة، وكل نظرة لا تتأتى من العبرة، كلها لهو وذلة.

وقـــال: فى التـوراة: كل من قنع، استـغنى، وطالما اعـتـزل الخلق، أدرك السلامة. وطالما سحق الشهوة، تحرر. وطالما تخلى عن الحسد، ظهرت المودة. وطالما صبر عدة أيام على الحرمان، أدرك الخلود.

وقـــال: يعتاد العارفون الصمت دائماً، حتى تنطق قلوبهم، ثم تسرى على ألسنتهم.

وقال : فى الورع ثلاثة مقامات:

أولاً: ألا يتحدث العبد إلا بالحق، سواء فى الغضب أو الرضا.

ثانياً: أن يحفظ أعضاءه عن كل ما يغضب الله.

ثالثاً: أن يقصد شيئاً، يرضى الله تعالى عنه.

وقال: مثقال ذرة من ورع أفضل من ألف مثقال من الصلاة والصيام.

وقال: أفضل الأعمال كلها الفكر والورع.

وقال: لو أعلم أنني لست منافقاً، لكان ذلك أحب إلى من أي شيء على وجه الأرض.

وقال: إن اختلاف الظاهر والباطن والقلب واللسان من جملة النفاق.

وقال: لم يوجد هناك مؤمن قط من السابقين، ولن يكون من اللاحقين، إلا ويخاف على نفسه، (مردداً) لا ينبغي لنا أن نكون منافقين.

وقال: كل من يقول أنا مؤمن حقاً، ليس مؤمناً بدليل: «ولاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى»(٤٦).

وقال: المؤمن من يتأنى، ولا يكون كحاطب الليل، أي لا يكون كشخص يفعل كل ما يستطيع أن يفعله، ويقول كل ما يرد على لسانه.

وقال: لا غيبة لثلاثة أشخاص: صاحب هوى، وفاسق، وإمام ظالم.

وقال: الاستغفار محمود في كفارة الغيبة، لو أنك لا تريد حلاً آخر.

وقال: مسكين ابن آدم، راض بالدار التي حلالها حساب وحرامها عذاب.

وقال: لاتفارق روح ابن آدم الدنيا، إلا بثلاث حسرات:

الأولى: أنها لم تشبع مما جمعته.

الثانية: أنها لم تدرك ما كانت قد تمنته.

الثالثة: أنها لم تعد زاداً طيباً لمثل ذلك الطريق الذي ينتظرها.

قال شخص: إن فلاناً يسلم الروح، قال: لا تقل هذا، إنه أمضى سبعين عاماً حتى يسلم الروح، والآن سوف يتحرر من تسليم الروح، فإلى أين سيصل؟

وقال: نجا المخففون وهلك المثقلون.

وقـــال: ليغفر الله عز وجل لقوم كانت الدنيا وديعة لهم، فردوا الوديعة ومضوا فارغي البال.

وقـــال: العاقل أو العالم فى رأيى هو: من يخرب الدنيا، ويؤسس الآخرة بخرابها، ولا يخرب الآخرة، ويؤسس الدنيا بخرابها.

وقـــال: كل من عرف الله، يحبه. وكل من عرف الدنيا يناصبها العداء وليس فى الدنيا أى دابة أولى بلجام قوى من نفسك.

وقـــال: إن أردت أن ترى كيف ستكون الدنيا بعدك؛ فانظر كيف هى بعد رحيل الآخرين!

وقال: بالله، إنهم لم يعبدوا الأصنام، إلا محبة فى الدنيا.

وقـال: إن الرجال الذين سبقوكم، قد عرفوا قدر تلك الرسالة، التى وصلتهم من الحق فكانوا يتأملونها ليلاً، ويعملون بها نهاراً، وأنتم تعلمتموها ولم تعملوا بها، أعددتم الإعراب ووضعتم الكلمات لتعدوا بها رسالة الدنيا.

وقال: بالله، لا يعز شخص قط الذهب والفضة، إلا ويحقره الله.

وقال: كل أحمق يرى قوماً يتبعونه، لا يثبت قلبه بأى حال.

وقال: كل شيىء سوف تأمر به شخصاً، عليك أن تنفذه أولاً.

وقـــال: كل من يردد كلام الناس أمامك، يردد كلامك أمام الآخرين، فلا يكون جديراً بالصحبة.

وقـــال: الإخوة الأعزاء لدينا هم أصحاب الدين، والأهل والأبناء هم رفاق الدنيا وخصوم الدين.

وقــال: كل ما ينفقه العبد على نفسه ووالديه، يحاسب عليه، سوى الطعام الذى يقدمه للرفاق والضيوف.

وقال: كل صلاة لا يكون القلب حاضراً فيها، تكون أقرب إلى العقاب.

وقالوا: ما الخشوع؟ فقال: هو الخوف الذى كان قد ثبت في القلب، ولازمه القلب.

قــالوا: هناك رجل، لم يأت إلى صلاة الجماعة، منذ عشرين عاماً ولم يختلط بأحد، وقد اعتكف فى زاوية. فذهب الحسن إليه وقال: لماذا لا تأتى إلى صلاة الجماعة، ولا تختلط بالناس؟ فقال: اعذرنى، فإننى مشغول، قال: مشغول بأى شىء؟ قال لا يصعد منى نفس قط، إلا ومعه نعمة من الحق إلىّ، أو معصية منى إليه، فأنشغل بشكر تلك النعمة، وبالاستغفار عن تلك المعصية. فقال الحسن: ابق هكذا.

ســألوه: ألم تقض وقتاً طيباً قط؟ فقال: ذات يوم كنت فوق السطح عندما كانت جارتى تقول لزوجها: ظللت فى دارك ما يقرب من خمسين عاماً، وصبرت في السراء والضراء، وفى البرد والحر، ولم أطلب المزيد، وحفظت اسمك وعرضك، ولم أشك منك لأحد. لكننى لا أقبل هذا الأمر وهو أن تفضل على امرأة أخرى، تحملت كل هذا، كي تراني كل شيء، لا كي ترى أخرى، واليوم، أنت تلتفت إلى أخرى، وهأنا أتشبث بطرف إمام المسلمين بسبب التشنيع. فقال الحسن: طاب وقتى، وسال الدمع من عينى، وأردت أن أجد لها دليلاً فى القرآن، فوجدت هذه الآية: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»(٤٧).

اعفو عنك ذنوبك كلها ولكن إن خطر لك أن تميل إلى أخرى وأن تشرك بالله لا أسامحك أبداً.

يروى: أن شخصاً سأله: كيف حالك؟ قال: كيف يكون حال قوم يوجدون فى البحر، وتتحطم سفينتهم، ويتعلق كل منهم بلوح؟ قال: يكون الأمر صعباً، قال: إن حالى على هذا النحو.

يـــروى: أنه مرّ على جماعة يوم العيد كانوا يضحكون ويلعبون، فقال: أعجب من أناس يضحكون، وهم يجهلون حقيقة حالهم!

يروى: أنه رأى رجلاً كان يتناول الخبز فى المقابر، فقال: إنه منافق فقالوا: لماذا؟ قال: إن الرجل الذى تتحرك له شهوة أمام هؤلاء الموتى، كأنه لا يؤمن بالآخرة والموت، وهذه هى علامة المنافق.

يـــروى: أنه كان يقول فى المناجاة: إلهى، منحتنى النعمة، ولم أشكر. وأوقعت بى البلاء، فلم أصبر، ولم تسترد منى نعمة ما لم أشكرك عليها! ولم تدم علىّ بلاء ما لم أصبر عليه! إلهى ماذا يأتى منك سوى الكرم؟!

وعندما حانت منيته، ضحك، ولم يكن أحد قد رآه ضاحكاً قط، وأسلم الروح وهو يقول: أى ذنب؟ أى ذنب؟

رآه شيخ فى المنام، فقال له: إنك لم تضحك وأنت على قيد الحياة أبداً، فأى حال اعترتك فى النزع؟ فقال: سمعت صوتاً (ينادى): يا ملك الموت، اقبضه بشـدة، فما زال له ذنب واحد. فغلبنى الضحك من السرور، وقلت: أى ذنب؟ وأسلمت الروح.

وفى تلك الليلة التى توفى فيـها رأى شـيخ فى المنام: أن أبواب السـمـاء مـفتـوحـة، وأن منادياً ينادى: بأن الحسن البصرى وصل إلى الله والله راض عنه، روح الله روحه.

ذكر مالك بن دينار(48) رحمة الله عليه

هو المتمكن من الهداية، ومتوكل الولاية، هو الهادى الصادق، ومقتدى طريق الدين هو السالك الطيار، مالك بن دينار (رحمة الله عليه).

كان صاحب الحسن البصرى، وكان من مشايخ هذه الطائفة، له كرامات مشهورة، ورياضات مذكورة.

كان اسم والده (دينار)، وولد فى ظل عبودية والده، ومع أنه كان ابن عبد، (إلا أنه) كان متحرراً من الكونين.

ويقول البعض: إن مالكاً بن دينار كان قد جلس فى سفينة، وعندما وصلت إلى وسط البحر، قال أهل السفينة: هات أجرة السفينة. قال: ليس لدى، فضربوه طويلاً حتى فقد وعيه! وعندما ثاب إلى رشده ثانية، قالوا له: هات أجرة السفينة، فقال: لا أملك. قالوا: فلنمسك بقدميه، ونلقى به فى البحر، فظهر كل ما كان من سمك فى الماء، وقد أمسكت كل واحدة دينارين من الذهب بفيها، فمد مالك يده وأخذ دينارين من سمكة، وأعطاهما لهم. وعندما رأى ملاحوا السفينة ذلك، خروا أمام قدميه. ثم مضى على وجه الماء، حتى اختفى. ولهذا السبب سمى مالك بن دينار.

وكان سبب توبته، أنه كان شديد الجمال، ومحباً للدنيا، ولديه مال وفير.

كان يقيم في دمشق، وكان معاوية قد بنى مسجد دمشق الجامع، وأوقف عليه أوقافاً طائلة فطمع مالك في أن يعهد إليه بأمر ذلك المسجد. فذهب، وطرح سجادة في زاوية المسجد، وظل يتعبد بصفة مستمرة لمدة عام، على أمل أن كل من يراه، يجده يصلي. وكان يقول لنفسه: أنت منافق، حتى انقضى عام على هذا الأمر. فأخذ يخرج من هناك ليلا، ويتجول.

وذات ليلة انشغل بالطرب، وعندما نام رفاقه، انبعث صوت من ذلك العود الذي كان يعزف عليه (قائلا): «يا مالك مالك أن لا تتوب» وعندما سمع ذلك، كف عن العزف ثم ذهب إلى المسجد حائراً، وهو يفكر، وقال: ألم يكن من الأفضل أن أعبد الله بإخلاص من أن أعبده بنفاق، وأن أخجل مما أفعله؟ وإن عهد لي بتولي أمر هذا المسجد، لن أقبل، وعقد العزم على هذا، وأخلص النية لله، وأخذ يتعبد تلك الليلة بقلب صادق. وفي اليوم التالي، تجمع الناس أمام باب المسجد، وقالوا: نرى خللاً في هذا المسجد كان يجب أن يتعهده أحد، ثم اتفقوا على مالك، فليس هناك من هو أجدر منه (بذلك): وتقدموا إليه، وكان يصلي، فصبروا حتى فرغ، وقالوا: لقد جئنا متشفعين كي تقبل هذه الولاية. فقال مالك: إلهي، لم ينظر إليّ شخص قط طيلة عام عبدتك (فيه) برياء. والآن عندما أسلمت لك القلب، وصححت اليقين بزهدي فيه، أرسلت لي عشرين شخصاً، ليلقوا بهذا الأمر على عاتقي، فبعزتك أنا لا أريده. عندئذ خرج من المسجد، واتجه إلى العبادة، وسلك طريق المجاهدة والرياضة حتى علا شأنه وعظم أمره.

وكان في البصرة رجل ثري، مات، وترك مالاً وفيراً. كانت له ابنة جميلة. جاءت إلى ثابت البناني، وقالت له: أيها السيد، أريد أن أتزوج مالكاً

كي يعاونني في أمر الطاعة. فأخبر ثابت مالكاً (بذلك) فأجاب مالك: قد طلقت الدنيا ثلاث طلقات، وهذه المرأة من جملة الدنيا، ولا يمكن أن تنكح المطلقة لثلاث مرات.

يروى: أن مالكاً كان قد نام في ظل شجرة، فإذا بثعبان قد أتى وأمسك بفيه غصن نرجس، وأخذ يجلب به الهواء له.

يـــروى: أنه قال: رغبت في الغزو عدة أعوام وقد حدث أن ذهبت إلى الروم، وفي اليوم الذي وجب فيه القتال أصابتني الحمى بحيث إنني عجزت، فدخلت الخيمة، ونمت حزيناً، وكنت أقول لنفسي آنذاك: أيها الجسد، إن كانت لك منزلة لدى الحق تعالى، لما كانت أصابتك هذه الحمى اليوم. ثم استغرقت في النوم فهتف لي هاتف: لو كنت حاربت اليوم لأسرت، وطالما أسرت، يقدم إليك لحم الخنزير، فإن أكلت كفرت فهذه الحمى كانت هدية عظيمة لك. قال مالك: استيقظت من النوم، وشكرت الله.

يروى: أن مناظرة وقعت بين مالك ودهري، وطال بهما الجدال، وكان كل منهما يقول: أنا على حق، فاتفق الناس على أن يقيدوا يدى مالك والدهري مع بعضهم البعض، ويضعوها على النار، واليد التي تحترق يكون صاحبها على باطل، ووضعوهما على النار، فلم تحترق أي منهما، وخمدت النار. فقالوا: كلاهما على حق. فعاد مالك مهموماً إلى الدار، وسجد على الأرض، وناجى (الله) (قائلاً): سلكت طريق الإيمان سبعين عاماً كي أتساوى مع الدهري. فسمع صوتاً: أما علمت أن يدك حمت يد الدهري لو كانت يده فقط وضعت في النار لكنت رأيت.

يروى: أن مالكاً قال: مرضت ذات مرة، واشتد عليّ المرض بحيث فقدت الأمل وبعد أن تحسنت قليلاً، احتجت إلى شيء، فاتجهت إلى السوق بصعوبة

بالغـة، لأنه لم يكن مـعي أحـد ووصل أمـيـر المدينة، فنادى عليّ الحـرس (قائلين): ابتعد، ولم تكن لدى قدرة على ذلك فكنت أسير ببطء، فتقدم أحدهم، وضرب كتفي بسوط، فقلت: «قطع الله يدك». وفي اليوم التالي، رأيت الرجل مقطوع اليد، وملقى على مفترق الطريق.

يـروى: أن شاباً فاسداً جداً وفاسقاً كان يجاور مالك، وكان مالك يتأذى منه دائماً بسبب فساده، لكنه كان يصبر، حتى يشكو شخص آخر (منـه). الخلاصة ضج الآخرون بالشكوى فنهض مـالك، واتجه إليه، ليأمره بالمعروف، وكان الشاب جباراً للغاية ومتسلطاً جداً فقال لمالك: أنا من رجال السلطان، لا يجرؤ أحد قط على أن يردعني، أو يمنعني عن هذا، فقال مالك (نعرض الأمر على) السلطان، فقال الشاب: لا يحيد السلطان عن إرضائي أبداً، فهو يرضى بكل ما أفعله. فقال مالك: إن لم يستطع السلطان، أشكو إلى الرحمن، وأشار إلى السماء. فقال الشاب: هو أكرم من أن يعاقبني، فعجز مالك، وخرج.

وانقضت عدة أيام، جاوز (فيها) الفساد حده، فضج الناس بالشكوى ثانية، فنهض مـالك، كي يؤدبه، وفي الطريق الذي كان يسير فيه، سمع صوتاً: ارفع يدك عن حبيبنا، فتعجب مالك، ودخل إلى الشاب، فقال الشاب عندما رآه، ماذا حدث؟ فجئت ثانية! قال: لم أجيء هذه المرة كي أزجرك، لقد جئت حتى أخبرك بالصوت الذي سمعته، يخبرني عنك، وما أن سمع الشاب ذلك حتى قال: الآن والأمر هكذا، وهبت قصري في سبيله وضقت ذرعاً بكل ما أملك، قال هذا، وأطاح بكل شيء، واتجه إلى الطريق. قال مـالك: رأيته بعد فترة مقيماً في مكة، وقد صار مثل الخلال. وكان يقول في النزع الأخير: لقد قال: إنه حبيبنا، فذهبت إلى الحبيب، قال هذا وأسلم الروح.

يـــروى: أن مالكاً كان قد استأجر داراً ذات مرة، وكان ليهودي دار أمام داره، وكان محراب منزل مـالك ملاصقاً لباب اليهودي، وعرف اليهودي

(ذلك)، فأراد أن يؤذيه متعمداً، فحفر حفرة، وأعد منفذاً لها قرب المحراب، وكان يقضى حاجته فيها ويتركها عارية حتى امتلأت الحفرة. ذات يوم ضاق ذلك اليهودى؛ لأن مالكاً لم يكن يتحدث قط، فخرج، وقال: أيها الشاب ألا تصل النجاسة إلى دارك من خلال حائط المحراب؟! قال: بلى، ولكنى قد أعددت جاروفاً ومكنسة، وعندما يصل شيء إلى هذا الجانب، أرفعه وأغسله. قال: ألست غاضباً قال غاضب، ولكنى أكظم (الغيظ) لقوله تعالى: «**والكاظمين الغيظ**»(٤٩)، فأسلم اليهودى في الحال.

يروى: أن أعواماً كانت تمر، دون أن يتناول مالك فيها مراً أو حلواً قط. كل ليلة كان يذهب إلى دكان طباخ، ويشترى رغيفين، ينهى بهما صيامه، وأحياناً كان يحدث أن يسخن خبزاً، ويتصبر به، لأن الخبز كان طعامه. حدث أن مرض، ورغب فى اللحم، فصبر عشرة أيام ولما فاض به، ذهب إلى دكان قصاب، واشترى اثنين أو ثلاثة من الكراع، ووضعها فى ثوبه، ومضى. كان للقصاب غلام أرسله فى إثره، وقال: راقبه وبعد فترة، عاد الغلام باكياً، وقال: اتجه من هنا إلى مكان خال، وأخرج تلك الكراع من ثوبه، واشتم رائحتها مرتين أو ثلاث، ثم قال: أيتها النفس، لا يحق لك أكثر من هذا، ثم منح ذلك الخبز وتلك الكراع إلى فقير، وقال: أيها الجسد الواهن لا تظن إننى أحملك كل هذه الآلام بسبب العداء، أصبر عدة أيام كي لا تحترق يوم القيامة بنار جهنم، ربما تنجلى هذه المحنة، وتنعم النعمة التى لازوال لها. قال (الغلام): لا أعرف ماذا يعنى قوله؟ فمن لا يأكل لحماً طيلة أربعين يوماً، ينقص عقله، وهو الذى لم يأكلها بعد طيلة عشرين عاما، عقله فى ازدياد كل يوم.

يروى: أنه أقام فى البصرة أربعين عاماً، ولم يكن قد أكل (خلالها) رطباً، وعندما كان التمر ينضج، كان يقول: يا أهل البصرة، ها هى بطنى لم تنقص

بسببها بعد، ولم تزدد بطونكم - وأنتم تتناولونها كل يوم - قط، وعندما انقضت أربعون سنة، بدى عليه الاضطراب رغبة فى الرطب، ومهما حاول، لم يستطع أن يصبر، وعندما انقضت عدة أيام وكانت تلك الرغبة تزداد كل يوم، وكان يمنع نفسه، صار عاجزاً بسببها، فقال: لاشك أننى لن آكل الرطب، فاقتلينى أو افنينى. حتى هتف هاتف ذات ليلة: يجب تناول الرطب، خلص نفسك من القيد، ولما أجيب هذا الجواب، ووجدت نفسه الفرصة أخذ فى الصياح فقال مالك: إن أردت رطباً، تصم أسبوعاً، بحيث لا تفطر قط، وتقضى الليل فى الصلاة حتى النهار، كى أمنحك الرطب. رضت النفس بذلك، وأتم أسبوعاً فى قيام الليل وصيام النهار. بعد ذلك ذهب إلى السوق، واشترى رطباً، وذهب إلى المسجد ليأكلها. فصاح طفل من فوق سطح. يا ابن اليهودى، لقد اشترى الرطب، ويدخل المسجد ليأكله فقال مالك: أى شأن لليهودى بالمسجد؟ وفى الحال قدم والد الطفل، (ليرى) أى يهودى ذلك؟ فرأى مالكاً، فجثا أمام قدميه، قال مالك: أى كلام هذا الذى قاله الطفل؟ قال الرجل: اعذره أيها السيد، إنه طفل لا يعلم، ويوجد فى محلتنا يهود، وعندما نصوم يرى أطفالنا دائماً اليهود يأكلون شيئاً أثناء النهار، فيظنون أن كل من يأكل شيئا أثناء النهار يهودياً، وهذا بسبب الجهل. وقال: أعف عنه. وما أن سمع مالك ذلك، حتى اضطرمت النار داخله، وعرف أن ذلك الطفل ما هو إلا لسان الغيب. فقال: يا إلهى، وأنا لم آكل الرطب بعد سميتنى يهودياً دون جرم، فإن أكلت ترمينى بالكفر. بعزتك لن آكل التمر أبداً.

يـــروى: أن حريقاً وقع بالبصرة ذات مرة، فحمل مالك عصاه ونعليه، واعتلى مرتفعاً، وأخذ يتطلع إلى الناس وقد سقطوا أسرى للمتاع والأسباب، فكانت مجموعة تحترق، ومجموعة تقفز، ومجموعة تجر المتاع. فكان مالك يقول: «نجا المخفون وهلك المثقلون». وسوف يكون الأمر هكذا يوم القيامة(٥٠).

يــروى: أن مالكاً ذهب ذات يوم لعيادة مريض. قال: نظرت إليه، وكان أجله قد اقترب. عرضت عليه (النطق) بالشهادة. فلم ينطق، مهما حاولت أن أقول له انطق، كان يقول: عشرة إحدى عشرة، عشرة إحدى عشرة. عندئذ قال: أيها الشيخ، أمامي جبل ناري، كلما أهم بالشهادة، تنتزع النار صوتي. فسألت عن حرفته، فقيل كان يقرض المال (بالربا)، ويغش المكيال.

قال جعفر بن سليمان[٥١]: كنت مع مالك في مكة، عندما أخذ في قول لبيك اللهم لبيك، سقط، وفقد وعيه، ولما ثاب إلى رشده. قلت له: ما سبب وقوعك؟ فقال: عندما قلت لبيك خفت، لأنه ربما يكون الجواب. «لا لبيك الله لا لبيك».

يــروى: أن مالكاً عندما كان يقول: «إياك نعبد وإياك نستعين» كان يبكى منتحباً، ثم كان يقول: لو لم تكن هذه الآية من كتاب الله، ولو لم يأمر بها، لما قرأتها. لأنني أقول: إياك نعبد وأنا أعبد نفسي، وأقول: إياك نستعين، وأذهب إلى باب السلطان، وأشكر كل شخص وأشكو له.

يــروى: أن مالكاً كان يستيقظ طوال الليل، وكانت له ابنة، قالت له ذات ليلة: يا أبي، فلتنم لحظة، قال: يا روح أبيك، أخاف غارة القهر، أو أخاف لأنه لا يجوز أن تتجه السعادة لي، وتجدني نائماً.

وقيل (له): كيف حالك؟ فقال: آكل خبز الله، وأطيع أمر الشيطان.

وإن يناد شخص في المسجد (قائلاً) ليخرج أسوأكم، فلا يتقدمني شخص منكم قط سوى بالقهر. سمع ابن المبارك[٥٢] رحمه الله هذا، فقال: من هنا تتأتى عظمة مالك، وصدق كلامه.

يقال: إن امرأة قالت لمالك: أيها المرائي، فأجابها: لم ينادني شخص قط باسمي طيلة عشرين عاماً إلا أنت، فقد عرفت جيداً من أنا، فقالت طالما

عرفت الخلق، فلا أخاف قط من شخص يمدحنى، أو يذمنى، لأننى لم أر ولم أعرف مادحاً إلا مفرطاً، ولاذاماً إلا مفرطاً. أى أن كلاهما يبالغ. خذ كل ما تريد بغير مبالغة لأن «خير الأمور أوسطها».

وقـــال: كل أخ وصاحب وجليس لا تستفيد منه فائدة دينية، تخل عن صحبته.

وقـــال: وجدت صحبة أهل هذا الزمان مثل طعام السوق، رائحته طيبة، ومذاقه سقيم.

وقـال: تعفف عن هذه السحارة (أى الدنيا) التى قد سخرت قلوب العلماء لها.

وقـال: كل من لا تكون مناجاته مع الله (عز وجل) أحب إليه من حديثه مع الخلق، علمه قليل، وقلبه ضرير، وعمره ضائع.

وقال: أحب الأعمال إلىّ الإخلاص فيها (فى الأعمال).

وقـال: أوحى الله (عز وجل) إلى موسى عليه السلام: أن اصنع نعلين وعصا من الحديد. وسر على وجه الأرض دائماً، واطلب الآثار والعبر، وأنظر حكمتنا ونعمتنا، حتى يبلى النعلان وتتحطم العصا، ومعنى هذا القول: إنه ينبغى له أن يكون صبوراً «إن هذا الدين متين فأوغل فيه بالرفق».

وقـــال: قد قرأت فى التوراة، أن الحق تعالى يقول: «شوقناكم فلم تشتاقوا زمرناكم فلم ترقصوا».

وقال: قد قرأت فى بعض الكتب المنزلة أن الحق تعالى قد وهب أمة محمد شيئين لم يهبهما لجبريل ولا ميكائيل عليهما السلام أولهما: **«فاذكرونى أذكركم»**(٥٣). والآخر: **«ادعونى أستجب لكم»**(٥٤)

وقال: قد قرأت فى التوراة أن الحق تعالى يقول: أيها الصديقون، انعموا فى الدنيا بذكرى فى الدنيا نعمة عظيمة، وجزاء جزيل فى الآخرة.

وقال: يقول الحق تعالى فى بعض الكتب المنزلة: أقل شيء أفعله مع العالم الذى يحب الدنيا، هو أن أنزع حلاوة ذكرى من قلبه.

وقال: كل من يتغلب على شهوات الدنيا، يفرغ الشيطان من طلبه.

وطلب شخص وصية منه وهو فى النزع، فقال: كن راضياً فى كل الأوقات، تتوافق الأمور معك، فتتحرر.

عندما توفى، رآه أحد المشايخ فى المنام، فقال: ماذا فعل الله بك؟ قال: لقيت الله (جل جلاله) (مثقلاً) بذنوبى الكثيرة. لكن بسبب حسن ظنى به غفرها كلها.

ورأى شيخ آخر القيامة فى المنام، حيث كان يتردد نداء قائلاً: انزل يا مالك بن دينار أنت ومحمد بن واسع فى الجنة. قال: نظرت أيهما يسبق الآخر إلى الجنة. فتقدم مالك. قلت: يا للعجب! إن محمداً بن واسع أفضل وأكثر علماً. فقيل: بلى لكن كان لمحمد بن واسع قميصان فى الدنيا، ولمالك واحد. من هنا كان هذا الاختلاف، فهنا لن يستوى رداء مع ردائين قط. أى اصبر حتى تفرغ من حساب قميص زائد. رحمة الله عليه.

ذكر محمد بن واسع[٥٥] رحمة الله عليه

هو المقدم لدى الزهاد، والمعظم لدى العباد، هو العامل العالم، والعارف الكامل، هو الغنى القانع محمد بن واسع (رحمة الله عليه رحمة واسعة).

كان فريد زمانه فى طريقته، وكان قد التحق بخدمة الكثير من التابعين، وأدرك الشيوخ المتقدمين، وكان ذا حظ وافر فى الطريقة والشريعة، ووصل فى الرياضة إلى حد أنه كان يبل الخبز اليابس بالماء. ويأكله، وكان يقول: من يقنع بهذا، يستغنى عن كل الخلق.

وكان يقول فى المناجاة: إلهى، تملكنى عارياً وجائعاً، فبماذا أدرك هذا المقام مثل أحبائك ويصير حالى كحالهم؟!

وأحياناً كان يحل مع أصحابه بمنزل الحسن البصرى من شدة الجوع، وما يجده كان يأكله، وعندما كان الحسن يأتى، كان يسر بهذا.

ومن أقواله إنه كان يقول: السعيد ذلك الشخص الذى يستيقظ جائعاً فى الصباح، وينام جائعاً فى الليل،ويرضى من الله بهذا الحال.

وطلب شخص عظة منه فقال: أوصيك بأن تكون ملكاً فى الدنيا والآخرة، قال الرجل: كيف هذا؟ فقال: بأن تزهد فى الدنيا. أى[٥٦] أنك حين تزهد فى

الدنيا، فإنك لاتطمع فى شخص قط، وترى جميع الخلق محتاجين، ولا جرم لأنك غنى وملك، وهكذا يكون (حال) ملك الدنيا وملك الآخرة.

وقال لمالك بن دينار ذات يوم: حفظ اللسان أصعب على الخلق من حفظ الدرهم والدينار.

ودخل على قتيبة بن مسلم[٥٧] ذات يوم برداء من الصوف، فقال له: لماذا لبست الصوف؟ فسكت، قال (قتيبة): لماذا لاتجيب؟ قال: لا أريد أن أقول من الزهد فأزكى نفسى أو من الفقر فأشكو الحق (تعالى)[٥٨].

ذات يوم رأى ابناً له كان يختال، فنادى عليه وقال: ألا تدرى من أنت؟ اشتريت أمك بمائتين درهم، وكذلك ليس هناك شخص بين المسلمين أحقر من أبيك، فلم عجبك هذا[٥٩]؟

وسأله شخص: كيف أنت؟ قال (كيف يكون) شخص يقل عمره وتزداد ذنوبه وهكذا كان قوله فى المعرفة: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه»[٦٠].

وسئل أتعرف الله؟ فخيم الصمت عليه برهة، وأطرق، ثم قال: من عرفه قل كلامه ودام تحيره[٦١].

وقال: جدير بالشخص الذى أعزه الله بمعرفته ألا يرجع عن مشاهدته قط لمشاهدة غيره، ولا يفضل عليه شخصاً قط.

وقال: لا يكن الصادق صادقاً ما لم يكن لديه أمل، وما لم يخف قط، أى ينبغى أن يستوى لديه الخوف والرجاء، حتى يكون صادقاً حقيقياً ومؤمناً صرفا واعلم أن «خير الأمور أوسطها» (رحمة الله عليه).

ذكر حبيب العجمى رحمة الله عليه

هو ولى قبة الغيرة، وصفى حجاب الوحدة، هو صاحب اليقين بلا شك، والمعتكف بلا أثر، هو الفقير المعدم حبيب العجمى (رحمة الله عليه).

كان صاحب صدق وهمة، وكان ذا كرامات ورياضات كاملة.

كان فى بداية أمره ثرياً، وكان يقرض بالربا، ويقيم بالبصرة، ويطالب عملائه كل يوم (بالدين)، وإن لم يكن يجد الفضة، كان يطلب الربا، وكان ينفق منه يومياً وكان قد ذهب ذات يوم فى طلب مدين، ولم يكن ذلك المدين فى داره، وعندما لم يره طلب الربا، فقالت زوجة المدين إن زوجى ليس هنا. ولا أملك شيئاً أعطيه لك، وكنا قد نحرنا شاة لم يبق منها إلا العنق، أعطيها لك إن أردت، فقال لا بأس وأخذ منها عنق الشاه، وحملها إلى الدار، وقال لزوجته: هذا ينفع، فلتضعيه فى قدر، فقالت الزوجة: لا يوجد خبز ولا حطب، قال لها: حسناً، سأذهب لآخذ الربا حطباً وخبزاً، ذهب، وأخذها جميعاً، وأحضرها، ووضعت المرأة القدر، وعندما نضج، أرادت الزوجة أن تفرغه فى أوانى، فحل سائل وطلب شيئاً، فصاح حبيب عليها (قائلاً): إن أعطيته ما نملك، لن نصبح أغنياء ونصير فقراء، فيئس السائل وأرادت الزوجة أن تفرغه فى أوانى، فأمسكت بحافة القدر، فإذا به قد صار دماء سوداء عادت المرأة شاحبة الوجه،

وأمسكت بيد حبيب، وأخذته للقدر، وقالت: أنظر ما حل بنا بشؤم الربا والصيحة التي صحت بها على الفقير، فإذا كان هذا ما حل بك في الدنيا فما بالك بالآخرة. رأى حبيب ذلك، فاشتعلت في قلبه نار لم ينطفيء أوارها، وقال: أيتها المرأة تبت عما مضى. وفي اليوم التالي خرج في طلب عملائه، وكان اليوم يوم جمعة، وكان الأطفال يلعبون، وعندما رأوا حبيباً صاحوا: جاء حبيب آكل الربا ابتعدوا، حتى لايهب غباره علينا، فنصبح تعساء مثله. ضاق حبيب بهذا الكلام فاتجه إلى مجلس، وجرى شيء على لسان الحسن البصري، اقتلع قلب حبيب دفعة واحدة، وفقد وعيه، ثم تاب، وأدرك الحسن البصري، وتشبث بتلابيبه. ولما عاد من ذلك المجلس، رآه مدين، فأراد أن يهرب منه، قال حبيب: لا تهرب، كان يمكنك الفرار مني حتى هذه اللحظة (لكن) الآن عليّ أنا أن أهرب منك، وعاد من هناك. كان الأطفال يلعبون، ولما رأوا حبيباً قالوا: ابتعدوا كي يمر حبيب التائب، ولا يهب غبارنا عليه لأننا نعصى الله. قال حبيب: إلهي وسيدي، في هذا اليوم الذي تصالحت معك فيه جعلت القلوب ترق لي، وطيبت اسمي. ثم نادى منادٍ من له شيء عند حبيب فليأت ويأخذه، فتجمع الخلق، وأعطاهم أمواله كلها حتى أفلس. وجاء شخص آخر (يطلب ماله) ولم يكن قد بقي لديه شيء فأعطاه عباءة زوجته. وطلب آخر ماله فأعطاه قميصه، وبقي عارياً، واعتكف في صومعة على شاطئ الفرات، وانشغل فيها بعبادة الله ليل نهار.

وكان يتعلم من الحسن ولم يكن يستطيع قراءة القرآن، ولهذا سمي بالعجمي.

وقيل: إنه لما انقضى زمن، صار معدماً فقيراً، وكانت زوجته تطلب منه النفقات والحوائج فخرج حبيب، وقصد الصومعة، وتعبد فيها، وعندما حل

الليل، عاد إلى زوجته فسألته: أين كنت تعمل حتى إنك لم تحضر شيئاً؟ فقال حبيب: الشخص الذى أعمل لديه كريم جداً، وأخجل أن أطلب منه شيئاً بسبب كرمه، فهو يعطينى حين يحين الوقت وهو يقول: إننى أعطى الأجر كل عشرة أيام، من ثم كان يذهب إلى تلك الصومعة كل يوم، ويتعبد حتى انقضت عشرة أيام، وفى اليوم العاشر عندما حلت صلاة الظهر فكر فى نفسه (وقال): ماذا أحمل إلى الدار هذه الليلة؟ وما أقول لزوجتى؟ واستغرق فى ذلك التفكير. وفى الحال أرسل الله (تعالى) حمالاً إلى داره بحمل من الدقيق، وآخر بلحم مسلوخ، وآخر بسمن وعسل، وتوابل وحوائج حملها الحمالون، وجاء معهم شاب جميل (معه) سرة بها ثلاثمائة درهم من الفضة، وطرق الباب، فخرجت زوجته وقالت: ما الأمر؟ قال ذلك الشاب الجميل: قد أرسل السيد هذا كله، فقولى لحبيب أكثر من العمل حتى نكثر من الأجر، قال هذا، ومضى. حل الليل، واتجه حبيب إلى الدار خجلاً حزيناً، وعندما وصل إلى باب الدار، كانت رائحة الخبز والطعام تنبعث منه، وتقدمت إليه زوجته، ونظفت وجهه، ولاطفته كما لم تفعل من قبل ـ وقالت: أيها الرجل، لأنك كنت تعمل أرسل ذلك الشخص العظيم جداً الرؤوف الكريم هذا وهذا على يد شاب ذى مروءة جميل الوجه وقال: قولى لحبيب حين يأتى أكثر من العمل حتى نكثر من الأجر. دهش حبيب وقال: عجباً عملت عشرة أيام فأحسن إلى هذا الإحسان! أتدرى ما يفعل لى إن أكثرت من العمل؟ ثم انصرف عن الدنيا كلية. وكان يتعبد حتى صار من كبار مستجابى الدعوة، كما أن الجميع جرب دعاءه، بل إن عجوزاً جاءته ذات يوم، وتوسلت إليه، وبكت كثيراً (قائلة) لى ابن غائب عنى منذ زمن بعيد، ولم تبق لى قدرة على فراقه، فبالله ادع له حتى يعيده الحق (تعالى) إلى ببركة دعائك، فقال: ألديك فضة؟ قالت: لدى درهمان، قال: هاتيهما، واعطيهما للفقراء، ودعا دعاء وقال: اذهبى، فقد وصل إليك. ولم تكد المرأة

تصل إلى باب الدار حتى رأت ابنها، فصاحت وقالت: ها هو ابنى، وحملته إلى حبيب، فقال له: كيف الحال؟ قال: كنت فى كرمان، وكان أستاذى قد أرسلنى لشراء اللحم، أخذت اللحم، وفى طريقى إلى الدار، اختطفتنى ريح، وسمعت صوتاً: أيتها الريح، أعيديه إلى داره ببركة دعاء حبيب وببركة درهمى الصدقة. إن قال شخص: كيف حملته الريح؟ أقول: كما كانت تحمل (المغفور له) سليمان عليه السلام أربعين فرسخاً، وكما كانت تحمل عرش بلقيس فى الهواء.

يروى: أن حبيباً شوهد فى البصرة يوم التروية، وفى عرفات يوم عرفة(٦٢).

حل قحط بالبصرة ذات مرة، فاشترى حبيب كثيراً من الطعام بالأجل، وتصدق به، وخيط حافظته، ووضعها تحت فراشه، وعندما كان (التجار) يطلبون حقوقهم، كان يخرج الحافظة، فكانت تمتلىء بالدارهم(٦٣). فسدد الديون. وكان له منزل فى البصرة على مفترق طرق، وكان لديه فراء كان يلبسه صيفاً وشتاء، وذات مرة رغب فى التطهر، فنهض، وترك الفراء. فوصل الحسن البصرى إلى البوابة فرأى الفراء ملقى فى الطريق، قال: ألا يعرف هذا العجمى إلى هذا الحد أنه لا ينبغى له أن يترك هذا الفراء هنا فيضيع! ووقف وكان ينظر حتى وصل حبيب، فسلم ثم قال: يا إمام المسلمين، لماذا وقفت؟ قال: ألا تعرف أنه لا ينبغى عليك أن تترك هذا الفراء هنا فيضيع! ثم قل لى تركته معتمداً على من؟ قال: على أن يختارك الله لتحافظ عليه.

يروى: أن الحسن جاء لزيارة حبيب ذات يوم، فوضع حبيب أمامه رغيفين وقطعة ملح، أخذ الحسن فى تناولها ثم دخل سائل، فأعطاه حبيب الرغيفين والملح، وهكذا بقى الحسن (بلا خبز أو ملح)، فقال: يا حبيب، أنت رجل كفء فإن كان لديك قدر من علم لكنت أفضل حالاً من أن تأخذ الخبز من أمام

الضيف وتعطيه كله للسائل! فيجوز لك أن تعطى قطعة للسائل، وقطعة للضيف، فلم يقل حبيب شيئاً. ومرت برهة، فجاء غلام وكان قد حمل فوق رأسه خوانا، ووضع أمام حبيب حملاً مشوياً وحلوى وخبزاً نظيفاً وخمسمائة درهم من الفضة، فأعطى حبيب الفضة للفقراء، ووضع الخوان أمام الحسن، وعندما تناول الحسن قطعة شواء، قال حبيب: أيها الأستاذ، إنك رجل طيب وإن كان لك قدر من اليقين لكنت أفضل حالا، ويلزمك علم اليقين.

مـرّ الحسن على باب صومعته وقت صلاة العشاء، وكان قد قام للصلاة، ووقف، فدخل الحسن، وكان حبيب يقرأ الحمد «الهمد»، فقال الحسن: إن الصلاة خلفه ليست صحيحة، ولم يقتد به، وكبر للصلاة بنفسه. ولما حل الليل، نام، فرأى الحق تبارك وتعالى في المنام، فقال: يا إلهى، فيم (يكون) رضاؤك؟ قال: كنت قد أدركت رضاءنا يا حسن فلم تعرف قدره، قال: يا إلهى، وما هو؟ لو أنك صليت خلف حبيب لكنت قد نلت رضاءنا(٦٤). وسوف تكون هذه الصلاة أفضل من صلوات عمرك كلها، لكن منعك سقم العبادة عن صحة النية، وفرق كبير بين استقامة اللسان واستقامة القلب.

ذات يوم كان رجال الحجاج يبحثون عن الحسن، فاختفى في صومعة حبيب، قالوا لحبيب: أرأيت الحسن اليوم؟ قال: نعم، قالوا: وأين ذهب؟ قال: إلى هذه الصومعة فدخلوا الصومعة، ومهما بحثوا عنه لم يجدوه، وقد قال الحسن: وضعوا أيديهم علىّ سبع مرات، ولم يرونى. خرج الحسن من الصومعة وقال: يا حبيب، لم تحفظ حق الأستاذ وأرشدت علي، قال حبيب: أيها الأستاذ، نجوت بسبب صدقي، ولو كنت أكذب لكنا أسرنا معا(٦٥). قال الحسن: وما قرأت حتى أنهم لم يرونى؟ قال: قرأت آية الكرسى عشر مرات وآمن الرسول عشر مرات، وقل هو الله أحد عشر مرات، وقلت: إلهى، استودعتك الحسن فاحفظه.

يروى: أن الحسن أراد الذهاب إلى مكان ما، فجاء إلى شاطئ دجلة، وكان يفكر في شيء في نفسه، عندما وصل حبيب وقال: لم وقفت يا إمام؟ قال: سأذهب إلى مكان ما والسفينة تتأخر، قال حبيب: يا أستاذ، ماذا حدث لك؟ إننى تعلمت من علمك، فاخرج الحسد من قلبك، أفرغ قلبك من الدنيا، واعتبر البلاء غنيمة، وانظر الأفعال من الله، وعندئذ ضع قدمك على الماء، وامض، ووضع حبيب قدمه على الماء ومضى، ففقد الحسن وعيه، ولما عاد إلى رشده قالوا : ما دهاك يا إمام المسلمين؟ قال: لامنى حبيب تلميذى هذه اللحظة، ووضع قدمه على الماء ومضى، وقد بقيت أنا. إن نودى غداً سيروا على الصراط النارى، فما أستطيع أن أفعل إن بقيت هكذا؟ ثم قال الحسن: يا حبيب، بما نلت هذا؟ قال: بأننى أجعل قلبى صفحة بيضاء وأنت تجعله صفحة سوداء، فقال الحسن: «علمى نفع غيرى ولم ينفعنى علم».

من هنا قد يظن شخص أن مقام حبيب يفوق مقام الحسن ولكن الأمر ليس كذلك، فليس هناك مقام فى طريق الله أسمى من العلم، ولهذا لا يتصف أى أمر بالزيادة إلا العلم، وكما (ورد) فى كلام المشايخ أن الكرامات هى الدرجة الرابعة عشرة للطريقة، والأسرار والعلم فى الدرجة الثامنة، لأن الكرامات تكثر بالعبادة، وتزداد الأسرار بالتفكر، ومثل هذا حال سليمان الذى فاز بأمر لم يفز به شخص فى العالم، فسخرت له الشياطين والملائكة والوحوش والطيور، وكان الماء والنار طوعاً له، وأرسل له فى الهواء بساط طوله أربعين فرسخاً، وبكل تلك العظمة فهم ألسنة الطيور ولغة النمل. وكانت كل الكتب التى هى عن عالم الأسرار لموسى عليه السلام ولا جرم أن كل الأمور كانت تابعة له.

يروى: أن أحمد بن حنبل(٦٦) والشافعى رضى الله عنهما كانا قد جلسا، فخرج حبيب من زاوية، فقال أحمد: سأسأله سؤالاً، فقال الشافعى: لا يجوز لنا

أن نسألهم، فهم قوم عجيبون، قال أحمد: لا مفر، ولما اقترب حبيب، قال أحمد: ما تقول فى شخص تفوته صلاة من الصلوات الخمس ولا يدرى أيهم هى؟ وما ينبغى عليه أن يفعل؟ قال حبيب: «هذا قلب غفل عن الله فليؤدب» وينبغى عليه أن يؤدى الصلوات الخمس قضاء، فدهش أحمد من جوابه، فقال الشافعى: ألم أقل لا يمكن لنا أن نسألهم؟!

يروى: أن داراً مظلمة كانت لحبيب، وكانت فى يده إبرة، وقعت وضاعت، فأضىء الدار فى الحال، ووضع حبيب يده على عينيه، وقال: لا لا، لا أعرف أين هى سوى بالسراج.

يـــروى: أن حبيباً كانت له جارية طيلة ثلاثين عاماً، ولم يكن قد رأى وجهها قط، وذات يوم قال لجاريته: يا مستورة، ناد جاريتنا، فقالت: ألست جاريتك؟ قال: لم يجرؤ حبيب على النظر إلى أى شىء سواه طيلة ثلاثين عاماً، فكيف كنت أستطيع النظر إليك؟

يـروى: أن حبيباً كان يختلى فى زاوية، وكان يقول: لتكف عين الشخص الذى يرى سواك، ولا أنس بشىء قط كل من لا يأنس بك.

وكان يعتكف فى زاوية، وينفض يده من التجارة، ويقول: الثقة بالله.

ســــأله شخص: فيم (يكون) الرضاء؟ قال: فى قلب ليس فيه غبار النفاق[٦٧].

يــروى: أن القرآن كلما كان يقرأ أمامه كان يبكى منتحباً بشدة، فقالوا له: أنت أعجمى والقرآن عربى، ولا تعرف ما يقوله فلم هذا البكاء؟ قال: إن لسانى أعجمى لكن قلبى عربى.

قال فقير: رأيت حبيباً فى مرتبة عظيمة، فقلت: إنه أعجمى فما كل هذا القدر؟ فسمعت صوتاً: مع إنه أعجمى إلا أنه حبيب.

يـروى: أنهم قتلوا سفـاكاً، فرأوه فى تلك الليلة فى المنام وهو يطوف فى رياض الجنة مرتدياً حلة خضراء فقالوا: يا فلان، إنك رجل قاتل، فبما أدركت هذا؟ قال: مرّ حبيب فى تلك اللحظة التى شنقونى فيها. فنظر إلىّ بطرف عينه، وكل هذا من بركات تلك النظرة (رحمة الله عليه).

ذكر أبى حازم المكى[٦٨] رحمة الله عليه

هو المخلص المتقى، المقتدى المهتدى، هو شمع السابقين وصبح الصادقين، هو الفقير الغنى أبو حازم المكى (رحمة الله عليه).

كان فريداً فى المجاهدة والمشاهدة، وكان مرشداً لكثير من المشايخ، وكان قد عمر طويلاً، ويبالغ أبو عمرو بن عثمان المكى[٦٩] فى أمره مبالغة تامة، وكلامه مقبول فى كل القلوب، ومفتاح لكل المشكلات، وكلامه كثير فى الكتب ومن يرد الزيادة يسع إليها، لكننا نذكر له عدة أقوال على سبيل التبرك، ونسلك طريق الاختصار. لأننا إن استرسلنا فى شرح حاله لطال الكلام، وكفاك أن تعرف أنه كان من كبار التابعين، وأنه قد أدرك كثيراً من الصحابة مثل: أنس بن مالك وأبى هريرة (رضى الله عنهما).

سأل هشام بن عبد الملك أبا حازم عن الشيء الذى نجد النجاة به فى هذا الأمر فقال: كل درهم تكسبه اكسبه حلالا، وانفقه فى موضعه الحق، فقال: ومن يستطيع أن يفعل هذا؟ قال: من يفر من الجحيم ويطلب الجنة ويرجو رضاء الرحمن.

ومن أقواله: عليكم بالاحتراز من الدنيا، فقد ثبت لى أن العبد الذى كان قد عظم الدنيا يركل يوم القيامة أمام الجميع، ثم ينادى انظروا، هذا هو العبد

الذى أعز ما حقره الحق (تعالى) وأحب ما عداه الله وقد أحبه وأعزه، وهو الذى تمسك بما نهى الله عنه وتشبث به.

وقـــال: لا شيء فى الدنيا تسر بـه إلا وفيه شيء تحزن عليه لأن الله لم يخلق سعادة محضة.

وقال: يشغلك قليل الدنيا عن كثير الآخرة.

وقال: وجدت كل أمر فى شيئين: واحد لى وآخر ليس لى، مالى إن فررت منه كثيراً يأتى إلىّ، وما ليس لى إن سعيت إليه كثيراً لن أدركه فى الدنيا قط بسعيى.

وقال: إن حرمت من الدعاء لكان هذا أشد قسوة علىّ من أن أحرم الإجابة.

وقـــال: عشت فى زمان رضى فيه بالقول عن الفعل، وبالعلم عن العمل ومن ثم فقد بقيت بين أسوأ ناس وأسوأ زمن.

ســـألـه شخص ما هو مالك؟ قال: مالى هو رضاء الله والاستغناء عن الخلق[٧٠] فمن يرض بالحق يستغن عن الخلق لا محالة.

وفرغ عن الخلق إلى حد أنه مرّ على قصاب لديه لحم سمين، فقال له: خذ من هذا اللحم قال: لا أملك الفضة فقال القصاب: أمهلك، فقال: أمهل أنا نفسى أفضل من أن تمهلنى أنت، وأخلصها، قال القصاب: لا جرم قد ظهرت عظام جانبك وهذا يكفى دود القبر.

وقد قال شيخ من المشايخ: دخلت على أبى حازم فوجدته نائماً، فانتظرت حتى استيقظ، فقال: رأيت النبى ﷺ فى المنام هذه اللحظة، وحملنى رسالة إليك. وقال: إن رعاية حق الأم أفضل لك كثيراً من الحج، فعد، وأطلب رضاءها فرجعت من هناك، ولم أذهب إلى مكة[٧١]. (رحمة الله عليه).

ذكر عتبة الغلام[٧٢] رحمة الله عليه

هو فتان الجمال، وفقيد الوصال، هو بحر الوفاء، ومنجم الصفاء، هو سيد الأيام عتبة الغلام (رحمة الله عليه).

كان مقبولاً لدى العارفين، وكان ذا طريقة عجيبة، كان ممدوحاً بكل الألسنة، وكان تلميذاً للحسن البصرى.

ذات مرة كان الحسن البصرى يمضى على شاطئ البحر، فسار عتبة على صفحة الماء، تعجب الحسن على الساحل وقال مندهشاً: أيا (عتبة) بما نلت هذه الدرجة؟ فصاح إنك تفعل ما يأمر به منذ ثلاثين عاماً، وأنا أفعل ما يريد منذ ثلاثين عاماً. وهذه إشارة إلى التسليم والرضاء

وكان سبب توبته: أنه نظر إلى شخص من الظاهر فى بداية أمره، فضاق صدره. وأخبروا ذلك الرجل، فأرسل شخص متسائلاً: ما رأيت منا؟ قال: العين، فاقتلع الرجل عينيه، ووضعها على طبق، وأرسلها إليه وقال: انظر ما رأيته، فاستيقظ عتبة وتاب، والتحق بخدمة الحسن، حتى إنه كان يزرع التوت والشعير بيده، وكان يطحن ذلك الشعير، ويعجنه بالماء، ويضعه فى الشمس حتى يجف، فكان يأكل منه مرة فى الأسبوع، وكان ينشغل بالعبادة، ولم يكن

يأكل أكثر من ذلك. وكان يقول أخجل من كرام الكاتبين لأنه ينبغى لى الذهاب لقضاء حاجتى مرة فى الأسبوع.

يروى: أن عتبة شوهد وهو يقف فى مكان ويتصبب منه العرق، قالوا: ما الحال؟ قال: فى البداية جاءتنى جماعة للضيافة، فانتزعت لهم قالب آجر من حانط الجار كى يغسلوا أيديهم. كلما أصل هناك، يتصبب منى كل هذا العرق - مهما حاولت التغلب على ذلك - بسبب الخجل والندم[٧٣] .

قالوا لعبد الواحد بن زيد[٧٤]: أتعرف أحداً انشغل بحاله عن الخلق؟ قال: أعرف واحداً سيخل هذه اللحظة، فدخل عتبة الغلام، فقال من رأيت فى الطريق؟ قال: لم أر شخصاً قط، وكان فى طريقه إلى السوق[٧٥].

يروى: أن عتبة لم يكن يتناول طعاماً أو شراباً طيباً قط، فقالت له أمه: ترفق بنفسك قال: أريد الرفق بها، فهى ستتعذب عدة أيام، وستخلد فى راحة ورفق.

يروى: أن عتبة لم ينم ليلة حتى الصباح. وكان يقول: إن تعذبنى فإنى أحبك وإن ترحمنى فإنى أحبك[٧٦] .

وقال عتبة: رأيت حورية فى المنام ذات ليلة، قالت: يا عتبة انظر فإنى عاشقة لك، فلا تفعل شيئاً يفرق بينى وبينك، فقال عتبة: طلقت الدنيا طلاقاً لا أرجع فيه قط حتى أراك.

يروى: أن واحداً جاءه ذات يوم، وكان فى سرداب، فقال: يا عتبة، يسألنى الناس عن حالك، فاظهر لى شيئاً أراه، قال: اطلب ما تريد، قال الرجل: تلزمنى رطب وكان الوقت شتاءً قال: خذ، وأعطاه زنبيلاً مملوءاً بالرطب[٧٧].

يروى: أن محمداً بن السماك وذا النون كانا عند رابعة، فدخل عتبة، وكان يرتدى قميصاً جديداً ويختال، فقال له محمد بن السماك: ما هذه المشية؟ قال:

كيف لا أختال واسمى غلام الجبار، قال هذا القول، وسقط. نظروا فكان قد أسلم الروح.

وبعد وفاته شوهد فى المنام، وكان نصف وجهه قد أسود، فقالوا: ماذا حدث؟ قال ذات مرة كنت أذهب إلى الأستاذ، فرأيت رجلاً أمرد، نظرت إليه وقد أمر الله أن يحملونى إلى الجنة، وكانت جهنم فى الطريق، فألقت حية منها بنفسها علىّ، ولدغت نصف وجهى وقالت: لدغة لنظرتك وإن كنت أطلت النظر لكثرت اللدغات. «رحمة الله عليه».

ذكر رابعة[٧٨] رحمة الله عليها

هى المخدرة بالخدر الخاص، والمستورة بستر الإخلاص، هى متقدة العشق والاشتياق، ومفتونة القرب والاحتراق. هى فقيدة الوصال، والمقبولة عند الرجال، التالية لمريم الصفية، رابعة العدوية رحمة الله عليها.

إذا قال شخص: لماذا ذكرتها بين الرجال؟ أقول: إن سيد الأنبياء (عليهم السلام) يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم»[٧٩].

أى أن الأمر ليس بالصورة إنما بالنية. كما قال ﷺ: «يحشر الناس على نياتهم» فلو جاز الإلمام بثلثى الدين من عائشة الصديقة (رضى الله عنها) لجازت الاستفادة الدينية من أمة من إمائها. وطالما كانت المرأة رجلاً فى طريق الله، فلا يمكن أن تسمى امرأة. وكما قالت عباسة الطوسية: عندما ينادون غداً فى ساحات القيامة: يا رجال. فإن أول شخص يخطو فى صف الرجال هى مريم (عليها السلام).

إنها الشخص الذى لو لم يكن حاضراً فى مجلس الحسن البصرى، كان الحسن يترك المجلس، (لذلك) يمكن ذكرها بين الرجال. بل إن المعنى الحقيقى هو : أليس هؤلاء القوم جميعاً موحدين، فكيف يبقى وجودى ووجودك فى التوحيد؟ وما يضير رجل أو امرأة؟!

وكما يقول أبو على الفارمدى(٨٠) رَحِمَهُ اللهُ: النبوة عين العزة والرفعة، ليس فيها عظمة وذلة، وكذلك الولاية. خاصة رابعة التى لا مثيل لها فى المعاملة والمعرفة. وكانت موضع ثقة مشايخ عصرها جميعاً، وحجة قاطعة على أهل الزمان.

يروى: أنه فى تلك الليلة التى ولدت فيها رابعة، لم يكن هناك شيء قط فى دار والدها، إذ كان والدها فقيراً جداً، ولا يملك قطرة زيت يدهن بها موضع خلاصها ولم يكن هناك قنديل، ولا خرقة يلفها بها. وكان له ثلاث بنات، جاءت رابعة رابعتهم ولهذا سميت رابعة. ومن ثم نادته زوجه (قائلة): اذهب إلى الجار فلان، وأطلب قطرة زيت، كى أشعل القنديل ـ وكان قد أخذ على عاتقه ألا يطلب شيئاً قط من أى مخلوق ـ فخرج ووضع يده على باب الجار، وعاد، وقال: إنه لا يفتح الباب، فبكت تلك المرأة كثيراً، وأطرق الرجل على ركبته وهو حزين، واستغرق فى النوم، فرأى النبى ﷺ فى المنام، قال له: لا تحزن، إن هذه البنت التى ولدت هى سيدة سوف يرجو سبعون ألفاً من أمتى شفاعتها.

ثم قال: اذهب غداً إلى عيسى بن زادان أمير البصرة، واكتب على ورقة: بدليل أنك تصلى على (النبى) كل ليلة مائة مرة، وأربعمائة ليلة الجمعة، ونسيتنى ليلة الجمعة التى مضت، فادفع كفارتها أربعمائة دينار حلالاً إلى هذا الرجل. عندما استيقظ والد رابعة بكى ونهض، وكتب تلك الرسالة: وأرسلها إلى الأمير على يد حاجب، فقال الأمير عندما رأى تلك الرسالة: اعطوا الفقراء ألفين دينار هبة لهم لأن النبى ﷺ ذكرنى، وأعطوا أربعمائة دينار لذلك الشيخ، وقولوا له: إننى أريد أن تأتى إلىّ كى أراك، لكننى لا أجيز أن يأتى إلى شخص مثلك، سأجيء أنا، وأمسح ذقنى على عتبتك. لكن بالله عليك، تعرض

عليّ كل حاجة تحتاج إليها. فأخذ الرجل الذهب، واشترى كل ما يلزمه. وعندما شبت رابعة، ومات والداها، حل قحط بالبصرة، وتفرقت الأخوات، فخرجت رابعة، ورآها ظالم، فسباها، وباعها بستة دراهم، وكان مشتريها يأمرها بالأعمال الشاقة. وذات يوم كانت تمضي، فاعترضها رجل غريب، ففرت رابعة، وسقطت في الطريق، وعجزت عن النهوض فوضعت وجهها في التراب، وقالت: يا إلهي، أنا غريبة، يتيمة بلا أم وأب. وأسيرة، وعبدة، وعاجزة، ولا أبتغي من هذا الكرب إلا رضاءك، وينبغي لي أن أعرف هل أنت راض أم لا؟ فسمعت صوتاً: ألا تحزني إن غداً ستكون منزلتك هي أن يزهو بك المقربون إلى السماء. ثم عادت رابعة إلى دار سيدها، وكانت تصوم النهار دائماً، وتقوم بالخدمة، وكانت تقف على قدمها في خدمة الله حتى النهار.

ذات ليلة استيقظ سيدها من النوم، ونظر في طاقة المنزل، فرأى رابعة، كانت قد سجدت، وكانت تقول: إلهي، أنت تعلم أن هوى قلبي في اتباع أمرك، ونور عيني في خدمتك، لو أن الأمر بيدي، لما توانيت عن خدمتك لحظة، ولكنك جعلتني تابعة لمخلوق (بينما) كانت تناجي هذه المناجاة، رأت قنديلاً متدلياً فوق رأسها ومعلقاً دون زنجير وأضيء الدار كله من أشعته. عندما رأى السيد ذلك، خاف فنهض وعاد إلى مكانه، وجلس يفكر، حتى طلع النهار، وعندئذ، دعا رابعة، ورق لحالها وأطلق صراحها. قالت رابعة: اسمح لي أن أنصرف، فسمح لها، وخرجت من هناك، ومضت إلى خرابة. ثم انصرفت عنها، وأتخذت صومعة وتعبدت فيها فترة. بعد ذلك قصدت الحج، فاتجهت إلى البادية، وكان لديها حمار، وضعت عليه متاعها، (وحدث أن) نفق الحمار وسط البادية، فقال الناس: نحمل متاعك، قالت: اذهبوا أنتم، فلم أجيء متوكلة عليكم، فمضى الناس، وبقيت رابعة وحدها. فرفعت رأسها وقالت: إلهي، أيفعل

الملوك هكذا بامرأة غريبة عاجزة، دعوتنى إلى بيتك، ثم أنفقت حمارى فى الطريق، وتركتنى وحيدة في البيداء، ولم تكد تتم هذه المناجاة، حتى تحرك الحمار، ونهض، فوضعت رابعة المتاع عليه، ومضت. قال راوى هذه الحكاية: بعد ذلك بفترة رأيت الحُمير، يباع فى السوق .

ثم نزلت بالبادية بعد عدة أيام، وقالت: إلهى، سلبتلى القلب أين أذهب، أنا لبنة وذلك البيت حجر، إننى أبتغيك أنت هنا. فأوحى الحق تعالى إلى قلبها دون واسطة: يا رابعة إنك تغتسلين بدماء ثمانية عشرة[81] ألف عالم، ألم تر أن موسى أراد رؤيتنا فألقينا بعدة ذرات من التجلى على الجبل، فانشطر إلى أربعة أقسام فاقنعي باسمى هنا.

يروى: أنها كانت تمضى إلى مكة فى حين آخر، وفى الطريق رأت الكعبة، جاءت لاستقبالها، فقالت رابعة: أبتغى رب البيت، ماذا افعل بالبيت؟ أبتغى استقبال ،من تقرب إلى شبرا[82] تقربت إليه ذراعا، ماذا يلزمنى من رؤية الكعبة. وليست لى طاقة بها، فأى سرور أبديه بجمالها؟!

يروى: أن إبراهيم بن أدهم ﷺ، أتم أربعة عشر عاماً فى السير حتى حل بالكعبة، لأنه كان يؤدى ركعتين في كل مصلى حتى وصل إلى هناك فى نهاية الأمر فلم يرَ البيت، قال: آه ا أى حادثة، ربما قد أصاب عينى خلل. فهتف هاتف: ليس هناك أى خلل فى عينيك، لكن الكعبة قد خرجت لاستقبال ضعيفة تتجه إليها. أثارت الغيرة إبراهيم، فقال: من هذه؟ وجرى، فرأى رابعة كانت تأتى، وعادت الكعبة إلى مكانها. عندما رأى إبراهيم ذلك، قال: يا رابعة أى ضجة وشأن وحيثية (لك) فى الدنيا؟ فقالت: إننى لم أحدث ضجة فى العالم، أنت الذى قد أحدثتها، لأنك تأخرت أربعة عشر عاماً، حتى وصلت إلى البيت. قال بلى، قد قطعت البادية فى أربعة عشر عاماً بسبب الصلاة. فقالت:

قد قطعتها فى الصلاة، وقطعتها أنا فى طلب حاجة. ثم مضت، وأدت الحج، وبكت منتحبة وقالت: إلهى، وعدت بالجزاء الحسن على الحج وعلى المصائب أيضاً، الآن لو أنك قبلت الحج، فما هو ثواب حجى؟ ولو لم تقبله، فهذه هى مصيبة كبرى، وما هو ثواب مصيبتى؟ ثم عادت، ورجعت إلى البصرة، وانشغلت بالعبادة حتى العام التالى ثم قالت: إن (كانت) الكعبة استقبلتنى فى العام الماضى أستقبلها أنا هذا العام، طالما حان الوقت.

يروى الشيخ أبو على الفارمدى: أن رابعة اتجهت إلى البادية: وكانت قد كابدت العناء سبعة أعوام، حتى بلغت عرفات، ولما وصلت هناك، نادى هاتف: أيتها المدعية، أى طلب سعيت إليه، إن تريدينا أن نتجلى لحظة، تفنين فى الحال. قالت: يا رب العزة لا طاقة لرابعة بهذه الدرجة، لكن أريد ذرة فقر. فانبعث نداء: يا رابعة إن فقر سنين القحط هو قهرنا الذى قد وضعناه فى طريق الرجال، وعندما لا يكون قد بقى سوى قيد الشعرة ويصلون إلى حضرة وصالنا، يتبدل الأمر، ويصير الوصال فراقاً. وأنت لا تزالين قابعة تحت سبعين حجاباً من زمانك، طالما لا تخرجين من تحت هذه الحجب، وتسلكين طريقنا، وتجتازين سبعين مقاماً، لايمكن التحدث إليك بحديث الفقر. ولكن انظرى، نظرت رابعة، فرأت بحراً من الدماء، معلقاً فى الهواء. وهتف هاتف: إن كل هذه (الدماء) هى دموع عشاقنا الذين جاءوا طالبين وصالنا، سقطوا جميعاً فى المقام الأول، فلم يبدو اسم لهم ولا أثرفى مقام قط فى العالمين.

قالت رابعة: يارب العزة، اظهر لى شيئا من سعادتهم، وفى الحال أتاها الحيض وهتف هاتف: إن مقامهم الأول أن يكابدوا العناء سبعة أعوام فى سبيلنا كى يزوروا حجراً (الكعبة)، وعندما يقتربون من ذلك الحجر، ينغلق الطريق عليهم كلية بسبب علة فيهم. أسرعت رابعة وقالت: يا إلهى، لا تدعنى فى

بيتك، ولا تتركنى فى بيتى، إما أن تتركنى فى بيتى، أو تدعونى إلى بيتك فى مكة، لم استكن فى البيت، أننى أريدك أنت. وأنا الآن لست جديرة ببيتك، قالت هذا، وعادت.

يروى: أن رابعة كانت تصلى ذات ليلة فى الصومعة، وقد أثر فيها التعب، فاستغرقت فى النوم، وانكسر عود فى عينها من كثرة الاستغراق، وسال الدم، ولم تكن تدرى، دخل لص، وكانت لديها عباءة، أخذها، وأراد أن يخرج، فلم يجد مخرجاً فوضعها ومضى، ثم رأى مخرجاً، فذهب، وأخذها ثانية، وجاء فلم يجد مخرجاً، فوضعها ثانية، وهكذا عدة مرات وفى المرة السابعة، صدر صوت من زاوية بالصومعة أيها الرجل، لا تتعب نفسك، فقد أسلمتنا نفسها منذ عدة سنين، فلا جرأة لإبليس أن يحوم حولها، فكيف يجرؤ لص على الدوران حول عباءتها. أيها اللص، لو أن حبيباً قد نام، فهناك حبيب يقظ يحافظ عليه.

يروى: أن شيخين دخلا لزيارتها، وقد كان كلاهما جوعان، فقال كل منهما للآخر، لنأكل ما تقدم لنا من طعام، فإن طعامها من مصدر حلال، ولما جلسا كان هناك إزار، وضعت عليه رغيفين من الخبز، فسرا. ودخل سائل، فأعطته رابعة الرغيفين. فتحير الاثنان. ولم يقولا شيئاً. ومرّ وقت، ودخلت جارية، وأحضرت عدداً من الخبز الطازج، وقالت: قد أرسلته هذه السيدة، عدته رابعة فكان ثمانية عشر رغيفا، قالت: ربما لم ترسله لى، ومهما تحدثت الجارية، لم يكن هناك جدوى. فأخذته الجارية، وحملته، إلا رغيفين كانت قد أخذتهما لنفسها، سألت السيدة (أن تعطيها بدلا منهما)، ووضعتهما عليهم، وأعادتهما ثانية. عدته رابعة فكان عشرين رغيفاً، فأخذته، وقالت: قد أرسلت هذا لى، ووضعته أمامهما، فكانا يأكلان ويتعجبان، ثم قالا لها: أى سر هذا؟

إننا رغبنا فى خبزك فأخذتيه من أمامنا، وأعطيتيه لدرويش، وفى ذات الوقت قلت: إن تلك الثمانية عشر رغيفاً ليست لى، وعندما أصبحت عشرين، أخذتيها! فقالت: عندما دخلتما، عرفت أنكما جوعانان، فقلت: كيف أضع رغيفين أمام شيخين؟ ولما دخل سائل، أعطيتهما له، وقلت للحق تعالى: إلهى، إنك قلت: أجزى الحسنة بعشرة أمثالها، وأنا على يقين من هذا. الآن تصدقت بالرغيفين من أجل رضائك، كى تجزنى بهما عشرين من أجلهما، وعندما أحضرت الثمانية عشر رغيفاً، عرفت، أنها ليست خالية من التلاعب أو أنها ليست لى.

يروى: أن خادمة رابعة كانت تعد بصلاً ذات مرة، لأنها لم تكن قد أعدت طعاماً طوال أيام مضت. احتاجت الخادمة إلى البصل، فقالت: أطلبه من الجار، فقالت رابعة: منذ أربعين عاماً وأنا على عهد مع الحق تعالى، ألا أطلب من غيره قط، فتوقفى عن طهى البصل. وفى الحال حط طير من الهواء، مقشراً بصل، ألقى به فى المقلاة، فقالت: إننى لست آمنة المكر، وتركت البصل المطهى، وأكلت الخبز خالصاً.

يروى: أن رابعة كانت قد ذهبت إلى جبل ذات يوم، وكان قد التف حولها كثير من الغزلان والماعز الجبلى والتيوس وحمر الوحش وكانوا ينظرون إليها ويقتربون منها. وفجأة ظهر الحسن البصرى، ولما رأى رابعة، اتجه إليها فانصرفت تلك الحيوانات ـ عندما رأت الحسن ـ جميعها مرة واحدة. وبقيت رابعة بمفردها، فغضب الحسن ـ الذى شاهد ذلك ـ ونظر إلى رابعة، وقال: لماذا فروا منى وأنسوا بك؟ قال رابعة: ماذا أكلت اليوم؟ قال: أكلت قليلاً من السمن بالبصل. فقالت: إنك تأكل شحمهم، فكيف لا يفرون منك؟!

يروى: أن رابعة مرت على دار الحسن ذات مرة، وكان الحسن قد أطل من النافذة، وهو يبكى. فسقطت دموعه على رداء رابعة، فظنتها الأمطار، ولما

علمت أنها دموع الحسن، اتجهت إليه في الحال وقالت: أيها الأستاذ، هذا البكاء من رعونات النفس إحفظ دموعك، حتى تصير بحراً بداخلك، وكلما تبحث عن القلب في ذلك البحر، لاتجده، «إلا عند مليك مقتدر»(٨٣). ضاق الحسن بهذا الكلام، لكنه أذعن. إلى أن رأى رابعة ذات يوم، وكانت بالقرب من الماء، فطرح الحسن سجادة على الماء، وقال: يا رابعة تعالى، كي نصلى ركعتين هنا. فقالت رابعة: يا حسن، يجب أن تعرض نفسك في سوق الدنيا من أجل الآخرة، بحيث يجب أن يعجز أبناء جنسك عن ذلك. ثم طرحت رابعة السجادة في الهواء، وطارت عليها: وقالت: يا حسن، تعال هنا، كي يرانا الناس، ولم يحظ الحسن بهذا المقام، فلم يقل شيئاً. أرادت رابعة أن تستحضر قلبه، فقالت: يا حسن، ما فعلته، تفعل مثله سمكة، وما فعلته أنا، تفعله ذبابة. والأمر خارج عن كليهما. ويجب الانشغال بالعمل.

يروى: أن الحسن البصري قال: بقيت يوماً بليلة عند رابعة، وتحدثت عن الطريقة والحقيقة، ولم يجل بخاطرى أننى رجل، ولم يجل بخاطرها أنها امرأة، وعندما نهضت في آخر الأمر، نظرت، فرأيت نفسي مفلساً، ورابعة مخلصة.

يروى: أن الحسن واثنين أو ثلاثة من أصحابه ذهبوا إلى رابعة ذات ليلة، ولم يكن لديها سراج، وأرادت لهم نور القلب، فنفخت رابعة في (طرف) إصبعها، فكان إصبعها يضيء كالمصباح في تلك الليلة وحتى النهار، وجلسوا في ذلك النور حتى الصباح. إن يقل شخص: كيف يكون هذا؟ أقول: مثل يد موسى عليه السلام. إن يقل: هو نبي، أقول: كل من يتبع نبي، يمكن أن تكون له ذرة من النبوة، كما يقول النبي ﷺ: «من رد دانقاً من الحرام فقد نال درجة من النبوة، وقال: الرؤيا الصحيحة جزء من أربعين جزء من النبوة.

يروى: أن رابعة أرسلت إلى الحسن ثلاثة أشياء: قطعة من الشمع، وإبرة، وشعرة. ثم قالت: كن كالشمعة، احترق لتنر العالم، وكن كالإبرة، اعمل مجرداً على الدوام وطالما أنجزت كلا العملين، فإن كل شعرة من عملك هي بمثابة آلاف الأعوام من العمل..

يروى: أن الحسن قال لرابعة: أترغبين في أن نتزوج ونعقد العقد. فقالت: يعقد عقد النكاح على موجود، وهنا قد انعدم الوجود، لأنني فنيت عن نفسي، وبقيت به، وأنا كلي ملكه، وتحت أمره، فيجب أن تخطبني منه، لا مني، فقال: يا رابعة، بماذا نلت هذه المكانة؟ قالت: بأن فقدت كل المنال منه، قال الحسن: كيف تعرفينه؟ قالت: كما تعرفه أنت يا حسن، أعرفه بلا شيء.

يروى: أن الحسن ذهب إلى صومعة رابعة ذات يوم، وقال لها: حدثيني عن تلك العلوم التي كانت قد وهبت لك دون تعليم، فقالت رابعة: كنت قد غزلت الخيط كي أبيعه وأقتات منه، بعته، وأخذت قطعتين من الفضة، ووضعت واحدة في هذه اليد والثانية في اليد الأخرى، وخفت أن يتزاوجا إذا وضعتهما في يد واحدة، ويضلا الطريق وكان ظفري اليوم سبب هذا.

قالوا: يقول الحسن: لو أحرم لحظة من رؤية الحق في الجنة، أنوح، وأبكي إلى حد أن يشفق عليّ جميع أهلها (الجنة). قالت رابعة: حسناً، لكن إن يغفل عن الحق لحظة في الدنيا، ويبدو عليه نفس الحزن والعويل والنواح كذلك، فهذا دليل على أنه سيكون في الآخرة كما قال، وإلا فإنه ليس كذلك.

قالوا (لرابعة): لماذا لا تتزوجين؟ فقالت: أسألكم عن ثلاثة أشياء تجيبونني عليها كي ألبيكم: أولاً: هل سأنعم بسلامة الإيمان عند الموت أم لا؟ قالوا: لا نعرف، ثانياً: عندما تسلم الصحف للعباد، ستسلم لي في اليد اليمنى أم لا؟ ثالثاً: في تلك الساعة التي سيحمل فيها جماعة إلى الناحية اليمنى وجماعة

إلى الناحية اليسرى فإلى أى ناحية سيحملوننى؟ قالوا: لا نعرف. قالت: الآن، كيف يكون لشخص مثلى ينتظره هذا المأتم قدرة على الزواج.

قالوا لها: من أين جئت؟ قالت: من تلك الدنيا. قالوا: وإلى أين ستذهبين؟ قالت: إلى تلك الدنيا. قالوا: ماذا تفعلين فى هذه الدنيا؟ قالت: أتحسر قالوا: كيف؟ قالت: آكل خبز هذه الدنيا، وأعد أمر تلك الدنيا، قالوا: يجدر إخفاء طلاوة اللسان. قالت: أنا نفسى أخفيه، كل شيىء بداخلى لا أخرجه، وكل شيىء خارجى لا أدخله. إن يدخل شخص أو يخرج، فلا شأن له بى، إننى أحفظ القلب لا الطين.

قالوا: أتحبين حضرة العزة؟ قالت: بلى. قالوا: أتكرهين الشيطان؟ قالت: لا، قالوا: لماذا؟ قالت: لا أخاف عداء الشيطان بسبب محبة الرحمن. وإننى رأيت الرسول ﷺ فى المنام، قال لى: أتحبيننى يا رابعة؟ قلت: من لا يحبك يا رسول الله؟! ولكن محبة الحق قد استغرقتنى إلى حد أنها لم تترك مكاناً لمحبة الغير أو كراهيته. قالوا: وما المحبة؟ قالت: قد جاءت المحبة من الأزل ومرت على الأبد،ولا يدركها شخص فى ثمانية عشر ألف عالم، فمن يتجرع شربة منها، اتجه إلى الآخر والحق. ومنها وردت هذه العبارة «يحبهم ويحبونه»(٨٤).

قالوا: أترين من تعبدينه؟ قالت: لو لم أكن أراه، لما كنت عبدته.

يروى: أن رابعة كانت دائمة البكاء. قالوا: لم تبكين كل هذا البكاء؟ قالت: أخشى القطيعة لأننى قد اعتدت عليه، فلا ينبغى أن ينبعث نداء عند الموت. إنك لست جديرة بنا.

قالوا: متى يكون العبد راضياً؟ قالت: عندما يسر بالمحنة كما يسر بالنعمة.

قالوا: إن يتب شخص كثير الذنوب، يُغفر له؟ قالت: كيف يتوب ما لم يتفضل الله عليه بالتوبة ويعفُ عنه؟!

ومن أقوالها: يا بنى آدم، لا مقام لكم مع الحق بالعين، ولا سبيل إليه باللسان والسمع هو الوسيلة الأساسية لعناء القائلين، واليد والقدم هما حيرة الساكنين. وقع الأمر فى القلوب، اجتهدوا أن توقظوا القلوب، فطالما استيقظ القلب، فلا حاجة له برفيق. أى أن القلب اليقظ هو الذى قد فنى فى الحق، ومن فنى، ما يفعل له الرفيق؟ فالفناء فى الله هناك.

وقالت: الاستغفار باللسان هو دأب النساء الكاذب.

وقالت: إن نتب بأنفسنا نحتاج إلى توبة أخرى.

وقالت: إن صبرت صبر الرجال، لكنت كريماً.

وقالت: ثمرة المعرفة الاتجاه إلى الله.

وقالت: العارف من يرجو قلباً من الله، عندما يهبه الله قلباً، يرده إليه فى الحال، حتى يحفظ فى قبضته، ويحجب فى ستره عن الخلق، وكثيراً ما كان صالح المرى يقول(٨٥): من يطرق باباً سرعان ما ينفتح له. وكانت رابعة حاضرة ذات مرة فقالت: مع أنك تقول: إن هذا الباب مغلق، وسيفتح، فمتى أغلق قط حتى ينفتح قال صالح: عجباً، رجل جاهل، وامرأة ضعيفة عالمة!

يروى: أن رابعة رأت رجلاً ذات مرة، كان يقول: واحزناه: قالت: هكذا قل: وا دون حزناه، لأنك لو كنت حزيناً لما جرؤت أن تتنفس.

يروى: أن رابعة رأت شخصاً كان قد عصب على رأسه عصابة. فقالت: لماذا عقدت عصابة؟ قال: لأن رأسى تؤلمنى. قالت رابعة: كم تبلغ من العمر؟ قال: ثلاثين عاماً. قالت: هل أمضيت أغلب العمر فى الداء والألم؟ قال: لا. قالت: حظيت بجسد سليم طيلة ثلاثين عاماً، ولم تعقد عصابة الشكر قط، وفى ليلة آلمتك رأسك، تعصب عصابة الشكوى.

يـروى: أنها أعطت أربعة دراهم من الفضة إلى شخص (قائلة): اشتر لى مرقـعة لأننى عارية. فـانصرف ذلك الرجل وعـاد. وقـال: يا سيـدة، أى لون أشتريها؟ فقالت رابعة: طالما تدخل اللون، أعطنى الدراهم، وأخذتها، وألقت بها فى نهر دجلة. أى أن التفرقة ظهرت لها وهى لم ترتد المرقعة بعد.

يــــروى: أنهـا دخلت ذات مـرة الدار فى فـصل الربيع، واعـتكفت. قـالت الخادمة: اخرجى يا سيدة كـى ترين الصنع. قالت رابعة: أدخلى أنت مرة حتى ترين الصانع فقد «شغلتنى مشاهدة الصانع عن مطالعة المصنوع».

يروى: أن جماعة ذهبت إليها، وكانت تقطع قليلاً من اللحم بأسنانها. قالوا: ألا تملكين سكيناً تقطعين به اللحم؟ قالت: إننى لم أملك سكيناً فى الدار قط ولن أملك خشية القطيعة.

يـروى: أنها صامت ذات مرة سبع أيام بلياليها ولم تكن قد أكلت خلالها قط، ولم تكن قد نامت الليل خلالها مطلقاً، فـقد شغلت طوال الليل بالصلاة. (ولما) تجاوز الجوع الحد، دخل شخص المنزل: وأحضر قدحاً يستحق الشراب، أخذته رابعة، وذهبت حتى تحضر السراج، ولما عادت، كانت القطة قد سكبت ذلك القدح. قالت: أذهب وأحضر القدح، وأفطر. عندما أحضرت القدح، كان السراج قد انطفأ. فعزمت أن تشرب الماء فى الظلام، فوقع القـدح من يدها، وانكسر. ناحت رابعة، وتأوهت لأنها خافت أن يحترق نصف الدار، وقالت: إلهى، ما هذا الذى تفعله بى أنا المسكينة؟ فسمعت صوتاً: ويحك، أتريدين أن أجعل نعمة الدنيا وقفاً عليك؟! لكنـى أرفع حزنك عن قلبك، فإن نقمة الدنيا ونعمتها لا يجتمعان فى قلب واحد. يا رابعة إن لكى مراد ولنا مراد، ولا نجتمع نحن ومرادك فى قلب واحد. قالت: عندما سمعت هذا الخطاب، قطعت القلب عن الدنيا وقصرت الأمل إلى حد أننى صليت ثلاثين عاماً كل صلاة أديتها

ظننت أنها ستكون آخر صلاة لى، وكذلك انقطعت عن الخلق خشية يوم لا ينبغى لشخص فيه أن يشغلنى عنه، وقلت: يا إلهى، إشغلنى بك كى لا يشغلوننى عنك.

يروى: أن رابعة كانت تنوح، قالوا: يا عزيزة العالم، لا نرى (لك) علة ظاهرة قط ودائماً تتألمين وتنوحين. قالت: بلى لدى علة داخل صدرى، جميع أطباء العالم عاجزون عن معالجتها، فمرهم الجراح هو وصال المحبوب، ونتعلل بالغد الذى نصل فيه إلى المقصود، وطالما أننا لسنا الأطباء، إعرض نفسك على أطباء لا ينبغى لهم أن يكونوا أقل من ذلك.

يروى: أن جماعة من المشايخ ذهبوا إلى رابعة، سألت رابعة أحدهم: لماذا تعبد الله؟ قال: إن لطبقات جهنم السبع عظمة، وللجميع عليها مرور، فينبغى أن نعمل مضطرين خشية ذعرها. وقال آخر: إن لدرجات الجنة منزلة كبيرة، والراحة فيها أمر موعود. قالت رابعة: إن العبد السيىء من يعبد ربه خشية وخوفاً منه أو طمعاً فى جزائه. فقالوا: ولماذا تعبدينه أنت إذن؟ أليس طمعاً فى الجنة، قالت: «الجار ثم الدار»، وقالت: ألا يكفينا أنه أمرنا أن نعبده فلو لم تكن هناك جنة ونار، ألا تجوز الطاعة له، ألا يستحقها، لأنه يُعبد بلا واسطة.

يروى: أن شيخاً ذهب إلى رابعة، فرأى رداءها بالياً جداً، فقال: لو تأمرين يهتم كثير من الناس بأمرك. قالت رابعة: أخجل أن أطلب الدنيا ممن ملك الدنيا بأسرها، فكيف أستطيع طلبها من شخص هى عارية فى يده. قال الرجل: انظر هذه الهمة العالية للعجوز، وكيف سمت بها هذا السمو إنها تضن أن تشغل وقتها بالسؤال عنها.

يروى: أن جماعة دخلت على رابعة لامتحانها، وأرادوا امتحانها فقالوا: قد نثرت جميع الفضائل على رؤوس الرجال، ووضع تاج النبوة على رؤوس

الرجال، وعقد حزام الكرامة على خصورهم، ولم تبعث أى امرأة للنبوة قط.
قالت رابعة: كل هذا صحيح ولكـن ادعـاء الألوهيـة «وأنا ربكم الأعلى»[٨٦] لم تصدر عن امرأة قط، ولم تكن هناك امرأة مخنثة قط، وقد بدا هذا فى الرجال.

يروى: أن رابعة مرضت ذات مرة، واشتد عليها المرض، سألوها: ما سبب هذا؟ قـالت: «نظرت إلى الجنة فـأدبنى ربى» وهذا الداء بسـبب عـتـاب الحبيب[٨٧].

ثم جاء الحسن البصرى لعيادتها، قال: رأيت سيداً من سادة البصرة كان يضع كيساً من الذهب على باب صومعتها، وهو يبكى، فقلت: أيها السيد، لماذا تبكى؟ قال: من أجل زاهدة الزمان هذه، التى لو خلت بركاتها من بين الخلق، لهلك الخلق، وقال: قد أحضرت شيئاً للعهد معها، وأخشى ألا تقبله. اشفع لى أنت كى تقبله، فدخل الحسن، وقص لها الأمر، فنظرت إليه رابعة بطرف عينها وقالت: «هو يرزق من يسبه فلا يرزق من يحبه». منذ عرفته، انقطعت عن الخلق، وكيف آخذ مال شخص لا أعرف هل هو حلال أم لا؟ إننى حكت القميص الذى أبليته ـ على ضوء السراج السلطانى ـ فضاق قلبى زمناً، حتى تذكرت، فمزقت ما كنت قد حكته، فسر قلبى. اعتذر لذلك السيد حتى لا يضيق قلبى.

يقـول عبد الواحد بن عامر: دخلت أنا وسفيان الثورى لعيادة رابعة، ولم أستطع أن أبدأ الحديث بسبب هيبتها، فقلت لسفيان: قل شيئاً قال: إن دعوت الله يخفف هذه الآلام عليك. فالتفتت إليه وقالت: يا سفيان، ألا تعرف من أراد هذا الألم لى، ألم يرده الله؟ قال: بلى. قالت طالما أنك تعرف (فكيف) تأمرنى أن أطلب منه ما يخالف إرادته! فلا تجوز مخالفة الحبيب. ثم قال سفيان: يا

رابعة أي شيء ترغبينه قالت: يا سفيان، لماذا تقول مثل هذا الكلام وأنت رجل من أهل العلم؟ فأي رغبة يرغبها هو لي؟ فبعزة الله إنني أشتهي الرطب منذ اثني عشر عاماً، وأنت تعلم أن التمر متوفر في البصرة ولم آكله حتى الآن، فأنا عبدة وأي شأن للعبد بالرغبة، لو أنني أريد وربي لا يريد لكان هذا كفرا، فيجب إرادة ما يريد حتى تكون عبداً له حقيقة، لو يمنحك هو بنفسه، لكان هذا أمراً آخر. قال سفيان: سكتت، ولم أتحدث قط. طالما لا يمكن التحدث في أمرك تحدث أنت في أمري. قالت: إنك رجل حسن لو أنك لا تحب الدنيا. وقالت: أتحب رواية الحديث؟ أي أن هذا هو الجاه فقال سفيان: رق حالي، وقلت: ارض عني يا إلهي قالت رابعة: ألا تخجل أن ترجو رضاء شخص لست راضياً عنه.

يــــروى: أن مالكاً بن دينار قال: ذهبت إلى رابعة، ورأيتها ومعها قدح مكسور، كانت تشرب منه، وتتوضأ منه، وحصير بالية وخشنة كانت ترقد عليها زمناً، وقال: تألم قلبي وقلت: لي رفاق أغنياء، لو تريدين أن آخذ لكي شيئاً منهم. قالت: أخطأت خطأ عظيماً يا مالك، أليس من يرزقني وإياهم واحد؟ قلت: بلى. قالت: قد نسيت رازق الفقراء بسبب الفقر وتذكر الأغنياء بسبب الغنى؟ قلت: لا، فقالت: طالما هو يعلم الحال فبما أذكّره إنه يريد ونحن كذلك نريد ما يريد.

يروى: أن الحسن البصري ومالكاً بن دينار وشقيق البلخي دخلوا على رابعة ذات يوم، وكانت مريضة، قال الحسن: ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضرب مولاه «قالت رابعة: تفوح رائحة الغرور من هذا الكلام». وقال شقيق: «ليس بصادق في دعواه من لم يشكر على ضرب مولاه». قالت رابعة: ينبغي الأفضل من هذا. قال مالك: «ليس بصادق في دعواه من لم يتلذذ

بضرب مولاه، قالت رابعة: ينبغي الأفضل من هذا. فقالوا: إذن قولي أنت. فقالت: «ليس بصادق في دعواه من لم ينس الضرب في مشاهدة مولاه». ولا عجب في ألا يشعر نساء المحلة بألم الضرب في مشاهدة المخلوق. إن يتصف شخص بهذه الصفة في مشاهدة الخالق لا يكون بديعاً.

يروى: أن أحد مشايخ البصرة دخل (عليها)، وجلس على فراشها، وكان يذم الدنيا بشدة. قالت رابعة: إنك تحب الدنيا جداً، ولو أنك لا تحبها لما ذكرتها بهذه الدرجة فإن مفسد البضاعة شاريها، لو فرغت من الدنيا لما ذكرتها بالخير أو الشر، لكنك تذكرها لأن « من أحب شيئاً أكثر من ذكره».

قال الحسن: ذهبت إلى رابعة ذات يوم في صلاة العصر، وأرادت أن تطهو شيئا، وكانت قد ألقت اللحم في القدر، ووضعت الماء، ولما استرسلت معي في الحديث، قالت: إن هذا الكلام أشهى عندي من طعام القدر وهكذا كانت تتحدث حتى أدينا صلاة العشاء، فأحضرت قطعة خبز يابسة وقدح ماء حتى نفطر، وذهبت كي ترفع القدر، فاحترقت يداها ونظرنا، فكان الطعام قد نضج، وكان يغلي بقدرة الحق تعالى، أحضرته وأكلنا ذلك اللحم، وكان لذيذاً لدرجة أننا لم نكن قد أكلنا طعاماً قط بهذه اللذة، قالت رابعة: ذهب الداء هكذا يفعل القدر.

قال سفيان: اقتربت من رابعة، وكانت في المحراب، وكانت تصلي حتى النهار، وكنت أصلي في زاوية أخرى حتى السحر، ثم قلت: بما نشكر من وفقنا أن نصلي له طوال الليل؟ قالت: بأن نصوم غداً، وقالت: يا إلهي، لو أنك سترسلني يوم القيامة إلى جهنم، أصرح بأنها ستفر مني ألف عام. وكانت تقول: يا إلهي، كل شيء قدرته لنا من الدنيا هبه لأعدائك، وكل ما قدرته لنا من الآخرة هبه لاحبائك فيكفيني أنت.

وكانت تقول: لو أنني أعبدك خشية جهنم، احرقني في جهنم، ولو أعبدك أملاً في الجنة حرمها علي، ولو أعبدك من أجلك فلا تضن علي بالجمال الباقي.

وكانت تقول في المناجاة: يا إلهي: لو ألقيت بي غداً في جهنم، أصرخ (قائلة): إنني أحبه، أيفعل هذا مع الحبيب؟ فنادى هاتف: يا رابعة، «لا تظني بنا ظن السوء» سننزلك إلى جوار أحبائنا حتى تتحدثين معنا بحديثنا.

وكانت تقول في المناجاة: يا إلهي، إن شغلي في الدنيا بأسرها ورغبتي فيها هو ذكرك، وشغلي في الآخرة بجملتها ورغبتي فيها لقاؤك، إن هذا الذي قلته مني، وأفعل كل ما تريده.

وكانت تقول في المناجاة ذات ليلة: يارب، استحضر لي قلبي وإلا فاقبل الصلاة بدون قلبي.

ولما حضرتها الوفاة، خرج الناس، واعتلوا مرتفعاً، فسمعوا صوتاً: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية»[٨٨]. مرّ وقت ولم ينبعث أي صوت، ففتحوا الباب، وكانت قد أسلمت الروح.

وهكذا قال المشايخ: دخلت رابعة الدنيا، ومضت إلى الآخرة، ولم تتجرأ على الحق قط، ولم ترجوه شيئاً ولم تقل هبني شيئاً أو افعل لي شيئاً، حتى تطلب شيئاً من الخلق.

رأوا رابعة في المنام بعد موتها، فقالوا: اشرحي حالك، وكيف نجوت من منكر ونكير؟ قالت: دخلا المكان وقالا: من ربك؟ فقلت عودا وقولا لله: إنك لم تكن تنسى عجوزاً ضعيفة بين آلاف مؤلفة من الخلق، وأنا الذي عرفتك في الدنيا بأسرها لا أنساك قط، حتى ترسل شخصاً (يسألني) من ربك؟!

جاء محمد بن أسلم[٨٩] ونعمي الطرطوسي اللذين سقيا ثلاثين ألف رجل في البادية إلى قبر رابعة، وقالا: إنك (كنت) تدعين إنك لا تحنين رأسك في العالمين، فإلى أين وصل بك الحال؟ فانبعث صوت: وصلت إلى ما رأيته. رحمة الله عليها.

ذكر الفضيل بن عياض[٩٠] رحمة الله عليه

هو المقدم لدى التائبين، والمعظم لدى النائبين، هو شمس الكرم والإحسان وبحر الورع والعرفان، هو المعرض عن الكونين، شيخ الزمان الفضيل بن عياض (رحمة الله عليه).

كان من كبار المشايخ، وكان عيار الطريقة، وكان ممدوح الأقران، ومرجع القوم. وله في الرياضات والكرامات شأن رفيع، وكان فريداً في الورع والمعرفة.

كانت بداية أمره أنه كان قد ضرب خيمة وسط صحراء «مرو و باورد»، وارتدى المرقعة، ووضع على رأسه عمامة من الصوف، وعلق مسبحة في رقبته. وكان له أصحاب كثيرين، كانوا جميعاً لصوصاً وقطاع طرق. وكانوا يقطعون الطرق ليلاً ونهاراً، ويحضرون البضائع إلى الفضيل لأنه كان زعيمهم، فكان يقسمها بينهم، وكان يستولي على ما يريد لنفسه ويسجله، ولم يكن يبعد أبداً عن الجماعة. وكل غلام لم يكن يأت إلى الجماعة، كان يبعده.

ذات يوم كانت قافلة عظيمة تقدم، وكان أصحابه يتجسسون عليها، كان هناك رجل في القافلة، قد سمع صوت اللصوص، وشاهدهم. وكان معه كيس

ذهب، كان يحاول أن يخفيه، فقال لنفسه: أذهب، واخبيء هذا الكيس، فإن هاجموا القافلة اجعلها بضاعتي، ولما انتحى جانباً من الطريق، رأى خيمة فضيل، ورآه على مقربة منها على هيئة الزاهدين ولباسهم، فسر، وعهد إليه بذلك الكيس على سبيل الأمانة. قال الفضيل: اذهب، وضعه في ركن من الخيمة هذه. ففعل الرجل ذلك، وعاد إلى القافلة وعندما وصل إليها، كانوا قد سطوا عليها، وسرقوا كل البضائع، وقيدوا أهلها وألقوا بهم. فخلصهم جميعاً، وجمعوا ما كان قد بقى، ومضوا. وجاء ذلك الرجل إلى الفضيل كى يأخذ الكيس، فرآه جالساً مع اللصوص، وهم يقتسمون البضائع، عندما رأى الرجل ذلك، قال: أعطيت ذهبى للص. رآه الفضيل من بعيد فنادى عليه، ولما تقدم الرجل، قال: أين الوديعة؟ قال: هناك حيث وضعتها، خذها واذهب، دخل الرجل الخيمة، وحمل الكيس، ومضى. فقال له الأصحاب: إننا لم نجد درهماً واحداً نقداً فى القافلة بأسرها، وتعيد له عشرة آلاف درهم!

قال الفضيل: لقد ظن بى هذا الرجل ظناً حسناً، وأنا أيضاً قد ظننت بالله ظناً حسناً بأن يتوب على، فحققت ظنه حتى يحقق الحق ظنى.

بعد ذلك، هاجموا قافلة ذات يوم، وسرقوا البضائع، وجلسوا، وكانوا يتناولون الطعام. فسأل واحد من أهل القافلة: من كبيركم؟ قالوا: ليس معنا، إنه يصلى هناك عند شجرة على حافة الماء. قال: ليس الوقت وقت صلاة. قالوا: إنه يصلى متطوعاً. فقال: ألاَ يأكل معكم؟ قال: إنه صائم، قال الرجل: ليس الشهر رمضان. قالوا: يصوم متطوعاً. تعجب هذا الرجل واقترب منه، فكان يصلى فى خشوع، فانتظر حتى فرغ، وقال: «الضدان لا يجتمعان» فكيف يجتمع الصوم والسرقة؟! وأى علاقة بين الصلاة وقتل المسلمين؟! قال الفضيل: أتعرف القرآن؟ قال: بلى، قال: ألم يقل الحق تعالى: «وآخرون اعترفوا بذنبوهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً». فلم يقل الرجل شيئاً، وعجب لأمره.

يروى: أن المروءة والهمة كانت من طباعه دائماً، بحيث إنه لو كانت فى القافلة امرأة فلم يكن يسرق متاعها، ولم يكن يستولى على مال الفقير، أو يأخذه، وكان يترك لكل شخص على قدر ماله وكان يميل إلى الصلاح دائماً.

وفى البداية، عشق امرأة، كان يمنحها كل ما يحصل عليه من قطع الطرق، وكان يعتلى الجدران دائماً افتناناً بعشقها، ويبكى. ذات ليلة، كانت قافلة تمر، بها شخص يتلو القرآن، فترامت إلى مسامعه هذه الآية الكريمة: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»(٩١). وهكذا خرجت الآية لمبارزة فضيل فكانت بمثابة سهم انقض على روحه، وقال: يا فضيل، إلام تقطع الطريق، فقد حان الوقت أن نقطع نحن طريقك أيضاً. فسقط فضيل من فوق الحائط، وقال: حان الوقت، ومضى من الوقت أيضاً. واتجه مضطرباً وحيراناً وخجلاً وهائماً إلى الخرابات حيث كانت جماعة من أهل القوافل، وكانوا يقولون: لنمضى، فقال أحدهم: لا يمكننا الذهاب لأن الفضيل فى الطريق. فقال الفضيل: بشراكم، إنه تاب(٩٢). وكان يتجول طوال اليوم ويبكى، وكان يعادى المرح.

كان فى باورد يهودى، وكان يريد الحل منه، فلم يحله. فقال ذلك اليهودى لأصحابه: اليوم هو اليوم الذى نهزأ فيه بأتباع محمد. ثم قال: لو تريد أن أحلك فهناك تل من الحصى ـ يصعب على الإنسان حمله سوى فى دهر ـ وقال: ارفعه. فكان الفضيل يلقى به حصوة، حصوة، بسبب العجز، وكيف ينجز الأمر بذلك الأسلوب؟ ولما يئس، هبت ريح فى السحر، وأخفته. لما رأى اليهودى ذلك، اندهش، وقال: أقسم ألا أحلك ما لم تعطنى مالاً. ضع يدك الآن تحت هذا الغصن، وخذ قبضة ذهب من هناك، واعطها لى، فيصح قسمى وأحلك. فجاء الفضيل إلى دار اليهودى وكان اليهودى قد وضع تراباً تحت غصن ـ فغرس

يده تحت الغصن، ورفع حفنة من الدنانير، ومنحها له. قال اليهودي، اشرح لي الإسلام، فشرحه له، فأسلم اليهودي ثم قال: أتعلم لماذا أسلمت؟ لأني لا أعرف حتى اليوم أي دين هو الحق؟ واليوم اتضح لي أن الإسلام هو الدين الحق، لأنني قد قرأت في التوراة: أن من يتب توبة نصوحة، عندما يضع يده في التراب يصير ذهباً، وكنت قد وضعت تراباً تحت الغصن لاختبارك، ولما وضعت يدك في التراب صار ذهباً، فعرفت أن توبتك حقيقية ودينك هو الحق.
الخلاصة، قال الفضيل لشخص: بالله، قيد يدي وقدمي، واحملني إلى السلطان، فإن عليّ حداً كبيراً، وينبغي عليه أن يقيم الحد علي. ففعل الرجل ذلك. ولما رآه السلطان، ورأى فيه سمة أهل الصلاح، قال: لا يمكنني هذا، وأمر فصحبوه إلى داره معززاً. لما وصل الفضيل إلى باب الدار، نادى أهل الدار، فقالوا: إن صوته قد تغير كما لو أنه جرح. قال الفضيل: بلى، لقد جرحت جرحاً عظيماً قالوا: أين؟ قال: في الروح. ثم دخل، وقال لزوجه: أيتها المرأة، إنني سأقصد بيت الله: إن تريدي أطلقك. قالت المرأة: لا أنفصل عنك قط، وكل مكان تحل فيه أحل فيه. ثم مضيا حتى وصلا إلى مكة. ويسر الحق (تعالى) الطريق عليهما. وجاور (الفضيل) المكان، وأدرك بعض الأولياء، وصاحب الإمام أبي حنيفة فترة. وكانت له روايات عظيمة، ورياضات عميقة، وذاع صيته في مكة، وكان أهل مكة يجتمعون حوله، وكان يتحدث إلى الجميع، ووصل أمره إلى حد أن نهض أهله وأقاربه من باورد، وجاءوا لرؤيته، وقرعوا الباب، فلم يفتح ولم يعودوا، صعد الفضيل سطح المنزل، وقال: يالكم من رجال عاطلين ليهبكم الله عملاً، وقال كثيراً من هذا القبيل، فبكى الجميع، وأغشي عليهم، وفي النهاية، عاد الجميع يائسين من صحبته، وظل هو على السطح، ولم يفتح الباب.

يــروى: أن هارون الرشيد قال للفضل البرمكى ـ الذى كان أحد المقربين إليه ـ ذات ليلة: خذنى هذه الليلة إلى رجل يشرح لى حالى، فقد ضاق قلبى بسبب الوحدة والفرقة فأخذه الفضل إلى دار سفيان بن عيينة(٩٣)، قرعا الباب، قال: من؟ قال: أمير المؤمنين قال: لماذا تكبد المشقة؟ كان يجب أن يخبرنى حتى كنت أجيء إليه بنفسى. فقال هارون للفضل: ليس هذا هو الرجل الذى أنشده، أنه مثل من يدعون لى بطول العمر. علم سفيان بتلك الواقعة فقال: فضيل بن العياض هو ما تنشدانه ينبغى عليكما الذهاب إليه فذهبا إلى هناك وكان يتلو هذه الآية «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات»(٩٤). قال هارون: لو أننى أطلب النصيحة، فهذا كاف. ثم قرعا الباب، قال الفضيل: من؟ قال: أمير المؤمنين. قال: أى شأن له بى؟ وأى شأن لى به؟ قال: إن طاعة أولى الأمر واجبة. قال: لاتزعجنى. قال: أدخل بالإذن أم بالأمر؟ قال: إن دخلتما بالإكراه، فلا إذن إذن، وأنتما تعلمان. دخل هارون، ولما اقترب من الفضيل أطفأ الفضيل السراج، حيث لا ينبغى له أن يرى وجهه، مد هارون يده، فأعادها الفضيل له، وقال: «ما ألين هذا الكف لو نجا من النار». قال هذا، ونهض، ووقف للصلاة. فتغير حال هارون وغلبه البكاء، وقال فلتتحدث. سلم الفضيل وقال: كان والدك عم المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فدعا: أن اجعلنى أميراً على قومى. فقال: يا عم، أمرّناك على نفسك لحظة، أى لأن تكن فى طاعة الله لحظة خير من طاعة الخلق لك ألف عام «إن الإمارة يوم القيامة الندامة» قال هارون: زدنى. قال لما ولى عمر ابن العزيز الخلافة. دعا سالماً بن عبد الله(٩٥) ورجاء بن حياة(٩٦) ومحمداً بن كعب وقال لهم: إننى ابتليت بهذا البلاء، فما تدبيرى؟ إننى اعتبرها بلاء مع أن الناس يعتبرونها نعمة. فقال أحدهم: إن أردت النجاة من عذاب الله تعالى غداة القيامة، اعتبر شيوخ المسلمين كأبيك، وشبابهم كإخوتك، واحفظ أطفالهم

مثل أبنائك وعاملهم كما يعامل الأب والأخ والولد[٩٧]. قال زدني: فقال: إن ديار الإسلام مثل ديارك. وأهلها عيالك. ،زر أباك، وأكرم أخاك، وأحسن إلى ولدك».

ثم قال: أخشى أن يبتلي وجهك الجميل بنار الجحيم، فأخش الله (تعالى) وأطعه وكن يقظاً عاقلاً، لأن الحق (تعالى) سيسألك عن المسلمين واحداً واحداً يوم القيامة ويطالبك بحق كل واحد منهم، فلو أن عجوزاً كانت قد نامت في دارها دون زاد، فإنها تتشبث بطرفك. وتعاديك. فبكى هارون كثيراً إلى حد أن فقد وعيه، فقال الوزير فضل: كفى إنك قتلت أمير المؤمنين، قال: اصمت، يا هامان، فإنك تهلكه أنت وقومك، ثم تقول لي قتلته أنت. وهذا هو القتل. فزاد بكاء هارون لهذا الكلام، وعندئذ التفت إلى الفضل وقال: قال لك هامان لأنه قد وضعني في مكانة فرعون. ثم قال هارون: أعليك دين؟ قال: بلى، دين الله على بالطاعة، فإن حاسبني عليها فالويل لي، قال يا فضيل، أتحدث عن دين الخلق، قال: الحمد لله (عز وجل) إن نعمه على كثيرة، وليس لدى أي شكوى منه كي أشكوه إلى عباده. فوضع هارون أمامه ألف دينار (قائلاً) : هذه النقود حلال، من ميراث أمي. قال الفضيل: لم تفدك نصائحي هذه قط يا أمير المؤمنين والآن أيضاً بدأت الظلم، وسلكت مسلك الظالم. قال: أي ظلم، قال: إنني أدعوك إلى النجاة، وتلقي بي أنت في البلاء، وهذا ظلم وأقول لك رد ما تملكه إلى أصحابه، فتعطيه إلى آخر لا يستحقه فلا فائدة لكلامي، قال هذا، ونهض من أمامه، وألقى بالذهب خارج الباب. فخرج هارون الرشيد وقال: «أواه أي رجل هو» إن الملك في الحقيقة هو الفضيل، وإن جاهه عظيم وحقارة الدنيا زائدة في نظره.

يروى: أنه احتضن طفله ذي الأربعة أعوام ذات يوم، وقبله كعادة الآباء، فقال ذلك الطفل: أتحبني يا والدي، قال: نعم، قال: أتحب الله؟ قال: نعم، قال

وكم قلب لديك؟ قال: واحد، قال: أيمكن محبة حبيبين بقلب واحد، فعرف في الحال، أن الطفل لا يقول ذلك، بل إن ذلك هو تعريف بالحقيقة بسبب غيرة الحق فأخذ في الندب، وتاب، وقطع قلبه عن الطفل، ووهبه للحق(٩٨).

يروى: أن الفضيل كان قد وقف بعرفات ذات يوم، وكان كل الخلق يبكون في تضرع ونحيب وبكاء ورجاء، قال: يا سبحان الله،ما بالك لو أن كل هؤلاء الناس يذهبون إلى رجل مرة واحدة، ويطلبون منه دانقاً من الفضة فماذا تظن هل يخيب رجاءهم جميعاً؟ فقال ذلك الرجل: لا، فقال: إن العفو عنهم جميعاً أسهل على الله تعالى من أن يعطيهم ذلك الرجل دانقاً من الفضة لأنه «أكرم الأكرمين»، الرجاء أن يغفر لهم جميعاً.

وسألوه في عرفات ليلاً: كيف ترى حال هؤلاء الناس؟ قال: قد غفر للجميع، وإن كنت لست بينهم، قالوا: كيف؟ ولا نراك خائفاً قط! قال: لو أنك كنت خائفاً لم يكن الخائفون في خفية عنك فإنه لا يرى الخائف إلا الخائف، ويستطيع الحزين أن يرى المحزونين.(٩٩)

قالوا: متى يبلغ الرجل غايته في حب الله (تعالى)؟ فقال: عندما يتساوى لديه المنع والعطاء، فقد بلغ غاية محبته.

قالوا: ما تقول في شخص يريد أن يقول لبيك ولا يطيق قولها خشية أن يقال له: لا لبيك. قال آمل أن من يرى نفسه في ذلك الموقف، لا تتردد وراءه كلمة لبيك.

قالوا: ما أصل الدين؟ قال: العقل، قالوا: ما أصل العقل؟ قال: الحلم. قالوا: ما أصل الحلم؟ قال: الصبر.

قال أحمد بن حنبل ﷺ: سمعت من الفضيل: أن كل من طلب الرياسة ذل.

وقـال: قلت للفضيل: عظني، فقال: كن في المؤخرة ولا تكن في المقدمة فهذا أفضل لك.

قـال بشر الحـافي رضي الله عنه سألته: الزهد أفضل أم الرضا؟ فقال: الرضا أفضل لأن الراضي لا يرجو أي مقام أسمى من مقامه.

قـال سفيان الثوري رضي الله عنه: ذهبت إليه ذات ليلة، وظللت أتلو الآيات وأقص الأخبـار والآثار طوال الليل، ولما نهضت. قلت: يا لها من ليلة مباركة ليلة أمس، ويالها من جلسة محمودة جلسة أمس، فإن هذه الجلسة أفضل من الوحدة. فقال الفضيل: يالها من ليلة مشئومة ليلة أمس، ويالها من جلسة مذمومة جلسة أمس. قلت لماذا تقول مثل هذا الكلام؟ قال: لقد كنت في أسرها طوال الليل كي تقول كلاماً حسناً يعجبني، وكنت أنا أسيراً لها على أمل أن أجيب جواباً حسناً يعجبك، وكنا قد شغلنا بعضنا البعض بكلام بعضنا البعض عن الله، فاعلم أن الوحدة والمناجاة مع الله أفضل(١٠٠).

ذات يـــوم رأى عبد الله بن المبارك وكان قد اتجه إليه، فقال: عد من المكان الذي بلغته والا عدت أنا، أتأتي كي تقص علي بعض الكلام وأقص عليك بعض الكلام!

يــروى: أن شخصاً قصده ذات يوم، فقال له: لما جئت؟ قال للاستكانة والراحة برؤيتك قال: بالله، إن هذا أقرب إلى الوحشة، ولم تأت إلا كي تخدعني بالكذب وأخدعك بالكذب فارجع من هنا.

وكان يقول: أريد أن أصاب بمرض، يقعدني عن صلاة الجماعة حيث لا ينبغي لي رؤية الخلق.

وقال: إن استطعتم أن تسكنوا في مكان لا يعرفكم فيه أحد، ولا تعرفون فيه أحداً، لكان هذا الأمر عظيماً وحسناً، فافعلوا ذلك(١٠١).

وقـال: أمتن منة عظيمة من شخص يمر عليّ ولا يسلم وعندما يصيبنى مرض، لا يأتى لعيادتى.

وقـال: أسر عندما يحل الليل لأنه خلوة لى مع الحق بلا فرقة، وعندما يطلع الصبح أحزن كراهية لرؤية الخلق الذين لا ينبغى لهم الدخول على وإزعاجى فى الخلوة.

وقال: من يستوحش الوحدة، ويستأنس بالخلق، فهو بعيد عن السلامة.

وقال: من عدّ القول من العمل قل كلامه إلا عند الضرورة.

وقال: من يخف الله، يصم لسانه.

وقـال: عندما يحب الحق تعالى عبداً، يكثر همه، وإذا بغضه وسع عليه دنياه.

وقال: إن بكى حزين فى أمتى، لسعت كل الأمة فى أمره.

وقـال: لكل شيىء زكاة، وزكاة العقل الحزن الطويل، ومن العجيب كذلك أن يكون هناك شخص فى الجنة ويبكى. ولهذا كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان.

وقـال: الأعجب من ذلك حال شخص يضحك فى الدنيا ولا يعلم كيف ستكون عاقبة أمره.

وقـال: خمسة أشياء من علامات سوء الطالع: قسوة القلب، وجمود العين، وقله الحياء، والرغبة فى الدنيا وطول الأمل.

وقـال: عندما يسكن الخوف قلب شخص لا يجرى شىء لا قيمة له على لسانه ويتغلب على الشهوات وحب الدنيا ويبعد عن قلبه الرغبة فيها.

وقال: من يخشى الله، تخشاه كل الأشياء، ومن لا يخشى الله، يخشى كل شيء.

وقال: خشية الله والخوف منه تكون على قدر علم العبد، وزهد العبد في الدنيا يكون على قدر رغبته في الآخرة.

وقال: لم أر آدمياً قط في هذه الأمة أكثر رجاءً في الله وأكثر خوفاً منه إلا ابن سيرين (رضي الله عنهما).

وقال: لو أن الدنيا بأسرها منحت لي حلالاً دون حساب أتقذرها كما تتقذرون الجيفة(١٠٢).

وقال: قد جمعت المساوئ كلها في دار واحدة مفتاحها محبة الدنيا، وجمعت جملة المحاسن في دار واحدة مفتاحها عداوة الدنيا(١٠٣).

وقال: القدوم إلى الدنيا سهل، لكن الخروج منها والخلاص منها صعب.

وقال: الدنيا مستشفى والخلق فيها كالمجانين، وللمجانين في المستشفى أغلال وقيود.

وقال: بالله إن كانت الآخرة من الحقارة الباقية، والدنيا من الذهب الفاني لكان جديراً أن يرغب الخلق في الحقارة الخالدة، لأن الدنيا ليست إلا سفالة فانية والآخرة ذهب باقي.

وقال: لم يمنح شخص شيئاً قط من الدنيا، ما لم ينقص عنه مئات الأشياء في الآخرة لأنه سيكون لك عند الله بما كسبت، وما فعلت، فافعل الآن سواء أكان كثيراً أم قليلاً.

وقال: لا تتلذوا بالثياب الناعمة والطعام اللذيذ، فإن التمتع بتلك الثياب وذلك الطعام لن يبقى غداً.

وقال: الناس الذين انقطعوا عن بعضهم البعض بالتكلف، يستطيعون أن يروا وقاحة بعضهم البعض عندما يرفع التكلف.

وقال: أوحى الله (عز وجل) للجبال: إني مكلم نبياً على واحد منكم، فتكبرت الجبال جميعها إلا طور سيناء، فكلم عليه موسى ﷺ لتواضعه.

وقال عن التواضع: هو الخضوع لله والطاعة له والانقياد لما يأمر به.

وقال: من يعتبر أن لنفسه قيمة، فلا نصيب له في التواضع.

وقال: لا تبحثوا عن ثلاثة أشياء لأنكم لن تجدوها: لا تبحثوا عن عالم يزن علمه بميزان العمل لأنكم لن تجدوه وتبقوا جاهلين، ولا تبحثوا عن عامل لا يصاحب إخلاصه عمله لأنكم لن تجدوه وتبقوا عاطلين، ولا تطلبوا إخوة بلا عيب لأنكم لن تجدوها، وتبقوا بلا أخ.

وقال: من يظهر المحبة لأخية باللسان، ويكن له العداء في القلب يلعنه الله، ويجعله أعمى القلب وأصم.

وقال: عندما كانوا يفعلون ذلك كانوا يراءون والآن لا يفعلون هذا ويراءون.

وقال: ترك العمل من أجل الخلق رياء، والعمل من أجلهم شرك، والإخلاص: أن يحفظ الحق (تعالى) العبد من هاتين الخصلتين.

وقال: إن أقسمت أنى مراء أحب إلي من أن أقسم أننى لست بمراء[١٠٤].

وقال: أصل الزهد الرضاء من الحق تعالى بكل ما يفعله وأجدر الخلق برضاء الله (تعالى) أهل المعرفة.

وقال: كل من يعرف الله حق المعرفة، يعبده بكل طاقته.

وقال: الفتوة ترك الأخوة.

وقال: حقيقة التوكل ألا يأمل (المرء) فيما سوى الله، وألا يخشى غيره.

وقال: المتوكل من يثق في الله عز وجل، وألا يتهم الله في أي شيء يفعله، وألا يشكو منه، أي يستوي لديه الظاهر والباطن في التسليم.

وقال: عندما يقال لك، هل تحب الله؟ اصمت، فإن قلت لا، تكون كافراً وإن قلت نعم، لا يكون مسلكك مثل مسلك الأحبة.

وقال: خجلت من الله، من كثرة ذهابي إلى المبرز، وكان كل ثلاثة أيام يقضي حاجته مرة، وقال: كثيراً ما يذهب الرجل إلى المبرز ويخرج نظيفاً وكثيراً ما يذهب رجل إلى الكعبة ويخرج ملوثاً.

وقال: الحرب مع العقلاء أيسر من تناول الحلوى مع الجهلاء.

وقال: من يضحك هانئاً في وجه فاسق، يسعى في تخريب الإسلام.

وقال: من يلعن حيواناً، يقول له الحيوان: آمين مني ومنك.

وقال: اللعنة على كل من هو أكثر عصياناً لله.

وقال: لو أعلم قوله: الدعاء مستجاب لك، فاطلب كل ما تريده، أدعو للسلطان، لأنني إن دعيت بصلاحي لكان الصلاح لي فقط، وفي صلاح السلطان صلاح كل الخلق(١٠٥).

وقال: خصلتان يفسدان القلب: كثرة النوم وكثرة الأكل.

وقال: فيكم خصلتان من الجهل إحداهما: أنكم تضحكون ولا تتعجبون، والأخرى: أنكم تنصحون ولا تستيقظون الليل.

وقال: يقول الله (عز وجل): يا بن آدم، إن ذكرتني، ذكرتك، وإن نسيتني نسيتك، والبرهة التي لن تذكرني فيها هي عليك لا منك، فانظر الآن ما تفعل.

وقــال: قال الله لأحد الأنبياء: بشر المذنبين بقولى إن تبتم أقبل توبتكم، وأنذر الصديقين بأنى إن عدلت معهم، لعاقبتهم جميعا.

ذات يوم دخل عليه شخص، وقال له: عظنى، فقال: «أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار».

ذات يوم رأى ابنه كان يعد ديناراً من الذهب كى يعطيه لشخص، وكان ينظف تلك القذارة التى كانت فى نقش الذهب، فقال: يا بنى، إن هذا أفضل لك من عشر حجات وعشر عمرات.

وذات مرة، احتبس بول ابنه، فرفع الفضيل يده وقال: يارب، بحق محبتى لك، خلصه من هذا الألم، ولم يكن قد نهض بعد حتى كان قد شفى(١٠٦).

وورد أنه كان يقول فى المناجاة: يا إلهى، ارحمنى، فإنك عالم بتوبتى، ولا تعذبنى فإنك قادر على. وكان يقول: يا إلهى، تملك أمرى جائعاً وعيالى، وتملك أمرى عارياً، وعيالى، ولا تمنحنى السراج فى الليل، وتفعل هذا مع أوليائك، فبأى منزلة حاز الفضيل هذه السعادة منك؟!

يــروى: أن شخصاً لم يكن قد رآه باسماً قط طيلة ثلاثين عاماً. إلا اليوم الذى مات فيه ولده ابتسم، قالوا له: أيها السيد، أى وقت هذا؟ فقال: علمت أن الله راض بموته، وابتسم موافقة لرضائه(١٠٧).

وكان يقول فى آخر الأمر: لا غيرة لى من الأنبياء فسينتظرهم لحد وصراط وقيامة وسوف يقولون جميعاً نفسى نفسى بقلة حيلة. ولا غيرة لى من الملائكة، لأن خوفهم أكبر من خوف بنى آدم، وليس لهم داء بنى آدم، ومن ليس له هذا الداء لا أريده. لكننى غيور من الشخص الذى لم يولد، ولن يولد.

يــروى: أن مقرئاً حسن القراءة قدم إليه، وتلى عليه آية، قال: خذوه إلى ابني كي يقرأ، وقال: حذار ألا تقرأ آية بها صفة جهنم والقيامة. فليست له طاقتها وحدث أن قرأ المقرئ سورة القارعة فصاح في الحال وأسلم الروح.

عندما اقترب أجله، كانت لديه ابنتان، فأوصى زوجته (قائلاً): عندما أموت، خذي هاتين البنتين، وارتقي جبل أبي قبيس، واتجهي إلى السماء، وقولي: يا إلهي أوصاني الفضيل، وقال: طالما كنت على قيد الحياة، كنت أحافظ على هاتين البنتين بكل طاقتي، وطالما دفنت في القبر فإنني أعيدهما لك. لما دفن فضيل، نفذت زوجته ما قاله، فارتقت الجبل وأخذت البنتين معها هناك؟ وناجت (الله)، وبكت كثيراً وبدأت النواح، وفي نفس الوقت مرّ أمير اليمن مع ولديه في ذلك المكان، فرآهم في بكاء ونحيب، فقال: من أين أنتم؟ فقصت تلك المرأة الحال: قال الأمير: زوجت هاتين البنتين إلى ولدي هذين، ومنحت لكل واحدة عشرة آلاف دينار مهراً. أرضيت بهذا؟ قالت: نعم، وفي الحال أعد الهوادج والفراش والحرير، وأخذهم إلى اليمن ،ومن كان لله كان الله له».

وقال عبد الله بن المبارك: لما مات الفضيل ارتفع الحزن(١٠٨).

ذكر إبراهيم بن أدهم[109] (رحمة الله عليه)

هو سلطان الدنيا والدين وعنقاء قاف اليقين، هو كنز عالم العزلة، وخزينة قصر الثروة، هو ملك الإقليم الأعظم، وربيب اللطف والكرم، شيخ الزمان إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه).

كان متقى زمانه، وكان ربيب الإقبال، وكان حجة الزمان وبرهانه وله فى مختلف معاملات الملة وأصناف الحقائق حظ كامل، وكان مقبولاً لدى الجميع. وكان قد رأى كثيراً من المشايخ، وصاحب الإمام أبا حنيفة.

قال الجنيد (رضى الله عنه): «مفاتيح علوم هذه الطريقة إبراهيم»[110].

دخل إبراهيم بن أدهم على أبى حنيفة (رضى الله عنه) ذات يوم، فنظر إليه أصحاب أبى حنيفة بعين الاحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيدنا إبراهيم. فقال له أصحابه: وبما وجد هذه السيادة؟ قال: بالمداومة على الخدمة، فقد انشغل بخدمة الله، وانشغلنا بخدمة أنفسنا[111].

وكان ابتداء أمره أنه كان ملك بلخ، أخضع عالماً لهيمنته، وكانوا يحملون أربعين سيفاً ذهبياً وأربعين حربة ذهبية من أمامه ومن خلفه.

كان قد نام على السرير ذات ليلة، فتحرك سقف القصر فى منتصف الليل كما لو أن شخصاً يسير عليه، فصاح: من؟ قال: عارف، فقدت ناقة أبحث عنها على هذا السطح، فقال: يا جاهل! أتبحث عن ناقة على السطح؟ قال: يا غافل! أتطلب الله وأنت نائم فى ثوب حريرى على سرير ذهبى؟ فوقعت هيبة فى قلبه لهذا الكلام، واشتعلت النار فى قلبه، ولم يستطع النوم حتى النهار ولما طلع النهار، عاد إلى الصفة، وجلس على العرش مفكراً وحائراً وحزيناً، بينما وقف أركان الدولة كل واحد فى مكانه، واصطف الغلمان، وعقدوا مجلس البلاط العام، وفجأة دخل رجل مهيب من الباب بحيث إن أحداً من الحشم والخدم لم يجرؤ أن يقول له من أنت؟ وانعقدت ألسنتهم جميعاً، وهكذا أخذ الرجل يتقدم إلى العرش، فقال إبراهيم: ما تريد؟ قال: أن أنزل فى هذا الرباط، قال: ليس هذا رباطاً، إنه قصرى، أنت مجنون قال: لمن كان هذا القصر قبل ذلك؟ قال: ملك والدى، قال: وقبله؟ قال كان ملكاً لجدى، قال : وقبل ذلك؟ قال : ملك فلان، قال: وقبل ذلك؟ قال: والد فلان: قالوا: وأين صاروا جميعاً؟ قال: مضوا وماتوا، قال: ألم يكن هذا القصر رباطاً واحد يأتى إليه، وآخر يمر عليه قال هذا واختفى. وكان الخضر (عليه السلام). فتأججت حرقة روح إبراهيم ونارها، وتضاعفت آلامه فأى حال هذه، وأصبحت تلك الحال مائة حال، حيث اجتمعت رؤية النهار بسماع الليل، ولم يعرف ممن سمع؟ ولم يعرف ماذا رأى اليوم؟.

قال: اسرجوا الحصان، إننى ذاهب للصيد، فقد حدث لى اليوم شىء لا أعرف كنهه إلهى! إلام سيصل هذا الحال؟ أسرجوا الحصان، واتجه إلى الصيد، كان يتجول حائراً فى الصحراء بحيث لم يكن يعلم ماذا يفعل؟ وانفصل عن الجند فى تلك الحيرة، وفى الطريق سمع صوتاً: «انتبه» فلم يهتم ومضى، فسمع

نفس الصوت للمرة الثانية ولم يهتم، وسمع نفس الصوت للمرة الثالثة فابتعد عنه، وفى المرة الرابعة سمع صوتاً: «انتبه قبل أن تنبه» هنا فقد صوابه مرة واحدة(١١٢).

فجأة ظهر غزال، فشغل نفسه به، فحدثه الغزال قائلاً: أرسلت لصيدك لكنك لا تستطيع صيدى «ألهذا خلقت أو بهذا أمرت» فقال إبراهيم: ما هذا الحال؟ وولى عن الغزال، فهتف قربوس سرجه بنفس الكلام الذى كان قد سمعه من الغزال، فبدا عليه الخوف والفزع، وازداد الكشف(١١٣). وعندما أراد الحق (تعالى) أن يتم هذا الأمر، هتفت تلابيبه بنفس الكلام ثلاث مرات، هنا تم الكشف، وانفتح الملكوت عليه فسقط، وحدث اليقين، وابتلت ثيابه جميعها وجواده بدموعه، وتاب توبة نصوحة.

واتجه إلى ناحية فرأى راعياً، ارتدى اللباد ووضع على رأسه عمامة من اللباد، والأغنام أمامه، نظر الغلام، وكان إبراهيم يرتدى قباء مذهباً، فمنحه عمامة مبتلة بالعرق ووهبه الأغنام، وأخذ منه إبراهيم اللباد ولبسه، ووضع على رأسه عمامة اللباد، ووقف الملكوت بأسره لمشاهدته، فما أحسنها سلطنة تلك التى آلت إلى ابن أدهم فقد أطاح بثوب الدنيا النجس، ولبس خلعة الفقر، ومن ثم أخذ يطوف مترجلاً فى الجبال والقفار وهائماً، وكان ينوح على ذنوبه، حتى وصل إلى نهر «مرو». كان هناك جسر، ورأى رجلاً وقع من فوق ذلك الجسر، وإن جرفه الماء هلك فى الحال، فصاح من بعيد «اللهم احفظه» فظل الرجل معلقاً فى الهواء حتى وصلوا وحملوه، وبقوا فى حيرة من إبراهيم فأى رجل هذا.

ثم رحل من هناك حتى وصل نيسابور، وكان يبحث عن زاوية خالية؛ ليشتغل بالطاعة، حتى وصل إلى ذلك الغار المشهور، وسكنه تسعة أعوام، (وقضى) فى كل منزل منه ثلاثة أعوام.

ومن يعرف فى أى أمر انشغل هناك طوال الليالى والأيام؟ يجب أن يكون الشخص رجلاً عظيماً وكنزاً دفيناً حتى يمكنه أن يتواجد هناك بمفرده ليلاً، كان يوم الخميس يصعد أعلى الغار ويجمع حزمة من الحطب، وكان يتجه فى الصباح إلى نيسابور ويبيعها، ويؤدى صلاة الجمعة، ثم كان يشترى بثمنها خبزاً كان يعطى نصفه للدراويش، ويقتات بالنصف الآخر، ويفطر به ويستعمله حتى الأسبوع التالى.

يــــروى: أن إبراهيم قضى ليلة من الشتاء فى ذلك المنزل، وكانت ليلة شديدة البرودة، وكان قد كسر الجليد، واغتسل به، لما كان الليل بطوله بارداً، وانشغل هو فى الصلاة حتى السحر، وفى السحر خاف أن يهلك من البرد، فهفت نفسه إلى النار، فرأى فراء قد سقط خلفه، وأستغرق فى النوم، عندما استيقظ، كان النهار قد طلع، وشعر بالدفء فنظر فإذا بالفراء كان حية ولها عينان مثل صحنين عظيمين من الدماء فتملكه الخوف، وقال: إلهى! أرسلتها لى فى صورة اللطف، وأراها الآن فى صورة القهر ولا أطيقها، فمضت الحية فى الحال، ومسحت بوجهها الأرض أمامه عدة مرات وإختفت.

يـــروى: أنه عندما علم الناس بأمره، فرّ من الغار، واتجه إلى مكة، وفى الوقت الذى كان الشيخ أبو سعيد (رحمة الله عليه) قد ذهب فيه لزيارة الغار، قال: سبحان الله إن كان هذا الغار مفعماً بالمسك لما فاحت منه مثل تلك الرائحة، فقد قضى رجل ذو مروءة بصدق عدة أيام هنا، وترك كل هذه الروح والراحة.

ثم اتجه إبراهيم إلى البادية خشية الشهرة، فأدركه فيها واحد من العارفين، علمه اسم الله الأعظم(١١٤)، ومضى، وبدأ يدعو الله بذلك الاسم الأعظم. وفى الحال رأى الخضر (عليه السلام). قال: يا إبراهيم! إنما علمك أخى داود اسم

الله الأعظم(١١٥). ثم دار بينه وبين الخضر حديثاً طويلاً، وكان شيخه الخضر (عليه السلام) الذى كان قد هداه فى بداية أمره بإذن الله تعالى.

وكان يمضى فى البادية، وقال: وصلت إلى «ذات العرق»، فرأيت سبعين شخصاً يرتدون المرقعات كانوا قد أسلموا الروح، وسالت الدماء من أنوفهم وآذانهم، فطفت حول أولئك القوم، وكان الرمق مازال فى أحدهم، فسألته: ما هذه الحال أيها الفتى؟ قال: عليك بالماء والمحراب (١١٦). يا ابن أدهم لا تذهب بعيداً حتى لا تهجر ولا تقترب جداً، حتى لا تؤذى، فليس هناك شخص يتجرأ على بساط السلاطين، اخش الحبيب الذى يقتل الحجاج مثل كفرة الروم ويغزو مع الحجيج، واعلم أننا كنا قوما متصوفة، سرنا فى البادية متوكلين، وعزمنا ألا نتكلم وألا نفكر إلا فى الله، ونتحرك ونسكن من أجله، ولا نلتفت إلى غيره، وعندما تركنا البادية، ووصلنا إلى الأرض الحرام، أدركنا الخضر (عليه السلام)، فسلمنا، وأجاب السلام، سررنا وقلنا «الحمد لله» أن وفق السفر والتحق الطالب بالمطلوب، لأن مثل ذلك الشخص جاء لاستقبالنا. فنودى على أرواحنا فى الحال: نسيتم قولكم وعهدكم معنا أيها الكذابون المدعون وانشغلتم بغيرنا اذهبوا، فإننى لن أرضى عنكم مالم أسلبكم أرواحكم جزاء لكم وأريق دماءكم بسيف الغيرة. هؤلاء الفتيان الذين تراهم كلهم احترقوا بسبب هذا الحساب، هلا تحفظ هذا السر يا إبراهيم؟ فأقدم وإلا فابتعد، صار إبراهيم حائراً مضطرباً لهذا الكلام، وقال: قلت: ولماذا حرروك أنت؟ قال: قيل: هم ناضجون وأنت مازلت صغيراً، إحيا ساعة حتى تنضج أيضاً، وحين تنضج تأتى فى أثرهم. قال هذا وأسلم الروح أيضاً.

دام سفك الدماء فى أرضنا ودام احتراق الروح فى مجمرنا

احفظ سرنا وإلا فابتعد عن صدورنا فنحن نحب وأنت لا تحفظ سرنا

يروى: أنه أمضى أربعة عشر عاماً فى قطع البادية، وكان يصلى ويتضرع طوال الطريق حتى اقترب من مكة. علم مشايخ الحرم (بمجيئه)، فخرجوا لاستقباله، وقد تقدم القافلة كى لا يعرفه أحد، تقدم الخدم فرأوا إبراهيم كان يتقدم القافلة، ولم يكونوا قد رأوه من قبل، فلما وصلوا إليه قالوا: هل اقترب إبراهيم بن أدهم، فقد خرج مشايخ الحرم لاستقباله. قال إبراهيم: ما تريدون من ذلك الزنديق؟ فصفعوه في الحال وقالوا: يخرج مشايخ مكة لاستقباله وتدعوه أنت زنديقاً! قال: وأنا أقول إنه زنديق. وعندما تجاوزوه، التفت إبراهيم إلى نفسه وقال: انتبهى كنت تريدين أن يأتى المشايخ لاستقبالك، فصفعت وابلاً من الصفعات، الحمد لله أننى رأيتك محققة لرغبتك ثم سكن مكة، فظهر أصحابه، وكان يأكل من كسب يده، وكان يعمل بالنجارة.

يروى: أن إبراهيم بن أدهم كان له طفل رضيع حين رحل عن بلخ، ولما كبر سأل أمه عن أبيه، فشرحت أمه الحال (قائلة): ضل أبوك. نادى مناد فى بلخ: ليأت من له رغبة فى الحج، فجاء أربعة آلاف شخص فمنحهم جميعاً نفقات الحج وناقته، وصحبهم إلى الحج أملاً فى أن يحقق الله له لقاء أبيه ذات يوم. عندما دخلوا مكة، كان أصحاب المرقعات على باب المسجد الحرام، فسألهم: أتعرفون إبراهيم بن أدهم؟ قالوا: إنه صاحبنا قد أستضافنا وذهب فى طلب الطعام، فطلب أوصافه، ومضى فى أثره، وخرجوا إلى بطحاء مكة، فرأى أباه كان يأتى بحزمة حطب عارى القدم والرأس، فغلبه البكاء ونظر إليه، ثم تعقبه، فجاء إلى السوق وكان يصيح: «من يشترى الطيب بالطيب» فناداه خباز وأخذ الحطب وأعطاه الخبز، فحمل الخبز إلى أصحابه، ووضعه أمامهم. خاف الابن (وقال): إن قلت له من أنا يفرّ منى، فذهب ليتدبر مع أمه وسيلة العثور عليه، فأمرته أمه بالصبر وقالت: اصبر حتى نؤدى الحج. عندما مضى الابن

كان إبراهيم قد جلس مع أصحابه وأوصاهم قائلاً يوجد اليوم في الحج نساء وأولاد فغضوا البصر، فقبلوا جميعاً، عندما دخل الحجيج مكة، وطافوا حول البيت، كان إبراهيم مع أصحابه في الطواف، فتقدم إليه غلام جميل تأمله إبراهيم بعينه. رأى الأصحاب ذلك، فتعجبوا منه، ولما فرغوا من الطواف قالوا: رحمك الله، أمرتنا ألا ننظر إلى أى امرأة أو طفل ونظرت أنت إلى غلام حسن الوجه. قال: أرأيتم، قالوا: بلى قال: لما جئت من بلخ تركت طفلاً رضيعاً، وأنا أعلم أن هذا الغلام هو ذلك الطفل فى اليوم التالى خرج أحد أصحاب إبراهيم، وسأل عن قافلة بلخ، ودخل فيها، فرأى خيمة من الحرير في وسطها، وبها كرسي، وكان ذلك الغلام يجلس على ذلك الكرسي ويقرأ القرآن ويبكى، فطلبه صاحب إبراهيم وقال له: من أين أنت؟ قال من بلخ، قال: وابن من؟ فوضع الغلام يده على وجهه، وغلبه البكاء، ووضع المصحف من يده، وقال: إننى لم أر أبى سوى بالأمس، ولا أعرف هو أم لا، وأخشى إن قلت له أن يهرب لأنه هارب منا. والدى هو إبراهيم بن أدهم ملك بلخ، فأخذه ذلك الرجل لإبراهيم ورافقته أمه إلى إبراهيم. وكان إبراهيم قد جلس مع أصحابه أمام الركن اليمانى، ونظر من بعيد، فرأى صاحبه ومعه الطفل وأمه. عندما رأته تلك المرأة صرخت ونفذ صبرها، وقالت: ها هو أبوك، فاندلعت ثورة لايمكن وصفها، وانخرط الخلق والأصحاب جميعاً فى البكاء مرة واحدة. عندما ثاب الطفل إلى رشده، سلم على أبيه فأجاب إبراهيم السلام، واحتضنه، وقال: على أى دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، قال: الحمد لله، سأله ثانية: أتعرف القرآن؟ قال: بلى، قال: الحمد لله، سأله مرة ثالثة: هل حصلت العلم؟ قال: بلى، قال: الحمد لله. ثم أراد إبراهيم أن ينصرف فلم يترك الطفل بالطبع يده قط، وكانت أمه قد توقفت عن الصياح، فاتجه إبراهيم إلى السماء وقال: «إلهى أغثنى»، فأسلم الابن الروح بجانبه وقال الأصحاب: ما حدث يا إبراهيم؟ قال:

عندما احتضنته، تحرك حبه في قلبي، فنودي يا إبراهيم: «تدعي محبتنا وتحب معنا غيرنا، وتنشغل بغيرنا، وتجعله شريكاً في محبتنا وتوصي الأصحاب ألا ينظروا إلى أي امرأة أو طفل، وعلقت قلبك بتلك المرأة والطفل، عندما سمعت هذا النداء، دعوت «يا رب العزة» أغثني لو أن محبته سوف تشغلني عن محبتك، إما أن تزهق روحه أو روحي، فأجاب دعوتي في حق ابني. إن تعجب شخص من هذه الحال أقول إن إبراهيم ضحى بابنه ولا عجب.

يــروى : أن إبراهيم قال: كنت أبحث عن فرصة طوال الليالي حتى أجد الكعبة خالية من الطائفين لأطلب حاجة، لكني لم أكن أجد الفرصة، حتى كانت الأمطار تهطل بشدة ذات ليلة، فذهبت واغتنمت الفرصة، وقد خلت الكعبة، وطفت، تشبثت بالحلقة وطلبت العصمة من الذنوب، فسمعت نداء أتطلب العصمة من الذنب وجميع الخلق يطلبون نفس الشئ، إن أعطيت العصمة للجميع فأين تسرى بحورى الغفار والغفور والرحمن والرحيم، فقلت: «اللهم اغفر لي ذنوبي» فسمعت نداء: تتحدث معنا عن الدنيا كلها وتحدثك عن نفسك أفضل من أن يتحدث عنك الآخرين.

وقد قال في المناجاة: إلهي! إنك تعلم أن الثمان جنان قليلة إلى جانب الكرم الذي أكرمته لي، وإلى جانب محبتك والأنس بذكرك، والفراغ الذي هبته لي عند التفكير في عظمتك.

وهذه مناجاة أخرى له: يارب ارفعني من ذل المعصية إلى عز الطاعة. وكان يقول «إلهي آه من عرفك لم يعرفك فكيف حال من لم يعرفك».

يروى أنه قال: كابدت العناء والمشقة خمسة عشر عاماً، حتى سمعت نداء: «كن عبداً فاسترحت «أي» «فاستقم كما أمرت» (١١٧).

يـروى أنه سئل: ما حل بك حتى تركت الملك؟ قال: كنت قد جلست على العرش يوماً، فوضعت أمامي مرآة نظرت فيها، فرأيت قصري قبراً لا مؤنس فيه، ورأيت السفر طويلاً أمامي ولا زاد لي، ورأيت قاضياً عادلاً ولا حجة لي، ففتر الملك على قلبي.

قـالوا : ولماذا فررت من خراسان؟ قال: كثيراً ما سمعت هناك كيف يكون الحبيب.

قـالوا: لماذا لاتتزوج؟ قال : أهناك امرأة تتزوج من زوج يجعلها جائعة وعارية؟ قالوا: لا قال لذلك لا أتزوج لأن كل امرأة أتزوجها سوف تبقى جائعة وعارية، ولو أنني استطعت طلاق واحدة فكيف أكره أخرى على الاقتران بي.

ثم سأل فقيراً كان حاضراً هل أنت متزوج؟ قال لا، قال: ألديك أولاد؟ قال: لا، قال حسن حسن، قال الفقير: كيف؟ قال: الفقير الذى تزوج كأنه جلس في سفينة، وطالما رزق بابن غرق (١١٨).

يــروى : أنه رأى فقيراً ذات يوم كان ينوح، قال: أظن أنك اشتريت الفقر دون مقابل. قال: أيشترى الفقر؟ قال : اشتريته مرة بملك بلخ. ومازال هو الأفضل.

يروى : أن شخصاً أحضر لإبراهيم ألف دينار وقال: خذها، قال: أنا لا آخذ من الفقراء. قال: أنا غني، قال: أترغب في الزيادة، قال: بلى، قال: خذ إنك أفقر الفقراء، إن هذا ليس فقراً إنه العدم.

ومن أقـواله التي قالها: أشد حال تعترينى أن أحل بمكان أعرف فيه فإن الخلق كانوا يدخلون عليّ ويعرفوننى ويشغلوننى، وحينئذ ينبغي عليّ الفرار من هناك، ولا أعلم أيهما أصعب: الذل عند الجهل أم الفرار من العز عند المعرفة.

وقـــال: إننا بحثنا عن الفقر فتحقق لنا الغنى، وأناس آخرون بحثوا عن الغنى فتحقق لهم الفقر.

وحمل رجل إليه عشرة آلاف درهم فلم يقبلها، وقال: أتريد أن تمحوا اسمى من بين الفقراء بهذا القدر من الفضة.

يــروى: أنه عندما كان يهبط عليه وارد من الغيب كان يقول: أين ملوك الدنيا حتى يروا أى أمر هذا وأى حمل حتى يخجلوا من ملكهم.

وقال: ليس صادقاً من طلب الشهرة.

وقال: الإخلاص صدق النية مع الله (تعالى).

وقال: من لا يستحضر قلبه فى ثلاثة مواضع فذلك دليل على أن الباب قد أغلق أمامه: أولاً: عند قراءة القرآن، ثانياً: عند الذكر، ثالثاً: عند الصلاة.

وقال: علامة العارف هى: أن تكون أكثر خواطره فى التفكر والعبرة، وأكثر كلامه فى الثناء على الحق ومدحه، وأغلب أعماله فى الطاعة، وأغلب نظراته إلى لطائف الصنع والقدرة.

وقال: رأيت حجراً ملقى فى الطريق، وقد كتب عليه: «اقلب واقرأ» فقلبته وقرأت، فكان قد كتب على ذلك الحجر طالما إنك لا تعمل بما تعلم فكيف تطلب ما لا تعلم؟[١١٩]

وقال: ليس هناك شىء قط فى هذا الطريق أشد على من مفارقة الكتاب حيث أمرت لا تطالعه.

وقال: إن أثقل الأعمال التى ستكون فى الميزان غداً أثقلها عليك اليوم.

وقال: هناك ثلاثة حجب يجب أن تنقشع من أمام قلب السالك، حتى ينفتح

له باب السعادة، أولاً: ألا يسعد وإن أعطوه ملك العالمين عطاء أبدياً لأنه بذلك يسر بالموجود فيكون بهذا لايزال رجلاً حريصاً. «والحريص محروم». والثانى: إن تحقق له ملك العالمين ثم فقدهما لا يحزن بسبب الإفلاس لأن هذا يكون دليل السخط «والساخط معذب». الثالث: ألا ينخدع بأى مدح وإعزاز لأن من يمدح يخدع ويسبط همته وحقير الهمة محجوب، ويجب أن يكون عالى الهمة.

يروى: أنه قال لرجل: أتريد أن تكون ولياً من الأولياء؟ قال: نعم، قال: لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة، واتجه إلى الله كلية وفرغ نفسك عما سوى الله [١٢٠]، وكل من حلال ولا حرج عليك ألا تقوم الليل أو تصوم النهار.

وقال: لم يدرك أحد قط درجة الرجال بالصلاة والصوم والغزو والحج إلا حين يعلم ما يدخل فى حلقه، قالوا: هناك شاب صاحب وجد وحال ويرتاض رياضة عنيفة. قال إبراهيم: احملونى إليه، كى أراه، فحملوه، قال الشاب: كن ضيفى، فبقى هناك ثلاثة أيام، وراقب حال ذلك الشاب، فكانت أكثر مما قيل عنه حيث كان يقظاً مضطرباً طوال الليل، ولم يكن يهدأ لحظة أو ينام. غار إبراهيم وقال: هكذا نحن مقصرون وهو يقظ مضطرب طوال الليل، وقال لنفسه: تعالى لنبحث أحواله وهل تسلل أى شيطان إلى هذه الأحوال أم أنها خالصة كما ينبغى، ثم قال لنفسه: يجب البحث عن حقيقة الأمر، وأساسه ومصدر اللقمة، فبحث فلم تكن حلالاً، قال: الله أكبر إنه الشيطان، ثم قال للشاب: كنت ضيفك لثلاثة أيام، فتعال، وكن ضيفى لأربعين يوماً، قال سأنفذ ذلك. كان إبراهيم يأكل لقمته من العمل، أحضر للشاب منها، وكان يعطيه لقمته، فزالت حالة الشاب وذهب شوقه، وخبا عشقه، وزالت حرقته واضطرابه وولى سهده وبكاؤه، فقال لإبراهيم: ما فعلت معى؟ قال: بلى، لم تكن لقمتك حلالاً، وكان الشيطان يتردد معها بداخلك وعندما نزلت لقمة حلال إلى بطنك

زال كل ما كان يعتريك من مظاهر شيطانية، باللقمة الحلال التى هى أصل الأمر، لتعرف أن اللقمة الحلال هى أساس هذا الحديث.

يروى: أنه قال لسفيان: من عرف ما يطلب يحقر فى عينيه ما يجب أن يفعله بقلبه، وقال لسفيان: إنك محتاج لقليل من اليقين مع أنك غزير العلم.

يروى: أن إبراهيم وشقيق كانا معاً ذات يوم، فقال له شقيق: لماذا تهرب من الخلق؟ قال: قد احتضنت دينى وأفرّ من هذه المدينة إلى تلك المدينة ومن قلة الجبل هذه إلى قلة الجبل تلك، ومن يرانى يظن أننى محموم أو موسوس لعلى أحفظ الدين من يد إبليس وأخرج بسلامة الإيمان من بوابة الموت.

يروى: أنه كان يحصد الزرع فى النهار فى رمضان، وما يأخذه كان يعطيه للفقراء وكان يصلى طوال الليل، ولم يكن ينم[١٢١] قط. قالوا: لماذا لا يعرف النوم عينيك؟ قال: لأننى لا أكف عن البكاء لحظة، وطالما أكون على هذه الحال، كيف يتأتى النوم.

عندما كان يؤدى الصلاة كان يضع يديه على وجهه ويقول: أخشى أن يصفع وجهى.

يروى: أنه لم يجد شيئاً ذات يوم، فقال: إلهى! لو أنك لا تهبنى شيئاً قط، أزيد الصلاة أربعمائة ركعة شكراً لك، فلم يجد شيئاً لثلاثة أيام أخرى فصلى أربعمائة ركعة كذلك، حتى بدا عليه الضعف فى الليلة السابعة، فقال: إلهى! إن أعطيتنى فهذا يليق بك. وفى الحال قدم شاب وقال له: أتحتاج إلى طعام؟ قال: بلى، فحمله إلى داره، ولما نظر إلى وجهه، صاح صيحة. قالوا: ما حدث؟ قال: أنا غلامك، وكل ما أملكه ملك لك، فقال: حررتك وكل شئ فى يدك منحته لك، فأذن لى أن أنصرف، قال بعد هذا: عزمت يا إلهى ألا أرجو غيرك قط، فقد طلبت خبزاً من شخص فأحضرت الدنيا أمامى.

يـروى: أن ثلاثة أشخاص رافقوا إبراهيم بن أدهم، وكانوا يتعبدون ذات ليلة في مسجد خرب، ولما ناموا وقف هو على الباب حتى الصباح، فقالوا له: لماذا فعلت هكذا؟ قال: كان الهواء جد بارداً والريح باردة فسددت الباب بجسدي حتى أدفع الأذى عنكم.

يـروى: أن عطاء السلمي قد حكى بإسناد عبدالله بن المبارك أن إبراهيم كان في سفر، وفرغ زاده فصبر أربعين يوماً، وأكل الطين ولم يقل لأحد حتى لا يصل ألمه إلى إخوانه. (١٢٢)

يروى: أن سهلاً بن إبراهيم كان يقول: سافرت مع إبراهيم بن أدهم فمرضت، فباع ما كان يملكه وأنفقه عليّ فطلبت طلباً، وكان لديه حمار فباعه وأنفق عليّ ثمنه، فلما تماثلت للشفاء قلت: أين الحمار؟ قال: بعته، قلت: على ماذا أركب؟ قال: على كتفي يا أخي، ووضعني على عنقه ثلاثة منازل وحملني(١٢٣).

يروى: أن عطاء السلمي قال: لم يجد إبراهيم ما ينفقه مرة، فأكل الحصى خمسة عشر يوماً وقال: لم آكل من فاكهة مكة طيلة أربعين عاماً، إلا عندما كنت في حال النزع، ولم أعلم. ولم يأكل لأن الجنود كانوا قد اشتروا بعض أراضي مكة.

يروى: أنه حج عدة مرات مترجلاً، ولم يشرب من ماء زمزم، وقال: لقد تم شراء دلوها وحبلها من مال السلطان.

يـروى: أنه كان يذهب كل يوم للعمل، وكان يعمل حتى الليل، وما كان يأخذه كان ينفقه على أصحابه، لكنه كان يعمل حتى صلاة المغرب ويشترى شيئاً، ويأتي لأصحابه في الليل متعباً. قال أصحابه ذات ليلة: إنه يتأخر، تعالوا لنأكل الخبز، وننام، حتى يأتي مبكراً بعد هذا، ولا يفيدنا، وهكذا فعلوا، عندما

جاء إبراهيم فوجدهم نائمين فظنهم لم يأكلوا وناموا جائعين، فأشعل النار في الحال، وكان قد أحضر مقداراً من الدقيق، عجنه ليعد لهم شيئاً يأكلونه حين يستيقظون فيستطيعون الصيام نهاراً. استيقظ أصحابه من النوم، فرأوه كان قد وضع محاسنه على التراب، وكان ينفخ في النار، وكان الدمع يسيل من عينيه، والدخان يلتف حوله، فقالوا: ما تفعل؟ قال: رأيتكم نائمين فقلت: ربما لم تجدوا شيئاً ونمتم جائعين لذا فإنني أعد لكم شيئاً تتناولوه حين تستيقظون فقالوا: انظروا مدى ظنه بنا وما كان ظننا به!

يـــروى: أن كل من كان يريد صحبته كان يشترط عليه ويقول: أقوم أنا بالخدمة، وأؤذن للصلاة وكل فتح تفتحه الدنيا علينا (نقتسمه)، عندما قال رجل: لا أطيق هذا، قال إبراهيم إنني أعجب لصدقك.

يــروى: أن رجلاً صاحب إبراهيم مدة وأراد المفارقة، فقال: أيها السيد: أخبرني بالعيب الذي رأيته في، قال: لم أرفيك عيباً قط لأنني قد نظرت إليك بعين المحبة فلا جرم أن كل شئ رأيته منك قد طابني.

يروى: أنه كان صاحب عيال، وكان يذهب وقت صلاة المغرب، ولم يكن لديه شئ من الطعام وكان جائعاً مهموما (وقال): ما أقول للأطفال والعيال لأنني أذهب فارغ اليد؟ بينما كان يسير وهو في غاية الألم، رأى إبراهيم جالساً في صمت فقال: يا إبراهيم إنني أغار منك، فقد جلست ساكناً فارغاً وأنا حائر عاجز، فقال إبراهيم: كل ما فعلناه من حج وعبادات مقبولة وخيرات مبرورة منحناها لك جميعها، وامنحنا أنت لحظة من حزنك.

يـروى: أن المعتصم (١٢٤) سأل إبراهيم: أي حرفة تحترفها؟ قال: تركت الدنيا لطالبيها والعقبى لراغبيها، واخترت ذكر الله في الدنيا، ولقاءه في العقبى.

سأله آخر: ما حرفتك؟ قال: ألا تعلم أن عمال الله لا حاجة لهم بالحرفة.

يــروى: أن شخصاً قال لإبراهيم: يا بخيل! فقال: إننى تركت ولاية بلخ وتركت الملك، وأكون بخيلاً!

وكان المزين يصلح له شعره يوماً، فمر عليه مريد من مريديه فقال له: ألديك شيء؟ وضع المريد كيساً من الذهب، أعطاه إبراهيم إلى المزين، فسأل سائل المزين، وطلب منه شيئاً، فقال المزين: خذ، قال إبراهيم: فى الكيس ذهب، قال: أعرف أيها البخيل «الغنى غنى القلب لا غنى المال» قال: إنه ذهب، قال: أيها البطال! أعطه لمن يعرف ما هو. قال إبراهيم: لن أستطيع أن أصف هذا الخجل بشئ قط، ورأيت النفس وقد حققت مرادها فى ذلك.

قيل له: أبلغت مرادك فى هذا الطريق؟ قال: عدة مرات: مرة كنت فى سفينة، ولم يكن الربان يعرفنى، وكنت ألبس خلقاً، وقد طال شعرى، وكنت على حال غفل بسببه أهل السفينة عنى، وكانوا يسخرون منى ويهزأون بى، وكان فى السفينة مهرج، كان يأتى إلىّ كل لحظة ويشد شعر رأسى وينتزعه منى، ويصفعنى على عنقى، وكنت أجد نفسى على مرادى، وأفرح بذل نفسى[125]. فجأة ارتفعت موجة عظيمة، وساد الخوف من الهلاك، فقال الملاح: يجب أن نلقى واحداً من هؤلاء فى البحر كى تخف السفينة، فأخذونى ليلقوا بى فى البحر، فهدأ الموج وسكنت السفينة، فى ذلك الوقت الذى كانوا قد أمسكوا فيه بأذنى ليلقوا بى فى الماء، رأيت نفسى على مرادى وسررت.

ومـرة أخرى ذهبت إلى مسجد لأنام، فلم (يتركونى) وكنت من الضعف والعجز بحيث أننى لم أكن أستطيع النهوض، فأمسكوا بقدمى وكانوا يسحبونها، وكانت للمسجد ثلاث درجات، كانت رأسى تتهشم على كل درجة كانت تنزلها وكان الدم يسيل فرأيت نفسى على مرادها وحين كانوا يلقون بى على هذه

الدرجات الثلاث، كان ينكشف لي على كل درجة إقليم، فقلت: ليت درجات المسجد كانت أكثر حتى كانت أسباب السعادة تزيد.

ومرة أخرى استبد بي حال فتبول المهرج عليّ وهنا سررت أيضاً.

ومرة أخرى ارتديت فراء كانت قد حلت به حشرات كثيرة وكانت تلدغني، فجأة تذكرت تلك الثياب التي كنت قد وضعتها في الخزانة، فصرخت النفس (قائلة): ما آخر هذا العقاب؟ وهنا رأيت نفسي على مرادها.

يـروى: أنه قال: قضيت في البادية عدة أيام متوكلاً، ولم أجد شيئاً، كان لي صديق . قلت: إن ذهبت إليه يبطل توكلي، فدخلت المسجد وأنا أردد على لساني: «توكلت على الحي الذي لا يموت لا إله إلا هو»(١٢٦) فهتف هاتف: سبحان الله الذي طهر الأرض من المتوكلين، قلت: لماذا؟ قال: كيف يكون متوكلاً من يسلك طريقاً طويلاً من أجل لقمة يمنحها له صديق مجازي وعندئذ يقول: «توكلت على الحي الذي لا يموت» سميت الكذب توكلاً.

وقال: رأيت زاهداً متوكلاً ذات مرة، فسألته: من أين تأكل؟ قال: لا علم لي بهذا، سل الرزاق، أي شأن لي بهذا.

وقال: اشتريت غلاماً ذات مرة، وقلت: ما اسمك؟ قال: ما تسميني به، قلت: ما تأكل؟ قال: ما تعطيني، قلت: وما تلبس؟ قال: ما تلبسني إياه، قلت: ما تفعل؟ قال: ماتأمرني به، قلت: ما تطلب؟ قال: وأي شأن للعبد بالطلب. فقلت لنفسي: يا مسكين هكذا كنت عبداً لله طوال العمر، فتعلم العبودية، وبكيت إلى حد أن زال العقل عني. ولم يره أحد قط جلس مربعاً، فسألوه: لماذا لا تجلس مربعاً قط؟ قال: جلست هكذا ذات يوم فسمعت صوتا من الهواء: يا ابن أدهم! أيجلس العبيد هكذا أمام السادة؟ فاستقمت في جلستي، وتبت(١٢٧).

يــروى : أنه سئل ذات مرة! عبد من أنت؟ فارتعد ووقع وأخذ يتمرغ فى التراب، وعندئذ نهض وهو يقرأ هذه الآية «إن كل من فى السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبدا»[١٢٨] قالوا له: لماذا لم تجب منذ البداية؟ قال: خفت أن أقول أنا عبده فيطلب منى حق العبودية، ويقول: كيف أديت حق عبوديتنا، وإن قلت لا فلا يمكننى قول هذا أبداً لشخص آخر.

يــروى أنه سئل: كيف تقضى وقتك؟ قال: أملك أربعة مراكب مفيدة، عندما (تظهر) النعمة أركب مركب الشكر وأتقدم به إليه، وحين تبدو المعصية أستقل مركب التوبة، وأعود بها إليه. وعندما تنزل المحنة أركب مركب الصبر وأذهب به إليه، وعندما تبدو الطاعة أركب مركب الإخلاص وأعود به إليه.

وقال: لا تجعل زوجك كالأرامل وأبناءك كالأيتام، ولا تنم الليل فى مزبلة الكلاب، ولا تطمع فى أن يمنحوك سبيلاً إلى صف الرجال، وصدق ذلك السيد فى هذا القول الذى قاله لأنه ترك الملك حتى وصل إلى هذه المكانة.

يــروى : أن جماعة من المشايخ كانوا قد جلسوا ذات يوم، فقصد إبراهيم صحبتهم، فقالوا: اذهب فإن رائحة الملك مازالت تفوح منك يقولون له هذا مع كل ماله من أعمال فماذا يقولون عن الآخرين؟

يروى أنهم سألوه: لماذا حجبت قلوبنا عن الحق؟ قال: لأنها أحبت ما كرهه الحق، وشغلت بمحبة هذا الموقد الفانى الذى هو دار اللعب واللهو، وتركت دار جنات النعيم المقيم حيث الملك والحياة واللذة التى لا نقصان فيها ولا إنقطاع.

يروى: أن شخصاً قال: «أوصنى، قال: اذكر الله ودع الخلق[١٢٩]. وأوصى آخر قائلاً: افتح المغلق وأغلق المفتوح، فقال: لا أفهم هذا قال: افتح الحافظة المغلقة، وقيد اللسان السليط.

وقال أحمد بن خضرويه (١٣٠): قال إبراهيم لرجل أثناء الطواف: لا تنال درجة الصالحين ما لم تجتز ست عقبات: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، وتغلق باب العز وتفتح باب الذل، وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر، وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، وتغلق باب الأمل وتفتح باب الأجل والتزين والاستعداد للموت (١٣١).

يــروى: أن إبراهيم كان قد جلس، فاقترب رجل منه، وقال: يا شيخ: لقد ظلمت نفسي كثيراً، فحدثني حتى أجعل (كلامك) إمامي، قال إبراهيم: إن قبلت أن تحفظ عني ست خصال فلا ضرر فيما تفعله بعد ذلك، وهي:

أولاً: عندما تريد أن ترتكب معصية لا تأكل من رزقه، فقال: كل شئ في العالم هو رزقه فمن أين آكل؟ قال إبراهيم: أيطيب أن تأكل رزقه وتعصاه!

ثانياً: عندما تريد أن ترتكب معصية اسكن مكاناً لا يكون ملكاً له، فقال: هذا الكلام أكثر صعوبة فإنها بلاد الله من المشرق إلى المغرب فأين أذهب؟ قال: أيليق أن تسكن ملكه وتعصاه!

ثالثاً: عندما تريد أن ترتكب معصية أسكن مكاناً لا يراك فيه، فقال: كيف يمكن أن يكون هذا؟ فهو عالم الأسرار والمطلع على الضمائر، قال إبراهيم: أيطيب أن تأكل من رزقه، وتسكن بلاده، وترتكب المعصية تحت نظره وفي مكان يراك فيه؟!

رابعاً: عندما يقترب منك ملك الموت قل له: امهلني حتى أتوب، فقال: إنه لا يقبل مني هذا الكلام، قال إبراهيم: إنك لست بقادر على أن تدفع ملك الموت عن نفسك، وكان ممكناً أن تتوب قبل أن يأتي إليك، فأدرك تلك اللحظة وتب.

خامساً: عندما يأتي إليك منكر ونكير، ادفعهما عن نفسك، قال: لا أستطيع، قال: فاستعد إذن للجواب عليهما.

سادساً: يؤمر يوم القيامة بأن خذوا المذنبين إلى جهنم، فقل أنت: لن أذهب، فقال: هذا كاف وتاب في الحال، ومضت على توبته ستة أعوام ثم رحل عن الدنيا.

يروى: أنهم سألوا إبراهيم: ما سبب أننا ندعو الله فلا يستجيب؟ قال: لأنكم تعرفون الله ولا تطيعونه، وتعرفون الرسول ولا تطيعونه، ولا تتبعون سنته وتقرأون القرآن ولا تعملون به، وتأكلون نعمة الله ولا تشكروها، وتعلمون أن الجنة مزينة للمطيعين ولا تطلبوها، وتعرفون أن جهنم معدة بالأغلال النارية للعاصين ولا تفرون منها، وتعرفون أن هناك موتاً ولا تستعدون له، وتوارون الأم والأب والأبناء التراب ولا تأخذون العبرة من ذلك، وتعلمون أن الشيطان عدو ولا تعادونه بل وافقتموه، ولا تقلعون عن العيب وتنشغلون بعيوب الآخرين، وأناس على هذا النحو كيف يستجاب لهم دعاء (١٣٢).

يروى: أنه سئل: ما يفعل الرجل حين يجوع وهو لا يملك شيئاً؟ قال: يصبر يوماً ويومين وثلاثة، قالوا: صبر عشرة أيام فما يفعل؟ قال: يصبر شهراً، قالوا: ألا يطلب شيئاً آخر؟ قال: يصبر قالوا: إلى متى؟ قال: حتى يموت لأن الدّية على القاتل!

يروى: أنهم قالوا له: اللحم غال، قال: نرخصه، قالوا: كيف؟ قال: لا نشتريه ولا نأكله (١٣٣).

يروى: أنه كان قد دعي ذات يوم إلى دعوة، إلا أنهم كانوا في انتظار شخص كان متأخراً فقال واحد من الجمع: إنه رجل فظ، فقال: أيتها البطن! ماذا ينبغي لي أن أراه منك؟ ثم قال: بالقرب منا لحم يأكلونه بعد الطعام، فكلوه أنتم اللحم أولاً، ونهض في الحال لأن الغيبة هي أكل لحم الناس.

يـروى: أنه قصد حماماً ولبس ثياباً خلقاً، فلم يرشدوه إلى الطريق فاعترته حال وقال: لا يرشدوننى إلى بيت الشيطان ويدى خالية، فكيف يرشدوننى إلى بيت الرحمن بلا طاعة.

يـروى: أنه قال: كنت أسير فى البادية متوكلاً لثلاثة أيام، ولم أجد شيئاً، فجاء إبليس وقال: تركت الملك وتلك النعم الكثيرة الوفيرة؛ لتذهب إلى الحج جائعاً، وكان يمكنك الذهاب إليه متجملاً فلا تصيبك مثل هذه الآلام، قال: عندما سمعت هذا الكلام منه، اعتليت مرتفعاً وقلت: إلهى أتسلط العدو على الحبيب، وتجعله يحرقنى، أغثنى فإننى أستطيع أن أقطع هذه البادية بمددك، فجاء هاتف: يا إبراهيم! إلق بما تملكه فى جيبك لنظهر لك ما فى الغيب، فوضع يده فى جيبه وكانت فيه أربع قطع من الفضة كان قد نساها، وقال: عندما ألقيتهم، فرّ منى إبليس واعترتنى قوة من الغيب(١٣٤).

يروى: أنه قال: كنت قد جعت عدة أيام ذات مرة، فذهبت لقطف العنب، وكل مرة ملأت فيها طرفى بالعناقيد كانوا يضربوننى ويأخذونها منى، وهكذا فعلوا أربعين مرة، وفعلت ذلك أيضاً، فى المرة الحادية والأربعين، لم يقولوا شيئاً. فسمعت صوتاً : إن الأربعين مرة هذه فى مقابل الأربعين درعاً ذهبياً تلك التى كانوا يحملونها أمامك(١٣٥).

يروى: أنه قال: منحت حديقة ذات مرة لرعايتها، فجاء صاحبها وقال لى: آتنى رماناً حلواً، أحضرته له فكان حامضاً، فقال: آتنى رماناً حلواً، فأحضرت طبقاً آخر فكان حامضاً أيضاً، فقال: سبحان الله؛ أتظل فى الحديقة زمناً طويلاً، ولا تعرف الرمان الحلو، قال: إننى أحفظ بستانك، ولا أعرف طعم الرمان لأننى لم أتذوقه، فقال الرجل: أظن أنك إبراهيم بن أدهم بزهدك هذا، وعندما سمعت هذا رحلت من هناك (١٣٦).

يروى أنه قال: رأيت جبريل فى المنام هبط من السماء إلى الأرض، وفى يده صحيفة، فسألته: ماذا تفعل؟ قال: أسجل أسماء أحباء الحق، فقلت: اكتب اسمى، قال: إنك لست منهم، قلت: أنا حبيب أحباء الحق، ففكر لحظة ثم قال: أمرت أن أسجل اسم إبراهيم أولا، فالأمل فى هذا الطريق يبزغ من اليأس.

يروى: أنه قال: خبأت نفسى فى حصيرة فى مسجد بيت القدس ذات ليلة لأن الخدم لا يسمحون لأحد بأن يظل فى المسجد، ولما مضى جزء من الليل، فتح باب المسجد، ودخل شيخ يرتدى قميصاً خشناً وخلفه أربعين شخصاً ارتدى كل منهم قميصاً خشناً اتجه الشيخ للمحراب ليصلى ركعتين، واستند إلى المحراب فقال أحدهم: فى هذا المسجد الليلة شخص ليس منا فابتسم ذلك الشيخ وقال: إنه ابن أدهم، لم يجد حلاوة العبادة مدة أربعين يوماً. عندما سمعت هذا، خرجت وقلت: كيف عرفت ذلك؟ بالله عليك قل لأى سبب كان هذا؟ قال: اشتريت تمراً من البصرة فى اليوم الفلانى، وكانت تمرة قد وقعت وظننت أنها ملك لك ورفعتها ووضعتها على تمرك عندما سمعت هذا ذهبت إلى بائع التمر وطلبت الحل منه، فأحلنى وقال: طالما أن الأمر بهذه الدقة أترك بيع التمر، وتاب عن ذلك العمل، وأطاح بدكانه، وصار من جملة الأبدال.

يروى أن إبراهيم كان يمضى فى الصحراء ذات يوم، فتقدم إليه جندى، وقال: من أنت؟ قال: عبد، قال: أين العمار؟ فأشار إلى القبور، فقال ذلك الرجل: أتستخف بى، وضربه عدة مقارع على رأسه، وهشم رأسه، وسال الدم، وربط حبلاً فى رقبته، وأخذ يمضى. فقدم أهل المدينة، وعندما رأوا الأمر هكذا قالوا: أيها الجاهل! إنه إبراهيم بن أدهم ولىّ الله فجثا ذلك الرجل على قدميه وطلب منه المعذرة، وكان يريد منه الحل وقال: قلت لى أنا عبد، قال: ومن ليس بعبد قال: إننى هشمت رأسك وأنت دعوت لى، قال: برغم معاملتك لى

كنت أدعو لك بالخير فكان نصيبى من معاملتك الحسنة، ولم أرد أن يكون نصيبك الجحيم، قال: لماذا أشرت إلى القبور، وأنا أردت العمار؟ قال: لأنها تكون أكثر عماراً كل يوم وتكون المدينة أكثر خراباً. قال أحد أولياء الحق: رأيت أهل الجنة فى المنام وقد حمل كل منهم طرفه، فقلت: ما تلك الحال؟ قالوا: هشم جاهل رأس إبراهيم بن أدهم، وحين يحضرونه إلى الجنة يصدر الأمر بأن تنثر الجواهر على رأسه وهذه الأطراف والتلابيب مرفوعه لهذا.

يروى: أنه مرّ على ثمل ذات مرة وكان فمه ملوثاً، فأحضر ماء وغسل فم ذلك الثمل، وكان يقول: من يترك فماً يجرى عليه ذكر الحق ملوثاً يكون بلا حرمة، عندما استيقظ هذا الرجل قالوا له غسل زاهد خراسان فمك، فقال ذلك الرجل، وأنا تبت أيضاً، ثم رأى إبراهيم فى المنام بعد ذلك أنهم قالوا له: غسلت فماً من أجلنا فغسلنا قلبك.

يروى أن الصنوبرى[١٣٧] يقول: كنت مع إبراهيم فى بيت المقدس، فجلسنا تحت شجرة رمان عند القيلولة وأدينا عدة ركعات فسمعت صوتاً من تلك الشجرة: يا أبا اسحق! أكرمنا وكل شيئاً من هذا الرمان، فأومأ إبراهيم برأسه، فكانت الشجرة تقول الكلام ذاته ثلاث مرات ثم قالت الشجرة: يا أبا محمد اشفع لى ليأكل من رماننا، فقلت: أتسمع يا أبا اسحق، قال: بلى، وسأفعل ثم نهض وجمع رمانتين، أكل واحدة، وأعطانى الأخرى فكانت حامضة، كانت تلك الشجرة قصيرة، عندما عدت، ووصلت ثانية إلى شجرة الرمان تلك، فرأيت الشجرة قد كبرت، وطاب رمانها فكانت تثمر مرتين فى العام، وأطلق الناس على تلك الشجرة «رمان العابدين» ببركة إبراهيم والعابدين الذين كانوا يجلسون فى ظلها.

يروى: أنه كان قد جلس مع شيخ على قلة جبل، وكان يتحدث، فسأله ذلك الشيخ: ما علامة الرجل الذى وصل إلى الكمال؟ قال إبراهيم: إن قال

للجبل تحرك يتحرك، وفى الحال تحرك الجبل، فقال إبراهيم: أيها الجبل، إننى لا أقول لك سر ولكنى أمثل بك.

يروى: أن الرجاء [١٣٨] يقول: كنت مع إبراهيم فى سفينة، فهبت الريح وأظلمت الدنيا قلت: آه غرقت السفينة، فجاء صوت من الهواء: لا تخافوا غرق السفينة فإن إبراهيم بن أدهم معكم، وفى التو سكنت الريح وأضاءت الدنيا المظلمة.

يروى: أن إبراهيم كان قد جلس فى سفينة ذات مرة، فهبت ريح عاتية إلى حد أنها كادت تغرق السفينة، نظر إبراهيم[١٣٩] فرأى كراسة معلقة، رفعها، وألقاها فى الهواء وقال: إلهى! تجعلنا نغرق وكتابك بيننا، فهدأت الريح فى الحال، وجاء صوت: لا أفعل.

يروى: أنه أراد الركوب فى سفينة ولم يكن لديه فضة، وقيل: على كل شخص أن يدفع ديناراً، فأدى ركعتين وقال: إلهى! إنهم يريدون منى شيئاً لا أملكه، فامتلأ البحر بالذهب فى الحال، فأخذ قبضة وأعطاها لهم [١٤٠].

يروى: أنه جلس على شاطئ دجله يوماً، وكان يرقع خرقته البالية، فوقعت إبرته فى البحر، سأله شخص (قائلاً): هكذا فقدت الملك فما نلت؟ فأشار إلى البحر (قائلاً): أعيدوا إبرتى، فخرجت ألف سمكة من البحر، وقد أمسكت كل واحدة منها إبرة ذهبية بفمها، قال إبراهيم: أريد إبرتى، فخرجت سمكة ضعيفة وضعت بإبرته فى فمها، فقال إن أقل شئ حصلت عليه أفضل من بقاء ملك بلخ، وها هى أشياء أخرى لا تعرفها. [١٤١].

يروى: أنه ذهب إلى حافة بئر ذات يوم، وألقى دلواً فخرج مملوءاً بالذهب، ألقاه ثانية، فخرج مملوءاً باللؤلؤ، فقلبه وطاب وقته، وقال: إلهى! تعرض على

خزانتك وأنا أعلم أنك قادر وأنت تعلم أنني لا أغتر بهذا، فامنحني الماء كي أتطهر.

يروى: أنه كان يذهب للحج ذات مرة وكان معه آخرون، قالوا: لا يملك أي واحد منا الزاد ولا الراحلة، فقال إبراهيم: أتؤمنون بالله في الرزق. عندئذ قال: انظروا إلى الشجرة إن طمعتم في الذهب تصير ذهباً، كانت كل الأشجار قد صارت ذهباً بقدرة الله (تعالى).

يروى: أن جماعة كانت تسير معه يوماً، فوصلوا إلى حصن، كان أمامه حطب كثير، قالوا: نبقى هنا الليلة فإن الحطب كثير لنحرقه، وأشعلوا النار وجلسوا على ضوئها، وكل منهم كان يأكل الخبز خالصاً، ووقف إبراهيم للصلاة، فقال أحدهم: ليتني أحصل على لحم حلال لكنت أشويه على هذه النار. ختم إبراهيم الصلاة وقال: الله قادر أن يمنحك لحماً حلالاً، قال: هذا ووقف للصلاة. فصدر زئير أسد في الحال، ورأوا أسداً جاء ممسكاً بحمار وحشي أخذوه، وكانوا يشوونه، ويأكلون منه، وكان الأسد قد جلس هناك يشاهدهم.

يروى: أنه اختفى في نهاية عمره، كما أن أرضه لم تكن معلومة على وجه التحديد، يقول البعض في بغداد ويقول البعض في الشام، ويقول البعض هناك حيث أرض لوط النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان قد هبط تحت الأرض مع كثير من الخلق، فقد هرب هو إلى هناك من الخلق وتوفي هناك أيضاً.

يروى: أنه حين توفي هتف هاتف ألا أن أمان الأرض قد مات، اعلموا أن أمان الأرض قد مات فاحتار كل الخلق في ماذا يمكن أن يكون هذا؟ حتى جاء الخبر أن إبراهيم بن أدهم (قدس الله روحه العزيز) قد مات.

ذكر بشر الحافى [١٤٢] (رحمة الله عليه)

هو مبارز ميدان المجاهدة، ومجاهز إيوان المشاهدة، هو عامل معمل الهداية، وكامل حضرة العناية، هو الصوفى الصافى بشر الحافى (رحمة الله عليه).

كانت له مجاهرة عظيمة، وشأن رفيع، وكان موضع اهتمام القوم، كان قد أدرك الفضيل بن عياض، وكان مريداً لخاله على بن حشرم، وكان عالما فى علم الأصول والفروع.

ولد فى مرو، وكان يقيم فى بغداد.

وكانت بداية توبته، أنه اضطرب زمناً، وكان يسير ثملاً ذات يوم، فوجد ورقة مكتوب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم»، فاشترى عطراً، وعطرها، ووضعها بإجلال فى الدار. رأى شيخ فى تلك الليلة فى المنام هاتفاً قال له: قل لبشر. «طيبت اسمنا فطيبناك وبجلت اسمنا فبجلناك وطهرت اسمنا فطهرناك، فبعزتى لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة [١٤٣]». فقال الشيخ: إنه رجل فاسق، ربما أخطأت الرؤية فتطهر، وأدى الصلاة، واستغرق فى النوم، فرأى نفس المنام، وهكذا حتى المرة الثالثة. نهض فى الفجر، وطلبه، قالوا: إنه فى مجلس

الخمر، فذهب إلى الحانة التى كان بها، وقال: أبشر هنا؟ قالوا: بلى. ولكنه ثمل وغافل، قال: قولوا له: إننى أحمل له رسالة. قال (بشر): قولوا له رسالة من التى تحملها؟ قال: رسالة الله، فبكى وقال: آه، يعاتب أم يعاقب؟! قال: انتظر حتى أقول للأصحاب، وقال: أيها الأصحاب،إننى دعيت، فذهبت، وألقيت عليكم السلام، والأكثر من هذا إنكم لن تروني فى هذا الأمر مطلقا، وهكذا لم يعد أي شخص يسمع اسمه إلا وكانت السكينة تصل إلى قلبه (١٤٤)، وسلك طريق الزهد، ومن شدة غلبة مشاهدة الحق تعالى لم ينتعل نعلاً فى قدمه قط، ولهذا سمي بالحافي، وقالوا له: لماذا لا تنتعل نعلاً؟ قال: فى ذلك اليوم الذى تم فيه الصلح، كانت قدماى عارية، لذاء اخجل أن أنتعل نعلاً، ويقول الحق تعالى أيضاً: «جعلت الأرض بساطاً لكم»(١٤٥). وليس من الأدب السير بالنعال على بساط الملوك. ووصل الأمر بمجموعة من أصحاب الخلوة إلى أنهم لم يستطيعوا الاستنجاء بالآجر، ولم يستطيعوا البصق على الأرض، لأنهم جميعاً يرون نور الله فيها، وحدث هذا أيضاً لبشر بل أن نور الله يسرى فى عينه، فلا يبصر سوى الله، فمن أبصرت عينه الله، لا يستطيع أن يرى سوى الله. كذلك كان سيد الأنبياء (عليهم السلام) يسير خلف جنازة ثعلبة(١٤٦) على أطراف أصابعه، وقال: أخاف أن أضع قدمى على رءوس الملائكة، وما هى تلك الملائكة؟ هى نور الله، «والمؤمن ينظر بنور الله».

يروى: أن أحمد بن حنبل كان يذهب إليه كثيراً، وكان مريداً له إرادة تامة، إلى حد أن تلاميذه قالوا: أنت عالم الآن فى الأحاديث والفقه والاجتهاد، ولا نظير لك فى أنواع العلوم، وتسير دائماً فى إثر مجذوب؟، أيليق هذا بك؟ قال أحمد: بلى، أعلم أننى أفضل منه فى كل هذه العلوم التى عددتموها. لكنه يعرف الله أفضل منى، ومن ثم كان يذهب إليه، وكان يقول: «حدثنى عن ربى».

يـروى: أن بشراً أراد أن يدخل الدار ذات ليلة، فترك قدماً خارجها، وظل هكذا حتى الصباح، حائراً مضطرباً، ويقال أيضاً: إنـه وقـع في قلب أخته أيضاً: أن بشراً سيكون ضيفك هذه الليلة فكنست الدار، ونثرت المياه، وانتظرت مجيئه فجأة جاء بشر كالمجذوب، وقال: يا أختاه، وارتقى السطح، ووضع قدمه، وصعد عدة درجات، وكان قد وقف على هذا الحال حتى النهار، ولما طلع النهار، نـزل وذهب لصلاة الجماعة، وعاد في الصباح قالت له أخته: ما كان سبب وقوفك؟ فقال: ورد بخاطري: أن في بغداد عدة أشخاص يلقبون ببشر: واحد يهودي، وآخر مسيحي، وثالث زردشتي، وأنا اسمي بشر، وحظيت بمثل هذه السعادة، وأسلمت، فما فعلوا هم حتى طردوا؟ وما فعلت أنا حتى حظيت بمثل هذه السعادة، وكنت قد بقيت حائراً لهذا (١٤٧).

يـروى: أن بلالاً الخواص قال: كنت أمضي في تيه بني إسرائيل، وكان رجل يمضي معي فألهمني قلبي أنه الخضر، قلت: بحق الحق قل، ما اسمك؟ قال: أخوك الخضر، قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: من الأوتاد. قلت: ما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: من الصديقين. قلت: ما تقول في بشر. قال: لن يوجد بعده مثله. (١٤٨)

يـــروى: أن أبا عبد الله الجلا يقول: رأيت ذا النون، وكانت له العبادة ورأيت سهلاً وكانت له الإشارة، ورأيت بشراً وكان له الورع، قالوا: وأنت إلى أيهم أميل؟ قلت: لبشر بن الحارث، إنه أستاذنا.

يروى: أن بشراً ملك سبع قماطر من كتب الحديث، دفنها تحت التراب، ولم يروها، قال: إنني لا أرويها لأنني أرى شهوة في نفسي، فإذا رأيت شهوة القلب ساكنة، أرويها.

يـــروى: أنه قيل لبشر: قد اختلط الأمر في بغداد، بل عمها الحرام، فما تأكل؟ قال: آكل مما تأكلون، وأشرب مما تشربون. قالوا: إذن بما نلت هذه المنزلة، قال: بلقمة أقل من اللقمة، ويد أقصر من اليد، ولا يستوي شخص يأكل ويبكي بشخص يأكل ويضحك.

ثم قال: لا يقبل الحلال الإسراف [١٤٩]. سأله شخص: بأي شيء آكل خبزي؟ فقال: كل الخبز بالعافية [١٥٠].

يـــروى: أن بشـــراً كان يشتهي الشواء طيلة أربعين سنة، ولم يكن يمتلك ثمنه [١٥١].

ويقال: إنه كان يشتهي الباقلاء أعواما، ولم يكن قد أكلها [١٥٢].

يــــــروى: أن بشراً لم يكن يشرب قط من الآبار التي كان قد حفرها السلاطين. قال أحد المشايخ: كنت عند بشر، وكان البرد شديداً، ورأيته عاريا، وكان يرتعد، قلت: يا أبا نصر إنهم يثقلون الثياب في مثل هذا الوقت، وأنت تخلعها! قال: تذكرت الدراويش، وليس لدى مال كي أواسيهم، فأردت مشاركتهم بالجسد.

سألوه: بما نلت هذه المنزلة؟ قال: بأن أخفيت حالي عما سوى الله طوال عمري. قالوا: ولم لا تعظ السلاطين فهُم يظلموننا؟ فقال: اعلم أن الله أعظم من أن أذكره أمام شخص لا يعرفه. [١٥٣].

قــال أحمد بن إبراهيم المتطبب: قال لي بشر: خبِّر معروف إنني آت إليه عندما أصلي، فبلغت الرسالة، وكنا ننتظر أدينا صلاة الظهر ولم يأت، وأدينا صلاة العصر ولم يأت، وأدينا صلاة العشاء، قلت لنفسي: سبحان الله، عندما يخلف رجل مثل بشر (الميعاد) فهذا أمر غريب، وكنت أترقب، وكنا على باب

المسجد، عندما جاء بشر، وأمسك بسجادته ومضى فى طريقه ولما وصل إلى (نهر) دجلة، مضى على الماء، وجاء، وتحدثوا حتى عاد وقت السحر ومضى على الماء كذلك ألقيت بنفسي من السطح، وجئت، وقبلت يديه وقدميه، وقلت: ادع لى، فدعا وقال: لا تفصح (بهذا الأمر) طالما كان بشر على قيد الحياة.

يروى: أن جماعة كانت عنده، وكان يتحدث عن الرضا، فقال أحدهم: يا أبا نصر، إنك لا تقبل أى شئ من الخلق ابتغاء الجاه، فلو أنك متحقق بالزهد، ومنصرف عن الدنيا خذ شيئاً من الخلق ليتمحى جاهك فى نظرهم، وامنح ما تأخذه منهم إلى الدراويش خفية، وتوكل، وخذ قوتك من الغيب (١٥٤)، ضاق الأصحاب بهذا الكلام ضيقاً شديداً. قال بشر: اسمعوا الجواب، وعندئذ قال: الفقراء ثلاثة أقسام: القسم الأول: هم الذين لا يسألون قط، وإن يعطوهم لا يأخذون أيضاً، وهؤلاء القوم هم الروحانيون الذين عندما يسألون الله، يهبهم كل ما يطلبون، وإن أقسموا بالله، تبرحاجتهم فى الحال. والقسم الثانى: هم الذين لا يسألون، وإن يعطون يقبلون، وهؤلاء القوم من الأواسط ويستكينون بالتوكل على الله تعالى، وهؤلاء هم القوم الذين يجلسون على مائدة الخلد. والقسم الثالث: هم الذين يصبرون، ويحفظون الوقت كلما استطاعوا، ويرفعون الدواعى.عندما سمع ذلك الصوفى الجواب، قال: رضيت بهذا الكلام، فليرضى الله عنك.

وقال بشر: وصلت إلى على الجرجانى، وكان بجانب ينبوع ماء، ولما رآنى، قال: هل اقترفت أى ذنب اليوم كى أرى آدمياً؟! قال:أسرعت خلفه، وقلت: عظنى، فقال: تمسك بالفقر، واحيا بالصبر، وتجنب الأهواء، وخالف الشهوات، واجعل دارك اليوم أكثر خلوداً من اللحد، وكلما كان دارك كذلك، يمكنك أن تلتحق بالله مرفهاً وهانئاً فى ذلك اليوم الذى يضعونك فيه فى اللحد.

يـــروى : أن جماعة جاءت إلى بشر (قائلة) : قد قدمنا من الشام فى طريقنا إلى الحج، أترغب فى صحبتنا، قال: بثلاثة شروط: أولاً: ألا نأخذ شيئا قط، وألا نطلب شيئاً قط، وإن منحنا شيئاً لا نقبله. قالوا: نستطيع الاستغناء عن الطلب والأخذ، لكن إن تيسّر فتح، لا نستطيع ألا نأخذ. فقال: قد توكلتم على زاد الحجيج، وهذا هو شرح ذلك القول الذى ورد فى جواب ذلك الصوفى: لو كنت قد اعتزمت فى القلب إننى لن أقبل شيئاً من الخلق، لكنت بهذا متوكلاً على الله.

يـروى : أن بشراً قال: دخلت الدار ذات يوم، فرأيت رجلاً ، قلت: من أنت حتى تدخل بلا استئذان؟ قال: أخوك الخضر، وقال: ادع لى، فقال: ليبسر الله لك طاعته، ويخفى طاعتك عنك.

يـــروى: أن شخصاً شاور البشر (قائلاً) : أملك ألفى دينار حلالاً، وأريد التوجه إلى الحج فقال: إنك ذاهب للفرجة، ولو أنك تبتغى مرضاة الله، اذهب، وسدد دين شخص، أو إعط يتيماً أو رجلاً فقيراً، فإن الراحة التى تحل بقلوب المسلمين فى الإسلام أفضل من مائة حجة. قال: أرغب فى الحج أكثر، قال: لقد حصلت على هذا المال دون وجه حق لأنك لا تنفقه فى موضعه.

يروى : أن بشراً مرّ على القبور، وقال: رأيت أهل القبور كلهم كانوا يعتلون قلة جبل، ويتشاجرون، ويتنازعون مع بعضهم البعض كما لو أن شخصاً يقسم شيئاً. قلت: يا إلهى أطلعنى على هذا الحال! فقيل لى: اذهب هناك، واسأل، فذهبت وسألت، قالوا: منذ أسبوع مرّ علينا رجل من رجال الدين، وقرأ «قل هو الله أحد» ثلاث مرات، ومنحنا الثواب، ونحن نتقاسم ثوابه منذ أسبوع، ولم ننته حتى الآن.

يـروى : أن بشراً قال: رأيت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فى المنام، قال لى: يا بشر، ألا تدرى لماذا اختارك الله من بين أقرانك، ورفع منزلتك؟ قلت: لا يارسول الله. قال: لأنك اتبعت سنتى، وحفظت حرمة الصالحين،

ونصحت الإخوان، وأحببت أصحابى وأهل بيتى، لذا رفعك الله (تعالى) إلى مقام الأبرار (١٥٥).

يروى: أن بشراً قال: رأيت المرتضى فى المنام ذات ليلة، فقلت: عظنى، قال: ما أطيب شفقة الأغنياء على الفقراء ابتغاء ثواب الرحمن، والأطيب منها تكبر الفقراء على الأغنياء اعتمادا على كرم خالق الدنيا.

يروى: أن بشراً قال لأصحابه: سيروا فعندما يجرى الماء يصير طيباً، وحين يسكن يتغير ويتكدر.

وقال: قل لمن يريد أن يكون عزيزاً فى الدنيا وشريفاً فى الآخرة، اجتنب ثلاثاً: ألا تطلب حاجة من مخلوق، وألا تسئ إلى شخص، وألا تذهب إلى ضيافة شخص(١٥٦).

وقال: لا يدرك حلاوة الآخرة من يحب أن يعرفه الناس.*(١٥٧) وقال: لو أن لا فائدة للقناعة قط سوى الحياة بالعزة فهذا كاف.

وقال: إذا أحببت أن يعرفك الخلق، لكانت هذه المحبة هى سر محبة الدنيا.

وقال: لا تدرك حلاوة العبادة قط طالما لا تحيل بينك وبين شهواتك بحائط حديدى(١٥٨).

وقال: أشد الأمور ثلاثة: السخاوة عند الضيق، والورع فى الخلوة، والحديث أمام شخص تخشاه.

وقال: الورع أن تتطهر من الشبهات، وتحاسب النفس فى كل طرفة عين.

وقال: الزهد ملك لا يستقر إلا فى قلب خال.

وقـــال: الحزن ملك طالما استقر فى مكان لا يرضى أن يشاركه فيه أى شىء آخر.

وقال: أفضل شىء حصل عليه عبد: المعرفة، والصبر فى الفقر.

وقال: لو أن هناك خاصة لله فهم العارفون.

وقال: الصوفى من يصفى قلبه بالله

وقال: العارفون هم قوم لا يعرفون سوى الله، ولا يعزون شيئاً سوى لله.

وقال: قل لمن يريد أن يتذوق طعم الحرية: طهر سريرتك.

وقال: من يعامل الله بصدق، تعتريه وحشة عظيمة مع خلقه.

وقال: سلموا على أبناء الدنيا بمسالمتهم.

وقال: النظر إلى البخيل يقسى القلب (١٥٩).

وقال: التأدب بين الإخوان هو الأدب.

وقـــال: لم أجلس مع شخص قط، ولم يجالسنى شخص قط، لأننا عندما نفترق عن بعضنا، لم يتيقن لى أنه لو أننا لم نجلس معاً لكان أفضل لنا نحن الاثنين.

وقال: أنا كاره للموت ولا يكره الموت سوى شخص فى شك.

وقال: لا تكون كاملاً ما لم يأمن عدوك جانبك.

وقال: إن لم تطع الله فلا تعصاه(١٦٠).

قال شخص أمامه: توكلت على الله، فقال بشر: لا تكذب على الله، فلو أنك كنت قد توكلت عليه، لرضيت بما يفعله.

وقال: إن أعجبك شيئاً من الكلام أصمت، وإن أعجبك الصمت تكلم[١٦١].

وقال: إن شغلت فى الدنيا بسجود الشكر طوال العمر، لا تفيه بشكره، لأنه كان حديث الأحبة منذ الأزل، فاجتهد أن تكون من الأحبة.

لما حان أجله اضطرب اضطرابا عظيماً، وكان فى حالة عجيبة. قالوا: لعلك تحب الحياة؟ قال: لا، ولكن الحلول فى حضرة ملك الملوك أمر عسير.

يروى: أنه مرض مرض الموت، فدخل شخص، وشكا من ضيق الزمان، فأعطاه قميصه، واستعار قميصاً، واختال به إلى دار الآخرة.

يروى: أن بشراً طالما كان على قيد الحياة، لم تكن الدواب تلقى بروثها فى الطريق حرمة له؛ لأنه كان يسير فى الطريق حافياً. كان لرجل دابة، فرآها تتبرز فى الطريق ذات ليلة فصاح، مات بشر الحافى، نظروا، فكان الأمر كذلك. قالوا: بما عرفت؟ قال: لأنه طالما كان على قيد الحياة، لما تبرزت دابة فى الطريق فى بغداد كلها، رأيت هذا على خلاف العادة فعرفت أن بشراً مات.

بعد وفاته، رأوه فى المنام، فقالوا: ماذا فعل الله بك؟ قال: عاتبنى، وقال: لماذا خفت منى كل هذا الخوف فى الدنيا «أما علمت أن الكرم صفتى».

ورآه آخر فى النوم، فسأله: ماذا فعل الحق بك؟ قال: غفر لى وقال: كل يا من لم يأكل وأشرب يا من لم يشرب لأجلى [١٦٢].

ورآه آخر فى المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى، وأباح لى نصف الجنة وقال لى: يا بشر، لو سجدت لى على الجمر، ما أديت شكر ما وهبتك من منزلة فى قلوب عبادنا[١٦٣].

ورآه آخر فى المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: قال: مرحبا يا بشر، لم يكن هناك أحب إلىّ منك على وجه الأرض فى تلك اللحظة التى أزهقوا فيها روحك.

يـروى : أن امرأة ضعيفة جاءت إلى أحمد بن حنبل ذات يوم وقالت:إننى أغـزل بالمغزل على السطح، والقنديل يضيئ، عندمـا يمر الخليفة، أيجـوز أن أغـزل عـدة قطع على ضوء ذلك القنديل أم لا؟ فقـال أحـمـد من أنت؟ حـتى أتعلق بطرفك هذا، فهذا أمر عـجيب. قالت: أنا أخت بشر الحافي، فبكى أحمد منتـحباً وقال: مثل هذه التقوى لا تخرج سوى من أسرة بشر الحافى، وقال: لا يجوز لك، احـفظى العهد، حـتى لا يتعكر الماء الصافى، واقتدى بتلك القدوة الطاهرة، حتى تصبحى كأخيك، فإن أردت الغزل تحت مشاعلهم، لا تطاوعك يداك، وهكذا كان أخوك، كلما كـان يمد يده إلى طعام كانت به شبـهـه، مـا طاوعته يده. قالت: لى سلطان يسمونه القلب، يرغب فى التقوى، ولا أستطيع السفر دون إذنه.

ذكر ذى النون المصرى[١٦٤] (رحمة الله عليه)

هو إمام أهل الملامة، وشمع جمع القيامة، هو برهان المرتبة والتجريد. وسلطان المعرفة والتوحيد، هو حجة الفقر الفخرى[١٦٥]، قطب الزمان ذو النون المصرى (رحمة الله عليه).

كان من ملوك الطريقة، وسالك طريق البلاء والملامة، وله آراء عظيمة ودقيقة فى الأسرار والتوحيد، وطريقة كاملة، ورياضات وكرامات وفيرة كان أغلب أهل مصر يسمونه الزنديق، وكان البعض يحتار فى أمره أيضاً، وطالما كان على قيد الحياة، كان الجميع ينكرونه، ولم يطلع شخص على حاله حتى مات. ومن ثم أخفى نفسه.

وكان سبب توبته أنهم أخبروه أن هناك زاهداً فى المكان الفلانى، قال: ذهبت لزيارته فرأيته كان يعلق نفسه فى شجرة، وكان يقول أيها الجسد عاونى على الطاعة وإلا أمسكت عليك هكذا حتى تموت جوعاً. فغلبنى البكاء. سمع العابد صوت البكاء فقال من يرحم شخصاً خجله قليل وجرمه كبير؟ قال: اقتربت منه وسلمت عليه، وقلت: أى حال هذه؟ قال: هذا الجسد لا يستقر لى فى طاعة الحق (تعالى)، ويريد الاختلاط بالخلق. قال ذو النون: ظننت أنه

سفك دماء المسلمين، أو ارتكب كبيرة. قال: أما علمت أنك طالما اختلطت فإن كل شيء يتأتى من جراء ذلك. قلت: يا للهول، إنك زاهد، قال: أتريد أن ترى أزهد منى قلت: بلى قال: إعتل هذا الجبل كي ترى. عندما اعتليته، رأيت شاباً يجلس في صومعة، وقد قطع إحدى قدميه وألقى بها خارج الصومعة حيث كان الدود يأكلها. اقتربت منه، وسلمت، وسألت عن حاله، فقال: كنت قد جلست في هذه الصومعة ذات يوم، فمرت عليها امرأة، مال قلبي إليها، وأراد جسدى أن اتبعها، أخرجت قدماً من الصومعة، فسمعت صوتاً: ألا تخجل أن تطيع الشيطان وتقصد الفاحشة الآن بعد ثلاثين عاماً عبدت الله فيها وأطعته! فقطعت هذه القدم التي كنت قد أخرجتها من الصومعة وجلست هنا فيها (أترقب) ما يحدث وما سيفعل بي. فلما جئت للمذنبين؟ إن أردت أن ترى رجلاً من رجال الله، إعتل قمة هذا الجبل، قال ذو النون: فلم أستطع لارتفاع ذلك الجبل، فسألت عن الخبر، قالوا: منذ زمن بعيد هناك رجل يتعبد في تلك الصومعة، وكان رجل يتناظر معه ذات يوم (قائلاً) : هل الرزق بسبب الكسب، فنذر ألا يأكل قط ما كان فيه سبب كسب المخلوقات. وانقضت عدة أيام، ولم يأكل فيها قط فأرسل الحق (تعالى) نحلاً كان يطير حوله، ويمنحه العسل. قال ذو النون: تألم قلبي ألماً عظيماً بسبب هذه الأمور والأقوال، وعلمت أن من يتوكل على الله يهيئ الله له أمره، ولا يضيع تعبه وعند عودتي رأيت طائراً أعمى جالساً على شجرة، سقط من فوقها، فقلت: من أين يتناول هذا المسكين الطعام والماء؟ فحفر الأرض بمنقاره فظهرت سكرجتان أحدهما ذهبية مملوءة بالسمسم، والأخرى فضية مملوءة بماء الورد، شبع ذلك الطير، وطار على الشجرة، واختفت السكرجتان(١٦٦) . هنا فقد ذو النون الوعي مرة واحدة واعتمد على التوكل، وتحققت توبته. ثم سلك عدة منازل، ولما حل الليل، دخل أرض خربة، فرأى فيها آنية من الذهب والجواهر، مكتوب عليها بسم الله، اقتسم

أصحابه الذهب والجواهر، وقال ذو النون: امنحونى هذه اللوحة المكتوب عليها اسم حبيبى، فأخذها، وأخذ يقبلها فى ذلك اليوم حتى الليل، حتى وصل أمره ببركاتها إلى حد أنه رأى فى المنام ذات ليلة أن جاءه الهاتف قائلاً: ياذا النون، رضوا جميعاً بالذهب والجواهر لأنها ثمينة، ورضيت أنت بما هو أسمى من ذلك وهو اسمنا، فلا جرم إننا سنفتح عليك باب العلم والحكمة.

ثم عاد إلى المدينة، وقال: كنت أمضى ذات يوم، فوصلت إلى شاطئ نهر، ورأيت قصراً، فذهبت إلى حافة الماء، وتطهرت، ولما فرغت، وقعت عينى فجأة على سطح القصر، فرأيت جارية شديدة الجمال واقفة فى شرفة القصر، أردت أن أختبرها فقلت: أترغبين أيتها الجارية؟ قالت: يا ذا النون، لما ظهرت من بعيد ظننت أنك مجنون، وحينما اقتربت ظننت أنك عالم، وحينما اقتربت أكثر ظننت أنك عارف ثم نظرتك فلا أنت مجنون ولا عالم ولا عارف، قلت: من أكون إذن؟ قالت: إن كنت مجنوناً لما تطهرت، وإن كنت عالماً لما نظرت إلى غير محرم، وإن كنت عارفاً لما وقعت عينك على ما دون الحق. قالت هذا، واختفت، فعلمت أنها لم تكن آدمية، إنما كان هذا تحذيراً لى أشعل النار فى روحى، وألقيت بنفسى فى البحر، فرأيت جماعة كانوا يجلسون فى سفينة، وجلست أنا أيضاً فى السفينة، ولما انقضت عدة أيام، فقدت جوهرة لتاجر فى السفينة، فكانوا يأخذون أهل السفينة واحداً واحداً ويفتشون عنها، واتفقوا (قائلين) : إنها معك، ثم اذونى واستهزؤا بى كثيراً، وكنت صامتاً، ولما جاوز الأمر الحد، قلت: أيها الخالق، أنك تعلم (الأمر) فظهرت آلاف الأسماك من البحر فى فم كل واحدة جوهرة. أخذ ذو النون واحدة وأعطاها إلى ذلك التاجر. ولما رأى أهل السفينة ذلك، انحنوا له، وطلبوا منه المعذرة. وهكذا ارتفع شأنه فى عيون الناس، ولهذا السبب سُمى ذو النون (١٦٧) .

ولم يكن لعبادته ورياضته حد. كانت له أخت في خدمته، كما أنها كانت قد أصبحت عارفة، وذات يوم كانت تقرأ هذه الآية: (وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى) (١٦٨).

فاتجهت إلى السماء وقالت: أرسلت المن والسلوى للإسرائيليين ولم ترسلها لأمة محمد، بعزتك لم أتحرك ما لم تمطر المن والسلوى وفى الحال أخذ المن والسلوى فى الهطول من نافذة الدار، فخرجت مسرعة من الدار واتجهت إلى الفيافى واختفت، ولم يجدوها قط.

يــروى: أن ذا النون قال: كنت أطوف فى الجبال ذات مرة فرأيت قوماً مبتلين كانوا قد تجمعوا، سألت ما حل بكم؟ قالوا: هنا عابد فى الصومعة، يخرج مرة كل عام، ويتنفس نفساً فى هؤلاء القوم، فيشفى الجميع، ثم يدخل الصومعة ثانية، ولا يخرج حتى العام التالى صبرت حتى خرج، فرأيت رجلاً أصفر الوجه نحيفاً، غائر العينين، فارتعدت من هيبته، ثم نظر إلى الخلق بعين الشفقة، وعندئذ نظر إلى السماء، وتنفس عدة أنفاس فى هؤلاء المرضى، فشفوا جميعاً. ولما أراد أن يدخل الصومعة، أمسكت بطرفه وقلت: بالله، عالجت علة الظاهر فعالج علة الباطن، فنظر إلىّ وقال، اتركنى يا ذا النون، فإن الحبيب ينظر من أوج العظمة والجلال، وعندما يراك تتشبث بشخص آخر سواه يتركك له، ويتركه لك، وتهلكان واحداً بالآخر، قال هذا ودخل الصومعة.

يروى: أن أصحاب ذى النون دخلوا ذات يوم فوجدوه كان يبكى، قالوا: ما سبب البكاء؟ قال: غفلت عينى فى سجدة بالأمس، فرأيت الله، قال: يا أبا الفيض، خلقت الخلق على عشرة أقسام، وعرضت الدنيا عليهم، فاتجهت تسعة أقسام منها إلى الدنيا وبقى قسم. وانقسم هذا القسم بدوره إلى عشرة أقسام، عرضت الجنة عليها فاتجهت إليها تسعة أقسام وبقى قسم انقسم بدوره إلى

عشرة أقسام: عرضت عليهم جهنم، ففرت جميعاً، وتفرقت خوفاً منها، وبقى قسم لم يفتن بالدنيا، ولم يرغب في الآخرة، ولم يخش الجحيم. فقلت لعبادى: أنتم الذين لم تنظروا إلى الدنيا، ولم ترغبوا فى الجنة، ولم تخشوا الجحيم، ما تطلبون؟ فرفعوا رءوسهم جميعاً وقالوا: أنت تعلم ما نريد (١٦٩).

يروى: أن طفلاً دخل ذات يوم على ذى النون، وقال: لدى مائة ألف دينار، وأريد أن أنفقها فى خدمتك، وأعطى ذلك المال لدراويشك، قال ذو النون: هل أنت بالغ؟ قال: لا، قال: لا يجوز لك الإنفاق فاصبر حتى تبلغ. ولما بلغ الطفل، جاء وتاب على يد الشيخ، وأعطى ذلك الذهب للدراويش حتى أنفق المائة ألف دينار. ذات يوم وقع أمر ولم يبق شىء للدراويش ينفقونه. فقال الطفل: وا آسفاه، أين (أجد) مائة ألف (دينار) أخرى حتى كنت أنفقها على هؤلاء الأسخياء، سمع ذو النون هذا الكلام، فعرف أنه لم يدرك حقيقة الأمر بعد، فالدنيا مهمة وأكثر خطراً عنده. دعا ذو النون ذلك الطفل وقال: إذهب إلى دكان فلان العطار، وبلغه على أن يمنحك الدواء الفلانى بثلاثة دراهم، فذهب، وأحضره قال: دقه فى الهاون واسحقه، حينئذ صب عليه قليل من السمن حتى يصير عجيناً، واصنع منه ثلاث حلقات، واثقب كل واحدة بالإبرة، وأحضرها إلىّ فعل الطفل ما طلبه منه، وأحضره، مسحها ذو النون بيده وتنفس فيها فصارت ثلاث قطع من الياقوت لم يكن قد رأى مثلها قط من قبل. قال: احملها إلى السوق، وقدر ثمنها، ولكن لا تبعها، فحملها الطفل إلى السوق، وعرضها، فطلبوا الواحدة بألف دينار، عاد، وقال للشيخ، قال ذو النون ضعها فى الهاون، واسحقها، وألقِ بها فى الماء، ففعل كما قال، وألقى بها فى الماء. قال أيها الطفل هؤلاء الدراويش ليسوا جوعى بسبب انعدام الخبز، لكن هذا هو اختيارهم، فتاب الطفل، وتنبه، ولم يبق لهذه الدنيا مكان فى قلبه.

يـــروى أن بشراً قال: دعوت الخلق ثلاثين عاماً، فقدم شخص واحد إلى حضرة الله كما ينبغى، وهو ابن ملك، مرّ علىّ مع كوكبة من أمام المسجد، وكنت أقول هذا القول: ليس هناك من هو أحمق من ضعيف يشتبك مع قوى، فدخل، وقال: أى قول هذا ، قلت: أيشتبك الآدمى الضعيف مع الله (تعالى) القوى! فتغير لون ذلك الشاب، ونهض، وانصرف. عاد فى اليوم التالى وقال: ما الطريق إلى الله؟ قلت: طريق صغير وطريق كبير، أيهما تريد، إن أردت الطريق الأصغر فاترك الدنيا والشهوات والذنوب، وإن أردت الطريق الكبير، فدع ما دون الحق، واجعل القلب فارغاً عن الجميع، قال: «والله لا أختار إلا الطريق الأكبر» وفى اليوم التالى ارتدى الصوف، وانخرط فى العمل، وصار من الأبرار.

قـــال أبوجعفر الأعور: كنت عند ذى النون، وكان معه جمع من الرفاق كانوا يحكون عن عبادة الجمادات وكان لوح قد وضع هناك فى ذلك المكان قال ذو النون: طاعة الجمادات للأولياء هى: أن أقول لهذا اللوح الآن لف حول هذا الدار، فيتحرك، ولما تحدث أخذ اللوح فى الدوران حول الدار فى الحال، وعاد إلى مكانه، كان شاب حاضراً هناك، رأى تلك الحال فغلبه البكاء حتى أسلم الروح، فغسلوه على نفس اللوح ودفنوه.

يروى: أن شيخاً قدم إليه، وقال: علىّ دين، ولا أملك شيئاً قط كى أؤديه، فرفع حجراً من الأرض، وأعطاه له، فحمل الرجل الحجر إلى السوق، فكان قد صار زمرداً، باعه بأربعمائة درهم، وسدد الدين.

يروى: أنه كان هناك شاب ينكر التصوف دائماً، ذات يوم أعطاه ذو النون خاتمه، وقال: إحمله إلى السوق وارهنه بدينار فمضى الشاب، وحمل الخاتم إلى السوق، فلم يكونوا ليأخذوه بأكثر من درهم، وأخبره الشاب بالأمر، فقال له: احمله إلى باعة الجواهر وانظر ما يريدونه! (ما يدفعونه) فحمله فطلبوه بألف

دينار فأخبره، فقال للشاب: إن علمك بحال الصوفية كعلم أولئك التجار بهذا الخاتم، فتاب الشاب وعدل عن أفكاره.

يـــروى: أن ذا النون كان يشتهى السكباج طيلة عشر سنوات، ولم يكن يفصح لنفسه عن تلك الرغبة، وكانت ليلة عيد، فقالت النفس: ما يحدث إن تمنحنا لقمة سكباج فى العيد! قال أيتها النفس إن أردت أن أفعل ذلك فعاونينى هذه الليلة على أن أقرأ القرآن كله فى ركعتين، طاوعته النفس، فأعد السكباج فى اليوم التالى، ووضعه أمامه، ونظف أصابعه، ووقف للصلاة قالوا: وما حدث؟ قال: قالت النفس لى فى هذه اللحظة حققت رغبة العشر سنوات أخيراً.، فقلت بالله لن تحقيقيها، وذلك الشخص الذى كان يحكى هذه الحكاية قال: بينما كان ذو النون فى ذلك القول حتى دخل رجل بقدر من السكباج، وضعه أمامه، وقال: أيها الشيخ! إننى لم أجئ (من تلقاء نفسى) فقد أُرسلت إليك وإعلم أننى رجل جمال. ولدى أطفال يطلبون السكباج منذ مدة، وكنت أجمع الفضة، وأعددت هذا السكباج أمس ليلة العيد، واليوم استغرقت فى النوم، فرأيت جمال زينة العالم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قال: إن أردت أن ترانى غداً احمل هذا إلى ذى النون وقل له: إن محمداً بن عبد الله بن عبدالمطلب يشفع، فصالح نفسك لحظة، وتناول عدة لقم، بكى ذو النون وقال: سأنفذ الأمر.

يـروى: أنه عندما علا شأنه لم تكن عين لشخص تقع على أمره، وكان أهل مصر يرمونه بالزندقة، واتفق الجميع على هذا. واطلع الخليفة المتوكل(١٧٠) على أحواله فأرسل شخصاً، وتم إحضاره إلى بغداد وقيدوا قدميه. ولما وصل إلى حضرة الخليفة. قال: تعلمت الإسلام الآن من عجوز والمروءة من سقاء قالوا: كيف؟ قال لما وصلت إلى حضرة الخليفة ورأيت تلك

الحضرة العظيمة والحجاب والخدم، أردت أن يبدو علىَّ قليل من التغير، فتقدمت امرأة بعصاة، ونظرت إلىَّ وقالت: أيها الجسد لا تخشى من يحملونك إليه فأنت وهو كلاكما عبد ان لإله واحد جل جلاله ولا يستطيعون أن يفعلوا مع عبد شيئاً قط ما لم يرد الله، ثم رأيت سقاء فى الطريق أعطانى ماءً طاهراً أشرت إلى الرجل الذى كان معى فأعطاه ديناراً لم يقبله وقال: إنك أسير وليس من المروة أخذ شىء من أسير وغريب ومقيد مثلك. ثم صدر أمر، احملوه إلى السجن، وأن يظل فى الحبس أربعين يوماً بلياليها. كل يوم كانت أخت بشر الحافى تحمل إليه رغيفاً من صنعها، وفى ذلك اليوم الذى كان سيخرج فيه من السجن، كانت الأرغفة الأربعون موضوعة ولم يكن قد تناول أحدها. ولما سمعت ذلك أخت بشر، حزنت، وقالت: إنك تعلم أن تلك الأرغفة كانت حلالاً وبلا منة، فلماذا لم تأكلها؟ قال: لأن وعاءها لم يكن طاهراً أى أنها كانت تمر على يد حارس السجن، ولما خرج من السجن وقع، وأصيب جبينه، ويروى: أنه نزف دماءً غزيرة لكن لم تسقط قطرة على وجهه أو شعره أو ثيابه، وما سقط على الأرض، اختفى كله بأمر الله (عز وجل). ثم حملوه إلى الخليفة، فطلب منه شرحاً لقوله، فشرح ذلك القول، فأخذ المتوكل فى البكاء، وعجب كل أركان الدولة لفصاحته وبلاغته، وصار الخليفة مريده، وأعاده معززاً مكرماً.

يروى: أن أحمد السلمى (١٧١) قال: توجهت إلى ذى النون، فرأيت طستاً ذهبياً أمامه، وحوله رائحة ذكية من المسك والعبير. قال لى: إنك تذهب إلى الملوك حيث البسط فخفت من ذلك وعدت، ثم أعطانى درهماً، كنت أنفق منه فى بلخ.

يروى: أن مريداً كان لذى النون - حظى بأربعين أربعينية، ووقف أربعين موقفاً، وترك نوم الليل أربعين عاماً، ومكث أربعين أخرى فى حراسة حجرة

القلب ـ قدم إلى ذى النون ذات يوم: وقال: فعلت كذا وكذا، ومع كل هذه المشقة لا يتحدث الحبيب معنا، ولا يلقى نظرة علينا، ولا يساوينا بشئ قط ولا ينكشف لى شيء قط من عالم الغيب، وكل ما أقوله هذا لا أمدح به نفسى (لكننى) أشرح حالى، أديت ما استطاعه عجزى، ولا أشكو من الحق، بل أشرح حالى، فقد وضعت روحى وقلبى فى خدمته، لكننى أقص همّ شقائى، وأحكى حكاية سوء طالعى، ولا أقول هذا كى أقطع قلبى عن الطاعة، لكننى أخشى إن طال عمرى تكون البقية كذلك ـ وكنت أدق الحلقة طوال عمرى على أمل، فلم أسمع صوتاً قط، وعلى هذا يشق علىّ الصبر، أنت الآن الطبيب الشافى، والمعالج العارف فتدبر لعجزى، فقال ذو النون: اذهب، واشبع الليلة، ولا تصل صلاة العشاء. ونم طول الليل، فإذا لم يرق الحبيب، يعاتب، وإذا لم ينظر إليك بالرحمة، ينظر إليك بالعنف. ذهب الدرويش وشبع، ولم يطاوعه قلبه على ترك صلاة العشاء فأداها ونام، فرأى المصطفى عليه الصلاة والسلام فى المنام قال: يقرئك حبيبك السلام، ويقول من يأت إلى حضرتنا ويجهر بسره يكون مخنثاً وجباناً لأن الاستقامة هى الأصل والأساس فى العمل، ويقول الحق تعالى: حققت مرادك أربعين عاماً، وجعلتك تدرك كل ما تتمنى، ومع أننى أحقق مرادك، لكن بلغ سلامنا إلى ذلك العيار المدعى ذى النون وقل له: أيها المدعى الكاذب إذا لم أشهر الفضيحة، لما كنت ربك فلا تسلك سبيل المكر مع عاشقى الحضرة ومساكينها، ولا تنفرهم من حضرتنا فاستيقظ المريد، وغلبه البكاء. فذهب إلى ذى النون، وقص حاله، سمع ذو النون هذا الكلام: (وقال): قد بعث لى الله السلام، ووصفنى بالمدعى الكاذب، وكان يتقلب على جانبيه من السرور، وكان يبكى فى صخب. إن قال شخص: كيف؟ أيجوز أن يقول: لشخص لا تصلِ، ونم؟ أقول: هم أطباء، وأحياناً يعالج الطبيب بالسم، طالما كان يعلم أن انبلاج أمره فى هذا، أمره بذلك لأنه علم أنه محفوظ، ولا يمكن

ألا يصلى كما أمر الحق (تعالى) الخليل (عليه السلام) بأن اذبح ابنك وعلم أنه لن يفعل، (وهكذا) تحدث أشياء فى الطريقة لا تستقيم فى الظاهر مع الشرع، مثلما أمر الخليل بالقتل، ولم يرد، وكما لم يأمر الخضر بقتل الغلام وأراد. ومن لم يدرك هذا المقام، ويضع قدمه هناك، كان زنديقاً وإباحيا وجديراً بالقتل. ولو أن كل شيء يفعله يكون موافقا للشرع.

يــروى: أن ذا النون قـال: رأيت فى الطواف أعـرابياً نحيفاً وذابلاً وهزيلاً فقلت له: «هل أنت محب؟ قال: بلى، قلت: أحبيبك قريب إليك أم بعيد عنك؟ قال: قريب قلت: أيوافقك أم لا؟ قال: بلى قلت: سبحان الله، محبوبك قريب منك وأنت فى هذا الألم والوهن، قـال الأعـرابى: أيـها البطال، أمـا علمت أن عذاب القرب والموافقة أشد من عذاب البعد والمخالفة».

يروى: أن ذا النون قال: رأيت امرأة فى بعض أسفارى، سألتها عن غاية المحبة، فقالت: أيها البطال، لا غاية للمحبة، قلت: لماذا؟ قالت: لأنه لا غاية للمحبوب.

يروى: أن أخاً من أولئك القوم الذين ذكروا بالمحبة ذهب إليه، فرآه مبتلياً ببـلاء، قـال: لا يحب الحق من يتـألم من دائه، قـال ذو النون: لكنـى أقـول: لا يحبه من يشهر نفسه بمحبته، فقال ذلك الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه.

يـــــروى: أن ذا النون مـرض، فـدخل رجل لعيـادته، ثم قـال: يطيب ألم الحبيب، فغضب ذو النون غضباً شديداً، وقال: إن كنت تعرفه، لما ذكرت اسمه بهذه السهولة.

يروى: أن ذا النون كتب رسالة إلى بعض الأصحاب (فحواها): ليسترنى الحق (تعالى) ويسترك برداء الجهل، ويجلب تحت هذا الرداء ما يرضيه، فما أكثر المستورين تحت ستره، فإنه العدو الباقى.

يروى: أن ذا النون قال: كنت في سفر، وكانت الصحراء ممتلئة بالثلوج، ورأيت زردشياً ملقياً بطرفه على رأسه، وكان يمضى فى الصحراء الممتلئة بالثلوج وكان ينثر الحب، فقال ذو النون: أيها القروى، لما تنثر الحب، قال: لا تجد الطيور قوتها، أنثر الحب حتى تثمر هذه البذور، ويرحمنى الله بها قلت: إنه لا يقبل من زردشتى الحبة الغريبة قال: إذا لم يقبلها، فهو ينظر إلى ما أفعله، قلت: بلى، قال: يكفينى هذا. ثم قال ذو النون: عندما ذهبت للحج، رأيت ذلك الزردشتى فى الطواف كالعاشق، قال: أرأيت يا أبا الفيض أنه رأى وقبل، وأثمرت تلك البذور، ووهبنى المعرفة ومنحنى الدليل، ودعانى إلى بيته، فاضطرب ذو النون لذلك الكلام، وقال: يا إلهى، أتبيع الجنة رخيصة بحفنة حب للزردشتى ذى الأربعين عاماً! فنادى هاتف: من يدعوه الحق (تعالى) لا يدعوه بعلة، ومن يطرده لا يطرده بعله، اصمت أنت يا ذا النون: إنه «فعال لما يريد» ولا يستقيم هذا بقياس عقلك.

يروى: أن ذا النون قال: كان لى رفيق فقير، مات، فرأيته فى المنام، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى، وقال: غفرت لك لأنك لم تأخذ شيئاً قط من دهماء الدنيا هؤلاء، مع احتياجك(١٧٢).

يروى: أن ذا النون قال: لم أشبع من خبز وماء قط، فلم أرتكب معصية لله أو قصدت المعصية.

يروى: أن ذا النون كلما أراد الوقوف للصلاة، كان يقول: يا إلهى، بأى قدم أجيء إلى حضرتك، وبأى عين أنظر إلى قبلتك، وبأى لسان أتحدث بسرك؟ وبأى لغة أنطق اسمك، أغنيتى دون غنى فجلت إلى الحضرة، وطالما كانت هناك ضرورة، تمسكت بالحياء.

وعندما كان يقول هـذا، كان يستمـر فى التكبير. وكثيراً ما كان يقول: اليوم الذى يصيبنى فيه حزن ، أشكـو له، فإن ابـتلانى هو بالحزن غداً، فلمن أشكو؟

وكـان يقول فى المناجاة: «اللهم لا تعذبنى بذل الحجاب. وقال سبحان الله الذى حجب أهل المعرفة عن جملة خلق الدنيا بحجب الآخرة، وعن جملة خلق الآخرة بحجب الدنيا.

وقال: أشد حجب النفس الرؤية.

وقال: لا تستقر الحكمة فى معدة امتلأت بالطعام.

وقال: الاستغفار دون الإقلاع عن الذنب توبة الكاذبين.

وقـال: المبارك من كان شعار قلبه الورع، وكان قلبه منزهاً عن الطمع، ومحاسب لنفسه فيما صنع.

وقال: صحة البدن فى قلة الطعام، وصحة الروح فى قلة الذنوب.

وقـال: لا عجب ممن يبتلى ببلاء ويصبر، بل العجب ممن يبتلى ببلاء ويرضى.

وقـال: الناس الخائفون سائرون فى الطريق، وطالما ذهب الخوف من قلوبهم، ضلوا الطريق.

وقـال: الخائف من الله، على الطريق القويم، وطالما ذهب الخوف، ضل الطريق.

وقال: علامة غضب الله على العبد خوفه من الفقر.

وقال: يفسد الرجال بستة أشياء:

أولاً: ضعف الاعتقاد فى الآخرة.

ثانياً: وحدتهم التى كانت قد جعلتهم رهناً للشهوات.

ثالثاً: طول الأمل الذى كان قد غلب عليهم مع قرب الأجل.

رابعاً: أنهم يفضلون رضاء المخلوق على رضاء الخالق.

خامساً: أنهم يتبعون الهوى.

سادساً: أنهم يجعلون زلة السلف حجة لهم، وأخفوا فنونهم جميعها حتى بدا عليهم الفساد.

وقال: صاحب الهمة أقرب إلى السلامة ولو كان معوجاً، وصاحب الإرادة منافق وإن كان مستقيماً. أى أن لصاحب الهمة إرادة لا تجعله يخضع لشخص قط، وليس له طلب، وصاحب الإرادة سرعان ما يرضى، ويستقر.

وقـــال: لا حياة إلا مع أناس ترغب قلوبهم فى التقوى ويتجدد نشاطهم بذكر الله.

وقال: صاحب شخص لا يتغير بتغيرك.

وقـــال: إن أردت أن تكون من أهل الصحبة، فصاحب الأصحاب كما صاحب الصديق نبى الله (عليه السلام)، فهو لم يخالفه قط فى الدين والدنيا، لا جرم أن الحق (تعالى) سماه صاحبه.

وقال: علامة محبة الله هى متابعة حبيب الله (عليه السلام) فى الأخلاق والأفعال والأوامر والسنن.

قال: لا تصاحب الله إلا بالموافقة، ولا تصاحب الخلق إلا بالمناصحة، ولا تصاحب النفس إلا بالمخالفة، ولا تصاحب العدو إلا بالعداوة.

وقـــال: لم أر طبيباً قط أجهل ممن يعالج الثمالى عند السُكر، أى أنه لا جدوى للحديث مع شخص يكون ثملاً بالدنيا، ثم قال: لا دواء للثمل سوى أن يفيق، عندئذ يعالج بالتوبة.

وقـال: لا يعز الله (عز وجل) عبداً بعز أعز من أن يدله على ذلة نفسه، ولا يذل عبداً بذل أذل له من أن يحجبه فلا يرى ذل نفسه (١٧٣).

وقال: الرفيق الحسن هو المعرض عن الشهوات، الحافظ للعين والأذن.

وقال: إن أنست بالخلق، فلا تطمع أن تأنس بالله قط.

وقـــال: لم أر شيئاً قط أبلغ إلى الإخلاص من الخلوة، لأن من اختلى لا يرى سوى الله شيئاً قط، ومن يحب الخلوة، يتعلق بعمود الإخلاص (١٧٤)، ويتشبث بركن من أركان الصدق.

وقـال: تجد كل ما تبحث عنه فى أول خطوة، أى إنك إذا لم تجد شيئاً فهو دليل على أنك لم تخط خطوة فى هذا الطريق بعد، فطالما بقيت ذرة من وجودك لا تحظى بذرة من الطريق.

وقال: ذنوب المقربين هى حسنات الأبرار.

وقـــال: حين ينبسط بساط محمد، تنمحى ذنوب الأولين والآخرين على أطرافه، وتزول.

وقال: طرحت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة، فتقدمت روح نبينا (عليه السلام) كل الأرواح حتى وصلت إلى روضة الوصال.

وقـــال: لا يمنح المحب لله كأس المحبة إلا بعد أن يحرق الخوف قلبه، ويقطعه.

وقال: إعلم أن نار الخوف بالنسبة للفراق بمثابة قطرة ماء تصب فى بحر أعظم، وأنا لا أعرف شيئاً أكثر أخذا للقلب من خوف الفراق.

وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة المحبة الغفلة عن ذكر الله.

وقال: الصوفى هو الذى عندما لا ينطق، يعبر نطقه عن حقائق حاله. أى أنه لا يقول شيئاً لا يكونه وحين يصمت تعبر معاملته عن حاله، وينطق حاله بقطع العلائق الدنيوية.

قالوا: من العارف؟ قال: رجل منهم منفصل عنهم.

وقال: العارف يكون أكثر خشوعاً كل لحظة، لأنه يكون أكثر قرباً في كل لحظة.

وقال: لا يلزم العارف حالة واحدة، لأنه فى كل لحظة يعتريه حال من عالم الغيب، لا جرم أنه صاحب حال.

وقال: ينبغى على العارف أن يكون عارفاً خائفاً لا عارفاً واصفاً، أى يصف نفسه بالمعرفة، لكنه لا يكون عارفاً فإن كان عارفاً لكان خائفاً. «إنما يخشى الله من عباده العلماء»(١٧٥).

وقال: يسمو أدب العارف على كل الآداب، لأنه عرف المؤدِّب.

وقال: المعرفة على ثلاثة وجوه:

الأول: معرفة التوحيد وهى لعامة المؤمنين.

الثانى: معرفة الحجة والبيان وهى للحكماء والبلغاء والعلماء.

الثالث: معرفة صفات الوحدانية وهى لأهل ولاية الله، تلك الجماعة المشاهدة للحق بقلوبها، حتى يتجلى الحق (تعالى) عليهم ذلك التجلى الذى لايتجلاه على شخص قط من العالمين.

وقال: حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار، لأن لطائف أنوار المعرفة لا ترتبط بها، لأنه يمكن أيضاً رؤية الشمس بنورها.

وقال: إياك أن تكون مدعياً للمعرفة، أى إن كنت مدعياً لكنت كاذباً، ومعنى آخر هو: طالما العارف والمعروف سواء فى الحقيقة فما شأنك بهما؟ ومعنى آخر هو: إن كنت مدعياً إما تصدق أو تكذب، إن صدقت فلا يمدح الصديقون أنفسهم، كما كان يقول الصديق (رضى الله عليه): «لست بخيركم» وقد قال ذو النون فى هذا المعنى: «أكبر ذنبى معرفتى إياه» وإن كذبت، فالعارف لا يكون كاذباً. ومعنى آخر هو: لا تقل: أنا عارف حتى يقول هو.

وقال: الأكثر معرفة بالله هو الأكثر تحيراً فيه، لأن من كان أقرب إلى الشمس، كان أكثر تحيراً فيها، حتى يصل إلى حد ألا يكون هو هو.

كما سئل عن صفة العارف فقال: العارف بصير بلا علم وبلا عين وبلا خبر وبلا مشاهدة وبلا وصف وبلا كشف وبلا حجاب، فهم لا يكونون هم، ولا يبقون بأنفسهم بل إنهم يكونون بأنفسهم (ثم) (يبقون) بالحق، وتكون حركتهم بحركته، وحديثهم حديث الحق وقد سرى على ألسنتهم، ونظرهم نظر الحق يسرى إلى أعينهم. ثم قال: تحدث النبى (عليه السلام) عن هذه الصفة، وحكى عن الحق تعالى أنه قال: طالما أحببت عبداً أناريه أكون أذنه فيسمع بى، وعينه فيبصر بى ولسانه فيتحدث بى، ويده فيأخذ بى[١٧٦].

وقال: الزهاد ملوك الآخرة، والعارفون ملوك الزهاد.

وقال: علامة محبة الحق هى أن يترك (العبد) كل ما يشغله عن الله، حتى ينشغل بالله فقط.

وقال: علامات القلب المريض أربع:

الأولى: أنه لا يجد حلاوة فى الطاعة.

الثانية: أنه لا يخشى الله.

الثالثة: أنه لا ينظر إلى الأشياء بعين العبرة.

الرابعة: أنه لا يفهم ما يسمعه من العلم.

وقال: علامة الرجل الذى وصل إلى مقام العبودية مخالفة الهوى وترك الشهوات.

وقال: العبودية هى أن تكون عبده فى كل الأحوال مثلما هو ربك فى كل الأحوال.

وقال: العلم موجود والعمل به مفقود، والعمل موجود والإخلاص فيه مفقود، والحب موجود والصدق فيه مفقود.

وقال: توبة العوام من الذنب، وتوبة الخواص من الغفلة (١٧٧).

وقال: التوبة قسمان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة، وتوبة الإنابة هى: أن يتوب العبد خوفاً من عقوبة الله، وتوبة الاستجابة هى: أن يتوب خجلاً من كرم الله. وقال: على كل عضو توبة، فتوبة القلب العزم على ترك الحرام، وتوبة العين الغض عن المحارم، وتوبة اليد الإعراض عن المناهى، وتوبة القدم ترك الذهاب إلى الملاهى، وتوبة الأذن حفظها عن سماع الأباطيل، وتوبة المعدة أكل الحلال، وتوبة الفرج البعد عن الفواحش.

وقال: الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحسن(١٧٨).

وقال: ينبغى أن يكون الخوف أكثر قوة من الرجاء، فإن غلب الرجاء شوش القلب.

وقال: تسئل الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

وقال: إن دوام الفقر مع التخليط أحب إلى من دوام الصفاء مع العجب(١٧٩).

وقال: ذكر الله غذاء روحى، والثناء عليه شرابها، والحياء منه لباسها.

وقال: الحياء هيبة فى القلب مع وحشة مما قد يجرى عليك مما لايجب عمله.

وقال: تحملك المحبة على الكلام، ويجعلك الخجل تصمت، ويجعلك الخوف مضطرباً.

وقال: التقوى هى ألا يلوث (المرء) الظاهر بالمعاصى، والباطن بالفضول، ويكون واقفاً مع الله (عز وجل) فى مقام.

وقال: الصادق من ينطق لسانه بالصواب والحق.

وقال: الصدق سيف الله (عز وجل) لم يوضع على شىء قط إلا مزقه.

وقال: الصدق لسان المحزون، وقول إلى الله (تعالى) موزون.

وقال: المراقبة أن تؤثر ما فضله الحق (تعالى). أى ألا تؤثر الأفضل، وتعظم ما عظمه الله. عندما تتأتى منك ذرة فى الوجود بالإيثار، فلا تنظر إليها بطرف العين، واعتبرها بفضل الله لا بفضلك، ولا تلتفت إلى الدنيا وعلائقها، وانفض يدك منها أيضاً، ولا تر وجودك فى هذا الإعراض.

وقال: الوجد سر فى القلب.

وقال: السماع وارد الحق، يزعج به القلوب، وتحرص على طلبه، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق(١٨٠).

وقال: التوكل هو الخروج عن طاعة آلهة متعددة والانشغال بطاعة إله واحد، والانقطاع عن الأسباب.

وقال: التوكل هو احتفاظ النفس بصفة العبودية، وخروجها عن صفة الربوبية.

وقال: التوكل هو احتفاظ اليد بالتدبير وخروجها عن قوتها وحيلتها.

وقال: الأنس يظهر على صاحبه الوحشة من الدنيا والخلق ماعدا أولياء الحق لأن الأنس بالأولياء أنس بالله. وقال: عندما أنس الأولياء بعيشهم كأنهم يتخاطبون فى الجنة بلسان من نور، وعندما يشعرون بالهيبة فى الحياة، فكأنهم يتخاطبون بلسان من نار فى الجحيم.

وقال: أدنى منزلة للمأتنسين بالله، أنهم إن احترقوا فى النار، لما غابت همتهم مثقال ذرة، لأنهم يأنسون به (١٨١) .

وقال: علامة الأنس أن يجعلك تستوحش الخلق وتأنس بنفسك.

وقال: الفكر مفتاح العبادة، ودليل الوصول مخالفة النفس والهوى، ومخالفتها فى ترك الشهوات، ومن يداوم على الفكر يرى عالم الغيب بالقلب والروح.

وقال: الرضا سرور القلب بمر القضاء (١٨٢) .

وقال: الرضا ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان المحبة فى عين البلاء(١٨٣) .

قالوا: من أعلم بنفسه؟ قال: من رضى بما قسم له.

وقال: لا يتم الإخلاص سوى بالصدق فيه والصبر عليه، ولا يتم الصدق سوى بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

وقال : الإخلاص هو الاحتفاظ بطاعة العدو حتى لا يضيع.

وقـــال: علامات الإخلاص ثلاث: من يستوى لديه المدح والذم، وينسى رؤية الأعمال، ولا يهتم بالثواب قط في الآخرة على ذلك العمل.

وقال : لم أر شيئاً قط أقسى من الإخلاص فى الخلوة.

وقـــال: كل شيء يرى بالعين ينسب إلى العلم، وكل شئ يدرك بالقلب ينسب إلى اليقين (١٨٤).

وقال: علامات اليقين ثلاث:

الأولى: النظر إلى الحق فى كل شئ.

الثانية: الرجوع إليه فى كل أمر.

الثالثة: طلب المدد منه فى كل حال (١٨٥).

وقـال: يدعو اليقين إلى قصر الأمل، وقصر الأمل إلى الزهد، والزهد إلى الحكمة، والحكمة تؤدى إلى النظر فى العواقب.

وقال: الصبر ثمرة اليقين.

وقـــال: القليل فى اليقين كثير فى الدنيا، لأن قلة اليقين تملأ القلب بحب الآخرة. وبها يطلع على جملة ملكوت الآخرة.

وقـــال: علامة اليقين أن يخالف (المرء) الخلق كثيراً فى الحياة، ويترك مدحهم وإن أعطوه. ويفرغ من ذمهم وإن منعوه.

وقـــــال: من أنس بالخلق، استقر على بساط فرعون، ومن غاب عن الاستماع إلى النفس بعد عن الإخلاص، ومن أخرج نصيب الحق من كل الأشياء، لا يخاف قط، لو أن كل شيء فاته دون الحق طالما يحدث حضور الحق (١٨٦).

وقـــال: كل مدعى محجوب بدعواه عن مشاهدة الحق وعن حديثه، وإن حضر الحق لرجل، فلا حاجة له بالدعوى، لكن إن غاب عنه فتكون الدعوى هنا، لأن الدعوى علامة المحجوبين.

وقال: ليس مريداً من لا يكون أكثر إذعاناً لأمر أستاذه عن أمر الله.

وقـال: من يراقب الله فى خطرات قلبه، يعظمة الله فى حركاته الظاهرة، ومن يخاف يلجأ إلى الله، ومن يلوذ بالله يجد النجاة.

وقـــال: من يقنع يجد الراحة من أهل زمانه، ويصير أعظم الجميع، ومن يتوكل، يستقم، ومن يتكلف فيما لا يفيده، يضيع ما يفيده.

وقـــال: من يخشى الله يـذوب قلبهـ، وتتحكم محبة الله (فيـه) ويكمل عقله.

وقال: من يطلب طلباً عظيماً فقد خاطر مخاطرة جسيمة، ومن يعرف قدر ما يطلب، يحقر فى نظره ما يجب عليه أن يفعله بقلبه.

وقال: من قل أسفه للحق فهذا دليل على أن قدر الحق قليل بالنسبة له.

وقال: لا تجالس من لا يدلك ظاهره على باطنه.

وقال: لا تحزن على مفقود، واذكر المعبود الموجود.

وقـال: من يذكر الله حقيقة ينس جملة أشياء إلى جانب ذكره، ومن ينس جملة أشياء إلى جانب ذكر الله يحفظ الله له جملة أشياء ويكون الله عوضاً له عن كل شئ (١٨٧).

وســئل: بما عرفت الله؟ قال: عرفت الله بالله، وعرفت الخلق بالرسول، أى الله ونور الله، فالله هو الخالق، ويمكن معرفة الخالق بالخالق، والخلق نور

الله، وأصل الخلق نور محمد (عليه السلام) ومن ثم يمكن معرفة الخلق بمحمد[١٨٨].

وقالوا: ما تقول في الخلق؟ قال: كل الخلق في وحشة، وذكر الحق بين أهل الوحشة غيبة.

وسئل: متى يكون العبد مفوضاً، قال: حين ييأس من نفسه وفعله، ويلجأ إلى الله في جملة الأحوال، ولا تبقى له أي صلة سوى بالحق.

قالوا: من نصاحب؟ قال: من لا يكون له ملك، ولا ينكرك بأي حال، ولا يتغير بتغيرك، مهما كان ذلك التغير عظيماً لأنك مهما ازددت تغيراً، ازددت حاجة إلى الصديق.

قالوا: متى يتيسر للعبد طريق الخوف؟ قال: حين يعتبر نفسه مريضاً، ويتحنف عن كل الأشياء خشية طول المرض.

قالوا: بأي شيء يستحق العبد المحبة؟ قال: بخمسة أشياء: الاستقامة التي ليس فيها زرع ولا ثمر، والاجتهاد الذي لا يخالطه السهو، والمراقبة لله سراً وجهراً، وانتظار الموت بإعداد زاد الطريق، وأن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب.

سئل: ما علامة الخوف؟ قال: من يؤمنه الخوف عن كل المخاوف الأخرى.

قالوا: من من الناس أكثر حرصاً قال: من هو أكثر حفاظاً على لسانه.

قالوا: ما علامة التوكل؟ قال: من يقطع الطمع عن جملة الخلائق.

وسئل مرة أخرى عن علامة التوكل فقال: هو خلع الأرباب وقطع الأسباب.

قالوا: زدنا، قال: طرح النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية (١٨٩).

سئل: متى تصح العزلة؟ قال: حين تعتزل نفسك(١٩٠).

وقالوا: على من يغلب الحزن؟ قال: على أسوأ الناس خلقاً.

سئل: ما هي الدنيا؟ قال: كل ما يشغلك عن الحق.

قالوا: من السافل؟ قال: من لا يعرف الطريق إلى الله(١٩١).

سأله يوسف بن الحسين (١٩٢) من أصاحب؟ قال: من لا يبقى معه أنا وأنت.

وقال يوسف بن الحسين: عظني، فقال: صاحب الله في خصومة نفسك، ولا تصاحب نفسك في خصومة الله، ولا تحقر شخصاً قط ولو كان مشركاً، وانظر في عاقبته، لأنه يمكن أن تسلب المعرفة منك وتمنح له.

وطلب شخص عظة منه فقال: دع باطنك لله، وامنح ظاهرك للخلق، وكن عزيزاً بالله كي يغنيك.

طلب شخص آخر من الخلق العظة، فقال (له): لا تفضل الشك على اليقين، ولا ترض عن نفسك مالم تستكن، وإن حل بك بلاء تحمله في صبر، والزم حضرة الله.

وأراد شخص آخر العظة فقال: لا تبعثر همتك هباء، قال: اشرح لي هذا القول، فقال: لا تفكر فيما مضى وفيما لم يأت واحرص على الوقت.

سئل: من هم المتصوفة؟ قال: أناس يفضلون الله على كل شيء، ويفضلهم الله على الجميع.

جاء شخص وقال: دلنى على الحق! قال: إن أردت الأدلة عليه فهى أكثر من أن تحصى، وإن أردت القرب منه فهو فى أول خطوة لك. وقد سبق شرح هذا.

قال له رجل: إننى أعزك، قال: إن عرفت الله، لكفاك هو، وإن كنت لا تعرفه، فأطلب شخص يعرفهْ ليدلك عليه.

سئل عن غاية المعرفة فقال: كل من وصل إلى غاية المعرفة تكون علامته كما كان أى أن يكون هناك كما كان فى السابق.

سئل: ما أول درجة يرقاها العارف؟ قال: التحير ثم الافتقار، ثم الاتصال ثم الحيرة[١٩٣].

سئل عن عمل العارف فقال: مراقبة الحق فى كل الأحوال.

سئل: عن كمال معرفة النفس، فقال: كمال معرفة النفس سوء الظن بها وعدم حسن الظن بها مطلقاً.

وقال: حقائق القلوب هى نسيان نصيب النفوس.

وقال: أبعد شخص عن الله أكثر إشارة إليه فى الظاهر[١٩٤] (أى يخفى).

كما يروى عنه أنه قال: سلكت (سبيل) التوحيد والتفريد والتجريد والتأييد والتشديد طيلة سبعين عاماً، ولم أحظ من كل هذا سوى بوهم فى قبضتى.

يروى: أن ذا النون عندما مرض مرض الموت قالوا: أى رغبة ترغبها؟ قال: أريد أن أعرفه ولو لحظة واحدة قبل أن أموت، ثم أنشد هذا البيت:

الخوف أمرضنى والشوق أحرقنى   والحب أصفدنى والله أحيانى

وبعدها، غاب عن الوعى.

ذات يـوم قال يوسف بن الحسين: (قلت له) عند الوفاة عظنى، فقال: صاحب شخص تجد السلامة فى ظاهره، وتكون صحبته باعثاً لك على الخير وتذكرك رؤيته بالله.

قـالوا لذى النون عند النزع عظنا، فقال: لا تشغلونى، فأنا فى عجب من محاسنه، ثم توفى.

فى تلك الليلة التى فارق فيها الدنيا، رأى سبعون رجلاً الرسول فى المنام، وقالوا: قال: أراد حبيب الله المجئ، فخرجنا لاستقباله. ولما توفى، رأوا على جبينه كتابة بخط أخضر (مضمونها): «هذا حبيب الله مات فى حب الله هذا قتيل الله بسيف الله».

ولما حملوا نعشه، كانت الشمس شديدة اللهب، وهبطت طيور الهواء، وحطت على بابه، وظللت نعشه من المنزل وحتى حافة القبر، وكان مؤذن يؤذن فى الطريق الذى كانوا يحملونه فيه، ولما وصل إلى كلمة الشهادة، رفع ذو النون إصبعه من الكفن، فصاح الجميع: إنه على قيد الحياة، ووضعوا النعش، وكان الإصبع مرفوعاً، وهو ميت، ومهما حاولوا، لم يعد الإصبع إلى مكانه. فهاج أهل مصر الذين رأوا تلك الحال جميعاً وقالوا: ندمنا عما كنا قد ارتكبناه معه من جفاء، وفعلوا أفعالاً على قبره لا يمكن وصفها.

(رحمة الله عليه)

ذكر أبى يزيد البسطامى [١٩٥] (رحمة الله عليه)

هو الخليفة الإلهى، والدعامة اللامتناهية، هو سلطان العارفين، وحجة الخلائق أجمعين، هو خبير عالم المعاناة، أبو يزيد البسطامى (رحمة الله عليه)

كان أكبر المشايخ وأعظم الأولياء، وكان حجة الله، والخليفة الحق، وكان قطب العالم ومرجع الأوتاد، وله رياضات وكرامات وحالات وأقوال لا تحصى. وله آراء نافذة وبليغة جدا فى الأسرار والحقائق، وكان فى مقام القرب والهيبة غريق الأنس والمحبة حفظ جسده دائماً فى المجاهدة، وقلبه فى المشاهدة. وكانت رواياته فى الأحاديث السامية ولم يستنبط أحد قبله معانى الطريقة بهذا الحد لدرجة أنهم قالوا (عنه) : أنه كان أول من وضع العلم فى صحراء هذه الطريقة، وكماله ليس خافياً إلى حد أن الجنيد قال: أبو يزيد منا بمنزلة جبريل بين الملائكة، وقال هو أيضاً: إن نهاية ميدان جملة السائرين المتجهين إلى التوحيد هو بداية ميدان هذا الخراسانى، وجملة الرجال الذين يصلون إلى طرف قدمه يضطربون جميعاً ويهوون ويفنون، والدليل على هذا القول هو أن أبا يزيد يقول: إنه يمر على البستان طوال مائتى عام ليثمر وردة مثلنا. ويقول الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير (رحمة الله عليه) : أرى ثمانية عشر

ألف عالم امتلأت بأبي يزيد أي أن أبا يزيد فان في الحق. وكان جده مجوسياً من سادة بسطام(١٩٦).

وقد حدثت له واقعة منذ كان جنيناً وكما تقول أمه: كلما كنت أضع في فمي لقمة فيها شبهة، كانت تتحرك في بطني، ولا تستقر حتى أتقيأها، ومصداق هذا القول: أنهم سألوا الشيخ «ما هو أفضل شيء للرجل في هذا الطريق؟ قال: حسن الخلق، قالوا: إن لم يكن، قال: جسد قوي قالوا: وإن لم يكن، قال: أذن حادة السمع، قالوا: وإن لم يكن قال: قلب عارف، قالوا: وإن لم يكن، قال: عين بصيرة، قالوا وإن لم يكن، قال: موت مفاجئ.

يروى أن أمه عندما أرسلته إلى الكتاب، ولما وصل إلى سورة لقمان وإلى هذه الآية. أن اشكر لي ولوالديك(١٩٧) وكان الأستاذ يشرح معنى هذه الآية. أثر هذا الكلام في قلب أبي يزيد عندما سمعه، فوضع اللوح، وقال: اسمح لي أيها الأستاذ، أن أذهب إلى المنزل، وأتحدث مع والدتي فأذن له، قدم أبويزيد إلى الدار، قالت أمه: بما جئت يا طيفور؟ ربما أحضرت هدية، أو جئت لعذر، قال: لا، بل وصلت إلى آية يأمرنا الحق فيها بشكره وشكرك، وأنني لا أستطيع العمل في داريّ سيدين وقد أثّرت هذه الآية في روحي، فاطلبي مني «إما أن أكون طوع أمرك كلية أو أعمل له كي أكون معه كلية. قالت الأم: يا بني، تركتك لأمر الله «ومنحتك حقي فاذهب، وكن لله.

ومن ثم رحل أبو يزيد عن بسطام، وكان يطوف في الشام وضواحيها طيلة ثلاثين عاماً، ويرتاض، وسلك مسلك اليقظة والجوع الدائمين، وخدم مائة وثلاثة عشر شيخاً واستفاد منهم جميعاً، وكان الصادق من تلك الجملة.

وكان قد جلس أمامه، وقال: يا أبا يزيد، خذ ذلك الكتاب من الطاقة، قال أبويزيد: أي طاقة، قال: تأتي إلى هنا منذ مدة طويلة، ولا ترى الطاقة، قال:

كلا، وأي شأن لي بها؟ !! فقدت رأسي، ولم أجيء للمشاهدة. قال الصادق: طالما الأمر هكذا، فاذهب إلى بسطام، فقد تم أمرك.

يروى: أنهم أخبروه أنه: في المكان الفلاني شيخ كبير فذهب لرؤيته من بعيد عندما اقترب منه، رأى ذلك الشيخ، وقد بصق تجاه القبلة، فعاد الشيخ في الحال، وقال: لو كان له قدر في الطريقة، لما خالف الشريعة(١٩٨).

يروى أن (المسافة) من داره إلى المسجد كانت أربعين خطوة، ولم يكن يبصق في الطريق قط حرمة للمسجد.

يروى: أن أبا يزيد وصل إلى الكعبة بعد اثنى عشر عاماً لأنه كان يطرح السجادة في كل مصلى، ويؤدي ركعتين، ثم كان يمضي ويقول: ليس هذا طريق ملك الدنيا لأنه يمكن قطعه مرة واحدة، ثم ذهب إلى الكعبة، ولم يذهب إلى المدينة في ذلك العام، وقال: ليس من الأدب، أن تتبع زيارته (أي الرسول عليه الصلاة والسلام) هذه الزيارة، (بل ينبغي) أن أحرم لها إحراما مستقلاً، وعاد في العام التالي، وأحرم من مشارف البادية إحراماً خاصاً، وفي الطريق توقف في مدينة، فتبعه خلق غفير ولما خرج، تعقبه الناس، نظر الشيخ وقال: من هؤلاء؟ قالوا: إنهم سوف يصحبونك، قال: يا إلهي، أرجوك لا تحجب الخلق بك عنك، قلت: أحجبهم بي، ثم طلب أن يمحو محبته من قلوبهم، ويرفع مشقته عن طريقهم، وأدى صلاة الصبح ثم نظر إليهم وقال: «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني(١٩٩). قالوا: جن هذا الرجل، وتركوه، ومضوا وهنا كان الشيخ يتحدث بلسان الله، مثلما يقولون على المنبر «حكاية عن ربه» ثم كان يمضي في الطريق، فوجد عمامة مكتوب عليها: «صم بكم عمي فهم لا يعقلون» فصاح صيحة، ورفعها، وقبلها، وقال: يبدو الصوفي وقد انمحى في الحق، وفنا فلا أذن له كي يسمع خطاب الخلود ولا عين له كي يرى الجمال

الأبدي ولا لسان له كي يثني عليه ثناءً شريفاً، ولا عقل ولا علم له كي يعرفه مثقال ذرة. وهذه الآية متعلقة به.

وأرسل ذو النون مريداً إلى أبي يزيد، وقال: اذهب وقل له: يا أبا يزيد تنام طوال الليل في البادية، وتنشغل بالراحة ومضت القافلة، فجاء المريد، وقال ذلك الكلام (للشيخ) فأجاب الشيخ: قل لذي النون، الرجل الكامل من ينام الليل كله، وينهض في الصباح، ويترك المنزل قبل نزول القافلة. ولما قصّ هذا الكلام لذي النون، بكى، وقال: ليباركه الله، فلم تصل أحوالنا لهذه الدرجة بعد. فهو يطلب الطريقة بهذه البادية، ويبتغي علم الباطن بهذا السلوك.

يـــروى: أن أبا يزيد كانت لديه ناقة، وكان قد وضع عليها متاعه في الطريق قال شخص: مسكينة تلك الناقة فالأحمال كثيرة عليها، وهذا ظلم تام، عندما سمع أبو يزيد منه هذا القول عدة مرات، قال: أيها السخي، الناقة ليست محملة، فنظر، هل الأحمال موجودة على ظهر الناقة؟ فرأى يداً رفعتها عن ظهر الناقة، ولم تشعر الناقة بثقلها قط. فقال «سبحان الله» يا له من أمر عجيب، قال أبو يزيد: إن أخفيت عنكم حقيقة حالي، تسلطون على ألسنة الملامة، وإن كشفتها لكم، لا تطيقها حوصلتكم فماذا يجب أن أفعل معكم؟.

ومن ثم عندما ذهب، وزار المدينة، أمر بالعودة إلى والدته، فاتجه مع جماعة إلى بسطام، وانتشر الخبر في المدينة، فذهب أهل بسطام إلى الأطراف لاستقباله وكانت مجاملتهم ستشغل أبا يزيد، وتبعده عن الحق، ولما اقتربوا منه أخذ الشيخ رغيفاً من كمه وكان (الوقت) رمضان، ووقف يأكله، رأى الجميع ذلك، فانفضوا عنه، قال الشيخ لأصحابه: ألم تروا أني تركت مسألة من الشرع، فرفضني الخلق جميعاً (٢٠٠). ثم انتظر، حتى حل الليل، وفي منتصف الليل ذهب إلى بسطام ودخل دار أمه، وأنصت، فسمع صوتاً بأن أمه كانت

تتطهر، وتقول يا إلهى، أحسن إلى غريبى، وأجعل قلوب المشايخ راضية عنه، وأكرمه بالأحوال الطيبة، كان أبو يزيد يسمع ذلك فغلبه البكاء، ثم طرق الباب، قالت الأم: من؟ قال غريبك، قدمت أمه باكية، وفتحت الباب وكانت عينها قد أضيرت، وقالت: يا طيفور، أتعلم لم أضيرت عينى، لأننى كنت أبكى فراقك، وانحنى ظهرى لأننى كابدت الحزن عليك.

يروى: أن الشيخ قال: ذلك الأمر الذى كنت أعده آخر الأمور، كان أولها جميعاً وهو رضاء الوالدة. وقال ما كنت أبحث عنه فى جملة الرياضات والمجاهدات والغربة والخدمة، وجدته فيه (رضاء الوالدة). ذات ليلة عندما طلبت الوالدة منى ماء ذهبت لإحضاره، فلم يكن هناك ماء فى القدح، ذهبت إلى الوعاء، فلم يكن فيه ماء ذهبت إلى المجرى، وأحضرت الماء، ولما عدت، كانت قد نامت، وكانت الليلة باردة، وكنت أمسك القدح بيدى، وعندما استيقظت من النوم وتنبهت، علمت فشربت الماء، ودعت لى، لأنها رأت القدح كان قد تجمد فى يدى، وقالت لماذا لما لم تضعه عن يديك؟ قلت: خشيت أن تستيقظى ولا أكون حاضراً فقالت: وارب هذا الباب، فبقيت حتى منتصف النهار لأتحقق من أنه موارب أم لا، ولا أكون قد خالفتها، وكل ماكنت أبحث عنه وقت السحر، كان يتأتى من الباب عدة مرات.

يروى: أن أبا يزيد حين قدم من مكة، ووصل إلى همدان، كان قد اشترى حمصاً وتناول القليل منه، وربط الباقى فى الخرقة، ولما وصل إلى بسطام، تذكره، ففتح الخرقة، فخرج النمل منها، قال: لقد أبعدت النمل عن مكانه ونهض، وحمله إلى همدان، ووضعه هناك حيث كان مقره، فالشخص الذى لا يصل إلى الغاية فى «التعظيم لأمر الله» لا يصل إلى درجة «الشفقة على خلق الله».

وقال الشيخ: كنت حداداً لنفسى طيلة اثنى عشر عاماً وكنت أضعها فى موقد الرياضة، وكنت أشعلها بنار المجاهدة، وأضعها على سندان المذمة وأطرقها بمطرقة الملامة، حتى جعلت من نفسى مرآة، وكنت أصقلها بأنواع العبادات والطاعة طيلة خمس سنوات، وبعد عام نظرت إلى نفسى نظرة متفحصة فرأيتنى متمنطقاً بزنار من الغرور والتيه والكبر فاجتهدت خمس سنوات أخرى مكتفياً بطاعتى وعملى حتى انقطع ذلك الزنار وأسلمت من جديد ونظرت، فرأيت كل الخلائق موتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات وعدت من جنازاتهم جميعاً، ووصلت إلى الله بعون الله ودون عناء الخلق.

يــروى: أن الشيخ عندما كان يصل إلى باب مسجد، كان يقف برهة، ويبكى. سئل ما هذه الحال؟ فكان يقول أجد نفسى كامرأة محيضة، تخشى أن تدخل المسجد، فتلوثه.

يــروى: أن الشيخ عزم على السفر إلى الحجاز ذات مرة ولما خرج، عاد فقالوا: أنك لم تقعد عن عزمك قط! فلما عدت؟ قال: اتجهت إلى الطريق، فرأيت زنجياً، مشهراً سيفه (وقال لى) إن عدت أفصل لك، وإلا أفصل رأسك عن جسدك، ثم قال لى «تركت الله ببسطام وقصدت البيت الحرام.

يروى: أنه قال: اعترضنى رجل فى الطريق، وقال: أين تذهب؟ قلت: إلى الحج، قال وما تملك؟ قلت مائتى درهم، قال: تعال وامنحها لى، فإننى صاحب عيال، وطفت حولى سبع مرات، فهذا هو حجك، قال (أبو يزيد): وهكذا فعلت وعدت. ولما علا شأنه، لم يستوعب أهل الظاهر كلامه الظاهر، والنتيجة طردوه من بسطام سبع مرات. وكان الشيخ يقول: لماذا تطردونى؟ قالوا: نطردك لأنك رجل سيئ، فكان الشيخ يقول: ما أطيب تلك المدينة التى أكون أنا أسوأ من فيها.

يروى: أن أبا يزيد اعتلى سطح رباط ذات ليلة كي يذكر الله، ووقف على ذلك الحائط حتى الصباح، ولم يذكر الله، نظروا، فكان قد تبول، وكان كل بوله دماً، قالوا: أي حال أصابتك؟ قال ظللت متوقفاً حتى الصباح لسببين الأول: أنه كان قد ورد قول على لساني في الطفولة، والآخر: أن العظمة كانت قد احتوتني إلى حد أن قلبي ظل حائراً، فإن كان قلبي حاضراً، شل لساني، وإن تحرك لساني شل قلبي، وظللت على هذا الحال طوال الليل وحتى الصباح.

ويقول شيخ الزمان: إنه عندما أراد الخلوة للتعبد أو التفكر كان يدخل الدار ويحكم كل النوافذ، وكان يقول: أخشى أن يزعجني صوت أو نداء، وهذا حجة في حد ذاته.

ويقول عيسى البسطامي: صحبت الشيخ ثلاثة عشر عاماً لم أسمع منه قولاً خلالها وكان من عادته: أنه كان يضع رأسه على ركبته، ولما كان يرفعها، كان يتأوه، ويعود لتلك الحال مرة ثانية.

يروى أن السهلكي[٢٠١] يقول: إنه كان في حال القبض وإلا لاستفاد كل شخص منه فائدة كبيرة وهو في حال البسط.

وكان في خلوة ذات مرة، فجرى على لسانه «سبحاني ما أعظم شأني» وعندما أفاق قال له المريدون: [كيف] وردت على لسانك مثل هذه الكلمة؟ قال الشيخ: فليعادي إلهكم يا يزيد كم «إن قلت كلمة من هذا القبيل قطعوني إرباً إرباً، ثم أعطى كل واحد سكيناً (قائلاً): إن قلت مثل هذا الكلام اقتلوني بهذه السكاكين، وربما حدث ذلك عندما قال الكلام نفسه مرة ثانية، فعزم المريدون على قتله، وكانت الدار ممتلئة بأبي يزيد فانتزعوا لبنة من الحائط وأخذ كل منهم يضرب بسكين لتنفذ الضربات كرجل يضرب بسكين على الماء فلا تسبب أي جرح ولما مرت برهة، أخذت تلك الصورة تتضاءل، وظهر أبو يزيد جالساً في المحراب كصعوة صغيرة، دخل الأصحاب، وشرحوا الحال، فقال

الشيخ: إن أبا يزيد هذا الذى ترونه وذلك لم يكن أبو يزيد. ثم قال: «الجبار نفسه على لسان عبده». إن قال شخص: كيف هذا؟ أقول: مثلما كان آدم عليه السلام فى البداية يتطلع برأسه إلى الملك وأنزل جبريل (عليه السلام) ملاكاً على مفرقه، فعاد. (كان) آدم أقل قدراً منه، فكيف يجوز للكبير أن يكون صغيراً والعكس جائز. كالطفل فى بطن أمه يزن مدين وعندما يصل إلى مرحلة الشباب يصير مائتى من. «وكما تجلى جبريل عليه السلام على مريم فى صورة بشر، وربما يكون حال الشيخ على هذا النحو، لكن طالما لا يمر الشخص بالتجربة، لا يفيد الشرح.

يروى: أن أبا يزيد قطف تفاحة حمراء ذات مرة، ونظر إليها وقال: هذه التفاحة لطيفة، فناداه مناد: يا أبا يزيد، ألا تخجل أن تضع اسمنا على تفاحة، فقد أطاح الحق (تعالى) باسمك عن قلبه أربعين يوماً، قال الشيخ: أقسمت ألا آكل تفاح بسطام ما حييت.

وقال: كنت قد جلست ذات يوم، ولم يجل بخاطرى، أننى اليوم شيخ زمانى وسيد عصرى، وعندما فكرت فى هذا، علمت: أن خطأ عظيماً حدث فنهضت، واتجهت إلى خراسان، وأقمت فى منزل، وأقسمت ألا أغادر المكان حتى يرسل الحق تعالى شخصاً لى، يكشفنى لى، وظللت هناك ثلاثة أيام بلياليها، وفى اليوم الرابع رأيت رجلاً أعوراً، كان يقدم على راحلة، ولما نظرت إليه، رأيت فيه أثراً للمعرفة، فأشرت إلى الناقة، قفى، وفى الحال اصطدمت قدما الناقة بيابسة على الأرض، ووقفت، فنظر إلىّ ذلك الرجل الأعور ثانية وقال: أهذا ما تستطيعه؟. إننى (أستطيع) أن أشفى العين العوراء، وأفتح الأبواب المغلقة، وأغرق بسطام وأهلها ومعهم أبا يزيد قال أبو يزيد: فقدت وعيى وقلت: من أين أنت قادم؟ قال: قد طويت ثلاثة آلاف فرسخ منذ ذلك الوقت الذى أخذت فيه

على عاتقك العهد، وعندئذ قال: إحذر يا أبا يزيد، واحفظ قلبك. وأشاح بوجهه عنى، ومضى.

يـــروى: أن الشيخ جاور المسجد أربعين عاماً، وكان لديه رداء خاص بالمسجد وآخر خاص بالدار، وثالث خاص بمكان الطهارة.

وقــال: لم أسند ظهرى على حائط قط لمدة أربعين عاماً، إلا حائط مسجد أو رباط.

وقال: سيسأل الله تعالى عن كل ذرة، ويكون هذا من ذرة سابقة.

وقال: لم آكل مايأكله الآدميون طيلة أربعين عاماً، أى أن قوتى كان من مكان آخر.

وقــال: راقبت القلب أربعين عاماً، وعندما نظرت، رأيته متمنطقاً بزنار الشرك، وكان شركه لأنه كان يلتفت لغير الحق، فالقلب الذى زال شركه لا يميل قط سوى للحق، وطالما يسعى إلى شئ آخر، فالشرك باق.

وقال: كنت حارساً لقلبى طيلة أربعين عاماً، وعندما نظرت رأيت العبودية والألوهية من عند الله.

وقال: كنت أطلب الله طيلة ثلاثين عاماً، وعندما نظرت، كان هو الطالب وأنا المطلوب.

وقــال: (ظللت) ثلاثين عاماً كلما أريد أن أذكر الحق أتمضمض ثلاث مرات إجلالا له(٢٠٢).

وسأل أبو موسى(٢٠٣) أبا يزيد: ما هو أصعب أمر رأيته فى هذا الطريق؟ قال: منذ مدة كنت أحمل النفس إلى الحضرة، وكانت تبكى، وعندما حل مدد الحق كنت أحمل النفس، وكانت تضحك.

وسئل: ما أعجب أمر رأيته فى هذا الطريق؟ قال: لا يحل فيه أحد قط، ويرى ثانية.

يروى: أن أبا يزيد فى آخر أمره، كان قد وصل إلى حد أن كل شئ كان يجول بخاطره، كان يظهر أمامه فى الحال، وعندما كان يذكر الحق (تعالى) كانت الدماء تجرى منه مجرى البول.

ذات يوم دخلت جماعة على الشيخ، وكان الشيخ مطأطأ الرأس فرفعها، وقال: أطلب حبة فاسدة منذ الصباح، كى أمنحها لكم، فأنتم تطيقون غرسها، وأنا لأجدها.

يروى: أنه كان لأبى تراب النخشبى(٢٠٤) (رحمة الله عليه) مريد شديد الحزن وصاحب وجد، وكثيراً ما كان أبو تراب يقول له: هكذا ينبغى لك أن ترى أبا يزيد فقال المريد له ذات يوم: أيها السيد، الشخص الذى يرى رب أبى يزيد مائة مرة كل يوم، ما يفعل بأبى يزيد حتى يراه؟ قال أبو تراب: أيها الرجل، عندما ترى الله تراه على قدرك، وعندما تراه عند أبى يزيد، تراه على قدر أبى يزيد، وهذا إختلاف فى الرؤية. فإنه (الله) لن يتجلى للصديق (رضى الله عنه) مرة واحدة، ولا لجملة الخلق. أثر ذلك القول فى قلب المريد، وقال له: هيا بنا نذهب، وقدم الاثنان إلى بسطام، ولم يكن الشيخ فى الدار، فذهب إلى الغابة، وكان الشيخ يخرج منها وفى يده قدح ماء، وعلى قده فراء بال، ولما وقعت عين مريد أبى تراب على أبى يزيد، إرتعد، وتيبس فى الحال، ومات.

قال أبو تراب: أيها الشيخ، نظرة وموت، فقال الشيخ: هناك أمر فى سليقة هذا الشاب، لم يحن وقت كشفه بعد، وعند مشاهدة أبى يزيد غلبه ذلك الأمر دفعة واحدة، فلم يطق وهوى. وحدث مثل ذلك الأمر لنساء مصر اللاتى لم يطقن جمال يوسف فقطعن أيديهن دفعة واحدة.

يــروى: أن يحيى بن معاذ[٢٠٥] (رحمة الله عليه) كتب رسالة إلى أبى يزيد وقال: ما تقول في شخص شرب قدحاً من الشراب، وثمل ثمالة الأزل والأبد، فأجاب أبو يزيد: لا أعرف ذلك، ما أعرفه: أن هذا رجل، يسبح فى بحور الأزل والأبد ليلاً ونهاراً، ويصيح قائلاً «هل من مزيد».

فكتب يحيى رسالة (فحواها): لى معك سر، ولكن موعدنا الجنة، نتحدث فى ظل طوبى وأرسل رغيفاً مع تلك الرسالة، وقال يجب أن يتناول الشيخ هذا، فقد عجنته بماء زمزم.

أجاب أبو يزيد: وقد تذكر سره ثانية، وقال: هناك حيث يكون ذكره ننعم بكنوز الجنة، وظلال طوبى، لكنى لن أتناول ذلك الرغيف، لأنك كنت قد قلت بأى ماء عجنته ولم تقل بأى بذرة زرعته.

اشتاق يحيى بن معاذ كثيراً للشيخ، فنهض، وجاء لزيارته، وصل هناك عند صلاة العشاء، قال: لم أستطع إزعاج الشيخ، ولم أصبر حتى الصباح فذهبت إلى مكان فى الصحراء دلونى عليه، فرأيت الشيخ يؤدى صلاة العشاء، وكان قد وقف على أطراف أصابعه حتى الصباح. وقال: بقيت فى عجب، وكنت أنصت إليه، فقد انشغل طوال الليل بالعمل، وعندما تنفس الصبح ورد على لسان الشيخ: «أعوذ بك أن أسألك هذا المقام»، فتقدم يحيى فى وقته، وسلم، وسأل عن واقعة الليل، فقال الشيخ: أحصوا لنا نيفاً وعشرين مقاماً، فقلت: لا أريد منها شيئاً قط، فجميعها حجب، بدايتها يحيى، ونهايتها أبو يزيد.

قال يحيى: أيها الشيخ: لماذا لم تطلب المعرفة من الله؟ وهو ملك الملوك وقد قال: اطلب ما تريد، فصاح أبو يزيد قائلاً: اصمت يا يحيى، إننى أغار عليك فأنا أعرفه هو ولا أريد قط أن يعرفه سواه أى شأن لى حيث كانت معرفته، فهو أراد ذلك يا يحيى . لا يعرفه سواه شخص آخر، ومن ثم قال يحيى: بحق عزة

الله، اجعل لى نصيباً من تلك الفتوح التى حلت عليك بالأمس، فقال الشيخ، إن وهبت صفوة آدم، وقدس جبريل، وخلة إبراهيم، وشوق موسى، وطهارة عيسى ومحبة محمد (عليه السلام)، أقسم أنك لا ترضى بها، وتطلب ما وراء ذلك، فإن ما وراءها أمور فكن صاحب همة ولا تزل قط، لأن كل شيء تتدنى له، تحجب به.

وأرسل أحمد بن حرب (٢٠٦) حصيراً للشيخ (قائلاً): صل عليه بالليل، فقال الشيخ: إنى جمعت عبادات أهل السماء وأهل الأرض، ووضعتها فى وسادة وضعتها تحت رأسى(٢٠٧).

يروى: أن ذا النون المصرى أرسل مصلى للشيخ، فأعادها الشيخ إليه قائلاً: أى حاجة لنا بالمصلى؟ أرسل لنا مسنداً نتكئ عليه. أى أن الأمر تجاوز الحاجة ووصل إلى الغاية، فأرسل ذو النون مسنداً طيباً، فأعاده الشيخ أيضاً، لأنه كان قد فنى فى هذا الوقت، ولم يكن قد بقى منه سوى الجلد والعظم. قال: من كان مسنده لطف الحق وكرمه لا يحتاج إلى مسند مخلوق قط.

يروى: أن أبا يزيد قال: كنت فى الصحراء ذات ليلة، وقد توارت رأسه فى الخرقة لعل النعاس يغلبها، فجأة أصابته حال يجب عليه الاغتسال منها، أى الإحتلام، وكانت الليلة باردة جداً، يقول أبو يزيد: وعندما استيقظت، كانت نفسى تقعدنى عن الاغتسال بماء بارد، فكانت تقول: اصبر حتى تشرق الشمس، عندئذ اغتسل. قال: عندما رأيت كسل نفسى، وعلمت أنها ستؤدى الصلاة قضاءً، نهضت، وهكذا كسرت الثلج بالخرقة، واغتسلت وهكذا كنت أرتديها حتى سقطت وفقدت الوعى، ولما عدت إلى رشدى، كانت الخرقة قد جفت فجأة.

يروى: أن الشيخ كثيراً ما كان يطوف فى القبور، وذات ليلة كان قادما منها، وكان شاب من أبناء سادة الولاية يضرب على عود فى يده، ولما وصل

إلى أبى يزيد، قال أبو يزيد: لا حول، فضربه الشاب بالعود على رأسه، فتحطم الاثنان: رأس أبى يزيد والعود، وكان الشاب ثملاً، فلم يعرف من هو؟ عاد أبويزيد إلى زاويته، وجلس، وفى الصباح، استدعى أحد الأصحاب، وقال: بكم يبيعون العود؟ وعرف ثمنه، فربطه في خرقة ومعه قطعة حلوى، وأرسله إلى ذلك الشاب، وقال: قل لذلك الشاب: إن أبا يزيد يطلب المعذرة، ويقول: ضربتنا بالأمس بذلك العود فانكسر فخذ هذا الذهب ثمناً له، واشتر عوضا عنه، وهذه الحلوى كى تذهب غصة كسره عن قلبك، وعندما عرف الشاب (الأمر)، جاء، وطلب المعذرة من الشيخ، وتاب، وتابت معه مجموعة من الشبان (٢٠٨).

يروى: أن أبا يزيد كان يمضى ذات يوم مع جماعة، فوقف فى طريق ضيق، وكان كلب قادماً، فعاد أبو يزيد، وآثر مرور الكلب، لكى لا يضطر الكلب أن يعود. ولعل مريد استنكر هذا الأمر، لأن الحق (تعالى) قد كرم بنى آدم، ويفضل أبو يزيد (سلطان العارفين) مع كل هذا النفوذ وجماعة المريدين - مرور الكلب ويعود! كيف يكون ذلك؟ قال الشيخ: أيها السخى، إن هذا الكلب قال لأبى يزيد بلسان الحال. «السبق فى السبق» أى تقصير ارتكبته فى الوجود؟ وأى توقير بدا منك؟ فألبسونى جلد الكلب، وخلعوا عليك «سلطان العارفين» فاعتملت هذه الفكرة فى رأسى وآثرت مروره.

يروى: أن أبا يزيد كان يمضى ذات يوم، وكان كلب برفقته، فلملم الشيخ أطراف ثيابه (بعيدا) عنه، قال الكلب: لو أننى جاف فلا ضرر، ولو أننى مبتل فإن تطهرك منى سبع غسلات بالماء أو التراب، لكن إن ضربتنى بطرفك، لا تتطهر وإن اغتسلت فى سبع بحور، قال أبو يزيد: أنت نجس الظاهر، وأنا نجس الباطن، تعالى كى نمتزج معاً ليظهر ما بيننا من طهر بالامتزاج. قال الكلب: لا يجدر بك أن ترافقنى وتزاملنى، لأننى مرفوض من الخلق، وأنت مقبول منهم، ومن يصل إلىّ يضربنى بحجر على جانبى، ومن يصل إليك يقول:

«السلام عليك يا سلطان العارفين» وأنا لم أدخر عظمة قط للغد، وأنت تدخر دن قمح. قال أبو يزيد: لست جديراً بصحبة الكلب، فكيف أكون جديراً برفقة «لم يزل ولا يزال»؟ سبحان الله الذى يربى أفضل الخلق بأقلهم! ثم قال الشيخ: ضقت، ويئست من الطاعة، فقلت: أذهب إلى السوق، واشترى زناراً، وأعقده على وسطى، حتى ينتشر عارى بين الخلق، خرجت، وكنت أسأل عنه فرأيت دكاناً علق زناراً. قلت (لنفسى): أيباع هذا بدرهم؟ وقلت (للبائع): بكم تبيعه؟ قال: بألف دينار، دهشت، وهتف هاتف: ألا تعلم أن الزنار الذى يعقد على خصر مثل خصرك لا يقل عن ألف دينار. قال: سر قلبى، لأننى علمت أنها عناية الحق.

يروى: أنه كان هناك زاهد من جملة مشايخ بسطام صاحب طبع، وقبول، ولم يكن يغيب عن حلقة أبى يزيد قط، وكان يسمع كل كلامه ويجلس مع أصحابه، وقال لأبى يزيد ذات يوم: أيها السيد، منذ ثلاثين عاماً وأنا صائم الدهر، قائم الليل (للصلاة)، إلى حد أننى لم أنم قط (مع هذا) لا أجد فى نفسى أثراً من هذا العلم الذى تتحدث عنه، وأصدقه، والكلام الذى أحبه. قال أبو يزيد: إن صمت النهار وقمت الليل طيلة ثلاثمائة عام لن تدرك ذرة من هذا الحديث! قال الرجل: لماذا؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال الرجل: وما علاج هذا؟ قال الشيخ: لن تقبل قط، قال: بل أقبل، قل لى كى أنفذ كل ما تقوله، قال الشيخ: اذهب الآن: وأطلق ذقنك ورأسك، وارتد سترة، واخلع هذه الثياب التى ترتديها، واعقد على خصرك إزاراً خشناً، وعلق فى رقبتك كيساً مملوءاً بالجوز، واخرج إلى السوق، واجمع الأطفال، وقل لهم، من يصفعنى أعطيه جوزة، وهكذا طف فى المدينة، وكل مكان تُعرف فيه اذهب إليه، فهذا هو علاجك سمع الرجل هذا، وقال: «سبحان الله لا إله إلا الله» قال: إن نطق كافر بهذا القول يؤمن، وقد أشركت بنطقك هذا القول، قال الرجل: لماذا؟ قال الشيخ:

لأنك اعتبرت نفسك أكبر من أن يمكنك أن تفعل هذا، فلا جرم أنك أشركت، لأنك قلت هذا القول تعظيماً لنفسك لا تعظيماً لله. قال الرجل: لا أستطيع أن أفعل هذا، مرنى بشئ آخر، فقال: العلاج ما قلته، قال الرجل: لا أستطيع فعله، قال الشيخ: ألم أقل لك إنك لن تفعل، ولن تطيع الأمر.

يـــروى: أن تلميذاً لشقيق البلخى (رحمة الله عليه) قصد الحج، فقال له شقيق: أسلك طريق بسطام، حتى تزور ذلك الشيخ، فقدم ذلك التلميذ إلى بسطام، قال له أبو يزيد: من شيخك؟ قال: شقيق، قال الشيخ: وما يقول؟ قال: قال: قد فرغ شقيق من الخلق، وجلس متوكلاً، وهكذا يقول: إن صارت السماء نحاساً، والأرض حديداً، فلا تسقط من السماء أمطار قط، ولا تنمو من الأرض أعشاب، ويكون كل خلق العالم عيالى لا أحيد عن التوكل عليك. فقال أبويزيد عندما سمع ذلك ـ : ياله من كافر فاجر. ياله من مشرك جاحد، لو كان أبويزيد غراباً، لما كان يحلق فى مدينة ذلك المشرك، عندما تعود، قل له: أنظر، ولا تختبر الله برغيفين من الخبز، عندما تجوع، أطلب رغيفين من النوع الخاص به، ودع برنامج التوكل جانباً، حتى لا تسوى تلك المدينة والولاية بالأرض من سوء معاملتك. فعاد ذلك المريد من هول هذا الكلام، ولم يذهب للحج واتجه إلى بلخ لدى شقيق، فقال شقيق: سرعان ما عدت! قال: كلا، إنك كنت قد قلت: مرّ على أبى يزيد، فذهبت إليه، وهكذا سأل، وهكذا أجبت، فقال: كذا وكذا، فعدت من هول هذا الكلام، كى أخبرك. كان شقيق ذكياً، فأعاب عليه هذا الكلام، ويقال: إنه كان لديه أربعمائة حمل بعير من الكتب، وكان شيخاً فذاً، لكنه ظن أنه فاق المشايخ، قال شقيق للمريد: ألم تقل له لو أنه كان كذلك، فكيف تكون أنت؟ قال: لا، قال شقيق: اذهب إليه الآن، واسأله: لو كان هو كذلك فكيف تكون أنت؟ نهض المريد، وعاد إلى بسطام، قال أبو يزيد: عدت،

قال: أرسلنى كى أسألك لو أنه كذلك فكيف تكون أنت؟ قال أبو يزيد: انظر جهله أيضاً، ثم قال: إن قلت، فأنت لا تعرف، قال (المريد) : قد جئت من مكان بعيد أملاً فى هذا، إن ترى الصالح، تأمر بكتابة رسالة، حتى لا يضيع التعب، قال أبويزيد: أكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» هو أبو يزيد. وطوى الورقة وأعطاها له. إن أبا يزيد ليس شيئاً ولأنه ليس موصوفاً، فكيف يمكن وصفه بما يدركه الواصلون، فكيف به وهو يتوكل أو يخلص وكل هذه صفات الخلق، ويجب عليهم أن «يتخلقوا بأخلاق الله»، ولا يتحلون بالتوكل. ذهب المريد، وكان شقيق قد مرض، واقترب أجله، وكل لحظة كان يرسل شخصاً إلى السطح، حتى يراقب الطريق، كى يسمع إجابة أبى يزيد قبل أن ينتهى أجله، وكانت قد بقيت عدة أنفاس حين وصل المريد، فقال: ما قال؟ قال المريد: قد كتب على ورقة، فقرأها شقيق، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ونزه الإسلام عن عيب أفكاره، ورجع عنها، وتاب، وأسلم الروح.

يروى أن أحمد بن خضرويه[٢٠٩] ذهب إلى أبى يزيد ومعه ألف مريد، كانوا جميعهم يستطيعون السير على الماء، والطير فى الهواء، وقال أحمد لهم كذلك: من ليست له القدرة على مشاهدة أبى يزيد منكم، يخرج لأننا سنذهب لزيارة الشيخ، فمضى الجميع، وكانت مع كل واحد منهم عصا، وضعها فى دهليز دار الشيخ، حيث (بيت العصا) فامتلأ الدار بالعصى، فتراجع مريد، ولم يذهب إلى أبى يزيد، وقال: لا أرى فى نفسى لياقة الذهاب إلى الشيخ، فلأحرس العصى. ولما دخل الجميع على أبى يزيد قال أبو يزيد: هل أحضرتم أفضلكم والأصل فيكم؟ أحضروه، فذهبوا وأحضروه، فقال أبو يزيد لخضرويه: إلام السياحة والطواف حول العالم؟ قال خضرويه: عندما (يركد) الماء فى

مكان واحد، يتكدر، قال الشيخ: «كن بحراً لا يتغير»، ثم استرسل الشيخ أبى يزيد فى الكلام، فقال أحمد: مهلاً أيها الشيخ، فلتتمهل إنى لا أفهم كلامك فتمهل، ثم قال له مرة أخرى: تمهل فتمهل وهكذا أخذ يقول (تمهل) سبع مرات عندئذ فهم كلام أبى يزيد، وصمت أبو يزيد، فقال أحمد: يا شيخ، رأيت ابليس على قارعة حيك معلقاً على مشنقة، قال أبو يزيد: بلى، كان قد تعاهد معنا ألا يحوم حول بسطام، والآن وسوس لفرد فارتكب جريمة القتل، وجزاء اللصوص أن يشنقوا فى بلاط الملوك ، وسأل رجل الشيخ: نرى عندك جماعة مثل الرجال والنساء، من هم؟ قال: إنهم الملائكة، يأتون، ويسألوننى عن العلوم، وأجيبهم.

يروى: أن أبا يزيد كان يرى فى المنام ذات ليلة، أن ملائكة السماء الأولى يهبطون عليه قائلين: انهض، كى نذكر الله، قال: لا أملك لساناً للذكر، فجاء ملائكة السماء الثانية وقالوا الكلام نفسه، فأجاب نفس الإجابة، وهكذا حتى قدم ملائكة السماء السابعة، وكان يجيب نفس الإجابة، قالوا: ومتى ستملك لسان الذكر إذن؟ قال: عندما يستقر أهل الجحيم فى الجحيم وأهل الجنة فى الجنة، وتمر القيامة، ثم يطوف أبو يزيد حول العرش ويقول الله الله.

وقال: أضئ الدار ذات ليلة، فقلت، لو أنه الشيطان فأنا أكثر عزة منه، وأوفر همة إنه طمع فى، وإن كان من لدنك فدعه حتى أصل من دار الخدمة إلى دار الكرامة.

يروى: أن أبا يزيد لم يتذوق طعم العبادة ذات ليلة، فقال: انظروا هل هناك شيء فى الدار، نظروا، فرأوا نصف عنقود عنب، قال: احملوه وأعطوه لشخص فدارنا ليست دكان بقال، حتى طاب وقته.

يروى: أن مجوسياً جاوره، وكان له طفل، كان هذا الطفل يبكى، لأنهم لا يملكون قنديلاً، فحمل أبو يزيد قنديلاً بيده إلى دارهم، فسكت طفلهم، قالوا:

طالما حل نور أبى يزيد، فما يدعو للأسف، أن نعيش فى ظلامنا، وأسلموا فى الحال.

يـــروى: أن مجوسياً عاصر الشيخ، قالوا له: أسلم، فقال: لو أن الإسلام مايفعله أبو يزيد فلا طاقة لى به، ولو أنه ما تفعلونه، فلا أرغبه.

يـروى: أن أبا يزيد كان قد جلس فى مسجد ذات يوم، فقال للمريدين: انهضوا كى نستقبل حبيباً من أحباب جبار العالم، فذهبوا، ولما وصلوا إلى البوابة كان إبراهيم الهروى (٢١٠) يقدم جالساً فوق حمار. قال أبو يزيد: جاء نداء من الحق إلى قلبى أن: انهض واستقبله وتشفع لنا. قال (إبراهيم): إن منحوك شفاعة الأولين والآخرين، فلا تزال قبضة تراب. تعجب أبو يزيد من قوله، ولما حان وقت الطعام، فكر إبراهيم فى نفسه (قائلاً): لعله طعام طيب، لأن الشيخ يأكل مثل هذه الأطعمه الطيبة، أدرك الشيخ هذا المعنى ولما فرغوا، أخذ بيد إبراهيم، وحملها إلى طرفه، وضرب بها على الحائط، فشقت بحيرة، وظهرْ بحر لا نهاية له، قال: الآن، تعال، كى نسبح فى هذا البحر، فخاف إبراهيم، وقال: لا أحظى بهذا المقام، فقال الشيخ: ذلك الشعير قد جمعته من الصحراء، وخبزته، ووضعته فى الجراب، وقد كان الشعير الذى أكلته الدواب، وتبرزته، وقد كان نجساً، وهكذا كان ما كان الشيخ قد قاله، فتاب إبراهيم.

وقال رجل لأبى يزيد ذات يوم: رأيتك فى طبرستان مع الخضر (عليه السلام) فى جنازة شخص كان قد مات، وقد وضع يده على عنقك، ووضعت يدك على كتفه، ولما عاد الخلق من الجنازة، رأيتك كنت تطير فى الهواء، قال الشيخ: الأمر كما تقول.

يـروى: أن جماعة جاءت إليه ذات يوم (قائلة): يا شيخ، نخاف القحط، والأمطار لا تسقط، فطأطأ الشيخ رأسه وقال: هيا أصلحوا القنوات، فقد هطل

المطر، وفى الحال بدأت الأمطار (فى السقوط) إلى حد أنها لم تنقطع طيلة عدة أيام بلياليها.

يروى: أن الشيخ مد قدمه ذات يوم، فمدّ مريد قدمه معه، فرفع أبو يزيد قدمه، وقال لذلك الرجل: ارفع قدمك، فلم يستطع ذلك الرجل رفعها، وبقى كذلك حتى آخر عمره، وذلك لأنه ظن أن تدلية قدم العارفين، تكون مقياساً لسائر الخلق.

يروى: أن الشيخ كان قد مد قدمه ذات مرة، فهمّ عالم، ووضع قدمه (العالم) فوق قدمه (الشيخ)، قالوا: أيها الجاهل، لماذا فعلت ذلك؟ أبسبب التفكير! قال: ما تقولون؟ وقد لحقت به طامات. بعد ذلك أصيبت تلك القدم بالجزام، وكما يقال: سرت هذه العلة فى عدة أبناء له. سئل أحد المشايخ: كيف يرتكب شخص ذنباً فتسرى عقوبته فى الآخرين؟ وما معنى هذا؟ قال: طالما كان الرجل ماهراً، يصيب سهمه أبعد مسافة.

يروى: أن منكراً تقدم لامتحان الشيخ، وقال: اشرح لى المسألة الفلانية، رأى الشيخ تلك الأفكار فيه، فقال: هناك غار فى الجبل الفلانى، وفيه واحد من أحبابنا، سله، كى يشرحها لك فنهض، وذهب إلى الغار، فرأى أفعى عظيمة مهيبة، عندما رأى ذلك، فقد الوعى، وتبول فى ردائه، وألقى بنفسه ـ وهو فاقد الوعى. خارج المكان، وترك مداسه هناك، وهكذا عاد إلى خدمة الشيخ، وسجا على قدمه وتاب، قال الشيخ: سبحان الله ألا تستطيع الحفاظ على مداسك من هيبة مخلوق، فكيف تحفظ الكشف فى هيبة الخالق وقد جئت منكراً له وقلت لى: اشرح لى القول الفلانى!

يروى: أن أحد القراء أنكر الشيخ، لأنه يرى منه أموراً عظيمة، محروم منها ذلك المسكين، قال: هذه المعاملات والرياضات التى يرتاضها، أرتاضها

أنا أيضاً، وهو يقول نحن غرباء عنه، علم الشيخ بذلك، وقصد الشيخ ذات يوم، فتنفس الشيخ نفساً في ذلك المقرئ، فقد (على أثره) وعيه ثلاثة أيام، وتبول على نفسه، ولما عاد إلى رشده اغتسل، ثم قدم إلى الشيخ، بعد ذلك، فقال الشيخ: ألم تعلم أنهم لايضعون أحمال الأفيال على الحمير.

يروى: أن الشيخ أبا سعيد المنجورانى قدم إلى أبى يزيد، وأراد أن يمتحنه فأحاله الشيخ إلى مريد اسمه سعيد الراعى، وقال: إذهب إليه، لأننا منحناه ولاية الكرامة إقطاعاً، وعندما ذهب إلى سعيد، رأى راعياً، كان يصلى فى الصحراء، وكانت الذئاب ترعى غنمه، ولما فرغ من الصلاة، قال: ما تريد؟ قال: أريد خبزاً ساخناً، وعنباً. كانت لدى الراعى عصا. قسمها إلى نصفين، وضع نصفاً على طرف الشيخ أبى سعيد، ونصفا على طرفه هو، وفي الحال: أثمر العنب، وكان طرف الراعى أبيض وطرف سعيد المنجورانى أسود، قال: لماذا طرفك أبيض وطرفى أسود؟ فقال الراعى: لأننى أردت اليقين، وتريد أنت الامتحان، فسيكون لون كل شئ لائقاً بحاله، بعد ذلك أعطى خرقة لسعيد المنجورانى وقال: حافظ عليها. ولما ذهب سعيد إلى الحج، ضاعت منه تلك الخرقة فى عرفات، ولما عاد إلى بسطام، وجدها مع الراعى.

يروى أنهم سألوا أبا يزيد: من شيخك؟ قال: عجوز. فقد غلبنى الشوق والتوحيد ذات يوم إلى حد أننى لم أحتمل شعرة، فذهبت إلى الصحراء فانياً، فوصلت عجوز ومعها جوال دقيق، وقالت لى: ارفع معى هذا الجوال، ولم أكن أستطيع أن أحمل نفسى فأشرت إلى أسد، فجاء، فوضعت الجوال على ظهره، وقلت للعجوز: ما تقولين إن ذهبت إلى المدينة عمن رأيت؟ إننى لا أريد أن يعرف أحد من أنا، قالت: رأيت من! رأيت ظالماً، رأيت أحمقاً، فقال الشيخ: احذرى ما تقولين، قالت العجوز: أهذا الأسد مكلف أم لا؟ قلت: لا ، قالت:

كلفت من لم يكلفه الله، ألا تكون ظالماً قلت: نعم، قالت: ومع كل هذا، تريد أن يعرف أهل المدينة أنه مطيع لك، وإنك صاحب كرامات ألا يكون هذا حمقاً! قلت: بلى، وتبت، وانقلبت رأساً على عقب، كان هذا القول شيخى. وبعد ذلك كلما كانت تحل عليه آية أو كرامة، كان يطلب مصداقها من الحق (تعالى)، وفى الحال يأخذ نوراً أصفر فى الظهور، مكتوب عيله بخط أخضر لا إله إلا الله محمد رسول الله، نوح نجى الله، إبراهيم خليل الله، موسى كليم الله، عيسى روح الله، فكان يقبل الكرامة بهذه الأدلة الخمس، وهكذا لا يصدق حتى يظهر ذلك، قال أحمد بن خضرويه: رأيت الحق فى المنام، وقد قال: يطلب منى جملة الرجال ما يطلبون ما عدا أبى يزيد فهو يطلبنى أنا.

يروى: أن شقيق البلخى وأبا تراب التخشبى جاءا إلى الشيخ، فأمر الشيخ بطعام، فأحضروه، وكان أحد المريدين يقوم بخدمة الشيخ، وكان واقفاً. فقال أبو تراب: تفضل معنا، قال: إنى صائم، قال: كل، وخذ ثواب شهر، قال: إننى لا أستطيع أن أفطر، قال شقيق: أفطر وخذ أجر سنة، فقال: لا أستطيع فقال أبو يزيد: دعه فهو مطرود من الحضرة، ولم تمر مدة حتى قبض عليه بالسرقة، وقطعت يداه.

يروى: أن الشيخ كان قد وضع عصاه على الأرض فى الجامع ذات يوم، فوقعت وسقطت على عصا شيخ، فانحنى ذلك الشيخ، ورفع العصا. فذهب الشيخ (أبى يزيد) إلى داره، وطلب الحل منه، وقال: احنيت ظهرك لرفع العصا.

يروى: أن رجلاً دخل عليه ذات يوم، وسأله عن الحياء، فأجابه الشيخ، فتبول ذلك الرجل، ودخل رجل آخر، فرأى ماء أصفر اللون، فوقف وقال: ياشيخ، ما هذا؟ قال : دخل شخص من الباب، وسأل عن الحياء، وأجبته، ولم يطق، فتبول من الخجل.

يـــروى: أن الشيخ قال: وصلت إلى نهر دجلة ذات مرة، وقد تلاطمت مياهه، قلت: لا أغتر بأن يجعلوني أعبر بنصف دانق، فإنني لا أضيع ثلاثين عاماً من عمري بنصف دانق، لأنه ينبغي لي الكرم لا الكرامة.

يروى: أن الشيخ قال: أردت أن أسأل الحق تعالى أن يكفيني مؤنة النساء، ثم قلت: لا يجوز لي هذا، ولم يسأله النبي (عليه السلام) هذا، وبهذه الحرمة كفاني الحق تعالى ذلك، حتى تساوت لديّ المرأة والحائط(٢١١).

يـــروى: أن الشيخ كان يصلي خلف إمام، فقال الإمام: يا شيخ، إنك لا تكتسب، ولا تطلب شيئاً من أحد، فمن أين تأكل؟ قال الشيخ: اصبر، حتى أؤدي الصلاة، قال: لماذا؟ قال: لأن الصلاة لا تجوز أن تؤدى خلف رجل لا يعرف الرازق.

وذات مـــرة، رأى رجلاً في مسجد، كان يصلي، قال: إن ظننت أن هذه الصلاة هي سبب الوصول إلى الله (تعالى)، فأنت مخطئ، لأن هذا ظن لا مواصلة، وإن لم تصلي فأنت كافر، وإن نظرت إليه نظرة واحدة بعين الاعتماد فأنت مشرك.

يـــروى: أن الشيخ قال: ربما يأتي شخص لزيارتنا، فتكون ثمرته اللعنة، وربما يأتي شخص آخر، وتكون فائدته الرحمة. قالوا: كيف؟ قال: يأتي رجل، وتغلبني حالة أفنى فيها عن نفسي، فيقع في اللعنة، ويأتي آخر، فيغلبني الحق، ويعذرني، فتكون ثمرته الرحمة.

وقـــال: أريد أن تقوم القيامة سريعاً حتى كنت أنصب خيمتي على طرف الجحيم، لأن الجحيم عندما يراني، ينعدم، فأكون سبباً في راحة الخلق.

قال حـــاتم الأصم(٢١٢) للمريدين: كل من لا يشفع منكم يوم القيامة لأهل الجحيم، فهو ليس من مريديني. (قيل) هذا الكلام لأبي يزيد، فقال أبو يزيد

وأنا أقول: إن مريدى من وقف على حافة الجحيم، يأخذ بيد من يحمل إليها، ويرسله إلى الجنة، ويذهب هو إلى الجحيم بدلاً منه. قالوا: لماذا لا تدعو الخلق إلى الله بهذا الفضل الذى قد فضلك الحق به، قال كيف يستطيع أبو يزيد تحرير رجل قيده هو (الحق).

ذهب شيخ إلى أبى يزيد، فرآه وقد وضع رأسه فى تلابيبه مستغرقاً فى التفكير، وعندما رفع رأسه، قال: أيها الشيخ، ما فعلت؟ فقال: وضعت رأسى بفنائى، ورفعتها ببقاء الحق.

ذات يوم كان خطيب يتلو هذه الآية على المنبر «ماقدروا الله حق قدره[٢١٣]» فضرب برأسه على المنبر إلى أن فقد الوعى، وعندما ثاب إلى رشده، قال: طالما علمت، فمن أين جئت بهذا المسكين الكاذب كى يدعى معرفتك؟!

رأى مريد الشيخ كان يرتعد، قال: يا شيخ، لم ارتعادك هذا؟ قال الشيخ: ينبغى عليك أن تسلك طريق الصدق ثلاثين عاماً، وتكنس تراب المزابل بمحاسنك وتضع رأسك على ساعد الحزن، حتى تعرف سلوك الرجال، أتنهض من خلف الحجاب منذ يوم أو اثنين، وتريد أن تقف على أسرار الرجال!

يروى: أن جيش الإسلام عندما كان قد أصابه الضعف فى الروم، وأوشك على الهزيمة من الكفار سمع صوتاً بأن أدركنا يا أبا يزيد، وفى الحال هبت نار من جهة خراسان، أثارت الفزع فى جيش الكفار، وانتصر جيش الإسلام.

يروى: أن رجلاً جاء إلى الشيخ، وكان الشيخ قد وضع رأسه، ولما رفعها، قال ذلك الرجل: أين كنت؟ قال: فى الحضرة، فقال ذلك الرجل: وأنا كنت فى

الحضرة، ولم أرك، قال الشيخ: صدقت، فقد كنت داخل الحجاب وأنت خارجه، ولا يرى من فى الخارج من فى الداخل.

قال: من لايقرأ القرآن، ولا يحضر جنائز المسلمين، ولايذهب لعيادة المرضى، ولا يصل اليتامى، ويدعى هذا، اعلموا أنه مدعى.

قال واحد للشيخ: صفُ قلبك، كى أتحدث معك، قال الشيخ: ثلاثين عاماً وأنا أطلب من الحق قلباً صافياً، ولم أحصل عليه حتى الآن، فمن أين أحضر لك قلباً صافياً فى لحظة.

وقال: يظن الخلق أن الطريق إلى الله أكثر وضوحاً من الشمس، وأنا أطلب منه طوال عدة أعوام أن يظهر لى مقدار رأس الإبرة من هذا الطريق، ولن يحدث.

يروى: أن أبا يزيد كان يقول فى ذلك اليوم الذى لم يكن يصيبه فيه بلاء: يا إلهى أرسلت الخبز، ويلزمه الأكل، فأرسل البلاء كى آكل الخبز.

ذات يوم سأل أبو موسى الشيخ: متى صباحك؟ فقال: ليس لى صباح ولا مساء.

وقال: نودى فى صدورنا: يا أبا يزيد، إن خزائننا مملوءة بالطاعة المقبولة، والخدمة المحمودة إن تريدنا، احضر لنا شيئاً ليس لدينا، قلت: يا إلهى، ماذلك (الشيء) الذى ليس لديك؟ قال: الفقر والعجز والحاجة والذلة والضعف(٢١٤).

وقال: ذهبت إلى الصحراء، وكانت قد أمطرت عشقاً، وابتلت الأرض لدرجة تغوص معها قدم الرجل فى الطين، وغاصت قدمى فى العشق.

وقال: لم أر من الصلاة سوى ثبات الجسد، ومن الصوم سوى الجوع، وما لى هو من فضله وليس من فعلى. ثم قال: لا يمكن نيل أى منال بالجهد

والكسب، وحديثي خارج عن الكونين، لكن العبد الحسن الطالع من يمضي، وفجأة تسقط قدمه في كنز، فيغني.

وقال: كل مريد أدرك الإرادة، ينبغي عليه أن يأتي إليّ خاضعاً، وأتحدث معه لأجله.

يـــــروى: أن أبا يزيد عندما كان يتحدث في صفات الحق، كان يسعد ويستكين، وعندما كان يتحدث في الذات، كان ينهض من المكان، ويأخذ في الحركة، ويقول: جاء، جاء، وانتهى.

رأى الشيخ رجلاً: كان يقول: أعجب من شخص يعرفه ولايطيعه، فقال الشيخ: أعجب من شخص يعرفه ويطيعه. أي أن العجب أن يظل على وجوده.

يــروى: أن أبا يزيد سئل: بما نلت هذه الدرجة؟ وبما أدركت هذا المقام؟ فقال: خرجت من بسطام ذات ليلة في الطفولة، وكان ضوء القمر يتلألأ، والدنيا ساكنة، ورأيت حضرة بدت الثمانية عشر ألف عالم إلى جانبها ذرة، فاضطربت، وغلبتني حالة عظيمة، وقلت يا إلهي حضرة بمثل هذه العظمة ومثل هذا الاتساع، وأمور بهذه العظمة ومثل ذلك التفرد. فهتف هاتف: ليست الحضرة خالية لأن شخصاً لايأتي إليها، لكن لأننا لا نريد، لأن كل قذر الوجه ليس جديراً بها. نويت أن أدعو لجملة الخلائق، فجال بخاطري أن مقام الشفاعة لمحمد (عليه الصلاة والسلام) فحفظت الأدب، وسمعت خطاباً: رفعنا اسمك بهذا الأدب الذي حفظت، وهكذا يقولون حتى يوم القيامة: أبو يزيد سلطان العارفين.

قالوا أمام الإمام أبي نصر القشيري(٢١٥): قد حكى أبو يزيد مثل تلك الحكاية: أردت بالأمس أن أطلب من كرم الربوبية أن يسدل ذيل الغفران على جرائم الخلق الأولين والآخرين، لكنني خجلت أن أعاود حضرة الكرم بحاجة

بهذا القدر، واستولى على الشفاعة التى هى مقام صاحب الشريعة، فحفظت الأدب. قال القشيرى: «بهذه الهمة نال ما نال» وقد حلق أبو يزيد بهذه الهمة العالية فى أوج الشرف.

يـــروى : أن الشيخ قال: أول مرة ذهبت فيها إلى البيت (الحرام)، رأيت البيت وثانى مرة ذهبت فيها إلى البيت، رأيت رب البيت، وثالث مرة لم أر البيت ولا رب البيت(٢١٦) أى إننى فنيت فى الحق، فلم أعرف شيئاً قط، فإن رأيت، رأيت الحق، والدليل على هذا القول: أن رجلاً ذهب إلى دار أبى يزيد، ونادى (عليه) فقال الشيخ: من تريد؟ قال: أريد أبا يزيد، قال: مسكين أبو يزيد، أبحث عنه طيلة ثلاثين عاما، ولا أجد له أثراً (٢١٧).

أخبر ذو النون بهذا الكلام، فقال: ليغفر الله لأخى أبى يزيد، فقد ضل مع الضالين فى الله (٢١٨).

يروى : أنهم قالوا لأبى يزيد: قل لنا شيئاً عن مجاهدتك، قال: إن تحدثت عن أعظم شئ لما طقتموه، لكنى أتحدث عن أقل شئ: ذات يوم، أمرت النفس بأمر ما، فرفضت أى لم تطع الأمر، فلم أمدها بالماء عاماً، وقلت: يا نفس. هبى الجسد للطاعة أو إهلكى من العطش.

وقال أبو يزيد: ما تقول فى شخص حجابه الحق، أى طالما يعرف أنه الحق، فينبغى أن ينمحى حجابه وينمحى علمه أيضاً، حتى يتحقق الكشف الحقيقى.

وكان مستغرقاً إلى حد أن مريداً كان لديه، لم ينفصل عنه طيلة عشرين عاماً، وكل يوم كان الشيخ يدعوه، وكان يقول له: ما اسمك يا بنى؟ فقال له المريد ذات يوم : أيها الشيخ، إنك تحزننى لأننى أخدمك طيلة عشرين عاماً ، وكل يوم تسأل عن اسمى! قال الشيخ: أى بنى، إننى لا أهزأ بك، لكن اسمه قد جاء، ومحى كل الأسماء من قلبى فاتذكر الاسم الجديد، ثم أنساه.

يروى: أن أبا يزيد قال: ينبغي على أن أصلي صلاة تليق بحضرته، ولم أفعل ذلك طوال عمرى، وذات ليلة كنت أؤدى أربع ركعات منذ صلاة العشاء وحتى الصباح، وكل مرة كنت أفرغ فيها، كنت أقول ينبغي (أن أؤدى) أفضل من هذا، حتى أوشك الصبح أن يتنفس، ابتليت وقلت: يا إلهى، اجتهدت كى أكون جديراً بك، لكن أبا يزيد ليس جديراً بك، الآن لك كثير من تاركى الصلاة، فاعتبر أبا يزيد واحداً منهم.

وقال: رفع الحجاب بعد أربعين عاماً من الرياضة، فانتحبت قائلاً: امنحونى السبيل، فجاءنى خطاب: لا قبول لك مع القدح والفراء اللذين تملكهما، فالقيت بالقدح والفراء، وسمعت نداء: يا أبا يزيد، قل لهؤلاء المدعين: لم تستقبل الحضرة أبا يزيد بعد أربعين عاماً من الرياضة والمجاهدة، ما لم يطح بالقدح المكسور والفراء المتهالك. وطالما تعلقتم بمثل هذه العلائق المتعددة وجعلتم الطريقة طعما لشباك أهواء النفس، كلا وحاشا أن يفسح لكم السبيل.

يروى: أن شخصاً كان ينصت وقت السحر لما سيفعله (الشيخ)، (فسمعه)قال: الله مرة واحدة وسقط، وسال الدم منه، قالوا: وما هذه الحال؟ فقال: جاء نداء (فحواه): من أنت؟ حتى تتحدث بحديثنا!

يروى: أن أبا يزيد وقف ذات ليلة على أطراف أصابع قدمه منذ صلاة العشاء، وحتى السحر، وكان الخادم يشاهد تلك الحال، وكان الدم يسيل من عين الشيخ على الأرض، فتعجب الخادم، وسأل الشيخ في الصباح: ما تلك الحال؟ اجعل لنا نصيباً منها، قال الشيخ: ذهبت إلى العرش في أول خطوة خطوتها، فرأيت العرش كذئب مخضب الشفاة وخالى المعدة، قلت أيها العرش، يدللون عليك بـ «الرحمن على العرش استوى»[٢١٩] تعال (حتى نرى) ما عندك، قال: ما جدوى هذا الحديث، فإنهم يدللون لنا على قلبك بـ «أنا عند

المنكسرة قلوبهم، [٢٢٠] فلو أنهم هم أهل السماء، فإنهم يبحثون عن أهل الأرض، ولو أنهم أهل الأرض، فهم يطلبون أهل السماء. ولو أنه شاب فهو يطلب الشيخ، ولو أنه شيخ فهو يطلب الشاب، ولو أنه خراباتى فهو يريد الزاهد، ولو أنه زاهد فهو يريد الخراباتى.

وقال: عندما وصلت إلى مقام القرب، قالوا: اطلب، قلت لا طلب لى (قالوا) اطلب من أجلنا، اطلب، قلت: أريدك وكفى قالوا: طالما يبقى وجود أبى يزيد مثقال ذرة، فهذا الطلب محال، «دع نفسك وتعال» قلت: لا أستطيع العودة بلا ذلة، لأننى سوف أتجرأ، وقال: قل: فقلت: ارحم جميع الخلائق، قال: انظر، نظرت، فلم أر مخلوقاً إلا وله شفيعاً، ورأيت الحق ألطف بهم أكثر من أنفسهم، فصمت، ثم قلت بعد ذلك ارحم إبليس، قال: تجرأت، فاذهب، إنه فى النار، وينبغى للنار نار، اجتهد ألا تفعل ما تستحق عليه النار التى لا طاقة لك بها.

يروى: أن أبا يزيد قال: أحضر الحق (تعالى) لى ألفى مقام أمامه، وعرض على مملكة فى كل مقام، ولم أقبل، قال لى: ما تريد يا أبا يزيد؟ قلت: لا أريد شيئاً قط.

وعندما كان شخص يطلب منه الدعاء، كان يقول: يا إلهى، إنهم خلقك وأنت خالقهم فمن أنا لأكون الواسطة بينك وبين خلقك!

وكان يقول لنفسه: هو عالم الأسرار، أى شأن لى بهذا الفضول.

وجاء شخص إلى الشيخ وقال: علمنى شيئاً يكون سبباً لنجاتى، فقال: اعلم إنك حظيت بقدر من العلم، واعلم أن الله مطلع عليك، ويرى كل ما تفعل، واعلم أن الله (تعالى) مستغن عن عملك.

وذات يوم كان الشيخ يسير، فوضع شاب قدمه على قدم الشيخ، وأخذ يقول: هكذا توضع الأقدام على قدم المشايخ، وكان الشيخ يرتدى فراء، فقال: يا شيخ، إعطنى قطعة من هذا الفراء، حتى تحل بركتك على، قال الشيخ: إن إرتديت فراء أبى يزيد فلن يفيدك طالما لا تعمل عمل أبى يزيد.

ورأى مجذوباً ذات يوم كان يقول: يا إلهى، انظر إلىّ، قال الشيخ بسبب الغيرة وغلبات الوجد: ألك عقل حسن ووجه طيب كى ينظر إليك؟! فقال: أيها الشيخ، إننى أطلب تلك النظرة حتى يحسن عقلى ويطيب وجهى، فسر الشيخ كثيراً لهذا القول، وقال: صدقت.

يروى: أن أبا يزيد كان يتحدث عن الحقيقة ذات يوم، وكان يمص شفتيه، ويقول: أنا الشارب والشراب والساقى أيضاً.

يروى: أن أبا يزيد قال: خلعت، سبعين زناراً عن خصرى، وبقى واحد، كلما اجتهدت أن أخلعه، لم ينخلع، تعبت، وقلت: يا إلهى، امنحنى القوة كى أخلعه أيضاً، فجاء صوت: خلعت كل الزنانير وخلع هذا ليس من شأنك.

وقال: طرقت باب الحق بكل الأيادى وفى النهاية لم ينفتح حتى طرقته بيد الحاجة، وطلبت النعمة بكل الألسنة، فلم تمنح لى حتى طلبتها بلسان الحزن، وسلكت سبيله بكل قدم، ولم أصل إلى مقام العزة حتى سرت بقدم الذل.

وقال: مضت ثلاثون عاماً وكنت أقول: أفعل هكذا، وأمنح هكذا، وعندما وصلت إلى المعرفة، قلت فى أول خطوة: يا إلهى، كن لى وافعل ما تريد.

وقال: ذكرت الله ثلاثين عاماً، وعندما فرغت، نظرت، فكان ذكرى حجاباً لى.

وقال: ناجيته فى الحضرة ذات مرة، وقلت: «كيف الوصول إليك» فسمعت نداء يا أبا يزيد، «طلق نفسك ثلاثاً ثم قل الله».

وقـال: إن طلب الحق تعالى منى حساب سبعين عاماً، أطلب منه حساب سبعين ألف عام، فقد قال: «ألست بربكم»[٢٢١] وهاج الجميع بسبب قول بلى، وجملة الفتن فى السموات والأرض بسبب شوق ألست. ثم قال: بعد ذلك جاء خطاب (فحواه): اسمع الإجابة، فى اليوم السابع نقطع جسدك إربا إربا، ونمنح الرؤية لكل ذرة منه ونقول: ها هو حساب السبعين ألف عام، ونضع الحاصل والباقى فى كنفك.

وقال: إن بسطت الجنان الثمانى فى دارنا، وأقطعونا ولاية كلا الدارين، لا نمنحهم بها قط آهة تصعد من روحنا وقت السحر على ذكر الشوق إليه، بل أن نفساً يصعد بسبب تباريح الشوق إليه لا نساويه بملك ثمانية عشر ألف عالم.

وقـال: إن انمحت الرؤية فى الجنة غداً، أنوح وأئن لدرجة أن أهل السبع جحيمات ينسون عذابهم بسبب بكائى ونواحى.

وقـال: كل شخص من الأشخاص الذين سبقونا خضع لشىء، ولم نخضع نحن لشئ قط، وضحينا بأنفسنا مرة واحدة فداء له، ولا نطلبه من أجل أنفسنا، لأن مثقال ذرة من صفائنا إن حلت فى صحراء لتخبطت السموات والأرض ببعضها البعض.

وقال: أراد هو أن يرانا، ولم نرد نحن أن نراه، أى أن لا إرادة لعبد.

وقال: اتجهت للخلق أربعين عاماً، ودعوتهم إلى الحق، فلم يجبنى شخص فأشحت بوجهى عنهم، وعندما ذهبت إلى الحضرة، رأيتهم سبقونى جميعاً، أى اننى رأيت أن عناية الحق بالخلق أكثر من عنايتى بهم، وما كنت أريده، أوصله الحق (تعالى) بعنايته للجميع قبلى.

وقـال: خرجت من بايزيدينى كالحية من الجلد، ثم نظرت فرأيت العاشق والمعشوق والعشق واحداً، لأنه فى عالم التوحيد يمكن أن يكون الجميع واحداً.

وقــال: ذهبت من الله إلى الله، فصدر نداء منى إلىَّ: يا من أنت أنا، أى أننى وصلت إلى مقام الفناء فى الله.

وقــال: تجاوزت عدة آلاف من المقامات، ولما نظرت، رأيت نفسى فى مقام حزب الله بمعنى أن الله (تعالى) لا سبيل إلى كنهه.

وقــال: كان الحق (تعالى) مرآة لى طيلة ثلاثين عاماً، والآن أنا مرآة لنفسى أى لم يبق (ما كنته)، لأننى والحق كنا شركاء، وطالما لم أبق أنا فالحق تعالى مرآة لى وهنا أقول أن الحق مرآتى، فهو يتحدث على لسانى، وأنا فنيت.

وقــال: جاورت هذه الحضرة أعواماً، وفى العاقبة رأيت الحيرة، ولم يكن نصيبنا سوى الحيرة.

وقــال: ذهبت إلى حضرة العزة، ولم يكن هناك عناء قط، فقد انشغل أهل الدنيا بالدنيا وحجبوا، وانشغل أهل الآخرة بالآخرة، والمدعون بالدعوى، وانشغل قوم من أرباب الطريقة والتصوف بالأكل والشرب والبكاء، وقوم آخرون بالسماع والرقص وكانوا من تقدموا الطريق وقادوا الجيش قد ضلوا فى بادية الحيرة، وغرقوا فى بحر العجز.

قــال: كنت أطوف حول البيت لفترة، ولما وصلت إلى الحق، رأيت البيت كان يطوف حولى.

قــال: كنت أطلب قلبى ذات ليلة، ولم أجده، وفى السحر سمعت نداء: يا أبا يزيد أطلب شيئاً آخر سوانا، فما شأنك بالقلب؟

وقــال: ليس الرجل من يسعى وراء شيئاً، لكن الرجل من يأتى إليه كل ما يريد، أينما يكون، ويسمع الإجابة من كل من يتحدث إليه.

وقال: أوصلنى الحق إلى مقام رأيت فيه الخلق جميعاً بين إصبعين من أصابعى.

وقال : يمنح المريد حلاوة الطاعة، وحين يفرح بها، تصير حجاب قربه.

وقال : أقل درجة للعارف هى: أن تكون صفات الحق فيه.

وقال : إن حرقت بالنار بدلاً من الخلق، أصبر لأننى مازلت لم أظهر حبى له قط، وإن غفر ذنبى أنا وكل الخلائق، لأن الرأفة والرحمة من صفاته، وينتهى الأمر.

وقال : التوبة من المعصية واحدة ومن الطاعة ألف، أى أن العجب فى الطاعة أسوأ من الذنب.

وقال : كمال درجة العارف احتراقه فى المحبة.

وقال : يصح إدعاء علم الأزل من شخص يبدو عليه نور الذات فى البداية.

وقال : عاديت الدنيا، وذهبت إلى الخالق، وفضلت الله (تعالى) على المخلوقات، حتى استولت محبة الحق علىَ إلى حد أننى كرهت وجودى، ولما تخلصت من العناء، أنست ببقاء لطف الحق.

وقال : لله عباد إن عرضت عليهم الجنة بكل زينتها صرخوا منها كما صرخ أهل جهنم من جهنم.

وقال : العابد الحقيقى والعامل الصادق من يقطع رؤوس كل الرغبات بالسيف، وتفنى كل شهواته وأمانيه فى الحق، وهو يحب ما يريده الحق، وكذلك يرغب فى أن يشاهده الحق.

وقال : ألا يدخل الحق (تعالى) العباد إلى الجنة برضائه؟ قالوا: بلى وقال: عندما يهب رضاءه لشخص، فماذا يفعل ذلك الشخص بالجنة؟

وقـــال: إن ذرة من حلاوة المعرفة فى القلب أفضل من ألف قصر فى الفردوس الأعلى.

وقال: إن وحدانيته تعجز كثيراً من الرجال الشجعان، وتمنح الرجولة لكثير من العجزة.

وقـــال: إن استطعتم الذهاب إلى حافة قاعدة الفناء الأولى، أدركتم هذا الحديث وإلا، فإن كل هذا الصلاح والزهد ليس إلا رياحاً تهب عليكم.

وقال: جزاء العارفين الجنة وهى وبال عليهم.

وقال: لا يضيركم الذنب إلى درجة هوان أخوة المسلمين وذلتهم.

وقال: الدنيا لأهل الدنيا غرور فى غرور، والآخرة لأهل الآخرة سرور فى سرور، ومحبة الحق لأهل المعرفة نور على نور.

وقال: العمل فى المعاينة نقد، لكن فى المشاهدة نقد النقد.

وقال: عبادة أهل المعرفة حراسة الأنفاس.

وقـــال: حين يصمت العارف، يكون مراده أن يتحدث مع الحق، وحين يغمض عينيه يكون مقصوده، أن ينظر إلى الحق عندما يفتحها، وحين يضع رأسه على ركبته يكون طلبه ألا يرفعها حتى ينفخ إسرافيل من كثرة أنه مع الله (تعالى).

وقال: كن فارس القلب، وساحق الجسد.

وقال: علامة معرفة الحق الهروب من الخلق، والصمت فى معرفته.

وقـال: من ابتلى بالحق، لا يضن بالملك عليه، ولا يذله (الحق تعالى) فى الدارين.

وقال: جاء عشقه، ومحى كل ما كان دونه، ولم يتركنا بلا أثر، حتى بقى وحيداً، مثلما هو وحيد.

وقال: كمال العارف احتراقه فى محبة الحق.

وقال: غداً يذهب أهل الجنة لزيارتها، وعندما يعودون، تعرض عليهم صور، وكل من اختار صورة، لا يمنح السبيل لزيارتها.

وقال: لا شيء أفضل للعبد قط من أن يفنى فلا يملك الزهد ولا العلم ولا العمل وعندما يفنى عن الجميع، يبقى بالجميع.

وقال: ينبغى لهذه القصة «ألم» لأن لا شئ يتأتى من القلم.

وقال: يتحدث العارف كثيراً عن المعرفة، ويطوى سبيلها فلا تبقى المعارف ويصل العارف، ثم تذوب المعارف عن العارف، ولا يصل العارف إلى المعرفة، طالما يتذكر المعارف.

وقال: طلب العلم والأخبار جدير بشخص يتجاوز العلم إلى المعلوم، والخبر إلى المخبر لكن من يتعلم العلم للمباهاة، ويطلب به مكانة وزينة، ليقبله مخلوق، يصير كل يوم أبعد عن الله وأكثر هجراً منه.

وقال: أى قدر للدنيا عند شخص يفكر فى تركها.

وقال: يستحيل أن يعرف شخص الحق ولا يحبه، فلا قدر للمعرفة دون المحبة.

وقال: تسمع صوتاً من جداول الماء الجارية، فكيف تأتى؟ وعندما تصل إلى البحر تسكن، ولا يزداد البحر أو ينقص من مجيئها وذهابها.

وقال: له عباد إن حجبوا عنه لحظة فى الدنيا، ما عبدوه ولا طاعوه، أى أنهم عندما يحجبون يفنون، وكيف يتعبد الفانى؟

وقال: من يعرف الله، لايستطيع أن يفتح فمه بحديث آخر سوى ذكر الحق.

وقـال: أقل شيء وجب على العارف التبرؤ من المال والملك، والحق إن طويت العالمين في محبته، يكون ذلك قليل بالنسبة له.

وقال: الحق ثواب العارفين من الحق.

وقـال: يبحث العارفون في عيان المكان، ولايقولون بأثر في الظاهر، وإن خطا مائة ألف آدمي من العرش إلى الثرى ومعهم ذريات كثيرة وأتباع ونسل وفير ومائة ألف ملاك مقرب مثل جبريل وميكائيل (عليهم السلام) خطوة من العدم في زاوية قلب العارف، لا يظنهم موجودين إلى جانب وجود الحق ومعرفته، ولا يعلم شيئاً عن ورودهم وخروجهم وإن كان على خلاف هذا، كان مدعياً لا عارفاً.

وقـال: يرى العارف المعروف، ويجلس العالم مع العالم، فيقول العالم: ماذا أفعل؟ ويقول العارف: ماذا يفعل هو؟

وقـــال: لا أهمية للجنة عند أحبة الحق، ومع كل هذا فإن أهل المحبة مهجورون بمحبتهم شأن أولئك القوم أنهم الطالب والمطلوب في النوم واليقظة، ومن الطلب والمحبة هم فارغون، وتغلبهم مشاهدة المعشوق، فالعشق لدى العاشق هو الرؤية الممكنة، وفي مواجهة المطلوب لطالبه النظر في طريق المحبة طغيان.

وقـال: اطلع الحق على قلب أوليائه، فرأى أن بعض القلوب لا تستطيع أن تحتمل معرفته، فانشغلت بعبادته(٢٢٢).

وقال: لا يحمل أحمال الحق سوى خواص الحمالين فهم أذلاء المجاهدة ومرتاضوا المشاهدة.

وقال: ليت الخلق يستطيعون إدراك معرفته، لأن معرفتهم تتم بمعرفته.

وقال: اجتهد أن تحظى بلحظة لا ترى فيها فى الأرض والسماء سوى الحق. أى أنك تغنى بتلك اللحظة طوال عمرك.

وقال: علامة من يحبه الحق هى أن يهبه (الحق) ثلاث خصال: سخاوة كسخاوة البحر، وشفقة كشفقة الشمس، وتواضع كتواضع الأرض.

وقال: يطوف الحجيج حول الكعبة بأجسادهم، ويطلبون البقاء، ويطوف أهل المحبة حول العرش بقلوبهم ويطلبون اللقاء.

وقال: فى العلم علم لا يعلمه العلماء، وفى الزهد زهد لايعرفه الزهاد.

وقال: من يقع عليه الاختيار، ينتخب له فرعوناً يعذبه.

وقال: كل هذه الأقاويل والمشاغل والأصوات والحركات والرغبات خارج الحجاب، وفى داخله الصمت والسكون والهدوء.

وقال: هذا القدر من الجرأة لأن السيد غائب عن حضرة الحق، وعاشق لنفسه، وطالما حضر، فأى مجال للأقاويل.

وقال: صحبة الأخيار أفضل من العمل الطيب، وصحبة الأشرار أسوأ من العمل السيئ.

وقال: يجب أن يصرف (المرء) كل أعماله فى المجاهدة، وحينئذ يرى فضل الله (عز وجل) لا فعله هو.

وقال: من عرف الله (عز وجل)، لا حاجة له بالسؤال، ولن تكون له حاجة ومن لم يعرفه لا يدرك قول العارف.

وقال: العارف لا يعكر سبيله شيء قط، وكل كدورة تصل إليه تجعله صافياً.

وقـــال: النار هى عذاب ذلك الشخص الذى لا يعرف الله، لكن العارفين بالله يتعذبون بالنار.

وقال: يسلك ألف شخص هذا الطريق كل يوم، ويعودون بالإيمان ليلاً.

وقال: كل موجود يستند على قدمين: يضع واحدة على نصيبه، والأخرى (تذعن) لأوامر الحق، يرفع القدم الأولى، ويثبت القدم الثانية فى مكانها.

وقال: من ترك الهوى، أدرك الحق.

وقال: من اقترب من الحق، ملك كل شئ وكل مكان، لأن الحق (تعالى) فى كل مكان وله كل الأشياء.

وقال: العارف بالحق جاهل، والجاهل بالحق عارف.

وقال: العارف طيار والزاهد سيار.

وقـــال: من عرف الله يتعذب بالنار، ومن لم يعرف الله تتعذب به النار. ومن عرف الله يثاب بالجنة، وتصير الجنة وبالاً عليه.

وقال: لا يفرح العارف بشىء قط سوى الوصال.

وقال: نفاق العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقال: أتعتقد فيما يروى من أن إبراهيم وموسى وعيسى (صلوات الله عليهم أجمعين). قالوا: يارب، اجعلنا من أمة محمد أتظن أنهم أرادوا فضيحة هذه الحفنة الباحثة عن الرياسة كلا وحاشا، لكنهم رأوا رجالاً فى أمة محمد غاصت أقدامهم تحت الثرى، وتجاوزت رؤوسهم أعلى العليين، وفقدواهم وسط ذلك.

وقـــال: حظ الأولياء على تفاوت درجاتهم متعلق بأربعة أسماء، وقيام كل فرقة منهم مربوط باسم من أسماء الله وهو قول الله (عز وجل): «هو الأول

والآخر والظاهر والباطن»[٢٢٣]. من كان نصيبه من هذه الأسماء (الظاهر) كان أكثر ملاحظة فى عجائب قدرته، ومن كان نصيبه من هذه الاسماء (الباطن) يلاحظ ما يسرى من الأنوار والأسرار ومن كان نصيبه من هذه الاسماء (الأول) انشغل بأنه قد سبق، ومن كان نصيبه من هذه الأسماء (الآخر) كان قد علق اهتمامه بالمستقبل وبما سيكون. ولكل شخص من هذا الكشف قدر طاقته.

وقال: إن حولت لكم كل سعادة الخلق، فلا تتحولوا، ولو وقعت كل التعاسة فى سبيلكم، لا تيأسوا ، لأن أمر الله (عز وجل) «كن فيكون»[٢٢٤] ومن ينظر إلى نفسه، ويرى عبادته خالصة ويمكنه أن يكتسب كثيراً من صفاء كشفه، ولا يرى نفسه أخبث النفوس، لا حساب له قط.

وقال: من يُمت قلبه بكثرة الشهوات، يلف فى كفن اللعنة، ويدفن فى أرض الندامة، ومن يُمت نفسه بالإعراض عن الشهوات، يلف فى كفن الرحمة، ويدفن فى أرض السلامة.

وقال: لم يصل إلى الحق (تعالى) من وصل إليه إلا بحفظ الحرمة، ولم يسقط فى الطريق من سقط إلا بترك الحرمة. وقال: لا يمكن أن يدرك هذا الحديث بالطلب قط، لكن لا يفهمه سوى الطالبين.

وقال: عندما يصيح المريد وينادى يكون حوضاً، وعندما يصمت يصير بحراً مملؤاً بالدم.

وقال: إما أن تبدو كما تكون أو تكون كما تبدو.

وقال: من يؤجل الله ثوابه للغد، فإنه لم يعبده اليوم، لأن ثواب كل نفس من المجاهدات وارد فى الحال.

وقال: العلم عذر، والمعرفة مكر، والمشاهدة حجاب، ومن ثم كيف ستدرك شيئاً تطلبه؟!

وقال : قبض القلوب فى بسط النفوس، وبسط القلوب فى قبض النفوس.

وقال : النفس صفة لا تتجه قط إلا للباطل.

وقال : الحياة فى العلم، والراحة فى المعرفة، والرزق فى الذكر.

وقال : شوق العشاق هو دار الملك، وُضع فيها عرش من سيف الفراق، وأُشهر فيها سيف من هول الهجران، وغُرس فيها غصن من نرجس الوصال فى يد الرجاء، وفى كل لحظة يضربون ألف رأس بذلك السيف.

وقال : مرت سبعة آلاف عام وما زال ذلك النرجس غضاً طرياً، لأن يدا لم تأمل فى الوصول إليه قط.

وقال : المعرفة أن تعرف أن حركات الخلق وسكناتهم بالله.

وقال : التوكل هو الإعداد للحياة يوم واحد وإطاحة التفكير فى الغد.

وقال : كثرة الذكر ليست بالعدد بل بالحضور دون غفلة.

وقال : المحبة أن تعد الكثرة منك قلة، والقلة من الحق كثرة.

وقال : المحبة ألا تحب الدنيا والآخرة.

وقال : اختلاف العلماء رحمة إلا فى التجريد والتوحيد (٢٢٥).

وقال : الجوع غيم لا تمطر سوى أمطار الحكمة (٢٢٦).

وقال : أبعد الخلائق عن الحق أكثرهم إشارة إليه (٢٢٧).

وقال : أقرب الخلائق إلى الحق هم الذين يتحملون عناء الخلق، ويتمتعون بالطبع الحسن.

وقال: نسيان النفس ذكر للحق، ومن يعرف الحق بالحق يحيا، ومن يعرف الحق بنفسه يفنى.

وقال: يشبه قلب العارف سراجاً فى قنديل من زجاجة صافية، يضئ شعاعه جملة الملكوت فأى خوف له من الظلام؟

وقال: وهلاكه فى شيئين: عدم مراعاة حرمة الخلق، وعدم مراعاة منة الحق.

قالوا: ما الفريضة وما السنة؟ قال: الفريضة صحبة المولى والسنة ترك الدنيا (٢٢٨).

يروى: أن مريداً كان يمضى إلى سفر، فقال للشيخ: عظنى، قال: أوصيك بثلاث خصال: عندما تصاحب سيئاً حسّن طبعه السيئ بطبعك الحسن، حتى يطيب عيشك ويهنأ، وعندما ينعم عليك شخص، أشكر الله أولاً، وبعد ذلك أشكر ذلك الشخص الذى جعل الحق (تعالى) قلبه يعطف عليك وعندما يصيبك بلاء، اعترف بالعجز وأطلب النجدة لأنك لا تستطيع الصبر، ولا يخاف الحق (٢٢٩).

سئل عن الزهد فقال: لا قيمة للزهد، فقد زهدت ثلاثة أيام: فى اليوم الأول زهدت فى الدنيا، وفى اليوم الثانى زهدت فى الآخرة، وفى اليوم الثالث زهدت فيما سوى الله.

هتف هاتف يا أبا يزيد، لاطاقة لك بنا، قلت: هذا هو مرادى، فرّن فى أذنى أصبت، أصبت.

وقال: (بلغ) كمال رضائى عنه إلى حد أنه لو خلد عبد فى العليين وخلدنى أسفل السافلين، أكون أكثر رضاء من ذلك العبد.

سئل: متى يصل العبد إلى درجة الكمال؟ قال: عندما يعرف عيبه، ويرفع الهمة عن الخلق، عندئذ يقربه الحق إليه بقدر همته وبقدر بعده عن نفسه.

قالوا: تأمرنا بالزهد والعبادة ولا تزيد من زهدك وعبادتك! فصاح الشيخ صيحة وقال: قد انشق الزهد والعبادة عليّ.

سئل: كيف السبيل إلى الحق؟ قال: انهض للطريق تصل للحق.

قالوا: بما يمكن الوصول للحق؟ قال: بالعمى والصم والخرس.

قالوا: سمعنا كثيراً من أقوال الشيخ، وليس هناك قول أعظم من قولك قط، فقال: إنهم تحدثوا فى بحر صفاء المعاملة، وأتحدث أنا عن بحر صفاء السنة، فهم يتحدثون مختلطين وأتحدث أنا خالصاً، ولا يطهر المشوب مشوباً، هم قالوا: أنت ونحن، وأنا أقول: أنت أنت!

وطلب شخص وصية، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر، قال: أتعرف من خلقها؟ قال: بلى، قال: الذى خلقها مطلع عليك أينما تكون، فاحذره.

قال رجل: لا يهدأ هؤلاء الطالبون عن السياحة، فقال: المقصود مقيم وليس مسافراً وطلب المقيم محال فى السفر.

قالوا: من نصاحب؟ قال: من يعاودك حين تمرض، ويقبل توبتك حين تذنب (٣٣٠) وكل شئ يعلمه الحق عنك ليس خافياً عليه.

قال رجل: لماذا لا تصلى ليلاً؟ قال: لا وقت لدى للصلاة إننى أطوف حول الملكوت، وآخذ بيده فى كل مكان حل فيه، أى أننى أعمل فى سريرتى.

قالوا: ما أعظم علامة للعارف؟ قال أن يأكل معك، ويفر منك، ويشترى منك، ويبيع لك، ويكون قد وضع قلبه على وسادة الأنس فى حضرات القدس.

وقال: العارف هو الذى لا يرى فى المنام سوى الله عز وجل، ولا يرافق شخصاً سواه، ولا يفصح بسره إلا له.

وسئل عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال: نحن فى ولاية ليس فيها أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكلاهما فى ولاية الخلق، وليس هناك أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فى حضرة الوحدة.

قالوا: متى يعرف الرجل أنه قد وصل إلى حقيقة المعرفة؟ قال: حين يفنى تحت إطلاع الحق، ويبقى على بساطه بعيداً عن الخلق بلا نفس ثم يكون فانياً باقياً، وباقياً فانياً، وميتاً حياً، وحياً ميتاً، ومحجوباً مكشوفاً، ومكشوفاً محجوباً.

قالوا للشيخ: يتحدث سهل بن عبدالله (٢٣١) (رحمة الله غليه) فى المعرفة. فقال: مضى سهل على شاطئ البحر وسقط فى داومة، قالوا: أيها الشيخ، كيف يكون حال من يغرق فى البحر؟ قال: إما أنه يرى الخلق أو يتبع الكونين، ولا يطوى بساط القيل والقال لأن «من عرف الله كل لسانه» (٢٣٢).

قالوا: ما الفقر؟ قال: أن يضع الشخص قدمه على كنز فى زاوية قلبه، ويسمى ذلك افتضاح الآخرة لأنه يجذ فى ذلك الكنز جوهراً يسمى المحبة، ومن وجد ذلك الجوهر، هو فقير.

قالوا: متى يصل الرجل إلى الله؟ قال: لا يصل قط أيها المسكين.

قالوا: بما نلت ما نلت؟ قال: جمعت أسباب الدنيا، وقيدتها بزنجير القناعة، ووضعتها فى منجنيق الصدق، وألقيت بها فى بحر اليأس.

قالوا: كم عمرك؟ قال: أربعة أعوام، قالوا: كيف؟ قال: مضت سبعون عاماً كنت فيها فى حجب الدنيا، لكن آراه منذ أربعة أعوام، بناء على هذا لا تسأل، ولا يحسب زمن حجابى من عمرى.

قال أحمد خضرويه للشيخ: ألا أدرك نهاية التوبة، فقال الشيخ: لنهاية التوبة عزة، والعزة صفة الحق، فكيف يمكن لمخلوق إدراكها؟

سئل عن الصلاة، فقال: هي وصال ولا يكون الوصال إلا بعد القطع.

قالوا: كيف السبيل إلى الله؟ قال: ابتعد عن السبيل واتصل بالله.

قالوا: لماذا تمدح الجوع؟ قال: إن كان فرعون جائعاً لما كان يقول: «أنا ربكم الأعلى»[٢٣٣] قط».

وقال: لا يشتم متكبر قط رائحة المعرفة، قالوا: وما علامة المتكبر؟ قال: من يرى نفساً أخبث من نفسه في الثمانية عشر ألف عالم.

قالوا: إنك تسير على الماء! فقال: تسير قطعة الخشب على الماء.

قالوا: وتطير في الهواء! قال: تطير الطيور في الهواء، قالوا: تسير إلى الكعبة ليلاً! قال: يذهب الساحر من الهند إلى دوماند ليلاً قالوا: وما دأب الرجل إذن؟ قال: ألا يعلق قلبه سوى بالله عز وجل.

قالوا: كيف كان حالك في المجاهدات؟ قال: ظللت في المحراب ستة عشر عاماً، ورأيت نفسي كامرأة حائض.

وقال: طلقت الدنيا ثلاث طلقات، وانفردت للواحد، ومثلت أمام الحضرة، وقلت: يا إلهي، ليس لي سواك، وطالما أنت لي فالكل لي. ولما علم بصدقي، فإن أول فضل تفضل به عليّ هو أنه نزع عن نفسي إرادتها[٢٣٤].

وقال: أمر الحق (تعالى) (بأمور) ونهى (عن أخرى)، من أطاعوا أوامره خلع عليهم خلعة فشغلوا بها وأنا لم أرد منه سواه[٢٣٥].

وقال: ذكرته كما ذكره الخلق حتى صار ذكري ذكره، ثم هاجمتني معرفته وأفنتني، ثم هاجمتني مرة أخرى وأحيتني.

وقال: ظننت أنني أحبه، ولما نظرت (وجدت أن) محبته سبقت محبتي.

وقـــال: غرق الجميع فى بحر العمل، وأعتليت أنا دوامة فيه، أى رأى الآخرون رياضاتهم ورأيت أنا عناية الحق.

وقال: تلقى الناس العلم من الموتى، وتلقيناه نحن من الأحد الذى لا يموت قط ومن ثم يتحدث الجميع إلى الحق وأتحدث أنا عن الحق. لا جرم أنه قال: ليس هناك شئ قط أقسى علىّ من متابعة العلم (٢٣٦)، أى علم التعليم الظاهر.

وقـــال: دعوت النفس للحق، فلم تجب، فتركتها، وذهبت إلى الحضرة بمفردى.

وقال: حمل قلبى إلى السماء، فطاف حول الملكوت وعاد، قلت: بما جئت؟ قال: المحبة والرضا (٢٣٧)، بحيث ملكت الاثنين فصار ملكاً لهما.

وقـــال: عندما عرفت الحق (تعالى) بعلمى، قلت: لو أنه ليس كافياً لك بكفايته لا يرضى لك بكفاية شخص قط. حتى ألحقت الجوارح بالخدمة، كلما كانت تكسل كنت أنشغل بعضو آخر حتى صارت أبا يزيد.

قال: أردت أن أعرف ماهى أقسى عقوبة لجسدى فلم أرَ أسوأ من الغفلة، ولا تفعل نار جهنم بالناس ما تفعله بهم ذرة من الغفلة.

وقال: أصلى منذ أعوام، وظننت فى نفسى أننى سأقضى على زرد شتيتى وسأقطع زنارى فى كل صلاة.

وقـال: شأن النساء أفضل من شأننا فهم يغتسلون بالماء من النجاسة، ولم نغتسل نحن طوال عمرنا من الطهارة (٢٣٨).

وقـال: صدقت لأبى يزيد كلمة طوال عمره وهى أنه لا يخاف من شىء قط.

وقال: إن قيل لى غداً فى العرصات لماذا لم تفعل (كذا)؟ (٢٣٩) أحب إلىّ من أن يقال لى: لماذا فعلت؟ أى أن كل شيئ أفعله له يكون فيه الأنا والأنا شرك والشرك أسوأ من الذنب سوى طاعة تسرى علىّ، وأكون فانياً فيها.

وقال: الله (تعالى) مطلع على أسرار الخلائق، وكل سر ينظر إليه يراه فارغاً سوى سر أبى يزيد فهو يراه منعماً به.

وقال: ما أكثر المقربين إلينا والبعيدين عنا، وما أكثر البعيدين عنا والمقربين إلينا.

وقال: رأيت فى المنام أننى كنت أريد من الحق (تعالى) ما هو بعد التوحيد، ولما استيقظت، قلت: يا رب، إننى لا أريد ما هو بعد التوحيد.

وقال: رأيت الحق فى المنام قال لى: يا أبا يزيد، ما تريد؟ قلت: أريد ما تريده، فقال: أنا لك كما أنك لى.

وقال: رأيت الحق (عز وجل) فى المنام، فسألته: كيف السبيل إليك؟ قال: أترك نفسك تصل إلىّ (٢٤٠).

وقال: يظن الخلق أننى فرد مثلهم، وإن اطلعوا على صفتى فى عالم الغيب لهلكوا.

وقال: مثلى كمثل البحر ليس له عمق ظاهر، ولا أول واضح ولا آخر.

وسأله شخص: ما العرش؟ قال: أنا، قال: والكرسى؟ قال: أنا، قال: واللوح والقلم؟ قال: أنا، قالوا: لله (تعالى) عباد غير إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين) قال: أنا كل أولئك. فصمت الرجل فقال أبو يزيد: بلى، كل من فنى فى الحق، أدرك حقيقة كل ما هو موجود. فكله الحق، وإن فنى ذلك الشخص، يرى أنه (فى حد ذاته) الحق، فلا عجب، والله أعلم وأحكم.

معراج الشيخ أبى يزيد (قدس الله روحه)

نورد هذا ونختم:

قال الشيخ: نظرت إلى الحق بعين اليقين، بعد أن أوصلنى إلى درجة الاستغناء عن جميع الموجودات، وجعلنى أستنير بنوره، وكشف لى عجائب الأسرار، وأظهر لى عظمة هويته. ونظرت إلى نفسى بالحق، وتأملت أسرارى وصفاتى، فكان نورى ظلمة إلى جانب نور الحق، وصارت عظمتى عين الحقارة إلى جانب عظمة الحق، فتلاشت عزتى إلى جانب عزته، هناك كان كل الصفاء، وهنا كانت كل الكدورة. عندما نظرت ثانية، رأيت نفسى بنوره وعلمت أن عزتى من عظمته وعزته، وكل شيء فعلته، استطعت أن أفعله بقدرته، وكل ما أدركته عين قالبى أدركته به.

نظرت بعين الإنصاف والحقيقة، فكانت كل عبادتى من الحق لا منى، وكنت قد ظننت أننى أعبده.

قلت: يا إلهى، ما هذا؟ قال: أنا كل ذلك، وليس سواى، أى مباشر الأفعال لكنى أنا المقدر والميسر لك، وطالما لا يحل توفيقى، لا يتأتى شيء من طاعتك، فرؤيتى نابعة من رؤيته، لأنه سيطر على عينى، وعلمنى النظر إلى

أصل أمره وهويته، وأفنانى عن نفسى، وأبقانى ببقائه، وأعزنى، وبين لى وجودى دون عناء، لا جرم أوضح الحق الحقيقة لى، ونظرت من الحق إلى الحق، ورأيت الحق بالحقيقة وأقمت هناك، وسكنت، وشحذت أذن الاجتهاد، وسحبت لسان الحاجة فى حلق الإخفاق وتركت اكتساب العلم، وقضيت على عناء النفس الأمارة، واستقريت فترة دون آلة (حركة) وأزلت الفضول عن طريق الأصول بيد التوفيق، فتعطف الحق على، وهبنى العلم الأزلى، ووضع لساناً من لطفه فى حلقى، وخلق عينى من نوره، فرأيت جميع الموجودات بالحق.

عندما ناجيت الحق بلسان اللطف، وحصلت على علم من علم الحق، ونظرت بنوره إليه قال: يا من أنت الجميع دون الجميع مع الجميع، وبآلة دون آلة. فقلت: يا إلهى، لا أغتر بهذا، ولا استغلى بوجودى عنك، إن كنت لى بدونى أفضل من أن أكون لى بدونك، وإن تحدثت بك إليك أفضل من أن أتحدث إلى نفسى دونك. قال: الآن أنصت إلى الشريعة، ولا تتجاوز حد الأمر والنهى حتى يكون سعيك مشكوراً لدينا. قلت: لأن لى دين ولقلبى يقين إن شكرت نفسك، تشكر لأنك الخالق، وإن تذم فإنك منزه.

قال لى: ممن تعلمت؟ قلت: يعلم السائل أفضل من المسئول لأنه المراد والمريد، والمجاب والمجيب أيضاً. عندما رأى صفاء سريرتى، سمع قلبى نداء من رضا الحق، وخلع على خلعة الرضاء، وجعلنى أستنير، وأتجاوز ظلمة النفس وكدورات البشرية، فعلمت أننى أحيا به، وطرح بفضله بساط السرور فى قلبى، وقال: أطلب ما تريد، فقلت: أريدك أنت، فإنك أفضل من الفضل، وأعظم من الكرم، منعت منك بك، طالما تكون لى، أطوى منشور الفضل والكرم، لا تردنى عنك، ولا تحضر لى ما هو دونك. فلم يجبنى زمناً ثم وضع

تاج الكرامة على مفرقي، وقال لي: إنك تقول الحق، وتبحث عن الحقيقة، لأنك رأيت الحق وسمعته. فقلت: إن رأيت رأيت بك، وإن سمعت سمعت بك، فقد سمعت أنت أولاً ثم أنا، وأثنيت عليه، لا جرم أنه وهبني جناحاً من الكبرياء، فحلقت في ميادين عزه، فكنت أرى عجائب صنعه، وعندما علم بضعفي، وعرف حاجتي، جعلني أقوى بقوته، وزينني بزينته ووضع تاج الكرامة على رأسي، وفتح لي باب قصر التوحيد ولما علم أن صفاتي من صفاته خلع عليّ اسماً من حضرته، وشرفني به، وتجلت الوحدة، وزالت الإثنينية، وقال: رضاؤنا رضاؤك، ورضاؤك رضاؤنا، لا يقبل قولك الذم، ولا يمتن شخص عليك، ثم أذاقني جرح الغيرة، وأحياني ثانية، وخرجت من بوتقة الامتحان خالصاً، فقال لمن الملك؟ قلت: لك، قال: لمن الحكم؟ قلت: لك، قال: لمن الاختيار؟ قلت: لك لما كان الكلام هو نفس الكلام الذي سمعه في البداية، أراد أن يبين لي أنه لو لم تكن رحمته سبقت، لما ارتاح الخلق قط، ولو لم تكن محبته، لاجتاحت قدرة الدمار، الجميع ثم نظر إليّ نظرة القهار بواسطة الجبار، فلم ير أحد أثراً لي من الآدمية، وعندما ألقيت بنفسي في كل وادي وأنا ثمل، وصهرت جسدي في كل بوتقة بنار الغيرة، وهاجمت بجواد الطلب في فضاء الصحراء. لم أر صيداً أفضل من الحاجة، ولم أجد شيئاً أفضل من العجز، ولم أر سراجاً أضوأ من الصمت، ولم أسمع قولاً أفضل من الصمت، فسكنت قصر السكوت، وارتديت صدرة الصبر ووصل بي الأمر إلى أنني رأيت ظاهري وباطني خالياً من علة البشرية، فانفرجت فرجة من الفرج في صدري المظلم. ومنحني لساناً من التجريد والتوحيد، لا جرم أن لساني الآن من اللطف الصمداني، وقلبي من النور الرباني، وعيناي من الصنع الإلهي، أتحدث بمدده، وآخذ بقوته، طالما أحيا به، فلن أموت قط، طالما أدركت هذا المقام فإن إشارتي أزلية وعبادتي أبدية، ولساني التوحيد، ونفسي نفس

التجريد. لا أتحدث عن نفسي، فأكون المحدث أو أتحدث إلى نفسي فأكون أنا المذكر، فهو يحرك اللسان بما يريد وأنا الترجمان، متحدث بحقيقته هو لا أنا. الآن، عندما جعلني عظيماً قال لي: يريد الخلق أن يروك، فقلت: وأنا لا أريد أن أراهم إن أحببت أن تظهرني لهم، لا أخالفك زيني بوحدانيتك، فعندما يراني الخلق، يتأملون صنعك، ويرون الصانع، و(أنعدم) أنا. فحقق لي هذا المراد، ووضع تاج الكرامة على رأسي، جعلني أتجاوز مقام البشرية. ثم قال: تعال أمام خلقي، فخطوت بقدم من الحضرة، ووقعت بالثانية، وسمعت نداء هاتوا حبيبنا، فإنه لا يستطيع الوجود بدوني، ولا يعرف الطريق إلا بي.

وقال: عندما أدركت الوحدانية، وكانت تلك أول لحظة نظرت فيها إلى التوحيد، أسرعت في ذلك الوادي أعواماً بقدم الإفهام، حتى صرت طائراً، عيناه من الوحدة وجناحاه من الديمومة، وكنت أحلق في هواء الكيفية ولما غبت عن المخلوقات، قلت: وصلت إلى الخالق، ثم طللت برأسي من وادي الربوبيّة، وتجرعت كأساً لا أرتوي إلى الأبد عطشاً إليه، ثم حلقت ثلاثين ألف عام في فضاء وحدانيته،، وحلقت ثلاثين ألف أخرى في الألوهية، وثلاثين ألف أخرى في الفردانية، ولما انقضت تسعون ألف عام، رأيت أبا يزيد، وكل شيء رأيته كان أنا، ثم قطعت أربع آلاف بادية، ووصلت في النهاية ولما نظرت، رأيت نفسي في أول درجة للأنبياء، وطويت مسافة في ذلك اللا متناهي، وقلت: لم يصل شخص إلى أعلى من هذه الدرجة والأسمى من هذا المقام غير ممكن ولما أمعنت النظر، رأيت رأسي على قدم أحد الأنبياء، فعلمت أن نهاية حال الأولياء هي بداية أحوال الأنبياء، ولا غاية لنهاية الأنبياء.

ثم مرت روحي على جملة الملكوت، وبدت لها الجنة والنار، فلم تلتفت إليهما قط وكل شيء اعترضها، لم تطقه، ولم تصل إلى روح نبي قط إلا

وسلمت، ولما وصلت إلى روح المصطفى (عليه السلام) رأت هناك مائة ألف بحر نارى لا حد لها، وألف حجاب من نور فإن كنت قد خطوت إلى أول البحر لاحترقت، وضعت هباء، لا جرم أننى ذهلت من الهيبة والدهشة إلى أن فنيت، ومهما حاولت رؤية رباط خيمة محمد (رسول الله) لم أستطع ذلك ومع أننى وصلت إلى الحق، لم أطق الوصول إلى محمد، أى أن كل شخص يمكنه الوصول إلى الله (تعالى) بحسب قدره، لأن الحق مع الجميع، لكن محمد هو باب الحرم الخاص أمامه فلا جرم طالما لا تقطع وادى لا إله إلا الله لا يمكنك الوصول إلى وادى محمد رسول الله، وفى الحقيقة الواديان كلاهما واحد.

كما شرحنا ذلك المعنى فى أن مريد أبى تراب كان يرى الحق، ولم يطق رؤية أبى يزيد.

ثم قال أبو يزيد: يا إلهى، كل ما رأيته، كان أنا، لا سبيل لى إليك بأنيتى، ولا معبر لى من نفسى، لما ينبغى علىّ أن أفعل؟ قال: خلاصك من أنانيتك فى متابعة حبيبنا محمد العربى (ﷺ)، كحل عينك بتراب قدمه، وداوم على متابعته.

أعجب من قوم يعظمون شخصاً بالنبوة، وعندئذ يتحدثون بخلاف هذا، ولا يعرفون معنى هذا. كما قالوا لأبى يزيد سيكون الناس يوم القيامة تحت لواء محمد (ﷺ) فقال: بربوبية الله، إن لوائى سيعلو لواء محمد، وسيكون الأنبياء والخلائق تحت لوائى أى أنهم لا يجدون فى السماء مثيلاً لى، ولا يعرفون صفتى فى الأرض، فصفاتى غائبة فى الغيب، والحديث عما هو غائب فى الغيب جهل محض، وكله غيبة. وشخص على هذا النحو كيف يكون هذا الشخص هو نفسه، بل أن لهذا الشخص لسان الحق، وهو متحدث عن الحق أيضاً، وقال: من كان نطقه بمن لا ينطق، ولا يسمع ولا يبصر، لا جرم أن الحق

يتحدث على لسان أبى يزيد ويفسر ذلك: «لوائى أعظم من لواء محمد» بل لواء الحق أعظم من لواء محمد فطالما تجيز أن تنبعث «إنى أنا الله» من شجرة، فأجز أن تصدر «لوائي أعظم من لواء محمد» «وسبحانى ما أعظم شانى» من شجرة سليقة أبى يزيد.

والله أعلم وأحكم.

مناجاة الشيخ أبى يزيد (قدس الله روحه العزيز)

لأبى يزيد مناجاة، (يقول فيها):

إلهى، إلام تظل الأنية والأنتية بينى وبينك، ارفع الأنية، حتى تلحق أنيتى بك وينعدم وجودى.

وقـــال: إلهى، طالما أنا معك، فأنا أكثر من الجميع، وطالما أنا مع نفسى، أكون أقل من الجميع.

وقـــال: إلهى، أوصلنى إليك الفقر والفاقة، ولم يزلهما لطفك، وقال: إلهى، لا يلزمنى زهد، ولا قراءة، ولا علم، إن أردت أن تجعلنى أهلاً لشيء، اجعلنى أهلاً لشمة من أسرارك، وأوصلنى إلى درجة أحبائك، فأتدلل عليك، وأصل منك إليك.

إلهى، ما أطيب واقعات إلهامك على خطرات القلوب، وما ألطف طريقة إفهامك فى سبل الغيب، وما أعظم الحال التى لا يستطيع الخلق كشفها، ويعجز اللسان عن وصفها ولا تنته هذه القصة.

وقـــال: إلهى، لا عجب أننى أحبك، وأنا عبد عاجز وضعيف ومحتاج، العجب أنك تحجبنى وأنت الإله والملك والمستغنى [٢٤١].

وقال: إلهى، هذا فرحى بك وأنا أخافك فكيف فرحى بك إذ أمنتك[٢٤٢].

يروى: أن أبا يزيد حظى بقرب حضرة العزة سبعين مرة، كلما كان يعود، كان يعقد زناراً ويقطعه ثانية، ولما انتهى عمره ذهب إلى المحراب وعقد زناراً، وكان لديه فراء، ارتداه مقلوباً، ووضع عمامة مقلوبة على رأسه، وقال: إلهى لا أبيع رياضة العمر كله، ولا أعرض صلاة كل الليالى، ولا أتحدث عن صوم العمر كله، ولا أحصى خواتم القرآن ،ولا أتحدث عن الأوقات والمناجاة والقرب، وأنت تعلم أننى لا أنظر إلى شيء قط، وهذا الذى أشرحه بلسانى ليس بسبب التفاخر أو الاعتماد عليه، بل أذكره لأننى أخجل مما فعلته، وقد خلعت علىّ هذه الخلعة وهى أن أرى نفسى هكذا، وكل هذا لا شيء، والظن أنه العدم. أنا تركمانى، أبيض شعرى فى الزردشتية، أعود الآن من الصحراء وأقول: تنكرى، تنكرى (٢٤٣). وأتعلم الآن قول: الله، الله، أقطع الزنار الآن، وأضع قدمى فى دائرة الإسلام، وأنطق الآن بالشهادة، لا علة لأمرك، قبولك ليس بالطاعة، وليس بسبب المعصية، كل شيء فعلته، ظننته هباء، وكل شيء تراه منى لا يليق بحضرتك، اعف عنه، وانفض غبار المعصية عنى فإننى نفضت غبار الوهم فى الطاعة.

يروى: أن الشيخ كان يكثر من قول الله، الله فى البداية، وكان يقوله فى النزع أيضاً، ثم قال يا رب، لم أذكرك قط إلا فى غفلة، والآن حيث تصعد الروح أنا غافل عن طاعتك، ولا أعلم متى سيكون الحضور، ثم أسلم الروح وهو فى الذكر والحضور.

فى تلك الليلة التى أدركته فيها الوفاة، كان أبو موسى غائباً، قال: رأيت فى المنام أننى قد وضعت العرش على مفرقى، وكنت أحمله، وأتعجب. وفى الصباح توجهت لأقص المنام على الشيخ وكان الشيخ قد توفى، وكان خلق غفير قد جاء من الأطراف، ولما رفعوا نعشه، سعيت كى يفسحوا لى ناحية من النعش، ولم

أتمكن منه فنفذ صبرى وزججت بنفسى تحت النعش ورفعته على رأسى، وأخذت فى السير، وكنت قد نسيت ذلك المنام، فرأيت الشيخ قال: يا أبا موسى، هذا هو تفسير منام الأمس، وذلك العرش الذى قد حملته هو نعش أبى يزيد.

يروى : أن مريداً رأى الشيخ فى المنام، فقال كيف تخلصت من منكر ونكير، قال: عندما سألانى هذان العزيزان، قلت: عجباً من هذا السؤال، لأننى لو أقول: هو ربى فلا يصدر هذا القول منى قط، لكنه عاد وسأل: من أنا بالنسبة له؟ ما يقوله هو يكون، فلو قلت هو ربى مائة مرة، فلا جدوى طالما لا يعدّنى هو عبداً له.

رآه شيخ فى المنام قال: ماذا فعل الله (عز وجل) بك؟ قال: سألنى: يا أبا يزيد ماذا أحضرت؟ قلت: يا إلهى، لم أحضر شيئاً يليق بعزتك، ومع هذا لم أجىء بالشرك أيضاً (فقال الحق تعالى): ولا ليلة اللبن؟ ألم تشرك فى تلك الليلة قال: كنت قد شربت لبناً ذات ليلة، فآلمتنى بطنى، فعاتبنى الحق (تعالى) قائلاً: إلى هذا الحد، أى أن هناك فعالاً غيرى.

يروى: أنه عندما دفن الشيخ: جاءت أم على التى كانت زوجة لأحمد خضرويه ـ لزيارته، ولما فرغت من الزيارة، قالت: أتعلمون من كان الشيخ أبى يزيد؟ قالوا: أتعلمين أنت؟ فقالت: كنت أطوف حول الكعبة ذات ليلة، وجلست برهة، واستغرقت فى النوم، وهكذا رأيت أننى حملت إلى السماء، حتى وصلت أسفل العرش، وهناك رأيت صحراء لا يبدو طولها ولا عرضها، قد امتلأت بالورد والرياحين. ومكتوب على كل ورقة ورد: أبو يزيد ولى الله.

يروى : أن شيخاً قال: رأيت الشيخ فى المنام، فقلت: عظنى، قال: الناس فى بحر بلا نهاية، والبعد عنهم سفينة، فاجتهد أن تجلس فى هذه السفينة، وتخلص الجسد المسكين من هذا البحر.

يروى : أنهم رأوا الشيخ فى المنام، فقالوا له: ما التصوف؟ قال: إغلاق باب الراحة أمامه والجلوس خلفه على ركبة المحبة.

وعندما جاء الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير لزيارة الشيخ وقف برهة، وفى طريق عودته، كان يقول: هذا هو المكان الذى كل من يفقد فيه شيئاً فى الحياة يجده ثانية.

«رحمة الله عليه واسعة وسلم تسليما»

ذكر عبدالله بن المبارك[٢٤٤] (رحمة الله عليه)

هو زين الزمان، وركن الأمان، هو إمام الشريعة والطريقة، وذو الجهادين في الحقيقة[٢٤٥]، هو أمير القلم والسيف، عبدالله بن المبارك (رحمه الله عليه). وقد سمي ملك العلماء ولم يكن له نظير في العلم والشجاعة، وكان من سادة أصحاب الطريقة ومن المحترمين بين أرباب الشريعة، وله في فنون العلوم أحوال محمودة، وكان قد أدرك كبار المشايخ وصحبهم، وكان مقبولاً لدى الجميع، وله تصانيف مشهورة وكرامات مذكورة.

ذات يوم كان قادماً، فقال له سفيان الثوري[٢٤٦]: «تعال يا رجل المشرق»، وكان الفضيل حاضراً، فقال: «والمغرب وما بينهما» [٢٤٧]. وشخص يفضله الفضيل، كيف يمكن مدحه؟

وكانت بداية توبته أنه فتن بجارية، إلى حد أنه هام بها. وذات ليلة في الشتاء، وقف تحت حائط دار معشوقته حتى الصباح في انتظارها، وكانت تمطر ثلجاً طوال الليل، ولما أذن للصلاة ظن أنه آذان العشاء، فلما طلع النهار أدرك أنه قد ظل طوال الليل مستغرقاً في حال معشوقته، فقال لنفسه: أخذلك الله يا ابن المبارك إذ وقفت ليلة مباركة كهذه حتى الصباح على قدميك موافقة

لهواك، وإن قرأ الإمام سورة طويلة في الصلاة تجن. فتألم قلبه في الحال، وتاب [٢٤٨] وانشغل بالعبادة إلى حد أن أمه دخلت عليه البستان ذات يوم، فرأته نائماً في ظل شجرة ورد، وقد أمسكت حية بغصن من النرجس في فمها، تذب به الذباب عنه.

وفي ذلك الوقت رحل عن مرو، وظل مدة في بغداد في صحبة المشايخ.

ثم ذهب إلى مكة، وبعد أن جاورها مدة، عاد إلى مرو، فتولاه أهلها، وأعدوا له دروساً ومجالس، وفي ذلك الوقت، كان نصف أهل مرو يتبع الحديث، والنصف الآخر يهتم بعلم الفقه، كما هو الحال اليوم ويسمونه «رضي الفريقين»، بحكم أنه موافقاً لكل منهما، وكان الفريقان كلاهما يختصمان إليه، فأعد رباطين في ذلك المكان: أحدهما لأهل الحديث، والآخر لأهل الفقه[٢٤٩]. ثم مضى إلى الحجاز وجاورها.

يروى: أن عبد الله بن المبارك كان يحج عاماً، يغزو عاماً، ويتاجر عاماً وكان يفرق مكسبه على أصحابه، وكان يعطي الدروايش التمر، ويعد النوى، ومن كان يأكل أكثر، كان يمنحه درهماً مقابل كل نواة.

يروى: أن عبد الله بن المبارك رافق خسيساً ذات مرة، ولما انفصل عنه، بكى عبدالله، قالوا: لماذا تبكي؟ قال: مضى ذلك المسكين، ومضت معه كذلك تلك الطوية السيئة، وانفصل عنا، ولم ننفصل عنه.

يروى: أنه كان يمضي في البادية ذات مرة، وكان قد ركب ناقة، فوصل إلى فقير، وقال: أيها الفقير، أنا غني، وقد دعيت، فإلى أين تذهب أنت أيها الطفيلي قال الفقير: طالما كان المضيف كريماً، فإنه يفضل الطفيلي، وإن كان قد دعاك إلى بيته فقد دعاني إليه أيضا بنفسه، قال عبدالله: إنه طلب منا نحن

الأغنياء القرض، فقال الفقير: إن كان يطلب منك القرض فمن أجلنا، فخجل عبدالله وقال: صدقت.

يـروى: أن عبدالله بن المبارك وصل فى التقوى إلى حد أنه كان قد نزل فى منزل ذات مـرة، وكـان له جـواد ثمين، وانشغل بالصـلاة، فـدخل الجـواد مزرعة فتركه فيها ومشى على قدميه، وقال: إنه أكل زرع السلاطين، وذهب

وذهب ذات مـرة من مرو إلى الشـام بسبب قلم ـ كان قد طلبه ولم يعده ـ وسلمه

ويـروى: أن عبدالله بن المبـارك كان يمر ذات يوم، فقالوا لضرير: إن عبد الله بن المبارك قادم، فاطلب كل ما يلزمك، فقال الفقير: قف يا عبدالله، فوقف عبدالله، وقـال: ادع الحق (تعالى) أن يعيـد لى بصـرى، فرفع عـبدالله رأسـه ودعا، فأبصر فى الحال[٢٥٠].

يروى: أن عبدالله بن المبارك ذهب ذات يوم فى العشرة الأوائل من أيام ذى الحجة إلى الصحراء، وكان يحترق رغبة في الحج، وقال: لو أنني لست هناك اتحسر على ضياع هذه (الفرصة)، وأدى أعمالهم (المقصود الحجيج)، لأن من يتبعهم ولا يطلق شعره، أو يقص أظافره، يكون له نصيب من ثواب الحجيج. وفى تلك الأثناء قدمت عجوز، محنية الظهر ممسكة بعصاة فى يدها، وقالت: يا عـبدالله، لعلك ترغب فى الحج، قـال: بلى، فـقالت: يا عـبـدالله قد أرسلت إليك، فاصطحبنى حتى أوصلك إلى عرفات، فقال عبدالله: قلت لنفسى ما زالت هناك ثلاثة أيام أخرى كى توصلنى من مرو إلى عرفات، فقالت العجوز: الشخص الذى يؤدى سنة صلاة الصبح فى السنجاب، وفريضتها على شاطئ جيحون، ناقص والضحى فى مرو، كيف يمكن مرافقته؟ فقلت: «بسم الله» ووضعت قدمى على الطريق، وعبرت عدة بحار شاسعة، يصعب عبورها بسفينة، كل بحر

كنت أصل إليه، كانت تقول لى: اغمض عينيك، ولما كنت أغمضها، كنت أرى نفسى فى وسط المياه، حتى أوصلتنى إلى عرفات، ولما أدينا الحج، وفرغنا من الطواف والسعي والعمرة، وطفنا طواف الوداع، قالت العجوز: تعال، فإن لى ابناً جلس يرتاض فى الغار زمناً - كى نراه، عندما ذهبنا إلى هناك، رأيت شاباً، أصفر الوجه، وضعيفاً ونورانياً، ولما رأى أمه جثا على قدميها ومسح وجهه فى قدمها، وقال: أعلم أنك لم تأت لكن الله قد أرسلك، إن وقت رحيلى قريب، وقد جئتى كى تعديني. قالت العجوز: يا عبدالله، ابق هنا كى تدفنه، ثم توفي ذلك الشاب فى الحال، ودفناه. بعد ذلك قالت تلك العجوز: ليس لدى عمل قط، سأقيم على قبره حتى آخر العمر اذهب أنت يا عبدالله، وعندما تعود فى العام القادم، ولا تراني، تذكرني بالدعاء.

يروى: أن عبدالله كان فى الحرم، وكان قد فرغ من الحج ذلك العام فاستغرق فى النوم برهة، فرأى فى المنام أن ملكين هبطا من السماء، وسأل أحدهما الآخر: كم من الخلق جاء هذا العام؟ فقال: ستمائة ألف، قال: وكم شخص قُبِل حجه؟ قال: لم يقبل حج أى منهم، فقال عبد الله: عندما سمعت هذا، بدا علىّ الاضطراب، فقلت: تجيء كل هذه الخلائق من أطراف الدنيا وأكنافها بكل هذه الآلام والمتاعب «من كل فج عميق»[٢٥١] وتقطع الفيافى، ويضيع كل هذا! فقال ذلك الملاك: فى دمشق إسكافى اسمه على بن الموفق، لم يأت للحج، لكن حجه مقبول، وغفر للجميع بسببه، وقد فعلوا كل هذا من أجله. ولما سمعت هذا، استيقظت من النوم، وقلت: ينبغى على الذهاب إلى دمشق، وزيارة ذلك الرجل، فذهبت إلى دمشق، وسألت عن دار ذلك الرجل، وناديت عليه، فخرج شخص،، قلت: ما اسمك؟ قال: على بن الموفق، قلت لى معك كلام، قال: قل، فقلت: أى عمل تعمل به؟ قال: إننى إسكافى، فقصصت

تلك الواقعة، قال: ما اسمك؟ قلت: عبدالله بن المبارك، فصاح صيحة، وهوى، وفقد وعيه، وعندما ثاب إلى رشده، قلت: أخبرني بأمرك، قال: رغبت في الحج طيلة ثلاثين عاماً، وجمعت من الحياكة ثلاثمائة وخمسين درهماً، هذا العام، قصدت الذهاب إلى الحج، فقالت لي زوجتي التي كانت حاملاً - ولعل رائحة الطعام كانت تفوح من عند الجار؛ اذهب، واحضر قدراً من ذلك الطعام، فذهبت إلى باب دار ذلك الجار، وأخبرته بتلك الحال، فأخذ الجار في البكاء، وقال: اعلم أن أطفالي لم يكونوا قد أكلوا شيئاً قط طيلة ثلاثة أيام، واليوم رأيت حماراً ميتاً، فقطعت قطعة منه، وأعددت طعاماً لا يحل لكم، ولما سمعت هذا اشتعلت النار في روحي، فحملت تلك الدراهم الثلاثمائة والخمسين، ومنحتها له، وقلت: انفق على الأطفال، فهذا هو حجي، قال عبدالله: صدق الملك في الرؤيا، وصدق الملك في الحكم والقضاء.

يروى: أنه كان لعبدالله غلام مكاتب، قال واحد لعبدالله: هذا الغلام يعمل نباشاً، ويمنحك الفضة، فحزن عبدالله، وأخذ يتعقبه ذات ليلة فذهب إلى القبور، وشق قبراً، كان فيه محراب، ووقف للصلاة: وكان عبدالله يراه من بعيد، فاقترب في هدوء فرأى الغلام كان قد ارتدى المرقعة، ووضع جنزيراً على رقبته، وكان يمسح وجهه في التراب، وكان يبكي منتحباً. عندما رأى عبدالله ذلك، انسحب في هدوء، وبكى، وجلس في زاوية، وظل الغلام هناك حتى الصباح، ثم عاد، وأخفى حافة القبر ودخل المسجد، وأدى صلاة الصبح، وقال إلهي، طلع النهار، ويريد سيدي المجازي مني درهماً، أنت ثروة المفلسين، فاعطني من حيث تعلم ،وفي الحال ظهر نور في الهواء، وسقط درهم من الفضة على يد الغلام، فلم يطق عبدالله (ذلك) فنهض واحتضن رأس الغلام وأخذ يقبله ويقول: لتفد ألف روح مثل ذلك الغلام، لقد كنت أنت السيد لا أنا، ولما رأى الغلام تلك الحال قال: يا إلهي طالما مزق حجابي وأفشى سري، لم

تعد لى راحة فى الدنيا، فبعزتك لا تفقنى، وأزهق روحى، وبينما كانت رأسه فى حضن عبدالله أسلم الروح، فأعد عبدالله أسباب تجهيزه وتكفينه، ودفنه بنفس المرقعة وفى نفس القبر ،وفى الليلة نفسها، رأى فى المنام سيد العالم وإبراهيم الخليل (عليهما السلام) وقد جاءا!؟ وجلس كل واحد منهما على براق وقالوا: يا عبد الله لماذا دفنت حبيباً بالمرقعة؟

يـروى: أن عبدالله كان قد خرج ذات يوم مع كوكبة تامة من المجلس، وكان يمضى، فقال له طفل علوى: يا ابن الهندى ما هذا الشأن الذى تحقق لك؟ إننى ابن محمد (رسول الله)، أصنع العلم عدة أيام حتى أحصل على القوت، أما أنت فتسير مع مثل هذه الكوكبة، فقال عبدالله: إننى أفعل ذلك لأن جدك قد فعله وأمر به، وأنت لا تفعله، ويقال أيضاً: إنه قال هكذا: بلى يا ابن السيد كان لك أب، ولى أب، وكان أبوك المصطفى (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وبقى عنه العلم ميراثاً، وكان والدى من أهل الدنيا، وبقيت عنه الدنيا ميراثاً، فأخذت ميراث والدك وصرت عزيزاً ببركته وأخذت ميراث والدى، وصرت ذليلاً به، وفى تلك الليلة رأى عبدالله الرسول (عليه السلام) فى المنام غاضباً، فقال: يا رسول الله ما سبب غضبك، قال: بلى، فلتوضح المسألة لابننا، فاستيقظ عبدالله وعزم أن يطلب ابن العلوى، ويطلب المعذرة منه. وفى الليلة نفسها، رأى ابن العلوى الرسول (عليه الصلاة والسلام) فى المنام، قال: إن كنت كما ينبغى، لما استطاع أن يقول لك ذلك، لما استيقظ العلوى، اعتزم التوجه لعبد الله ليعتذر له، فتقابلا فى الطريق، وقصا الواقعة، وتابا.

يـروى: أن سهلاً بن عبدالله المروزى[٢٥٢] كان يأتى كل يوم إلى (حلقة) درس ـ عبدالله، فخرج ذات يوم وقال: لن أجىء إلى درسك ثانية،، فقد اعتلت جواريك السطح ودعونى إليهن، وقالت كل منهن: سهلى، لما لا تؤدبهن؟ قال عبدالله لأصحابه: استعدوا للصلاة على سهل، وفى الحال توفى سهل، وصلوا

عليه ثم قالوا كيف علمت يا شيخ؟ فقال: كانت تلك الحور اللاتي تنادي عليه حور الخلد، ليست لدي جارية قط.

يـــروى: أنه سئل ماذا رأيت من العجائب؟ قال: رأيت راهباً، أصابه الضعف من المجاهدة، وانحنى ظهره من خشية الله، سألته: ما الطريق إلى الله؟ قال: إن عرفته عرفت الطريق إليه(٢٥٣). وقال: إنني أعبد الأصنام وأخشى مالا أعرفه عنه، وأنت تعصي ما تعرفه، أي المعرفة تقتضي الخوف، ولا أراك خائفاً، والكفر يقتضي الجهل، وأرى نفسي ذائباً من الخوف، فصار قوله عظة لي، ومنعني عن كثير مما لا يليق عمله.

يروى: أن عبدالله بن المبارك قال: كنت في غزو ذات مرة في ناحية من بلاد الروم ورأيت فيها خلقاً كثيرين، قد تجمعوا، وسحبوا واحداً على عقابين، وقالوا: ليعاديك الصنم الأكبر إن قصرت مثقال ذرة، وضربوه بشدة وقسوة، وتألم ذلك المسكين كل الألم ولم يتأوه، فسألته: تتكبد كل هذه القسوة، ولا تتأوه ما السبب؟ قال: ارتكبت جرماً عظيماً، وفي ملتنا سنة وهي طالما لا يتطهر المرء من الأدران، لا يرد على لسانه اسم الصنم العظيم. الآن: إن تظهر الإسلام اعلم أنني قد وضعت اسم الصنم العظيم بين كفتي ميزان، وهذا جزاء ذلك. قال عبدالله: البارئ في ملتنا من يعرفه لا يستطيع أن يذكره لأن «من عرف الله كلّ لسانه».

يروى: أن عبدالله كان قد ذهب للغزو ذات مرة، وكان يقاتل كافراً. وحل وقت الصلاة، فطلب مهلة من الكافر، وصلى، ولما حل وقت صلاة الكافر، طلب المهلة كي يصلي، وعندما اتجه إلى الصنم، قال عبدالله: انتصرت عليه هذه اللحظة، وذهب إليه مشهراً سيفه كي يقتله، فسمع صوتاً: «يا عبدالله أوفوا

بالعهد إن العهد كان مسئولا، فبكى عبدالله، ورفع الكافر رأسه، فرأى عبدالله مشهراً سيفه، وباكياً، فقال: ما أصابك؟ قص عبدالله حاله وقال: هكذا عوتبت من أجلك، فصاح الكافر صيحة وقال: جبان من يعصى مثل ذلك الإله الذى يعاتب الحبيب من أجل العدو ويطغى عليه، وأسلم فى الحال، وصار عزيزاً فى طريق الدين.

يـــروى: أن عبدالله قال: رأيت فى مكة شاباً جميلاً قصد الذهاب إلى الكعبة، وفجأة فقد وعيه، وسقط، فتقدمت إليه وهو ينطق بالشهادة، وقلت: أيها الشاب ما أصابك؟ فقال: كنت راهباً، وأردت أن ألقى بنفسى فى الكعبة تلبيساً، كى أرى جمالها، فهتف هاتف: «تدخل بيت الحبيب وفى قلبك معاداة الحبيب».

يروى: أن عبدالله كان يسير فى سوق نيسابور فى شتاء بارد، فرأى غلاماً يرتدى قميصاً فقط، وكان يرتجف من البرد، قال: لماذا لا تطلب من سيدك أن يعد لك جبة! قال: ما أقول؟ فهو يعلم ويرى بنفسه، طاب الوقت لعبدالله، فصاح صيحة وخرفاقداً الوعى، ثم قال: تعلموا الطريقة من هذا الغلام.

يـــروى: أن مصيبـــة حلـــت بعبدالله ذات مرة، فذهب الخلق لمواساته، وذهـــب مجوسى أيضاً، وقال لعبدالله: العاقل من عندما تحل به مصيبة يفعل فى اليوم الأول لها ما سيفعله بعد ثلاثة أيام، فقال عبدالله: اكتبوا هذا الكلام، إنه الحكمة.

يروى: أن عبدالله سئل أى خصلة أنفع للآدمى؟ قال: العقل الوافر، قيل إن لم يكن، قال: حسن الأدب، قيل إن لم يكن، قال: أخ مشفق يتشاور معه، قيل إن لم يكن، قال الصمت الدائم، قيل: إن لم يكن، قال: الموت فى الحال.

يروى: أن عبدالله قال: من يستسهل طريق الأدب يظهر الخلل في السنن ومن يستسهل السنن، تحرمه من الفرائض، ومن يستسهل الفرائض تحرمه من المعرفة ومن يحرم من المعرفة تخيل كيف يكون حاله؟!

وقال: طالما تكون منزلة فقراء الدنيا هكذا، فكيف تكون منزلة فقراء الآخرة؟

وقال: لا تسكن قلوب أحبة الحق قط، أي أنها تطلب دائماً من يثبت في إظهار مقامه.

وقال: نحن أحوج إلى قليل من الأدب أكثر من كثرة العلم.

وقال: تطلب الأدب الآن، وقد مضى الرجال المتأدبون.

وقال: كثيراً ما تحدث الناس في الأدب والأدب بالنسبة لي هو معرفة النفس.

وقال: السخاء بما في يد الناس أفضل من بذل ما في يدك.

وقال: من يقرض الله درهماً أحب إليّ من أن يتصدق بمائة ألف، ومن يأخذ شيئاً حراماً لا يكون متوكلاً.

وقال: ليس التوكل أن ترى نفسك متوكلاً، لكن التوكل هو أن يعلم الله عنك التوكل.

وقال: لا يمنع الكسب عن التفويض والتوكل إن لم يكونا عادتين في الكسب.

وقال: إن اكتسب شخص بالقوة، يجوز له أن ينفق إن مرض، وأن يكون له كفن من ماله إن مات.

وقال: تأفه ذلك الإنسان الذى لم يحتمل ذل الكسب.

وقال: مروءة الرضا أفضل من مروءة العطاء.

وقال: يتساوى عند الله زهد الآمن ومحبة الفقير.

وقال: من لم يتذوق طعم العبودية لم يتمتع بذوق قط.

وقال: الشخص الذى يحظى بعيال وأبناء، ويرعاهم فى الصلاح، ويستيقظ من النوم ليلاً، فيرى الأطفال عرايا، ويلقى عليهم ثياباً، كان عمله أفضل من الغزو.

وقال: من كان قدره أعظم لدى الخلق يجب أن يرى نفسه أحقر.

وقالوا: ما دواء القلب؟ قال: البعد عن الناس.

وقال: من التواضع أن تتكبر مع الأغنياء وتتواضع مع الفقراء.

وقال: التواضع هو أن تتكبر على من هو أسمى منك فى الدنيا، وتتواضع مع من هو أقل.

وقال: الرجاء الحقيقى هو ما يظهر من الخوف، والخوف الحقيقى ما يظهر من صدق الأعمال، وصدق الأعمال يتأتى من التصديق، وكل رجاء لا يتقدمه خوف سرعان ما يطمئن صاحبه، ويجعله يسكن.

وقال: ما يجعل الخوف يستقر فى القلب، دوام المراقبة فى السر والعلانية.

يروى: أن حديث الغيبة كان يجرى أمامه، فقال: إن اغتبت أغتاب أمى وأبى فهما أولى بالإحسان.

يروى: أن شاباً جاء ذات يوم، ووقف على باب عبدالله، وبكى منتحباً، وقال: لقد ارتكبت ذنباً لا أستطيع ذكره من الخجل، قال عبدالله: قل: ماذا فعلت؟ قال: زنيت، قال عبدالله: خفت، ربما كنت قد اغتبت.

وقال رجل: إن عبدالله وعظني وقال: احفظ الله، قلت: ما تفسيرهذا؟ قال: كن دائماً كأنك ترى الله.

يــروى: أن عبدالله وهب كل ماله للدراويش وهو على قيد الحياة، وجاءه ضيف ذات مرة، وقد انفق كل ما يملك، فقال: الضيوف رسل الرحمن، فعادته امرأته، قال: المرأة التي تخالفني في هذا الأمر، لا يجوز بقاؤها، وطلقها. هكذا أراد الله (تعالى): أن جاءت إلى مجلسه فتاة من أبناء السادة، وطاب لها قوله ذهبت إلى الدار، وطلبت من والدها، أن يزوجها إياه، فمنحها خمسين ألف دينار، وزوجها له، فرأى في المنام، طلقت زوجتك من أجلنا، وها هو العوض، حتى تعلم أنه لا يضر شخص معنا.

ولما اقترب وقت وفاته، أعطى كل ماله للدراويش، فاقترب مريد من فراشه وقال: أيها الشيخ، لديك ثلاث بنات، وأنت تودع الدنيا فاترك لهم شيئاً، ماذا أعددت لهم؟ قال: قد قلت: «هو يتولى الصالحين» والشخص الذي يتولى هو أمره أفضل من أن يتولاه عبدالله بن المبارك، ثم فتح عينيه عند الموت، وكان يبتسم ويقول: «لمثل هذا فليعمل العاملون».

رأوا سفيان الثوري في المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني، قالوا: وما حال عبدالله بن المبارك، قال: هو من الجمع الذي يذهب إلى الحضرة مرتين في اليوم (رحمة الله عليه).

ذكر سفيان الثورى[٢٥٤] (قدس الله روحه)

هو تاج الدين والديانة، وشمع الزهد والهداية، هو شيخ العلماء وملكهم، هو صاحب حضرة القدماء، وقطب الحركة الدائرية، هو إمام العالم سفيان الثورى (رحمة الله عليه).

كان من كبار رجال الدين، وكانوا يقولون له أمير المؤمنين، ولم يتول خلافة قط واقتدى بالحق، وكان صاحب قبول، ولا نظير له فى علم الظاهر والباطن وكان من المجتهدين الخمسة، وكان قد وصل إلى منتهى التقوى، وحاز غاية الأدب والتواضع وكان قد رأى كثيراً من المشايخ الكبار، ولم يتراجع ذرة عما كان عليه منذ بداية أمره وحتى نهايته.

كما يروى أن إبراهيم دعاه (قائلاً): تعال، حتى نستمع إلى الحديث، فجاء فى الحال، فقال إبراهيم كان يجب على أن أختبر خلقه.

وكان قد ولد لأم ورعة. وكما يروى أن والدته كانت قد اعتلت سطح المنزل ذات يوم وتناولت قطعة مخلل من سطح الجار، فضرب برأسه على بطن أمه لدرجة أنها فكرت فى الذهاب (للجار) وطلب الحل.

وكانت بداية أمره: أنه دخل بقدمه اليسرى ذات يوم فى المسجد غافلاً فسمع صوتاً: أيها الثور، ولذلك سمى بالثورى. عندما سمع ذلك الصوت، فقد

صوابه، ولما ثاب إلى رشده أمسك بمحاسنه، وكان يلطم وجهه ويقول: طالما لم تكن تضع قدمك بأدب فى المسجد فإن اسمك قد محى من صحيفة الانسان، فانتبه على أى نحو تخطو.

يـروى : أنه وضع قدمه فى مرعى، فنادى صوت يا ثور، انظر أى اهتمام نبديه بشخص لا يستطيع أن يخطو خطوة مخالفاً للسنة، طالما حاز هذا القدر فى الظاهر فمن يستطيع أن يقول كلامه الباطن. ولم ينم الليل قط طوال عشرين عاماً.

يروى : أنه قال: لم أسمع شيئاً من حديث النبى ﷺ قط إلا وعملت به وكان يقول: يا أصحاب الحديث. أدوا زكاة الحديث، قيل: وما زكاة الحديث؟ قال أن تعملوا بخمسة أحاديث من كل عشرين حديثاً.

يـــروى: أن خليفة عهده كان يؤمه فى الصلاة، وكان يحرك محاسنه أثناءها فقال سفيان: إن مثل هذه الصلاة ليست بصلاة، وستضرب بها يوم القيامة على وجهك كخرقة قذرة. قال الحليفة: تمهل فى القول، قال: لو أننى تخليت عن مثل هذه المهمة لصار بولى دماً فى الحال، فثقل قوله ذلك على قلب الخليفة، فأمر بأن ينصبوا مشنقة ويشنقوه كى لا يتجرأ على أحد ثانية، وفى اليوم الذى نصبوا فيه المشنقة: كان سفيان قد وضع رأسه إلى جانب شيخ ووضع قدميه تجاه سفيان بن عيينه (٢٥٥) واستغرق فى النوم. عرف هذان الشيخان هذا الحال، وقالا لبعضهما البعض: لا نخبره بهذا فاستيقظ بنفسه وقال: ما الأمر؟ فقصا الحال، وكانا يبديان ضيقاً شديداً، قال سفيان ليست لى سيطرة على روحى، ولكن يجب على أن أؤدى حق أمور الدنيا، ثم اغرورقت عيناه وقال: يا إلهى، اقبضها قبضاً عظيماً، قال هذا الدعاء. بينما اعتلى الخليفة العرش، وكان أركان الدولة قد جلسوا على الجانبين، وقع زلزال فى القصر،

وانكب الخليفة وأركان الدولة على الأرض دفعة واحدة، وقال الشيخان: أدعاء بهذه الاستجابة وبهذه السرعة، قال سفيان: بلى، إننا لم نرق ماء وجهنا فى هذه الحضرة.

يــروى: أن خليفة آخر تولى الخلافة، وكان معتقداً فى سفيان، وحدث أن مرض سفيان، وكان للخليفة طبيب مسيحى ماهر جداً وحاذق، فأرسله إلى سفيان ليعالجه وعندما رأى قارورته (بوله) قال: هذا رجل أدمي كبده من خشية الله، وكان يتساقط قطعة قطعة من مثانته، ثم قال ذلك الطبيب المسيحى: الدين الذى يكون عليه رجل كهذا، لا يكون باطلاً، وأسلم فى الحال. قال الخليفة: ظننت أنى أرسل طبيباً إلى فراش مريض لكنى أرسلت مريضاً إلى طبيب (٢٥٦).

يروى: أن ظهر سفيان كان قد احدودب فى شبابه، فقيل: يا إمام المسلمين لم يحن الوقت لهذا بعد. فلم يجب لأنه لم يكن يتبع الخلق فى ذكر الحق، حتى ألحوا عليه يوماً، فقال: كان لى أستاذ، وكان رجلاً طاعناً فى السن، وكنت أتعلم العلم منه، ولما انتهى عمره، وغاصت سفينه عمره فى دوامة الأجل، كنت قد جلست على فراشه، ففتح عينيه فجأة وقال لى: يا سفيان، أترى ما يفعل معنا؟ نرشد الخلق للطريق المستقيم طيلة خمسين عاماً، وندعو إلى حضرة الحق، والآن أطرد، ويقال لى: اذهب فإنك لا تليق بنا.

ويقال إنه قال: التحقت بخدمة ثلاثة من الأساتذة، وتعلمت العلم، وانتهى أمر أحدهم بالتهود، ومات على ذلك، وتمجس الثانى، وتنصر الثالث، فتخبط ظهرى خشية ذلك وانكسر.

يروى: أن رجلاً أرسل إليه كيسين من الذهب، وقال: خذهما، فقد كان أبى صاحبك ومريدك، وهى حلال أحضرتها لك من ميراثه، فأعطاها لابنه

وأعادها، وقال: قل له إن محبتي لوالدك كانت من أجل الله. قال ابن سفيان: عندما رجعت قلت: يا والدي ربما أن قلبك من حجر، ألا ترى أن لي عيالاً، ولا أملك شيئاً، فترحمني.. قال سفيان: أي بني، ينبغي عليك أن تأكل، وأنا لا أبيع محبة الله بمحبة الدنيا، فأصبح عاجزاً يوم القيامة.

يروى: أن هدية أحضرت إلى سفيان، ولم يقبلها، وقال لصاحبها لم أسمع منك حديثاً قط، قال سفيان: قد سمع أخوك، وأخشى أن يكون قلبي أكثر شفقة عليه من الآخرين بسبب مالك فتكون هذه رغبة. ولم يكن يأخذ شيئاً من شخص قط، وكان يقول: إن كنت أعرف أنني لن أتخلف لكنت آخذ. وكان يمر ذات يوم مع رجل على باب قصر أحد السادة فنظر ذلك الرجل على ذلك الإيوان، فنهاه وقال له: لو لم تكن تنظر إلى ذلك المكان لما كانوا يسرفون كل هذا الإسراف، ومن ثم عندما تنظرون تشاركون في مظلمة هذا الإسراف.

وتوفي له جار، فذهب إلى جنازته، فسمع بعد ذلك: أن الناس يقولون: إنه كان رجلاً طيباً، قال سفيان: لو أكن أعرف أن الخلق يرضون عنه، لما كنت أذهب لجنازته لأنه إن لم يكن رجلاً منافقاً لما رضي الخلق عنه.

وأثر عن سفيان أنه عندما كان يجلس في المقصورة، أعدت مجمرة مملوءة بالعود من مال السلطان، ففرّ من هناك كي لا يشم تلك الرائحة، ولم يجلس هناك ثانية.

يروى: أنه كان قد لبس لباساً مقلوباً ذات يوم، فطلبوا منه أن يعدلها، فلم يفعل وقال: كنت قد لبست هذا القميص من أجل الله ولا أريد أن أعدله من أجل الخلق، وتركه على ما هو عليه.

يروى: أن الحج كان قد فات شاباً، فتأوه. قال سفيان: أمنحك أربعين حجة إن كنت تهبني هذه الآهه فقال: وهبتها لك، فرأى تلك الليلة في المنام أن قيل له: ربحت ربحاً إن قسمته على أهل عرفات كلهم، لصاروا أغنياء.

يــروى : أنه دخل حماماً يوماً، ودخل غلام أمرد، فقال أخرجوه، فإن مع كل امرأة شيطان، ومع كل أمرد ثمانية عشر من الشياطين يزينوه فى عيون الرجال.

يــروى: أنه كان يأكل خبزاً ذات يوم، وكان هناك كلب، كان يعطيه (من الخبز)، فقيل له: لماذا لم تأكل مع زوجك وأولادك؟ قال: إن أعطيت الخبز لكلب فإنه يحرسنى حتى النهار كى أصلى، وإن أعطيته لزوجتى وأولادى أعاقونى عن الطاعة. وقال لأصحابه يوماً: حلو الطعام ومره يصل من الشفاة إلى الحلق ليس أكثر، فاصبروا إن لم يكن حلواً أو مراً حتى يستوى لديكم الحلو والمر، فالشىء الذى يمر بهذه السرعة يمكن الصبر بدونه وكما يروى الفقراء عن عظمته: إن الفقراء كانوا يشبهون الأمراء فى مجلسه.

يــروى: أنه كان يمضى إلى مكة على محمل ذات مرة وكان معه رفيق، وكان يبكى طوال الطريق، فقال له رفيقه: أتبكى خشية ذنب؟ فمد سفيان يده، وحمل ورقة شجر يابسة وقال: الذنوب كثيرة، لكن ذنوبى لا تساوى شيئاً بالقياس إلى هذه الورقة، لكنى أخشى الإيمان الذى آمنته أهو إيمان أم لا!

وقال: شغل الآخرون بالعبادة، فأثمرت لهم الحكمة.

وقال: البكاء عشرة أجزاء: تسعة منها الرياء، وواحد لله، إن سقطت قطرة من العين كل عام من ذلك الجزء الذى لله. تكون غزيرة.

وقــال: إن جلس كثير من الخلق فى مكان، ونادى شخص: من يعلم أنه سيعيش اليوم حتى الليل فلينهض ، فلم ينهض أحد، والعجب: هو إن قيل للخلق جميعاً: من استعد منكم للموت ذلك الأمر المقدر للجميع فلينهض، فلن ينهض أحد.

وقــال: التقوى فى العمل أشد من العمل. وكثيراً ما يعمل المرء طيباً حتى يكتب فى ديوان العلانية، ثم يفتخر بذلك كثيراً ويظل يردده حتى يكتب فى ديوان الرياء.

وقــال: عندما يطوف الفقير حول الغنى اعلم أنه مراء، وعندما يدور حول السلطان اعلم أنه لص.

وقال: الزاهد من يخرج زهده فى الدنيا إلى حيز الفعل، والمتزهد من كان زهده باللسان.

وقــال: ليس الزهد فى الدنيا لبس المرقعة ولا أكل الشعير، لكنه استغناء القلب عن الدنيا وقصر الأمل.

وقــال: إن اتجهت إلى الله وأنت كثير الذنوب فالذنب الذى يكون بينك وبين الله أسهل من ذنب يكون بينك وبين عبده.

وقــال: هذا هو الزمان الذى تصمت فيه وتنتحى جانباً، زمان السكوت ولزوم البيت.

قال له شخص: أجلس فى زاوية للكسب فما تقول فى ذلك؟ قال: إخش الله فأننى لم أرَ خائفاً قط احتاج إلى الكسب.

وقــال: لا أعرف شيئاً أطيب للانسان من مهرب يهرب إليه ويختبئ فيه فقد كره السلف أن يلبسوا لباس الشهرة قديماً كان أو جديداً بل أنهم وكما ينبغى لا يتحدثون عنها وهذا هو «النهى عن الشهرتين»

وقال: لا أعرف شيئاً قط أسلم لأهل هذا الزمان من النوم

وقــال: أفضل السلاطين من يجالس أهل العلم، ويتعلم منهم العلم، وأسوأ العلماء من يجالس السلاطين.

وقال: أول العبادة الخلوة ثم طلب العلم ثم العمل به ثم نشره.

وقال: لم أتواضع لأحد قط قبل أن أرى له كلمة من الحكمة.

وقال: تمسك بالدنيا من أجل الجسد وبالآخرة من أجل القلب.

وقال: إن كان للذنب كيد، فلم ينج شخص قط من كيده ومن يفضل نفسه على غيره متكبر.

وقال: أعزاء الخلق خمسة: عالم زاهد، وفقيه صوفى، وغنى متواضع، وفقير شاكر،، وشريف سنى.

وقال: من لا يخشع فى صلاته، لا تصلح له صلاة.

وقال: من يتصدق من الحرام ويفعل خيراً يكون كشخص يغسل ثياباً قذرة بالدم أو البول، فتصبح أكثر قذارة.

وقال: الرضا قبول المقدور بالشكر.

وقال: يخمد خلق المرء الحسن غضب الله.

وقال: اليقين هو ألا تتهم الله فيما يحل بك.

وقال: سبحان الله الذى يقبض أرواحنا، ويأخذ أموالنا، ومع هذا نفضله عليهما.

وقال: من أخذه بالمحبة لا يأخذه بالعداء.

وقال: التنفس حرام فى المشاهدة، وحرام فى المكاشفة وحرام فى المعاينة وحلال فى الخطرات.

وقال: إن قال لك شخص: «نعم الرجل أنت» وسرك هذا أكثر من يقال لك «بئس الرجل أنت» فاعلم أنك ما زلت رجلاً سيئاً.

وسئل عن اليقين. فقال: هو فعل فى القلب كلما صحت معرفته ثبت يقينه. واليقين هو أن تعلم أن كل شيء يحل بك هو من الحق، بحيث تكون على نحو يتحقق لك الوعد فيه عياناً بل أكثر من العيان أى يكون حاضراً بل أكثر من هذا.

سئل عن قول الرسول (ﷺ): إن الله يكره أهل دار تؤكل فيه اللحوم بكثرة، فقال: قاله عن أهل الغيبة الذين يأكلون لحوم المسلمين

يروى: أنه قال لحاتم الأصم: أقول لك أربعة أقوال من أربعين:

أولاً: أن ملامة الناس من الجهل بالقضاء والجهل بالقضاء كفر.

ثانياً: حسد أخوة المسلمين من الجهل بالقسمة والجهل بالقسمة من الكفر.

ثالثاً: المال الحرام وشبهة جمعه من الجهل بحساب القيامة والجهل بالحساب من الكفر.

رابعاً: الاطمئنان إلى وعيد الحق واليأس من وعده والجهل بهما كفر..

يروى: أنه عندما كان يسافر أحد تلاميذ سفيان، كان يقول له: إن رأيت الموت فى مكان اشتره لى وعندما اقترب أجله، بكى وقال: رغبت الموت والآن الموت صعب، ليته كان يشبه كل الأسفار التى كانت تستقيم بالعصا والركوة ولكن القدوم على الله شديد، وكلما كان يسمع حديث عن الموت وسطوته كان يفنى عن نفسه عدة أيام وكان يقول لكل من يصادفه: «استعد للموت قبل نزوله» وبقدر ما كان يخاف الموت كان يطلبه وحين كان أصحابه يقولون له: لتطب فى الجنة. كان يهز رأسه قائلاً: ما تقولون لا تصل الجنة إلىّ قط، أو تمنح لشخص مثلى. ثم كان مرضه فى البصرة، وأراد أمير البصرة أن يمنحه ثياباً، فطلبوه، وكان فى الاصطبل وقد أصابه ألم فى معدته لكنه لم يقعد لحظة عن العبادة، وحسبوا فى تلك الليلة ستين مرة كان قد اغتسل فيها، ولم يكد

يتوضأ ويصلى، حتى كانت تعاوده الحاجة، فقيل له: لا تتوضأ ثانية، قال: أريد أن أكون طاهراً حين يدخل عذرائيل لا نجساً فإن النجس لا يستطيع أن يتجه إلى الحضرة[٢٥٧].

قال عبد الله بن المهدى [٢٥٨]: قال سفيان: ضع وجهى على الأرض فإن أجلى قد اقترب، فوضعت وجهه على الأرض.. وخرجت لأخبر الجميع، ولما عدت، كان كل الأصحاب حاضرين فقلت: من أخبركم؟ قالوا: رأينا فى المنام أن احضروا جنازة سفيان [٢٥٩] . دخل الناس، وضاق به الحال فمد يده، وأخرج كيساً به ألف دينار، وقال: تصدقوا، قالوا: سبحان الله، كان سفيان دائماً يقول: إنه لا يحب التمسك بالدنيا، وامتلاك كل هذا الذهب! فقال سفيان: كان هذا حارساً لدينى، واستطعت أن أحافظ به على دينى فلم يتسلط إبليس علىّ بسببه، فإن كان يقول لى: ما تأكل اليوم؟ وما تلبس؟ أقول: ها هو الذهب. وإن كان يقول: إنك لا تملك الكفن أقول: ها هو الذهب، وكنت أدفع وسواسه عنى، مع أننى لم أكن فى حاجة إلى ذلك ثم نطق كلمة الشهادة، وأسلم الروح.

ويقال: كان له مورث فى بخارى، ومات، فحفظ علماء بخارى ذلك المال، وأخبروا سفيان، فاتجه إلى بخارى، فاستقبله أهل بخارى على شاطئ الماء، وحملوه إلى بخارى فى إعزاز تام، وكان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، وأعطوه ذلك الذهب، فكان يحفظه، لأنه لا ينبغى عليه أن يطلب شيئاً من شخص قط حتى أيقن أنه سوف يموت، فتصدق به.

وفى تلك الليلة التى توفى فيها: سمع صوت «مات الورع مات الورع» . ثم رأوه فى المنام، فقالوا: كيف صبرت على وحشة القبر وظلامه؟ فقال: قبرى روضة من رياض الجنة.

رآه آخر فى المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت قدماً على الصراط

والأخرى في الجنة.

ورآه آخر في المنام كان يطير من شجرة إلى شجرة في الجنة، فسأله: بما نلت هذا؟ قال: بالورع.

يروى: أنه بسبب شفقته على خلق الله رأى ذات يوم في السوق طائراً في قفص كان يصيح ويتخبط، فاشتراه، وحرره. فكان الطائر يأتي كل ليلة إلى دار سفيان، وكان سفيان يصلي طوال الليل، وكان ذلك الطير يشاهده، وأحياناً كان يحط عليه. وعندما دفن سفيان كان ذلك الطائر يرفرف على جنازته ويصيح. وكان الخلق ينتحبون، ولما دفن الشيخ كان الطير يضرب بنفسه على الأرض. فصدر صوت من القبر رحم الحق (تعالى) سفيان لشفقته على الخلق.

ومات ذلك الطير أيضاً وأدرك سفيان (رحمة الله عليه).

«ذكر شقيق البلخي[٢٦٠] (رحمة الله عليه)»

هو متوكل الأبرار، والمتصرف في الأسرار، هو ركن المحترم، وقبلة المحتشم هو شجاع أهل الطريق، أبو على شقيق (رحمة الله عليه).

كان فريد زمانه، وشيخ وقته، وله في الزهد والعبادة قدم راسخة، وأمضى عمره كله في التوكل، وكان كاملاً في أنواع العلوم، وله تصانيف كثيرة في فنون العلم، وكان أستاذ حاتم الأصم، وكان قد سلك الطريق على يد إبراهيم بن أدهم[٢٦١] وكان قد صاحب كثيراً من المشايخ. وقال: تتلمذت على يد ألف وسبعمائة أستاذ، وحصلت عدة أحمال بعير من الكتب. وقال: طريق الله في أربعة أشياء: الأول: الأمن في الرزق، والثاني: الإخلاص في العمل، والثالث: عداوة الشيطان، والرابع: الاستعداد للموت.

وكان سبب توبته أنه مضى إلى بلاد الترك في تجارة، وذهب لمشاهدة معبد أصنام، فرأى عابداً للأصنام، كان يعبد صنماً وينتحب. قال له سفيان: لك خالق حي وقادر وعالم، فاعبده، واستح ولا تعبد صنماً، لا يتأتى منه خير قط أو شر فقال عابد الأصنام: لو أنه كما تقول، أليس قادراً على أن يرزقك في بلدك، فلا ينبغي عليك أن تأتى إلى هنا، فتيقظ شقيق لهذا الكلام[٢٦٢].

واتجه إلى بلخ، فقابله مجوسي، قال له: فيما تعمل؟ قال: في التجارة قال: إن سعيت وراء رزق لم يقدر لك لن تدركه إلى يوم القيامة وإذا لم تسع وراء رزق قدر لك فإنه يصل إليك. عندما سمع شقيق هذا الكلام، انتبه، وفترت الدنيا على قلبه ثم اتجه إلى بلخ، فاجتمعت حوله جماعة من الأصحاب، وكان في ريعان شبابه، وكان على بن عيسى بن هامان أميراً لبلخ، وكان يملك كلاب صيد، فقد له واحد منها فقيل له إنه عند جار شقيق، فقبض على ذلك الشخص على أنه قد أخذه، ثم عذب ذلك الجار، فلجأ إلى شقيق، فذهب شقيق إلى الأمير، وقال: سأحضر لك الكلب بعد ثلاثة أيام، فأخلى الأمير سبيله، وبعد ثلاثة أيام كان شخص قد وجد ذلك الكلب، فأخذه، وفكر في أنه ينبغي عليه أن يحمله إلى شقيق، فهو كريم وقد يمنحه شيئاً ومن ثم حمله إلى شقيق، فحمله شقيق إلى الأمير، وتحلل من العهد، وهنا عقد العزم، وإعرض عن الدنيا كلية(٢٦٣).

يــروى: أن قحطاً شديداً حل ببلخ، إلى درجة أنهم كانوا يأكلون بعضهم البعض. رأى شقيق في السوق غلاماً مسروراً ضاحكاً فقال: أيها الغلام، أي مجال للسرور! ألا ترى كيف حال الخلق بسبب الجوع؟ قال: الغلام: أي خوف لي (من ذلك) إنني عبد لشخص لديه قرية خاصة به، ومقدار من الغلال يؤمنني من الجوع. غادر شقيق المكان، وقال: إلهي هكذا سعد هذا الغلام بسيده الذي كان قد خزّن وأنت مالك الملوك، ومقدر الأرزاق، فلماذا نحزن؟ وفي الحال رجع عن الانشغال بالدنيا، وتاب توبة نصوحة، واتجه إلى طريق الحق، ووصل في التوكل إلى حد الكمال، وكان يقول دائماً. أنا تلميذ غلام (٢٦٤).

يـــروى: أن حاتم الأصم قال: ذهبت مع شقيق إلى الغزو، وكان يوماً عصيباً، فقد كانوا يتقاتلون فيه إلى حد أنه كان لا يمكن رؤية سوى رؤوس

الحراب، وكانت السهام تقصف من الهواء، فقال لي شقيق: بما تشعر يا حاتم؟ لعلك تفكر في البارحة التي زفت إليك امرأتك فيها قلت: لا، فقال: بالله أجد نفسي كما لو أنني كنت بالأمس في الليلة التي زفت إليّ فيها امرأتي، ثم أقبل الليل، فنام، وجعل الخرقة وسادة واستغرق في النوم، وهكذا استغرق في النوم وسط الأعداء باعتماده على الله.(٢٦٥)

يــــروى: أن شقيق كان يعقد مجلساً ذات يوم، وذاع في المدينة أن جاء الكفار، فخرج شقيق مسرعاً، وهزم الكفار، وعاد. فوضع مريد عدة وردات على سجادة الشيخ، وكان يتشممها، رأى جاهل ذلك فقال: الجند على باب المدينة، والورد أمام إمام المسلمين يتشممه! فقال الشيخ: يرى المنافق شم الورد، ولا يرى هزيمة الجند قط.

يروى: أنه كان يمضي ذات يوم، فرآه غريب، فقال: يا شقيق، ألا تخجل أن تدعو الخاصة، وتقول مثل هذا الكلام: من يعبده ويؤمن به من أجل الرزق فهو عابد للنعمة فقال شقيق لأصحابه: اكتبوا هذا الكلام الذي يقوله، فقال الغريب: أيكتب رجل مثلك قول رجل مثلي! قال: بلى إننا حين نجد الجوهر، نلتقطه وإن كان ملقى في النجاسة ولا نخاف ، فقال الغريب اشرح الإسلام، فدينك هو التواضع، وقبول الحق، قال: بلى، فقد قال الرسول (عليه السلام) «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبها لو كانت عند الكافر»

يروى: أن شقيق كان يعظ في مجلس في سمرقند، فاتجه إلى القوم وقال: أيها القوم لو أنكم موتى في القبور، أو أطفال في المدارس، أو مجانين في المستشفيات، أو كفار في بلد كافر، أو عبيد، اثأروا للإسلام من أنفسكم، يا عباد المخلوق. فقال شخص لشقيق: يلومك الناس، ويقولون: إنك تأكل الخبز من كدهم، فتعال كي أقتص لك، فقال: إن لم يكن فيك خمسة عيوب، لكنت أفعل

ذلك، الأول: تقل خزائنك، والثاني: يسرقها اللص، والثالث: تندم عليها، والرابع: لا تبتعد إن رأيت عيباً صدر مني، وتثأر مني والخامس: يجوز أن يحين الأجل وأظل دون عدة، لكن لي رب بريء من كل العيوب ومنزه عنها.

يروى: أن شخصاً قدم إليه، وقال: أريد أن أحج، فقال له: مازاد طريقك؟ قال: أربعة أشياء قال: ما هي؟ قال: لا أرى شخصاً قط أقرب إليّ في رزقي عن نفسي، ولا شخصاً قط أبعد عن رزقه سواي، وأرى قضاء الله (تعالى) يأتي إليّ حيثما كنت، كما أعلم في كل حال أكون فيه إن الله أعلم بحالي مني. فقال شقيق: أحسنت باركك الله.

يــــروى: أن شقيق عندما قصد الكعبة، ووصل إلى بغداد، دعاه هارون الرشيد ولما ذهب شقيق إلى هارون، قال هارون: أأنت شقيق الزاهد؟ قال: أنا شقيق، لكني لست زاهداً، فقال هارون: عظني، قال له: احذر فقد أجلسك الحق تعالى مكان الصديق، ويطلب منك الصدق كما طلبه منه، وأجلسك مكان الفاروق، ويريد منك أن تفرق بين الحق والباطل كما أراد منه، وأحلك محل ذي النورين(٢٦٦) ويريد منك الحياء والكرم مثله، وأجلسك مكان المرتضى ويريد منك العلم والعدل مثله. قال: زدني، فقال: لله دار تسمى الجحيم، جعلك حارساً عليها، وأعطاك ثلاثة أشياء المال والسيف والسوط، وقال: احجب الخلق عن الجحيم بهذه الأشياء الثلاثة وكل محتاج يأتي إليك لا تضن عليه بالمال، ومن يخالف أمر الحق أدبه بهذا السوط، ومن يقتل شخصاً، اقتص منه بهذا السيف بالأمر، وإلا تكون قدوة أهل جهنم. قال هارون: زدني، قال: أنت الينبوع والعمال الجداول، فإن كان الينبوع صافياً، فلا يلحقه الضرر من تكدر الجداول وإن كان الينبوع كدراً، فلا أمل قط في صفاء الجداول. قال: زدني، قال: إن أصابك عطش في الصحراء، إلى حد أنك قاربت الهلاك، ووجدت

شربة ماء في تلك اللحظة، بكم تشتريها؟ قال: بكل شيء، قال: وإن لم تبع إلا بنصف ملك، قال: أهبه، قال: وإذا لم تتبول ذلك الماء الذى شربته إلى حد أنك تخشى الهلاك، وقال واحد: أعالجك، على أن آخذ نصف ملكك، ما تفعل؟ قال: أهبه إياه، فقال إذن أى زهو بملك قيمته شربة ماء تشربها وتتبولها، فبكى هارون، وأعاده فى إعزاز تام.

ثم ذهب شقيق إلى مكة، وهناك تجمع الناس حوله، وقال: السعى وراء الرزق هنا جهل، والعمل من أجل الرزق حرام.

وصادفه إبراهيم بن أدهم، فقال له شقيق: يا إبراهيم، ماذا تفعل فى أمر معاشك؟ قال: إن يصلنى شيء أشكر، وإن لا يصلنى أصبر، فقال شقيق: هكذا تفعل كلاب بلخ فعندما يكون هناك شيء يرعونه يهزون ذيولهم، وإن لم يكن، يصبرون، فقال إبراهيم: وكيف تفعل أنت؟ قال: إن وصلنا شيء نؤثره، وإن لم يصلنا نشكره، فنهض إبراهيم، واحتوى رأسه، وقبلها، وقال: «أنت الاستاذ والله». عندما عاد من مكة إلى بغداد، وعظ فى مجلس، وكان أغلب كلامه فى التوكل، وقال أثناء حديثه: نزلت فى البادية وكانت فى جيبى أربع قطع من الفضة، أحفظها، فنهض شاب وقال له: ألم يكن الله تعالى موجوداً عندما كنت تضع تلك العملات الأربع فى جيبك ولم تكن قد اعتمدت عليه فى ذلك الوقت؟! فتغير شقيق، وأقر بذلك، وقال: صدقت، وهبط من فوق المنبر.

يـــروى: أن شيخاً قدم إليه، وقال: ارتكبت ذنوباً كثيرة، وأريد أن أتوب، فقال له: تأخرت، قال الشيخ: بل أسرعت، قال: كيف؟ قال: من جاء قبل الموت، يكون قد أسرع، فقال شقيق: أحسنت المجيء والقول.

وقـال: رأيت فى المنام، أنهم قالوا: من يعتمد على الله، تزيد النية الحسنة رزقه، ويصبح سخياً، ولا يكون له وسواس فى الطاعة.

وقال: من جزع فى مصيبة كأنه قد أخذ حربة يقاتل بها.

وقال: أصل الطاعة الخوف والرجاء والمحبة.

وقال: علامة الخوف ترك المحارم، وعلامة الرجاء دوام الطاعة، وعلامة الشوق المحبة ولزوم الإنابة.

وقال: من لا يحظى بثلاثة أشياء، لا ينجو من الجحيم وهى: الأمن والخوف والإضطرار.(٢٦٧)

وقال: العبد الخائف من خاف مما مضى من الحياة وكيف مضى؟ والخوف لأنه لا يعلم ما سيكون بعد هذا.

وقال: العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها الفرار من الخلق، والجزء الباقى الصمت.

وقال: هلاك الرجل فى ثلاثة أشياء: أن يذنب على أمل التوبة، ولا يتوب على أمل طول الأمد، ويظل عاصياً على أمل الرحمة، ومثل ذلك الشخص لا يتوب أبداً.

وقال: يحيى الحق (تعالى) أهل طاعته عند الموت، ويميت أهل المعصية أثناء الحياة.

وقال: ثلاثة أشياء قرائن للفقراء هى: فراغة القلب، وخفة الحساب، وراحة النفس وثلاثة أشياء ملازمة للأغنياء هى: تعب الجسد، وانشغال القلب، وشدة الحساب.

وقال: ينبغى الاستعداد للموت لأنه عندما يأتى لا يعود.

وقال: إن أحببت من تعطيه شيئاً أكثر ممن يعطيك فإنك محب للآخرة، وإلا فإنك محب للدنيا.(٢٦٨)

وقال: ليس هناك شيء أحب إليّ من الضيف لأن رزقه ومؤنته على الله، وأنا لا شأن لى بينهما، ولى أجره وثوابه.(٢٦٩)

وقال: من وقع فى ضيق بعد النعمة، ولم يكن الضيق أعظم بالنسبة له من النعمة الوفيرة فقد وقع فى غمين عظيمين: غم فى الدنيا، وغم فى الآخرة، ومن وقع فى ضيق وكان أعظم بالنسبة له من النعمة وقع فى سعدين: سعد فى الدنيا وآخر فى الآخرة.(٢٧٠) قالوا: بما يعرف أن العبد واثق بربه ومعتمد عليه؟ قال: عندما يفوته شيئاً من الدنيا، يحسبه غنيمة.

وقـــال: إن أردت أن تعرف رجلاً، انظر أهو أكثر أمناً بوعد الله أم بوعد الخلق(٢٧١).

وقـــال: يمكن معرفة التقوى بثلاثة أشياء: بالإرسال، والمنع والقول. الإرسال هو الدين أى أن ما أرسلته هو الدين، والمنع هو الدنيا أى أن المال الذى يمنح لك لا تأخذه لأنه الدنيا، والقول فى الدين والدنيا، أى أنه يمكن التحدث عن كلا الدارين وقال: الحديث دينى ودنياوى. ومعنى آخر هو: ما أرسلته هو الدين، أى طاعة الأوامر، والمنع هو الدنيا أى تجنب النواهى، والقول هو: الإحاطة بالأمرين، لأنه بالقول يمكن العلم هل المرء فى أمر الدين أم الدنيا؟.

وقـــال: سألت سبعمائة عالم عن خمسة أشياء: من العاقل؟ ومن الغنى؟ ومن الذكى؟ ومن الفقير؟ ومن البخيل؟ فأجاب السبعمائة إجابة واحدة قالوها جميعاً: العاقل من لا يحب الدنيا، والذكى من لا يفتن بها، والغنى من يرضى بقسمة الله، والفقير من لا يطلب الزيادة فى قلبه، والبخيل من يمنع حق مال الله عن الله.

قال حاتم الأصم: طلبت منه وصية بشيء ينفع، فقال: إن أردت وصية عامة فاحفظ السان، ولا تتحدث قط حتى ترى ثواب ذلك القول في ميزانك، وإن أردت وصية خاصة فانظر حتى لا تتحدث لعلك ترى نفسك تحترق إذا لم تتحدث والله أعلم.

ذكر الإمام أبي حنيفة[٢٧٢] (رضي الله عنه)

هو سراج الشرع والملة، وشمع الدين والدولة، هو نعمان الحقائق، ومجمع جواهر المعاني والدقائق، هو العارف العالم الصوفي، إمام العالم أبو حنيفة الكوفي (رضي الله عنه).

كيف يمكن وصف شخص كان قد مدح بكل الألسنة وقبل في كل الملل. ولا نهاية لرياضته ومجاهدته وخلوته ومشاهدته، وله في أصول الطريقة وفروع الشريعة درجة رفيعة ونظرة نافذة، وكان فريداً في الفراسة والسياسة والكياسة، وأعجوبة في المروءة والفتوة، وكان كريم الدنيا وجواد الزمان، وأفضل عهده، وأعلم وقته «وهو كان في الدرجة القصوى والرتبة العليا».

وروى أنس عن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): يوجد رجل في أمتي «يقال له نعمان بن ثابت وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي». ووردت صفة أبي حنيفة في التوراة.

وقال أبو يوسف[٢٧٣]: ظللت تسعة عشر عاماً في خدمته، كان طوال هذه الأعوام يؤدي صلاة الصبح بطهارة صلاة العشاء.

قال مالك بن أنس: هكذا رأيت أبا حنيفة، إن ادعيت أمامه أن هذا الشيء عمود ذهبي كان يستطيع أن يقيم الدليل على ذلك.

قال الشافعى: إن جملة علماء العالم عيال أبى حنيفة فى الفقه.

وقال على بن أبى طالب (رضى الله عنه): سمعت النبى (صلى الله عليه وعلي آله وسلم) يقول: «طوبى لمن رآنى أو رأى من رآنى».

وكان قد أدرك العديد من الصحابة (مثل): عبد الله بن جزء الزبيدى، وأنس بن مالك، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن أبى أوفى، ووائلة بن الأسقع، وعائشة بن عجرد. ومن ثم فهو مقدم لهذه الأسباب التى ذكرناها. وكان قد رأى كثيراً من المشايخ وصاحب الصادق (رضى الله عنه)، وكان أستاذ علم الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافى، وداود الطائى، وعبدالله بن المبارك. وحين وصل إلى حافة روضة سيد المرسلين (صلوات الله عليه)، وقال: «السلام عليك يا سيد المرسلين» جاء الجواب: «وعليك السلام يا إمام المسلمين»، واعتزم العزلة فى أول أمره.

يروى: أن أبا حنيفة اتجه إلى القبلة الحقيقية، وأشاح بوجهه عن الخلق، وارتدى الصوف، حتى رأى فى المنام ذات ليلة: أن عظام النبى (عليه السلام) كانت تدور فى اللحد، وتختار بعضها البعض، فاستيقظ من الهيبة، وسأل واحداً من أصحاب ابن سيرين، فقال له: إنك سوف تحظى بدرجة عظيمة من علم الرسول (ﷺ) وحفظ سنته، بحيث إنك تجتهد فيه (العلم)، وتفصل الصحيح منه عن السقيم.

ورأى النبى (ﷺ) فى المنام مرة أخرى، وقد قال له: يا أبا حنيفة، قد أنيط بك سبب إحياء سنتى، فلا تعتزل. وكان من بركات حيطته أن الخليفة أعد مجلساً ودعا الشعبى[٢٧٤] - الذى كان أستاذ أبى حنيفة - وكان قد أصبح شيخاً - إليه وأحضر علماء بغداد، وأصدر أمراً بأن تكتب ضياعاً باسم كل خادم، بعضها بالإقرار والبعض بالملك والبعض بالوقف. ثم أحضر الخادم ذلك

المكتوب للشعبى الذى كان قاضياً وقال: يأمر أمير المؤمنين بأن تشهد على هذا المكتوب، فوقّع، ووقّع جملة الفقهاء، ثم أحضروها إلى أبى حنيفة، وقالوا: يأمر أمير المؤمنين بأن تشهد، قال: وأين هو؟ قالوا: فى القصر، قال ليأت أمير المؤمنين إلى هنا، أو أذهب إليه، حتى تصح الشهادة، فأغلظ له الخادم (قائلاً): لقد وقع القاضى والفقهاء والشيوخ، وأنت تتمنع فى شبابك، فقال له أبو حنيفة: «لها ما نسبت»[٢٧٥] وصل هذا إلى سمع الخليفة، فأحضر الشعبى، وقال: هل الرؤية شرط فى الشهادة أم لا؟ قال: بلى هى شرط، قال: فمتى رأيتنى إذن حتى تكتب الشهادة؟

قال الشعبى: علمت بمعرفتك، لكنى لا أستطيع أن أطلب مشاهدتك، قال الخليفة: هذا القول بعيد عن الحقيقة، وهذا الشاب أولى بالقضاء. وبعد ذلك فكر المنصور ـ وكان الخليفة آنذاك ـ أن يمنح القضاء إلى شخص، وتشاور على واحد من أربعة أشخاص كانوا فحول العلماء وتم الاتفاق على أن الأول هو: أبو حنيفة والثانى: سفيان، والثالث شريك[٢٧٦] والرابع: مسعر بن كدام[٢٧٧] فاستدعى الأربعة، وقال لهم أبو حنيفة فى الطريق الذى سلكوه: أفكر لكل منكم، قالوا: لعلك تصيب!

قال: سأدفع القضاء عن نفسى بالحيلة، ويفر سفيان، ويدعى مسعر الجنون، ويصبح شريك القاضى، ومن ثم هرب سفيان فى الطريق، واختفى فى سفينة، وقال: خبئونى إنهم سوف يقطعون رأسى، تأويلاً لذلك الخبر الذى ذكره الرسول (ﷺ): «من جُعل قاضى، فقد ذبح بغير سكين»، ثم أخفاه الملاح. وذهب هؤلاء الثلاثة إلى المنصور، وفى البداية، قال لأبى حنيفة: يجب أن تتولى القضاء، فقال: أيها الأمير، إننى لست من العرب، ولن يرضى سادات العرب بحكمى، وقال جعفر: هذا الأمر لا يتعلق بالنسب ويلزمه العلم، فقال

أبوحنيفة: إننى لا أليق بهذا العمل، ولا أستحقه لما سبق أن ذكرته فإن صدقت فأنا لا أليق به، وإن كذبت، فلا يليق الكاذب بقضاء المسلمين، وأنت خليفة الله لا تجيز أن تجعل خليفتك كاذباً، وتعتمد عليه فى دماء المسلمين وأموالهم قال هذا ونجا. ثم ذهب مسعر إلى الخليفة، وأمسك بيده، وقال: كيف حالك؟ وكيف حال الحريم؟ وكيف حال الأبناء؟ فقال المنصور: اخرجوه، إنه مجنون. ثم قال لشريك: يجب أن تتولى القضاء؟ فقال: إننى مختل، وضعيف العقل، قال المنصور: عالج نفسك، حتى يكمل عقلك، ثم ولوا شريك القضاء، فهجره أبو حنيفة، ولم يتحدث معه ثانية.

يروى: أن مجموعة من الأطفال كانوا يلعبون الكرة، فوقعت كرتهم وسط جمع أبى حنيفة فلم يذهب أى طفل ليخرجها، فقال طفل: أذهب أنا، وأحضرها، ثم دخل بجرأة وأخرجها. قال أبو حنيفة: هذا الطفل ليس ابن حلال، بحثوا الأمر، فكان كذلك.

قالوا يا إمام المسلمين، بما عرفت؟ قال: إن كان ابن حلال، لمنعه الحياء.

يروى: أن مالاً كان له عند شخص، وتوفى فى محلة ذلك الشخص تلميذ من تلاميذ الإمام، فذهب الإمام للصلاة عليه، وكان القيظ شديداً، ولم يكن هناك ظل قط إلا حائطاً يملكه ذلك الرجل، الذى ينبغى عليه أن يرد المال للإمام. قال الناس: اجلس برهة فى هذا الظل، فقال: لى مال عند صاحب هذا الحائط، ولا يجوز أن أتمتع بحائطه لأن الرسول (ﷺ) قال: «كل قرض جر منفعة فهو ربا».

يروى: أن أبا حنيفة سجن ذات مرة، فجاءه واحد من الظلمة وقال: إبر لى القلم قال: لا أبرى ومهما قال: لم يجد قوله، فقال: لماذا لا تبريه؟ قال: أخشى أن أكون من أولئك القوم الذين قال عنهم الحق (تعالى): ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾(٢٧٨).

وكان يصلى ثلاثمائة ركعة كل ليلة، وذات يوم كان يمضى، فقالت امرأة لامرأة: هذا الرجل يصلى كل ليلة خمسمائة ركعة، سمع الإمام ذلك، فعقد النية على أن يصلى بعد ذلك خمسمائة ركعة فى كل ليلة، حتى يصدق ظنهم. وكان يمضى فى يوم آخر، فقال الأطفال لبعضهم البعض: هذا الرجل الذى يسير يصلى كل ليلة ألف ركعة، قال أبو حنيفة: فنويت أن أصلى ألف ركعة. وذات يوم قال تلميذ للإمام: يقول الناس: إن أبا حنيفة لا ينام الليل، فقال: نويت ألا أنام الليل ثانية، قال: لماذا؟ قال: يقول الحق (تعالى): «ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا»(٢٧٩) الآن لا أضع جانبى على الأرض حتى لا أكون من أولئك القوم، وبعد ذلك كان يؤدى صلاة الصبح بطهارة صلاة العشاء طيلة ثلاثين عاماً.

يروى: أن ركبته كانت قد شابهت ركبة الجمل من كثرة السجود.

يروى: أن أبا حنيفة كان قد تواضع لغنى لإيمانه، وقال: قد ختمت (القرآن) ألف مرة كفارة لذلك. وقالوا: أحياناً كان يختم (القرآن) أربعين مرة حتى تنكشف له مسألة صعبة.

يروى: أن محمد بن الحسن(٢٨٠) (رحمة الله عليه) كان جميلاً جداً، رآه ذات مرة ولم يره مرة أخرى بعد ذلك، وعندما كان يلقى الدرس عليه، كان يجلسه خلف عمود خشية أن تقع عينه عليه.

يروى: أن داود الطائى(٢٨١) قال: ظللت عشرين عاماً عند الإمام أبى حنيفة، ولم أره طوال هذه المدة جلس عارى الرأس فى الخلاء أو فى الملأ، ولم يمد قدمه للراحة، فقلت له: يا إمام الدين، ما يحدث إن مددت قدمك فى الخلوة؟ قال: أدب السماع أولى لله فى الخلوة.

يروى: أن أبا حنيفة كان يمضى ذات يوم، فرأى طفلاً كان قد وقع فى الوحل فقال له: احذر لا تقع، فقال الطفل: إن وقوعى سهل فإن وقعت وقعت بمفردى، لكن احذر أنت فلو زلت قدمك،زلف كل المسلمين الذين يتبعونك، ويصعب نهوضهم فتعجب الإمام من حذاقة هذا الطفل، وبكى فى الحال، وقال لأصحابه: احذروا. إن ظهر لكم شىء فى مسألة، كان الدليل فيها أكثر وضوحاً أن تتبعونى فى ذلك. وهذا دليل كمال الانصاف. ولا جرم أن أبا يوسف ومحمد[٢٨٢] (رحمهما الله) لهما أقوال كثيرة فى مسائل مختلفة، ومع هذا قالوا: هكذا استقام سهم اجتهاده على هدف الجنان بحيث لم يمل، وكان اجتهاد الآخرين غباراً حول الهدف.

يروى: أن رجلاً كان موسراً، وكان يكره أمير المؤمنين عثمان (رضى الله عنه) إلى حد أنه كان يسميه (اليهودى). وصل هذا الكلام إلى أبى حنيفة، فدعاه وقال: سأزوج ابنتك إلى فلان اليهودى، فقال: أنت إمام المسلمين، أتجيز أن تزوج ابنة مسلم ليهودى! وأنا لن أزوجها له قط. فقال أبو حنيفة: سبحان الله، لأنك لا تجيز زواج ابنتك ليهودى فكيف يجوز أن يزوج محمد (رسول الله) ابنتيه ليهودى، علم ذلك الرجل فى الحال فحوى الكلام، ورجع عن اعتقاده، وتاب ببركات الإمام أبى حنيفة.

يروى: أن أبا حنيفة كان ذات يوم فى حمام، فرأى واحداً دون إزار، قال البعض: إنه فاسق، وقال البعض: إنه دهرى، فاغمض أبو حنيفة عينيه، قال ذلك الرجل: أيها الإمام، متى سلبت نور العين؟ قال: حين رفعوا الستر عنك.

وقال: عندما تناظر قدرياً قل له قولين: إما أن يكفر أو يرتد عن مذهبه، لأن الله أراد أن يستقيم علمه فيهما، ويتساوى معلومه مع علمه. إن قال لا كان كافراً، لأنه عندما يقول: لم يرد أن يستقيم علمه ويتساوى العلم بالمعلوم، يكون هذا كفراً، وإن قال: أراد فقد سلم وضاق بمذهبه.

وقـال: إننى لا أصلح (حال) البخيل، ولا أسمع شهادته فإن البخل يمنعه أن يستقصى، وهو يأخذ زيادة عن حقه.

يـروى: أنهم كانوا يشيدون مسجداً، وطلبوا شيئاً من أبى حنيفة على سبيل التبرك، فثقل ذلك على الإمام، قال الناس: غرضنا التبرك بما سيعطيه لنا، فأعطاهم كيس ذهب وهو مستاء جداً، قال التلاميذ: أيها الإمام، إنك كريم وعالم ولا مثيل لك فى السخاء، فلما ثقل عليك منح هذا القدر من الذهب؟ قال: لا بسـبب المال، ولكنى أعلم يقـيناً أن المال الحـلال لا ينفق قط على الماء والطين، واعلم أن مالى حلال، وعندما طلبوا منى شيئاً كرهت أن تظهر شبهة فى مالى الحلال، ولهذا السبب كنت أتأذى جداً ولما انقضت عدة أيام، أعادوا إليه ذلك الكيس، وقالوا: إنه مبلغ تافه، ففرح الإمام فرحاً عظيماً.

يـروى: أن أبا حنيفة كان يمضى فى السوق، فتطايرت نقطة طين على ردائه، فذهب إلى شاطئ دجلة، وكان يغسلها، قالوا له: أيها الإمام، انك تسمح بمقدار معين من النجاسة على الرداء، وتغسل هذا القدر من الطين! قال: بلى، فتلك فتوى وهذه تقوى كما لم يسمح الرسول (عليه السلام) لبلال أن يدخر نصف رغيف، ووضع للنساء قوت عام.

ويقـال: عندما صار داود الطائى قدوة قال لأبى حنيفة: ما أفعل الآن؟. قال: عليك باتباع العلم لأن كل علم لا تعمل به يكون كجسد بلا روح.

ويقال: رأى خليفة العهد فى المنام، وقد سأل ملك الموت، كم بقى من عمرى؟ فرفع ملك الموت خمسة أصابع، وأشار بها، فسأل أشخاص كثيرين عن تفسير هذا المنام ولم يفسره له أحد فسأل أبا حنيفة فقال: إن إشارة الخمسة أصابع هى إشارة لخمسة علوم، أى أن تلك العلوم الخمسة لا يعرفها شخص، وهذه العلوم الخمسة فى هذه الآية: يقول الحق (تعالى): ﴿إن الله عنده علم

الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾(٢٨٣).

يقول الشيخ أبو علي بن عثمان الجلابى(٢٨٤): كنت فى الشام، وكنت قد نمت على حافة قبر بلال المؤذن (رضى الله عنه)، رأيت نفسى فى مكة فى المنام، وكان الرسول (ﷺ) يدخل من باب بنى شيبة، ويحتضن شيخاً، مثلما تحتضن الأطفال بشفقة تامة، فأسرعت إليه، وقبلت قدميه، وظللت فى عجب! من هذا الشيخ! فاطلع النبى بحكم معجزته على باطنى، وقال: هذا إمام أهل ديارك أبو حنيفة (رحمة الله عليه).

يروى: أن نوفل بن حيان قال: عندما توفى أبو حنيفة، رأيت القيامة فى المنام، وكان كل الخلق قد وقفوا فى ساحة القيامة، ورأيت الرسول(عليه السلام) واقفاً على حافة حوض، ورأيت المشايخ واقفين على جانبيه يميناً ويساراً، ورأيت شيخاً حسن الوجه، أبيض الشعر والوجه، وجهه مواجه لوجه النبى، ورأيت الإمام أبا حنيفة واقفاً أمام النبى، فسلمت وقلت: اعطنى ماء، قال: أيسمح الرسول؟ فأمر الرسول (قائلاً): امنحه ماء، فأعطانى كأساً من الماء وشربت أنا والأصحاب من تلك الكأس فلم ينقص قط فقلت لأبى حنيفة: من ذلك الشيخ الذى على يمين الرسول؟ قال: إبراهيم الخليل وأبوبكر الصديق على يساره، وهكذا سألته، وكنت أمسك العقد بإصبعى حتى سألته عن سبعة عشر شخصاً. وعندما استيقظت، كنت قد أخذت سبعة عشر عقداً.

قال يحيى بن معاذ الرازى: رأيت الرسول (عليه السلام) فى المنام، فقلت: «أين أطلبك» قال: عند علم أبى حنيفة.

إن مناقبه كثيرة ومحامده وفيرة وليست خافية. وختمنا بهذا.

ذكر الإمام الشافعى[٢٨٥] (رضى الله عنه)

هو سلطان الشريعة والطريقة، وبرهان المحبة والحقيقة، هو مفتى الأسرار الإلهية ومهدى الأطوار اللامتناهية، هو وارث النبى وابن عمه، وتد العالم الشافعى المطلبى (رضى الله عنه).

ليست هناك حاجة لشرح أحواله، فالعالم كله مملوء بشروحه وفضائله ومناقبه وشمائله كثيرة، وهذا هو وصفه التام: إنه شعبة الدوحة النبوية، وفاكهة الشجرة المصطفوية. كان فريداً فى الفراسة والسياسة والكياسة، وأعجوبة فى المروءة والفتوة، وكان كريم الدنيا وجواد الزمان، وكان أفضل عهده وأعلم وقته، وكان حجة الأيمة من قريش، ومقدم «قدموا آل قريش». ورياضاته وكراماته من الكثرة بحيث لا يمكن أن يحتويها هذا الكتاب.

قال فى الحرم - وهو فى الثالثة عشرة من عمره - «سلونى ما شئتم»، وكان يفتى وهو فى الخامسة عشرة من عمره.

تتلمذ على يدى أحمد بن حنبل - الذى كان إمام الدنيا والذى حفظ ثلاثمائة ألف حديث، وعرى رأسه من الغاشية فاعترض عليه قوم (قائلين): أيجلس رجل بهذه المكانة أمام (شاب) فى الخامسة والعشرين، ويترك صحبة المشايخ والأساتذة الأجلاء؟!

فقال أحمد: كل ما نذكره، يعرف معناه، ولو أنه لم يكن قد قابلنا، لطلبناه، لأنه قد فهم ما فهم من الحقائق والأخبار والآيات، ولم نعرف نحن أكثر من الأحاديث، لكنه كالشمس للدنيا والعافية للخلق!!

وقال أحمد أيضاً: كان باب الفقه قد أغلق أمام الخلق، ففتح الحق (تعالى) ذلك الباب بسببه.

وقال أيضاً: لا أعرف شخصاً أكثر منّة على الإسلام فى عهد الشافعى إلا الشافعى.

وقال أحمد أيضاً: الشافعى فليسوف فى أربعة علوم: فى اللغة، واختلاف الناس وعلم الفقه، وعلم المعانى.

وقال أيضاً: فى معنى هذا الحديث الذى قاله المصطفى (عليه السلام) يبعث على رأس كل مائة عام رجل يعلم الخلق دينى، وذلك الرجل هو الشافعى(٢٨٦).

وقال الثورى(٢٨٧): إن وزن عقل الشافعى أمام عقل نصف الخلق، لكان عقله الأرجح.

ويقول بلال الخواص: سألت الخضر: ما تقول فى حق الشافعى؟ قال: هو من الأوتاد.

وفى بداية أمره لم يكن يذهب إلى عرس أو دعوة قط، وكان دائماً باكياً محترقاً، وخلعت عليه خلعة من بلغ من العمر ألف عام وهو ما زال طفلاً.

ثم التقى بسليم(٢٨٨) الراعى، وظل فى صحبته مدة طويلة، حتى سبق الجميع فى التصرف، إلى حد أن عبدالله الأنصارى يقول: إننى لا أعتنق مذهبه،(لكنى) أحب الإمام الشافعى لأنى أراه أمامى فى كل مقام أنظر إليه.

يقول الشافعي: رأيت الرسول (ﷺ) في المنام، قال لي: من أنت يا ولدي؟ قلت: واحد من صحابتك يا رسول الله، فقال: اقترب، اقتربت فأخذ بصاقه كي يضعه في فمي، ففتحت فمي، بحيث وصل إلى شفتي وفمي ولساني، ثم قال: اذهب الآن عاونك الله وفي نفس الوقت، رأيت علياً المرتضى في المنام، وقد أخرج خاتمه، ووضعه في إصبعي، كي يسرى إليّ علم علي وعلم النبي.

لما بلغ الشافعي الستة أعوام، وكان يذهب إلى المدرسة، وكانت أمه زاهدة من بني هاشم، وكان الناس يعهدون إليها بأماناتهم، ذات يوم جاء شخصان، وعهدا إليها بحقيبة، بعد ذلك جاء أحدهما، وطلب الحقيبة، فمنحتها إليه بنية حسنة وبعد ذلك بفترة وجيزة جاء الآخر، وطلب الحقيبة، فقالت: أعطيتها لصاحبك، قال: ألم نتفق بألا ترديها طالما لا نحضر نحن الاثنان، قالت بلى،.... قال لماذا أعطيتيها له إذن، ضاقت أم الشافعي ودخل الشافعي،.... وقال: لماذا ضقت يا أماه؟ فقصت الحال، قال الشافعي: لا مجال للخوف قط، أين المدعي حتى أجيبه؟ قال المدعي: هأنا ذا، قال الشافعي: حقيبتك في مكانها اذهب وهات صاحبك، وخذها فتعجب ذلك الرجل واندهش وكيل القاضي - الذي كان قد أحضره - من كلامه، ومضيا.

بعد ذلك تتلمذ على يد مالك، وكان مالك يبلغ نيفاً وسبعين من عمره، وجلس على باب دار مالك، وكل فتوى كان يفتيها كان ينظر فيها، ويقول للمستفتي عد، وقل له احتط أكثر من هذا، وعندما كان يرى أن الحق عند الشافعي كان يزهو به، وكان هارون الرشيد هو الخليفة في ذلك الوقت.

يروى: أن هارون تناظر مع زبيدة ذات ليلة، فقالت زبيدة لهارون: يا من أنت من أهل جهنم، قال هارون: لو أنني من أهل جهنم فأنت طالق، وانفصلا عن بعضهما البعض، وكان هارون يحب زبيدة حباً عظيماً، فتضجر، وأمر

منادياً، فأحضر علماء بغداد واستفتاهم فى هذه المسألة، فلم يجب شخص قط، وقالوا: يعلم الله (إن كان) هارون من أهل جهنم أو من أهل الجنة. فنهض طفل من وسط الجمع وقال: أجيب أنا، فتعجب الخلق، وقالوا: لعله مجنون أى مجال له فى حديث عجز فيه عدة من فحول العلماء؟!.

دعاه هارون، وقال: أجب، قال: أأنت محتاج لى أم أنا محتاج لك؟ قال: أنا محتاج لك، فقال الشافعى: فانزل من فوق العرش إذن، إن مكانة العلماء سامية فأجلسه الخليفة على العرش، ثم قال الشافعى: أجب أنت أولاً على سؤالى وعندئذ أجيب على سؤالك، قال هارون: وما السؤال؟ قال: أقدرت على معصية وامتنعت عنها خوفاً من الله؟ قال: بلى، هكذا (الحال) والله.

قال: حكمت أنك من أهل الجنة. فصاح العلماء بأى دليل وحجة؟ قال: بالقرآن حيث يقول الحق (تعالى): ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾(٢٨٩) فصاح الجميع، وقالوا: هكذا يكون فى طفولته فكيف يكون فى الشباب.

يروى: أن الشافعى ذات مرة قام وجلس عشر مرات أثناء درس، قالوا: ما الأمر؟ قال: إن ابن العلوى يلعب على الباب، وكل مرة يأتى فيها أمامى، أنهض مراعاة لحرمته فلا يجوز أن يظهر ابن الرسول، ولا تنهض.

يروى: أن شخصاً أرسل مالاً ذات مرة، كى ينفق على مجاورى مكة، وكان الشافعى هناك، فحملوا إليه بعضاً من المال، قال: ما قال صاحب المال؟ قالوا: قد أوصى بأن يعطى هذا المال للفقراء الأتقياء، فقال الشافعى: لا يجوز لى أن آخذ هذا المال فإننى لست تقياً ولم يأخذ.

يروى: أن الشافعى قدم من صنعاء إلى مكة ذات مرة ومعه عشرة آلاف دينار، فقالوا له: لابد أن تشترى ضياعاً وأغناماً، فنصب خيمة خارج مكة،

وألقى بذلك الذهب، وكل من كان يأتي إليه كان يعطيه قبضة منه فلم يبق شيء قط عند صلاة الظهر.(٢٩٠).

يروى: أن مالاً وفيراً كان يرسل لهارون الرشيد من بلاد الروم كل عام، وذات عام أرسل الروم عدة رهبان ليتناقشوا مع العلماء، فإن عرفوا (ما وجه إليهم) نعطيهم المال وإلا لا تطلبوا منا مالاً مرة أخرى وجاء أربعمائة رجل من الرهبان، فأمر الخليفة، فنادوا وحضر جملة علماء بغداد على شاطئ (نهر) دجلة، ثم طلب هارون الشافعي، وقال: ينبغي عليك أن تجيب عليهم، وعندما حضر الجميع على شاطئ دجلة، ألقى الشافعي بسجادة على كتفه، ومضى، وألقى بها على وجه الماء. وقال: من يتناقش معنا يأتي إلى هنا، عندما رأى الرهبان ذلك أسلموا جميعاً، ووصل الخبر إلى قيصر الروم أنهم أسلموا على يد الشافعي، فقال القيصر: الحمد لله، إن ذلك الرجل لم يأت إلى هنا، لو كان قد جاء إلى هنا لما بقي في بلاد الروم كلها زناري.

يروى: أن جماعة قالوا لهارون: إن الشافعي لا يحفظ القرآن، وكان كذلك، لكن حافظته كانت قوية إلى درجة أن هارون أراد أن يمتحنه، فأمره بالإمامة طوال شهر رمضان فكان يطالع كل يوم جزءاً من القرآن، ويقرأه كل ليلة، حتى حفظ القرآن كله في شهر رمضان.

وكانت في عهده امرأة منافقة، أراد أن يراها، فعقد قرانه عليها بمائة دينار ورآها ثم طلقها.

طبقاً لمذهب أحمد بن حنبل: من يترك صلاة متعمداً، يصير كافراً، وفي مذهب الشافعي: لا يجوز أن يعذب لأن الكفار لا يصلون، قال الشافعي لأحمد: عندما يترك شخص الصلاة ويكفر فماذا يفعل حتى يسلم؟ قال: يصلي، فقال الشافعي لأحمد: وكيف تصح صلاة كافر؟ فسكت أحمد. وهناك كثير من هذا

الكلام الذى هو أسرار الفقه، وكثير من الأسئلة والأجوبة. لكن هذا الكتاب ليس مجالا لها.

قال: إن رأيت عالماً ينشغل بالرخص والتأويلات فاعلم أن شيئاً لن يتأتى منه.

وقال: أنا عبد شخص علمنى حرفاً من آداب التعليم.

وقال: من يتعلم العلم من جهلة، يضيع حق العلم، ومن يمنع العلم عن شخص جدير به فقد ظلمه.

وقال: إن بيعت الدنيا لى برغيف خبز، لا أبتاعها.

وقال: من كان همه شيئاً يضعه فى بطنه، فهو يساوى ما يخرج منها.

وقال له شخص ذات مرة: عظنى، فقال: اغتبط غبطة الأحياء على الأموات، أى لا تقل قط وأسفاه، إننى لم أجمع قدراً من الفضة كما جمع، وتركها متحسراً، بل اغتبط قائلاً أطيع الله قدر ما أطاع، فلا يحسد شخص قط ميتاً، وينبغى على الحى ألا يحسد شخصاً حياً لأنه سرعان ما يموت أيضاً.

يروى: أن وقت الشافعى ضاع ذات يوم، فطاف كل المقامات ومر على الخرابات، ومضى إلى المسجد والمدرسة والسوق، فلم يجده، ومر على خانقاه، فرأى مجموعة من الصوفية كانوا قد جلسوا، وقال أحدهم: أعزوا الوقت فإن الوقت يقدم، فاتجه الشافعى إلى الخادم وقال: ها أنا وجدت الوقت بسماعى ما يقولونه.

يذكر الشيخ أبو سعيد (رحمة الله عليه) أن الشافعى قال: لم يصل علم العالم كله إلى علمى، ولم يصل علمى إلى علم الصوفية، ولم يصل علمهم إلى علم كلمة لشيخهم الذى قال: «الوقت سيف قاطع».

وقال ربيع: رأيت فى المنام قبل وفاة الشافعى أن آدم عليه السلام كان قد توفى، وكان الخلق يريدون الخروج لجنازته، ولما استيقظت، سألت عن تفسيره، فقال شخص: سيموت أعلم رجل فى الزمان لأن العلم خاصية آدم «وعلم آدم الأسماء كلها»[291] ثم توفى الشافعى فى تلك الأثناء.

يروى: أن الشافعى أوصى عند وفاته أن قولوا لفلان أن يغسلنى، وكان ذلك الشخص فى مصر، ولما عاد، قالوا له: هكذا أوصى الشافعى أن قولوا لفلان أن يغسلنى، قال: احضروا الوصية فأحضروها لذلك الشخص الذى كان الشافعى قد أوصاه بعد ذلك نظر الرجل فى الوصية، وكان قد كتب فيها علىّ دين بألف درهم، فأدى ذلك الرجل دينه وقال: هذا غسله.

وقال: ربيع بن سليمان[292]: رأيت الشافعى فى المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال أجلسنى على كرسى من ذهب، ونثر اللؤلؤ علىّ، ومنحنى ما يساوى الدنيا سبعمائة ألف مرة (رحمة الله عليه)[293].

ذكر الإمام أحمد بن حنبل[٢٩٤] (قدس الله روحه)

هو إمام الدين والسنة، ومقتدى المذهب والملة، هو دنيا الدراية والعمل، ومكان الكفاية بلا بدل، هو متبع زمانه، وصاحب الورع الفريد، هو سنى الآخرة والأولى، الإمام الحق أحمد بن حنبل(رضى الله عنه).

كان شيخ السنة والجماعة، وإمام الدين والدولة، وليس لشخص قط (مكانته) فى علم الأحاديث، وله فى الورع والتقوى والرياضة والكرامة شأن عظيم، وكان صاحب فراسة، ومستجاب الدعوة، وقد بوركت جملة فرقه بغاية الإنصاف، وأطلق عليه المقدس والمبرأ إلى حد أن ابنه كان ذات يوم يشرح معنى هذا الحديث: «خمّر طينة آدم بيده[٢٩٥]»، وكان قد أخرج يده من تلابيبه فى شرحه لهذا المعنى، فقال أحمد: عندما تقول: «يد الله» لا تشر إلى يدك.

وكان قد أدرك كثيراً من المشايخ الكبار مثل ذى النون وبشر الحافى وسرى السقطى ومعروف الكوفى وأمثالهم.

وقال بشر الحافي: لأحمد ثلاث خصال ليست لى منها طلب الحلال لنفسه ولعياله، وأنا أطلبه لنفسى.

ثم قال سرى السقطى: كان أحمد ممتحناً فى جميع الأحوال، فى حال حياته بطعن المعتزلة، وفى حال مماته باتهامات المشبهة وهو برىء من كل هذا(٢٩٦).

يروى: أنه عندما غلب المعتزلة فى بغداد، قالوا: يجب أن يكلف بأن يقول أن القرآن مخلوق ومن ثم حملوه إلى قصر الخليفة وكان هناك حارس باب القصر، قال: أيها الإمام إحذر حتى تكون رجلاً لأنى سرقت ذات مرة، فضربت ألف مقرعة، ولم أقر حتى تحررت فى النهاية، وهكذا صبرت وأنا على باطل، والأولى أن تصبر أنت على الحق

قال أحمد: كان قوله ذلك عوناً لى، ثم حملوه، وكان شيخاً وضعيفاً، وشدوه على عقابين، وضربوه ألف سوط (وهم يقولون): قل إن القرآن مخلوق! فلم يقل. وفى أثناء ذلك حل رباط إزاره، وكانت يداه مغلولتين، فظهرت يدان من الغيب، وعقدتا الإزار، فلما رأوا هذا البرهان، حرروه، ومات فى تلك الأثناء.(٢٩٧) وفى أواخر عهده جاء إليه قوم وقالوا له: ما تقول فى هؤلاء القوم الذين عذبوك؟ قال: إنهم كانوا يضربوننى من أجل الله، ظانين أننى على باطل، فلن اختصمهم يوم القيامة لمجرد جرح سوط(٢٩٨).

يروى: أن شاباً كانت له أم مريضة، ومرّ عليها زمن، فقالت له يوماً: يا بنى، إن أردت رضائى، اذهب إلى الإمام أحمد، وقل له يدعو لى، لعل الحق (تعالى) يهبنى الصحة، فقد أنهكنى المرض، فدخل الشاب دار الإمام أحمد، ونادى، فقيل: من؟قال :صاحب حاجة، وقص الحال (قائلاً): لى أم مريضة، وتطلب منك الدعاء فكره الإمام ذلك كرهاً عظيماً (وقال لا): لماذا تعرفنى؟ ثم نهض، واغتسل، وانشغل بالصلاة، قال خادم الإمام: عد أيها الشاب، فإلا مام مشغول بأمرك، فعاد الشاب، ولما وصل إلى الدار نهضت أمه، وفتحت الباب وصحت كل الصحة بأمر الله (تعالى)(٢٩٩).

يـــروى: أن أحمد كان يتوضأ على حافة ماء، وكان شخص آخر يتوضأ أمامه، فنهض حرمة للإمام، وجاء خلفه، وتوضأ وعندما توفى ذلك الرجل، رأووه فى المنام، فقـالوا: مـا فـعل الله بك؟ قـال: رحـمنى بتلك الحـرمـة التى راعيتها للإمام فى الوضوء.

يـــروى: أن أحمد قال: نزلت بالبادية بمفردى، فضللت الطريق، ورأيت أعـرابياً قد جلس فى زاوية حـديثاً، فقلت: أذهب واسأله عن الطريق، فـذهبت وسألته فقال لى: إننى جوعان، كانت لدى قطعة خبز، كنت قد أعطيتـها له، فـقـال متـضـجـراً: يا أحـمـد، من أنت حـتـى تذهب إلى بيت الله؟! ولا ترضى برزقك من الله تعالى، لا جرم أنك تضل الطريق، قال أحمد: استبدت بى نار الغـيـرة، فـقلت: يا إلهـى، ألك فى الزوايا كل هذه العبـاد المسـتـتـرة! قال ذلك الرجل: فيم تفكر يا أحمد؟ فيم تفكر؟ إن له عباداً إن أقسموا على الله (تعالى) تتـحـول الأرض والجبال بأسـرها ذهباً من أجلهم، فـقال أحـمد: نظرت، فكانت الأرض والجبال كلها أصبحت ذهباً، ففنيت عن نفسى، وهتف لى هاتف: لماذا لا تحـفظ قلبك يا أحـمـد؟ فـهـو عـبـد لنا إن أراد ضـربنا السمـاء على الأرض والأرض على السماء من أجله، ونظهره لك، لكنك لن تراه ثانية.

يروى: أن أحمد كان يقيم فى بغداد، لكنه لم يكن يأكل خبزاً فى بغداد قط، وكان يقول: قد أوقف أمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) هذه الأرض على الغزاة، وكان يرسل الذهب للموصل، حتى يجلبون له بـه الدقيق، وكان يأكل منه الخبز.

عمل ابنه صالح بن أحمد قاضياً فى إصفهان لمدة عام، وكان صائم النهار وقائم الليل ولم يكن ينام فى الليل أكثر من ساعتين، وكـان قد بنى داراً بلا باب بجـوار داره، كان يـجلس فيـه فى الليل، لأنه لا ينبـغى أن يكون لأحـد مـشكلة ويجد باب مثل هذا القاضى مغلقاً.

وذات يوم كانوا يعدون الخبز للإمام أحمد، فأخذوا عجين صالح، ولما أحضروا الخبز أمام أحمد قال: ما هذا الخبز؟ قالوا: العجين الأساسي ملك صالح، قال: قد عمل قاضياً لإصفهان لمدة عام فلا يجوز (خبزه) لنا، قالوا: وما نفعل به إذن؟ قال: اتركوه وعندما يأتي سائل قولوا له: إنه خبز صالح، خذه إن شئت، وظل في الدار أربعين يوماً، ولم يأت سائل ليأخذه، فتعفن ذلك الخبز، وألقوا به في دجلة، قال أحمد: ماذا فعلتم بذلك الخبز؟ قالوا ألقينا به في دجلة، فلم يأكل أحمد بعد ذلك سمكاً من دجلة قط(٣٠٠)، ووصل في التقوى إلى حد أنه قال: لا يجوز الجلوس في جمع لأعضائه جميعاً مراود من فضة.

يروى: أن أحمد كان قد ذهب ذات مرة إلى سفيان بن عينيه في مكة، ليتقصى الأخبار ولم يذهب يوماً، فأرسل شخصاً ليعرف لماذا لم يأت؟ ولما ذهب، كان أحمد قد أعطى ثوبه للغسال، وجلس عارياً، ولم يستطع، فعاد الرجل إليه وقال: أمنحك عدة دنانير تنفقها على نفسك قال: لا،، قال: أعيرك ثيابي، قال: لا، قال: لن أعود ما لم أدبرلك أمرك، فقال له: اكتب لك كتاباً وبأجره اشترى كرباساً، قال: أشتريها كتان، قال: لا اشترى ثوباً طوله عشرة أجازير،(٣٠١) أجعل خمسة منها قميصاً وخمسة إزاراً(٣٠٢).

يروى: أن تلميذاً لأحمد حل ضيفاً عليه، وفي تلك الليلة حمل إليه قدحاً من الماء، وفي الصباح كان القدح مملوءاً كما كان، فقال أحمد: لماذا (ظل) قدح الماء مملوءاً هكذا؟ قال طالب العلم: ماذا كنت أفعل؟ قال: الطهارة وصلاة الليل وإلا لم تتعلم هذا العلم(٣٠٣)؟.

يروى: أن أجيراً كان لأحمد، وفي صلاة المغرب قال لتلميذ من تلاميذه أن يعطيه شيئاً زيادة على أجره، فلم يأخذها الأجير. وعندما مضى، أمر الإمام

أحمد (تلميذه قائلاً) تعقبه كى يأخذها، فقال التلميذ: كيف؟ قال حين لا يرى فى باطنه طمعاً فيها، عندما يمر بهذه اللحظة، يأخذها.

ذات مرة هجر تلميذاً لمدة طويلة، لأنه كان قد طلى باب الدار بالتبن والطين وقال: (إن) أخذت ظفراً من طريق المسلمين، لا يجوز لك أن تتعلم.

وذات مرة، كان أحمد قد رهن سطلاً، وعندما كان يسترده، أحضر له البقال سطلين وقال: خذ سطلك، إننى لا أعرفه أيهما سطلك؟ فترك الإمام أحمد السطل له ومضى(٣٠٤).

يروى: أن أحمد كان يرغب (فى رؤية) عبدالله بن المبارك مدة طويلة، حتى قدم عبد الله إليه فقال ابن أحمد: يا أبت، إن عبدالله بن المبارك على باب الدار، وقد جاء لرؤيتك ،فلم يأذن له الإمام أحمد، فقال ابنه: ما الحكمة فى هذا؟ كنت تحترق أعواماً شوقاً إليه، الآن وقد جاءت السعادة إلى دارك، لا تأذن لها، فقال أحمد هكذا كما قلت، لكنى أخشى إن رأيته، اعتاد لطفه، وبعد ذلك لا أطيق فراقه، وأمضى العمر متلهفاً إليه حتى أراه هناك حيث لا يتعقبنا الفراق.

وله كلمات عالية فى المعاملات. وكل من يسأله مسألة كان يجيبه عنها إذا كانت من المعاملات، ويحيله على بشر الحافى إذا كانت من الحقائق(٣٠٥).

وقال: رجوت الله (تعالى) أن يفتح على باباً من الخوف، حتى وصل خوفى إلى حد أن زال العقل عنى، فدعوت وقلت: يا إلهى، بأى شىء يكون التقرب أفضل؟ قال: بكلامى، القرآن.

سئل: ما الإخلاص؟ قال: أن تجد الخلاص من آفات الأعمال.

قالوا: ما التوكل؟ قال: الثقة بالله فى الرزق. قالوا: ما الرضا؟ قال: أن تسلم أمورك إلى الله.

قالوا: ما المحبة؟ قال: سلوا بشراً عنها، فطالما كان حياً، لا أجيب عن هذا[٣٠٦].

قالوا: ما الزهد؟ قال: الزهد على ثلاثة أقسام: ترك الحرام وهو زهد العوام، وترك الزيادة من الحلال وهو زهد الخواص، وترك كل شيء يشغلك عن الحق وهو زهد العارفين.

قالوا: هؤلاء الصوفية الذين قد جلسوا بالمسجد الجامع، جاهلون بالتوكل، قال: إنكم مخطئون، فقد أجلسهم العلم، قالوا: لقد عقدوا كل همتهم فى كسر الخبز، فقال: إننى لا أعرف قوماً على وجه الأرض أعظم همة من أولئك القوم الذين لا يصرفون همتهم فى شيء أكثر من تقطيع الخبز.

ولما حانت وفاته بسبب ذلك الجرح الذى تحدثت عنه، والذى رفعه إلى درجه الشهداء، فى تلك الحال كان يشير بيده ويقول بلسانه: ليس بعد، فقال ابنه: يا أبت، أى حال هذه؟ قال: عندما يكون وقت الخطر، فأى وقت للإجابة؟! مدنى بالدعاء، ومن جملة الحاضرين على فراشه ،عن اليمين وعن الشمال قعيد،[٣٠٧]. إبليس، وكان يقف أمامه، وكان يلقى على رأسه تراب الإدبار، ويقول: يا أحمد إزهاق الروح بيدى، فأقول: ليس بعد، فقد بقى نفس، والمجال مجال الخطر لا الأمن.[٣٠٨]

وعندما توفى، وحملوا نعشه، كانت الطيور تأتى، وترفرف على نعشه، حتى أسلم عشرات الآلاف فى حلية الأولياء من مجوسى ويهودى وراهب. وكانوا يلقون بزنانيرهم، ويصيحون ويقولون ،لا إله إلا الله، وكان سبب ذلك أن الحق (تعالى) ألقى بالبكاء على أربعة أقوام: فى اليوم الأول: على الزردشتيين وفى اليوم الثانى: على اليهود، والثالث: على المسيحيين (الرهبان) والرابع: على المسلمين.[٣٠٩]

لكنهم سألوا شيخاً: أكانت كراماته أكثر في الحياة أم الممات؟ فقال: كان له دعاءان مستجابان، الأول: أنه كان يقول، يا إلهي، هب إيماناً لمن لا يؤمن، ولا تسترده ممن آمن، فأجيب دعاء من هذين الدعائين في الحال، فلم يرتد كل من كان قد آمن، والآخر أجيب عند الوفاة فرزقهم الإسلام.

وقال محمد بن خزيمة[٣١٠]، رأيت أحمد في المنام بعد الوفاة، وكان يعرج، فقلت: أي مشية هذه؟ قال: مشية إلى دار السلام[٣١١]. فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ووضع تاجاً على رأسي، ونعلاً في قدمي، وقال: يا أحمد، هذا لأنك كنت تقول القرآن ليس مخلوقاً، ثم قال لي: اقرأ الأدعية التي بلغتك[٣١٢]. (رحمة الله عليه).

ذكر داود الطائى[٣١٣] (قدس الله روحه)

هو شمع العلم والبصيرة، وسراج الخلق، هو عامل الطريقة، وعالم الحقيقة، هو الرجل الربانى داود الطائى (رحمة الله عليه).

كان من أكابر هذه الطائفة، وسيد القوم، ووصل فى الورع إلى حد الكمال، واستفاد من أنواع العلم فائدة تامة خاصة الفقه الذى أتقنه، وبرع فيه.

وكان قد تتلمذ على يد أبى حنيفة لمدة عشرين عاماً، وأدرك فضيل وإبراهيم بن أدهم وكان حبيب[٣١٤] الراعى شيخ طريقته.

وكان الحزن يسيطر عليه ويتملكه في بداية الأمر وكان قد اعتزل الخلق وكان سبب توبته أنه كان ينشد هذا البيت نائحاً:

بأى خديك تبدى البلى   وأى عينيك إذا سالا[٣١٥]

فأصابه داء عظيم بسبب هذا المعنى، وفقد قراره، واضطرب، وبينما هو كذلك ذهب إلى درس الإمام أبى حنيفة، فقال الإمام الذى رآه على هذه الحال: ما أصابك؟ فقص الواقعة، وقال: قد فتر قلبى عن الدنيا، وأصابنى شيء فلا أعرف السبيل إليها، ولا أجد معنى لذلك فى أى كتاب، ولا تضمنته أى فتوى. قال الإمام: اعرض عن الخلق فاعرض عنهم، واعتكف فى الدار، ولما انقضت

مـدة، ذهب إليه الإمـام أبو حنيـفة، وقـال: لا يكون الأمـر هكذا أن تعـتكف في المنزل، ولا تـتـحـدث، لكن أن تجلس بين الأئمة، وتسمع كـلامـهم الغـامض، وتتمعنه، ولا تتحدث قط، وعندئذ تفضلهم في معرفة تلك المسائل، فأدرك داود ما يقوله.

وذات عام قدم إلى الدرس، وجلس بين الأئمة، ولم يقل شيئاً، وكان يتمعن كل ما يقولونه، ولم يكن يجيب، وكان يكتفي بالاستماع، ولما انقضى عام قال: إن صبر عام يعدل عمل ثلاثين عاماً عملت فيها.

ثم التقى بحبيب الراعي، وكان إقباله على هذا الطريق بسببه، وخطا في هذا الطريق برجولة، وألقى بكتبه في الماء، واعتزل، وقطع أمله عن الخلق.

يـــروى: أن داود كان قد ورث عشرين ديناراً، كان ينفقها في عشرين عـــاماً[٣١٦]، حتى قال بعض المشايخ: إن طريقته الإيثار لا الاحتفاظ، فقال: إنني أملك هذا القدر من النقود لأنه سبب فراغي، انفق منه حتى أموت. ولم يهدأ عن العمل قط إلى حد أنه كان يبل الخبز بالماء ويقتات به، وكان يقول: إنه يستطيع قراءة خمسين آية من القرآن بين بلة وأكله، فلماذا أضيع الوقت؟

يقول أبو بكر العياش: ذهبت إلى حجرة داود، فرأيته وقد أمسك بقطعة خبز يابسة في يده، وكـان يبكي، فقلت: مـا جـرى لك يا داود؟ قـال: أريد أن آكل قطعة الخبز هذه، ولا أعرف أهي حلال أم حرام؟

وقال آخر: ذهبت إليه، فرأيت قدح ماء، وضع في الشمس، فقلت: لماذا لا تضعه في الظل، قال: عندما وضعته هناك، كان الظل، الآن أخجل من الله أن أتنعم من أجل نفسي.

يـــروى: أن داراً عظيمة كانت لداود، وبها حـجرات كثيرة وكان يقيم في حـجـرة حتى كانت تتـهدم فكان ينتـقل إلى حـجـرة أخرى، قالوا لماذا لا تعـمر

دارك؟ قال: أنا على عهد مع الله ألا أعمر الدنيا. ويروى: أن الدار كلها تهدمت، ولم يبق سوى الدهليز وفى تلك الليلة التى توفى فيها إنهار الدهليز أيضاً.

وذهب له شخص آخر وقال: لقد تحطم سقف الدار وسيسقط، قال: لم أر هذا السقف منذ عشرين عاماً.

يــــروى: أنهم قالوا له: لماذا لا تجلس مع الخلق، قال: أجالس من؟ إن جالست من هم أصغر منى، لا يأمروننى بأمر الدين، وإن جالست من هم أكبر منى، لا ينصحون لى بعيوبى، ويزينون لى نفسى فى عينى، ومن ثم ماذا أفعل بصحبة الخلق(٣١٧).

قالوا: لم لا تتزوج؟ قال: لا أستطيع أن أخدع مؤمنة، قالوا: كيف؟ قال: طالما أريدها على أن أتكفل بها فعلى القيام على أمورها، وطالما أننى لا أستطيع تأدية الأمور الدينية والدنيوية (معاً) فإننى أخدعها.

قالوا له: مشط لحيتك؟؟ فقال: بعد ما أفرغ ربما أنجز هذا الأمر.

يــروى: أن داود اعتلى السطح فى ليلة مقمرة، وكان ينظر إلى السماء، ويتفكر فى الملكوت، ويبكى، حتى فنى عن نفسه، فوقع على سطح جار له، فظن الجار أن هناك لص على السطح، فاعتلى السطح بسيفه، فرأى داود فأمسك بيده وقال: من ألقاك؟ قال لا أعرف، كنت فانياً ولا علم لى.(٣١٨)

يــروى: أنهم رأوه كان يسرع إلى الصلاة، فقالوا: لم العجلة؟ قال: هؤلاء الجنود ـ الذين على باب المدينة ـ فى انتظارى، قالوا: أى جند؟ قال: موتى القبور، وعندما كان يسلم فى الصلاة، كان يجرى كأنه يهرب من شخص، حتى كان يدخل البيت، وكان يكره الذهاب للصلاة كرهاً عظيماً بسبب وحشة الخلق، حتى كفاه الحق (تعالى) تلك المؤنة.

كما يروى: أن أمه رأته ذات يوم وقد جلس فى الشمس، يتصبب منه العرق، فقالت: ياعزيزى، القيظ شديد، وأنت صائم الدهر، فماذا لو جلست فى الظل؟ قال: يا أمى أخجل من الله أن أخطو خطوة موافقة لنفسى وإرضاء لها، ولا أجيز هذا، قالت الأم: أى قول هذا؟ قال: يا أمى، عندما رأيت أحوالاً وأموراً سيئة فى بغداد، دعوت، فسلبنى الحق (تعالى) اللياقة لأكون معذوراً، ولا أذهب لصلاة الجماعة، لأنه لا ينبغى لى رؤيتهم، الآن لا أملك اللياقة منذ ستة عشر عاماً، ولم أقل لك.

يروى: أن داود كان دائم الحزن، وعندما كان يحل الليل كان يقول: إلهى، فاق حزنى كل الأحزان، وسلبتنى النوم، وكان يقول: متى ينجلى الحزن عمن تتوالى عليه المصائب.

ومرة أخرى قال فقير: ذهبت إلى داود، فوجدته ضاحكاً، فتعجبت وقلت: يا أبا سليمان، لما سعادتك هذه؟ قال: منحونى شراباً فى السحر يقال له: شراب الأنس فجعلت اليوم عيداً، وسررت.

يروى: أن داود كان يأكل خبزاً، فمر عليه راهب، أعطاه قطعة ليأكلها، وفى تلك الليلة التقى ذلك الراهب بزوجه، وولد معروف الكرخى.

يقول أبو ربيع الواسطى [٣١٩]: قلت لداود: عظنى، فقال: «صم عن الدنيا وأفطر فى الآخرة،وفر من الناس كما يفرون من الأسد المفترس.[٣٢٠]

وطلب آخر عظة، فقال له: احفظ لسانك، قال: زدنى، قال: اعتزل الخلق، وان تستطيع أفرغ القلب منهم، قال: زدنى، قال: يجب أن ترضى بسلامة الدين من هذه الدنيا، كما رضى أهل الدنيا بسلامة الدنيا.[٣٢١]

وأراد آخر عظة، فقال له: الجهد الذى تبذله فى الدنيا ابذله بالقدر الذى سيكون لك به مقاماً فى الدنيا وبما سيفيدك فيها، والجهد الذى تبذله للآخرة

مضاعفه بالقدر الذى سيكون عليه مقامك فى الآخرة وبالقدر الذى سيفيدك فيها.

وطلب آخر وصية: فقال له: الموتى فى انتظارك[٣٢٢] . وقال: كان شخص يلقى بالتوبة والطاعة لمن يصطاد لتصل المنفعة لشخص آخر.

وقال لمريد: إن أردت السلامة، سلم على الدنيا سلام المودع، وإن أردت الكرامة، كبر بترك الآخرة. أى دعك منهما كى يمكنك الوصول للحق.[٣٢٣]

يروى: أن فضيل رأى داود مرتين طوال عمره، وكان يفتخر بذلك. ذات مرة، كان قد جلس تحت سقف مهدم، فقال له: انهض، هذا السقف مهدم، وسوف يسقط قال: طالما أفنى فى هذه الصفة لم أر هذا السقف «كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام»، والمرة الأخرى قال له: عظنى، فقال له: انقطع عن الخلق.

ويقول معروف الكرخى: لم أر شخصاً قط حقّر الدنيا أكثر من داود، فلم تكن الدنيا وأهلها جميعاً فى نظره تساوى مثقال ذرة، فإن كان يرى واحداً منهم، كان يشكو من ظلمها حتى تحرر من الطريق، وابتعد إلى حد أنه قال: كلما أغسل قميصى، أجد قلبى متغيراً لكنه كان يعتقد فى الفقراء عظيم الاعتقاد، وينظر إليهم بعين الاحترام والمروءة.[٣٢٤]

قال الجنيد: كان حجاماً يحتجم له، فأعطاه ديناراً، قالوا له: أسرفت، قال: «لا دين لمن لا مروة له»[٣٢٥] .

يروى: أن شخصاً تقدم له، وكان ينظر إليه، فقال له: ألا تعلم أنه كما أن كثرة الكلام مكروهة فإن كثرة النظر مكروهة أيضاً.

يروى: أنه عندما كان يقع خلاف بين محمد وأبى يوسف، يكون هو الحكم، وعندما كانا يقدمان إليه، كان يدير ظهره لأبى يوسف، ويتجه إلى

محمد، ويتناقش معه، ولم يكن يتحدث إلى أبى يوسف، وإن كان القول قول محمد، كان يقول: القول ما يقوله محمد وإن كان القول قول أبى يوسف، كان يقول: هذا هو القول، ولم يكن يذكر اسمه، فقالوا له: كلاهما عظيم فى العلم، فلماذا تفضل أحدهما، وتقصى عنك الآخر، قال: لأن محمداً بن الحسن نشأ فى نعمة وفيرة ورفعة من الدنيا وأقبل على العلم، والعلم سبب عزة دينه وذل دنياه، وأقبل أبو يوسف على العلم من الذل والفاقة، فصار العلم سبب عزه وجاهه. ومن ثم فمحمد ليس مثله قط. ضُرب أستاذنا أبو حنيفة بالمقرعة ولم يقبل القضاء(٣٢٦)، وقبله أبو يوسف، وكل من يخالف طريق أستاذه لا أتحدث معه.

يروى: أن هارون الرشيد قال لأبى يوسف: إحملنى إلى داود، كى أزوره، فدخل أبو يوسف الدار، ولم يسمح له فطلب من أمه، فشفعت له (قائلة): إئذن له فلم يقبل، وقال: ما شأننا بأهل الدنيا والظالمين؟ فقالت له أمه: بحق لبنى إئذن له فقال داود: يا إلهى، أمرت برعاية حق الأم فقلت: رضائى من رضائها، وإلا فأى شأن لى بهما؟ وأذن، فدخلا، وجلسا، وبدأ داود الوعظ، فبكى هارون كثيراً عندما عاد (إلى رشده) وضع قدراً من الذهب، وقال: إنه حلال فقال داود: احمله، فلا حاجة لى به، فقد بعت دارى من ميراث حلال، وأنفق منه، ورجوت الحق (تعالى) أن يزهق روحى عندما تنتهى تلك النفقة، كى لا أحتاج إلى شخص، وآمل أن يستجاب الدعاء.

ثم عاد الاثنان، وسأل أبو يوسف وكيل نفقاته: كم بقى من نفقات داود؟ قال: درهمان وكل يوم كان ينفق دانج فضة، وفى اليوم الأخير كان أبو يوسف قد أدار ظهره للمحراب وقال: لقد توفى داود اليوم، نظروا، فكان الأمر كذلك، فقالوا: بما عرفت؟ قال: حسبت نفقاته فلم يبق منها اليوم شىء قط، فعلمت أن دعاءه مستجاب.

وسألوا أمه عن حال وفاته فقالت: كان يصلى طوال الليل، وفى آخره وضع رأسه للسجود ولم يرفعها، فانشغل قلبى، وقلت: يا بنى الوقت وقت الصلاة، وعندما نظرت، كان قد توفى.

قال شيخ: كان قد نام أثناء مرضه فى ذلك الدهليز الخرب، وكان القيظ شديداً وكان قد وضع يابسة تحت رأسه، وهو فى النزع وكان يقرأ القرآن، فقلت: أتريد أن أحملك إلى هذه الصحراء، قال: أخجل أن أنفذ رغبة نفسى، فلم تكن لها علىّ سلطة قط، والأولى ألا يكون لها فى هذه الحال، ثم توفى فى نفس الليلة.

كان داود قد أوصى (قائلاً): ادفنونى خلف حائط، حتى لا يمر شخص أمامى، وهكذا فعلوا، وظل على هذا الحال حتى اليوم.

وفى تلك الليلة التى فارق فيها الدنيا، انبعث صوتاً من السماء: يا أهل الأرض، وصل داود الطائى إلى الحق، والحق سبحانه وتعالى راض عنه.

بعد ذلك رأوا فى المنام أن داود كان يطير فى الهواء، ويقول: خرجت الساعة من السجن، فجاء ذلك الشخص، ليقص منامه، فكان قد توفى، وبعد وفاته انبعث نداء من السماء أدرك داود مقصوده[٣٢٧] (رحمة الله عليه).

ذكر حارث المحاسبي[٣٢٨] (قدس الله روحه)

هو سيد الأولياء، وعمدة الأتقياء، هو السيد المبجل، والمحترم المفتخر، هو خاتم ذوى المناقب، شيخ العالم الحارث المحاسبى (رحمة الله عليه).

كان من علماء المشايخ، وكان مقبول الرأى فى العلوم الظاهرة والباطنة، وفى المعاملات والإشارات، وكان مرجع أولياء عصره فى كل فن، وله تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم، وله همة عالية جداً، وكان عظيماً، وله سخاوة ومروة عجيبة، ولا نظير له فى الفراسة والحذاقة.

وكان شيخ مشايخ بغداد فى عصره، واختص بالتجريد والتوحيد، ووصل فى المجاهدة والمشاهدة إلى أقصى غاية. واجتهد فى الطريقة، والرضاء لديه من الأحوال لا المقامات، ويطول شرح هذا الكلام. كان من البصرة، وتوفى فى بغداد.

قال عبدالله بن خفيف[٣٢٩]: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، واتبعوا أحوالهم مع التسليم للآخرين: الأول: الحارث المحاسبى، والثانى: جنيد البغدادى، والثالث رويم[٣٣٠]، والرابع: ابن عطاء، والخامس: عمرو بن عثمان المكى[٣٣١] (رحمهم الله)، لأنهم جمعوا بين العلم والحقيقة[٣٣٢]، وبين الطريقة والشريعة،

ويجوز الاعتقاد فيما عدا هؤلاء الخمسة، أما هؤلاء الخمسة يعتقد فيهم ويقتدى بهم.

وقال شيوخ الطريقة: إن عبدالله بن خفيف سادسهم، يجوز الاعتقاد فيه والاقتداء به، لكن ليس من شأنهم مدح أنفسهم.

يروى: أن الحارث ورث ثلاثين ألف دينار عن والده، فقال: احملوها إلى بيت المال حتى تكون للسلطان، قالوا: لماذا؟ قال: لأن الرسول قد قال وهو الصادق: «القدرى مجوس هذه الأمة»، وكان أبى قدرياً، وقال الرسول (ﷺ) أيضاً: لا يرث المسلم قدرياً، وأبى زردشتى وأنا مسلم.[٣٣٣]

وكانت عناية الحق (تعالى) تحفظه إلى حد أنه عندما كان يمد يده إلى طعام فيه شبهة، كان عرقه يتحرك داخل اصبعه[٣٣٤]، بحيث لا يطاوعه الإصبع، فكان يعرف أن تلك اللقمة فيها شبهة.

قال الجنيد: جاءنى الحارث ذات يوم، فرأيت فيه أثر جوع، قلت: يا عم، أأحضر طعاماً؟ قال: حسناً فدخلت الدار، وطلبت طعاماً كان قد أحضر من عرس ليلاً، وقدمته إليه، فلم يطاوعه إصبعه بأن يضع لقمة فى فمه، ومهما حاول لم تبلع، فكان يلوكها فى فمه، ثم نهض فى آخر الأمر، وألقاها فى الدهليز وخرج. قال: بعد ذلك سألته عن تلك الحال؟ فقال الحارس: كنت جائعاً، وأردت أن أرضيك؟ لكن لى مع الله علامة: ألا يسوغنى طعاماً فيه شبهة، ولا يطاوعنى إصبعى ومهما حاولت فلا تُبلع. فمن أين ذلك الطعام؟ قلت: من دار قريب لى، ثم قلت: أتدخل اليوم دارى؟ قال: نعم فدخلنا، وأحضرت كسرة خبز يابسة، فأكلنا، وقال: هكذا يجب أن يكون الشىء (الطعام) الذى تقدمه للفقراء.[٣٣٥]

وقــال: لم تسمع أذنى شيئاً قط طيلة ثلاثين عاماً سوى سريرتى، وتبدل حالى بعد ثلاثين عاماً أخرى، فلم يسمع سرى سوى الله شيئاً قط.

وقــال: الشخص الذى يرى فى صلاة، ويسر بذلك، فكرت فى شأنه هل تبطل صلاته أم لا؟ أغلب ظنى الآن أنها تبطل. وكان مبالغاً جداً فى المحاسبة بحيث كان يسمى المحاسبى لهذا السبب.

وقــال: لأهل المحاسبة عدة خصال تعلموها بالقول: فهم عندما نهضوا، بلغوا بتوفيق الحق (تعالى) المنازل الشريفة، وتيسر لهم كل شىء بقوة العزم وبقهر الأهواء والنفس، فكل من يصح منه العزم يسهل عليه مخالفة الأهواء، ومن ثم كن قوى العزم، وواظب على هذه الخصال فهذا هو المجرب. وأول خصلة هى: ألا تقسم بالله صدقاً أو كذباً، سهواً أو عمداً، والثانية: تعفف عن الكذب، والثالثة: ألا تخلف الوعد طالما تستطيع الوفاء به، ولا تعد شخصاً قدر استطاعتك فهذا أقرب إلى الصواب والرابعة: ألا تلعن شخصاً قط وإن كان ظالماً، والخامسة: ألا تدعو بالسوء قولاً أو فعلاً ولا تبحث عن الأجر، وأن تتحمل من أجل الله، والسادسة: ألا تشهد على شخص قط لا بالكفر ولا بالشرك ولا بالنفاق، فهذا أقرب إلى الرحمة بالخلق وأبعد عن مقت الله (تعالى) والسابعة: ألا ترتكب معصية فى الظاهر أو الباطن، وتعقل جوارحك عن كل شىء والثامنة: ألا تلق بحملك على شخص قط، وأن ترفع أحمالك عن كل شخص سواء أكانت خفيفة أم ثقيلة فيما تحتاج إليه فى هذا وما تستغنى عنه فى ذاك، والتاسعة: ألا تطمع فى الخلق، وتيأس من كل ما يملكونه، والعاشرة: إن كنت تريد رفعة الدرجة وغاية العزة لدى الله والخلق فى الدنيا والآخرة فيمكنك الحصول عليها بألا تر شخصاً قط من أبناء آدم (عليه السلام) إلا وتعده أفضل منك.

وقال: المراقبة هى: علم القلب فى قرب الحق (تعالى).

وقال: الرضا هو: الخضوع تحت مجارى الأحكام.

وقال: الصبر هو: هدف سهم البلاء.

وقال: التفكر هو: رؤية الأسباب قائمة بالحق.

وقال: التسليم هو: الثبات عند نزول البلاء بلا تغير فى الظاهر والباطن.(٣٣٦)

وقال: الحياء: الرجوع عن جملة العادات السيئة التى لا يرضى الله عنها.

وقال: المحبة فرط الميل إلى شىء ثم إيثاره على نفسك بالجسد والروح والمال وموافقته فى الباطن والظاهر ثم العلم بأن كل التقصير منك.

وقال: الخوف هو: ألا يستطيع المرء أن يتحرك حركة ولا تستبد به الظنون فيقول: سوف أعاقب بهذه الحركة فى الآخرة.

وقال: علامة الأنس بالحق هى الوحشة بالخلق، والهروب من كل شىء فيه الخلق والتفرد بحلاوة ذكر الحق تعالى وبقدر ما يستقر الأنس بالحق فى قلبك يتسلل الأنس بالمخلوقات منه.(٣٣٧)

وقال: الصادق من لا يخاف وإن لم يبق له أى قدر لدى الخلق، ويعرف قلبه ولا يحب أن يرى الناس ذرة من أعماله.

وقال: احذر فتور العزم فى كل الأعمال، لأن العدو سيظفر بك فى هذا الوقت، وكلما رأيت فتور العزم، لا تهدأ لحظة، واستعن بالله.

وقال لفقير: «كن لله وإلا لا تكن». هذا هو أفضل الكلام.(٣٣٨)

وقال: جدير بالشخص الذى هذب نفسه بالرياضة أن يرشدها إلى المقامات.

وقـــال: قل لمن يريد أن يظفر بلذة أهل الجنة: اقنع بمصاحبة الفقراء الصالحين.

وقـال: من يصلح باطنه بمراقبة الله (تعالى) والإخلاص له يزين ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة.(٣٣٩)

وقـــال: من كان عالماً بحركات القلب فى الغيب أفضل ممن كان عالماً بحركات الجوارح.

وقـال: دائماً يهبط العارفون إلى خندق الرضا، ويغوصون فى بحر الصفا، ويستخرجون جواهر الوفا، لا جرم أنهم يدركون الله فى السر والخفا(٣٤٠)

وقال: هناك ثلاثة أشياء إن ظفروا بها استفادوا منها. ولم نجدها نحن هى: المحبة الحسنة بالرعاية والوفاء والشفقة.(٣٤١)

ويـروى: أن الحارث كان يصنف مصنفاً، فسأله فقير: هل معرفة الحق حق على العبد أم حق له على الحق؟ فترك التصنيف لهذا القول لأنه إن قلت: إن عرف العبد المعرفة بنفسه، وحصلها بجهده، فهى حق على الحق للعبد، وهذا لا يجوز، وإن كانت معرفة الحق حق على العبد للحق لا يجوز لأنه يجب عليه أن يؤدى للحق حقه ومن هنا تعجب، وترك التصنيف وبمعنى آخر: هو طالما أن معرفة الحق حق (علىّ) أن أؤدى هذا الحق كرماً، وفيما يجدى التأليف فى المعرفة، فالحق يمنح العبد ما هو حق له، مصداقاً لقوله: «أدبنى ربى»، وإن كان شخص سيؤدى حق ذلك الحق فى معنى «إنك لا تهدى من أحببت»(٣٤٢). لا جرم أنه ترك التصنيف.

ومعنى آخر هو: أن معرفة الحق حق على العبد بمعنى طالما منح الحق العبد المعرفة، فواجب على العبد تأدية حق ذلك الحق لأن كل حق سيؤديه

العبد بالعبادة سيكون حق الحق وبتوفيق منه، ومن ثم فإن على العبد حق أن يؤدى للحق حقه. ثم صنف الكتاب والله أعلم بالصواب.

قال ابن مسروق: إن الحارث احتاج إلى درهم في الوقت الذى كان يسلم فيه الروح وكانت قد بقيت عن والده ضياع كثيرة، فلم يأخذ منها شيئاً قط وتوفى فى تلك اللحظة التى احتاج فيها.[٣٤٣] (رحمة الله عليه رحمة واسعة).

«ذكر أبى سليمان الدارائى[٣٤٤] (قدس الله روحه)»

هو مجرد الباطن والظاهر، المسافر الغائب والحاضر، هو العامل فى الورع والمعرفة، والكامل فى مائة نوع من الصفة، هو دُر بحر المعرفة، أبو سليمان الدرائى (رحمة الله عليه).

كان فريد زمانه، وسمى «ريحان القلوب» لغاية لطفه، وله شأن حسن فى الرياضة الشاقة والجوع المفرط، بحيث أنهم كانوا يسمونه «بندار الجائعين» لأن شخصاً قط من هذه الأمة لم يستطع الصبر على الجوع مثله، وله فى المعرفة وحالات غيوب القلوب وآفات عيوب النفس حظ عظيم وافر، وله كلمات عالية وإشارات لطيفة.

وكان من قرية «دارا» بدمشق.[٣٤٥]

قال أحمد بن الحوارى الذى كان مريداً له: ذات ليلة كنت أصلى فى خلوة، ووجدت فى ذلك راحة عظيمة، وفى اليوم التالى قلت لسليمان فقال: أنت رجل ضعيف، فإن لك لدى الخلق لون فى الخلاء وفى الملاء لون آخر، ولا شىء فى العالمين أخطر مما يمكن أن يعوق العبد عن الحق.

وقال أبو سليمان: كنت فى المسجد ذات ليلة، فأقلقنى البرد، فخبأت إحدى يدى عند الدعاء، وارتحت راحة عظيمة لهذا، فهتف بى هاتف: يا أبا سليمان،

منحنا تلك اليد التى كنت قد أخرجتها رزقها، وإن أخرجت الأخرى، لمنحناها نصيبها. فأقسمت ألا أدعو قط إلا وأخرج يدى، برداً كان الوقت أو حراً[٣٤٦].

ثم قال: سبحان الله الذى حشد لطفه بلا هدف أو مراد.

وقال: نمت عن وردى ذات مرة، فرأيت حوراء، قالت لى: تنام هانئاً وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام؟[٣٤٧]

وقال: رأيت حوراء ذات ليلة، ابتسمت لى من زاوية، وبلغ بهاؤها حداً لا يمكن وصفه، ولا يستقيم وصف جمالها بالعبارة، قلت: من أين جئت بهذا البهاء والجمال؟ قالت: كانت العبرات تقطر من عينيك ذات ليلة، فغسل بها وجهى، وكل هذا منها فإن عبراتك زينة وجوه الحور، وكلما ازدادت ازددن جمالاً.

وقال: اعتدت أن آكل الخبز والملح وقت الطعام، ذات ليلة كان فى الملح حبة من السمسم نسيتها منذ عام عندما كنت أتناوله وحيث لا يتسع المكان لحبة السمسم، لا أعلم ماذا ستفعل مئات الآلاف من الشهوات بقلبك.

وقال: لى صديق، كان يعطينى كل شىء أريده، ذات مرة طلبت منه شيئاً، فقال: أزهقت كثرة المطالب حلاوة الصداقة عن قلبى.

وقال: أنكرت على الخليفة شيئاً، وعرفت أنه سمع قولى، ولم أعبأ بذلك، لكن الناس كانوا كثيرين، فخفت أن يرونى، ويحلو لقلبى إعجابهم بشجاعتى فأصير عندئذ خائناً.

وقال: رأيت مريداً فى مكة، لم يكن يشرب شيئاً قط إلا ماء زمزم، فقلت له: ما تشرب إن جف هذا الماء؟ فنهض، وقال: «جزاك الله خيراً، هديتنى السبيل» فقد كنت عابداً لزمزم طيلة عدة أعوام، قال هذا، ومضى.

قال أحمد بن الحوارى(٣٤٨): لم يكن أبو سليمان يقول «لبيك» فى الإحرام، وقال: أوحى الحق (تعالى) إلى موسى (عليه السلام): بأن قل لظالمى أمتك ألا يذكرونى لأن من يظلم ويذكرنى، ألعنه، ثم قال: سمعت أن من ينفق فى الحج من مال فيه شبهة، ويقول «لبيك» عندئذ يقال له: «لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك»(٣٤٩)

يروى: أن ابن الفضيل لم يكن يطيق سماع آية العذاب، فسألوا الفضيل: بما أدرك ولدك درجة الخوف؟ قال: بقلة الذنوب. وقالوا هذا لسليمان فقال: يعترى الخوف المرء بكثرة الذنوب لا قلتها.

يـروى: أن صـالحاً بن عبـد الكريم(٣٥٠) قال: الرجـاء والخوف نوران فى القلب، فقالوا له: أيهما أضوأ؟ قال: الرجاء.

أبلغوا أبا سليمان بهذا القول، فقال: سبحان الله أى قول هذا؟ فقد رأينا أن التقوى والصوم والصلاة وغيرها تنبعث من الخوف ولا تنبعث من الرجاء، ومن ثم كيف يكون الرجاء أكثر ضياء؟ وقال: أخاف من نار هى عقوبة الله أو أخاف من إله عقوبته النار؟.

وقال: الخوف من الحق (تعالى) هو أصل كل الأشياء فى الدنيا والآخرة، وكلما يغلب الرجاء الخوف يفسد القلب، وكلما يدوم الخوف فى القلب، يظهر عليه الخشوع، وإذا لم يدم ويمر أحياناً على القلب، فلا يخشع قط.

وقال: لا ينفصل الخوف عن قلب إلا ويصير خراباً.

وقـال لأحمد بن الحوارى ذات يوم: حين ترى الناس يعملون بالرجاء، اعمل أنت بالخوف إن استطعت.

وقال للقمان بن جود: اخش الله خشية لا تيأس فيها من رحمته، وأمل فى الله أملاً لا تأمن فيه من مكره.

وقــال: طالما ألقيت بقلبك فى الشوق، إلق به فى الخوف بعد ذلك، حتى يمحو الخوف الشوق عن الطريق، أى أنك أحوج للخوف من الشوق.

وقــال: أفضل الأعمال مخالفة رضاء النفس، ولكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صدأ، وصدأ القلب الشبع[٣٥١].

وقال: الاحتلام عقوبة ولهذا السبب يقول إنه علامة الشبع.

وقال: من يشبع، تعتريه، ستة أشياء هى: أنه لا يجد حلاوة للعبادة، ويقل حفظه فى تذكر الحكمة، ويحرم من الشفقة على الخلق، لأنه يظن أن العالمين جميعهم شبعانون، وتثقل عليه العبادة، وتزداد الشهوات لديه ويحوم جميع المسلمين حول المساجد، ويحوم هو حول المزابل.

وقــال: الجوع عند الله خزينة من الخزائن المدخرة، لا يعطى (منها) إلا من يحب.[٣٥٢]

وقــال: حين يشبع المرء، تجوع جملة أعضائه رغبة فى الشهوات، وحين يجوع تشبع جملة أعضائه من الشهوات. أى طالما تجوع البطن تتجنب الشهوات

وقال: الجوع مفتاح الآخرة والشبع مفتاح الدنيا.

قــال: كلما كانت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، لا تأكل قط حتى تنقضى تلك الحاجة لأن الطعام يغير العقل، ويتغير طلب الحاجة من المتغير، ومن ثم عليك بالحرص على الجوع، فإنه يذل النفس، ويرقق القلب، ويصب عليك العلم السماوى.

وقــال: إن تناولت لقمة من حلال ذات ليلة أحب إلىّ من أن أصلى حتى النهار لأن الليل يحل عندما تغرب الشمس، ويحل ليل قلوب المؤمنين عندما تمتلأ معداتهم بالطعام.

وقال: لا تصبر على شهوات الدنيا إلا نفساً فى قلبها نور يشغلها بالآخرة.

وقال: طالما لا يصبر العبد على ما يحبه فكيف يصبر على ما لا يحبه.

وقال: لم يرجع من رجع من الطريق لأنه إذا وصل إليه لم يرجع عنه أبداً.(٣٥٣)

وقال: طوبى لمن خطا خطوة بإخلاص طوال عمره.

وقال: ينجو العبد كلما يتخلص من كثرة الوساوس والرياء.

وقال: الأعمال الخالصة قليلة.

وقال: إن أراد صادق أن يصف ما فى قلبه لا يطاوعه لسانه.

وقال: مضى الصدق بألسنة الصادقين وبقى على ألسنة الكاذبين.

وقال: لكل شىء تراه زينة، وزينة الصدق الخشوع.

وقال: إجعل الصدق ظنك والحق سيفك واعلم أن الله غاية طلبك.

وقال: القناعة من الرضا كالورع من الزهد. فهذه أول الرضا، وذاك أول الزهد.

وقال: لله عباد يخجلون أن يعاملونه بالصبر، فيعاملونه بالرضا. أى أن فى الصبر معنى أنا صبور، لكن هذا ليس فى الرضا، ويكون الإنسان على النحو الذى بداخله، فيتعلق الصبر بك والرضا به.

وقال: الرضا ألا (تطلب) الجنة من الله، أو تطلب النجاة من الجحيم.

وقال: لا أعرف للزهد ولا الورع ولا الرضا حداً ولا غاية، ولكنى أعرف السبيل إليها.

وقـــال: ورد على حـال من كل مقام إلا الرضـا لم تصلنى منه سوى الرائحة، ومع هذا فإن يحمل خلق العالم جميعاً إلى الجحيم ويذهبون كارهين، أذهب أنا راضياً، لأنه لو أننى لست راضياً عن دخول الجحيم فهو راض.

وقـال: وصلنا فى الرضا إلى حد أنهم إن وضعوا طبقات الجحيم السبع فى عيننا اليمنى لا يجول بخاطرنا لماذا لم يضعوها فى اليسرى؟

وقال: التواضع: ألا يبدو عليك عجب قط فى عملك.

وقـــال: لا يتواضع العبد قط حتى يتجاهل نفسه، ولا يتزهد قط حتى يتغاضى عن الدنيا، والزهد هو أن تترك كل شىء يمنعه الحق (تعالى) عنك.

وقـــال: علامة الزهد هى: إن ارتدى شخص أمامك صوفاً قيمته ثلاثة دراهم لا يرغب قلبك فى صوف قيمته خمسة دراهم.(٣٥٤)

وقـــال: لا تشهد بالزهد على شخص قط لأنه غائب عنك فى القلب، وحاضر فى الورع.

وقال: الورع أقسى على اللسان من الفضة والذهب على القلب.

وقال: حفظ اللسان هو الحصن الحصين، والجوع لب العبادة، ومحبة الدنيا سبب كل الخطايا.

وقال: التصوف هو من تسرى عليه أفعال لا يعلمها إلا الله، ويكون مع الله دائماً بحيث لا يعرف سواه.

وقـال: التفكر فى الدنيا حجاب الآخرة، والتفكر فى الآخرة ثمرة الحكمة وحياة القلوب.

وقال: يزداد العلم بالغيرة والخوف بالتفكر.

وذكر شخص معصية أمامه، فبكى منتحباً وقال: بالله، أرى الآفاق فى الطاعة وهى فى غنى عن تلك المعصية.

وقال: عودوا العين البكاء والقلب الفكر.

وقال: إذا لم يبك العبد قط إلا على ما أضاعه من عمره فكفاه حزناً حتى الموت.

وقال: من عرف الله، يفرغ قلبه، وينشغل بذكره وطاعته، ويبكي على أخطائه.

وقال: فى الجنة صحراوات، حين ينشغل العبد بالذكر تغرس الأشجار باسمه فيها حتى يكف، يقال للملائكة: لما اكتفيتم؟ فيقولون: لأنه كف.

وقال: قل لمن يرجو عظة الوهاب: انظر فى اختلاف الليل والنهار!

وقال: من أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله، ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره(٣٥٥).

وقال: من صدق في ترك شهوة فإن الحق تعالى أكرم من أن يعذبه، وسيذهب بتلك الشهوة عن قلبه(٣٥٦).

وقال: من يشغل بالنكاح والسفر وتدوين الحديث فقد انشغل بالدنيا إلا امرأة صالحة فهى ليست من الدنيا بل من الآخرة. أى التى تجعلك فارغاً لإنجاز أمور الآخرة لكن ما يشغلك عن الحق من مال وأهل وولد يكون شوماً عليك.

وقال: اعلم أن كل عمل لا تثاب عليه فى الدنيا، لن تثاب عليه فى الآخرة. أى أن راحة قبول تلك الطاعة يجب أن (تصلك) هنا (فى الدنيا).

وقال: إن نفساً بارداً يصعد من قلب فقير عند رغبة عجز عن تحقيقها، أفضل من ألف عام طاعة وعبادة لغنىّ.

وقال: أفضل سخاوة التي تتفق مع الحاجة.

وقال: آخر أقدام الزاهدين هو أول أقدام المتوكلين.

وقال: إن علم الغافلون ما يفوتهم مما هم فيه، لماتوا جميعاً من هول المفاجأة.

وقال: يغشى الحق (تعالى) لعارف نائم فوق فراش الأسرار ويظهر له ما لا يظهر قط لواقف في صلاة.

وقال: طالما فتحت للعارف عين القلب، أغلقت عليه عين الرأس، فلا يرى أحداً سواه.

كما **قال** أيضاً: أقرب شيء يتقرب به إلى الله (تعالى) هو أن تعرف أن الله (تعالى) مطلع على قلبك، ويعرف منه أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

وقال: إن صورت المعرفة في مكان، لا ينظر إليها شخص قط إلا وينبهر من حلاوتها وجمالها وحسنها ولطفها، ويظلم كل نور إلى جانب نورها.

وقال: المعرفة أقرب إلى الصمت من الكلام، وقلب المؤمن مضئ بذكره، وذكره غذاء له والأنس به راحته، وتجارته حسن معاملته، والليل سوقه، والمسجد مكانه، والعبادة كسبه والقرآن بضاعته، والدنيا مزرعته، والقيامة بيدره، وثواب الحق تعالى ثمرة كفاحه.

وقال: أفضل ما في زماننا الصبر، والصبر قسمان: صبر على ما تكرهه من أوامر الحق مع التزامك باتباعها، وصبر على ما تطلبه مما يدعوك إليه الهوى وينهيك الحق عنه.

وقال: الخير الذي لا شر فيه هو الشكر عند النعمة والصبر عند البلاء.

وقال: كل من يعرف قيمة نفسه، لا يذوق حلاوة الخدمة قط.

وقــال: إن اجتمع الخلق كى يذلونى، لما استطاعوا ما لم أذل نفسى وإن أرادوا أن يعزونى لما استطاعوا ما لم أعز نفسى. أى أن ذلى فى المعصية وعزى فى الطاعة.

وقال: لكل شيء صداق، وصداق الجنة ترك الدنيا، وكل ما فيها.

وقال: كل قلب استقرت فيه محبة الدنيا تسللت منه محبة الآخرة.

وقال: حين يترك الحكيم الدنيا فإنها تضيء بنور حكمته.

وقــال: إن الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة، فأى قيمة لها حتى يزهد الشخص فيها؟!

وقـــال: من يبحث عن وسيلة إلى الله فيها مضرة لنفسه يحفظ الله عليه نفسه، ويجعله من أهل الجنة.

وقـــال: يقول الله (تعالى): يا عبدى إن خجلت منى أخفى عيوبك عن الخلق، وأمحو زلتك من اللوح المحفوظ، ولا أحاسبك يوم القيامة.

وقـــال لمريد: حين ترى خيانة من صاحب، لا تعاتبه، فربما تسمع فى العتاب كلاماً أشد. فقال المريد: وهو كذلك.

قــال أحمد بن الحوارى: كان الشيخ قد ارتدى ثياباً بيضاء ذات يوم، وقال: ليت قلبى بين القلوب كان مثل ذلك الثوب بين الثياب.

ويقول الشيخ الجنيد (رحمة الله عليه): وصلت حيطته إلى حد أنه قال: كثيراً ما مرت على قلبى أمور من أمور هؤلاء القوم، فلم أقبلها طوال عدة أيام إلا بشاهدى عدل من الكتاب والسنة.

وكان يقول فى المناجاة: إلهى، كيف يليق بخدمتك من لا يمكن له أن يكون جديراً بها أو كيف يأمل فى رحمتك من لا يخجل من النجاة من عذابك؟

يروى أن أبا سليمان كان صاحباً لمعاذ بن جبل[٣٥٧] وتلقى العلم منه، وحين اقتربت وفاته، قال الأصحاب: بشرنا بأنك ستذهب إلى الحضرة حيث الله الغفور والرحمن. فقال: لماذا لا تقولون ستذهب إلى الحضرة الإلهية، ويحاسبك فيها على الصغيرة ويعذبك على الكبيرة عذاباً شديداً، ثم أسلم الروح.

رآه آخر فى المنام بعد وفاته، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمنى، ورعانى، ولكن إشارات هؤلاء القوم كانت ضرراً فادحاً لى. أى أننى كنت مشهوراً بين (العارفين) (رحمة الله عليه).

ذكر محمد بن السماك[358] (قدس الله روحه)

هو واعظ الأقران، وحافظ الإخوان، هو الزاهد المتمكن والعابد المتدين هو قطب الأفلاك محمد بن السماك (رحمة الله عليه)

كان إماماً فى كل وقت، وكان مقبولاً لدى الأنام، وله كلام سامى وبيان شافى، وكان آية فى الموعظة، تحقق الفتح لمعروف الكرخى من كلامه وبجله هارون الرشيد كذلك وتواضع له لأنه قال: يا أمير المؤمنين! تواضعك فى شرف أكثر شرفاً من كثرة الشرف.

وقال: أشرف التواضع ألا ترى فضلاً لك على شخص قط.

وقال: كان هناك دواء لهؤلاء الناس دواء من قبل يشفى به، الآن أصيبوا جميعاً بالداء الذى لا دواء له. ومن ثم فالطريق هو: أن تجعل الله مؤنسك وتجعل كتابه موضع أسرارك.

وقال: الطمع طناب فى الرقبة وقيد فى القدم، فألق به حتى تتحرر.

وقال: كانت الموعظة تثقل على الواعظين حتى الآن بحيث كان المقتفون لأثرهم قليلين كذلك فالعاملون بها اليوم قليلون.

قال أحمد الحوارى: مرض ابن السماك، وأخذنا بوله لنعرضه على طبيب نصرانى كان معاصراً له، وفي الطريق الذى كنا نسير فيه رأينا رجلاً جميل الوجه، زكى الرائحة، طاهراً، يرتدى ثياباً نظيفة قدم إلينا وقال: إلى أين تذهبون؟ قلت: إلى الطبيب النصرانى فلان، نريده أن يفحص ابن السماك، ونحمل البول لنعرضه عليه. فقال: سبحان الله! أيستعين حبيب الله بعد والله! وتذهبون إليه، عودوا واذهبوا إلى ابن السماك وقولوا له أن يضع يده على تلك العلة ويقرأ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبالحق أنزلناه وبالحق نزل»(٣٥٩) فعدنا وشرحنا له الحال ففعل ما أمر به، فشفى فى الحال وقال: اعلموا أنه كان الخضر (عليه السلام).

يروى: أنه كان يقول حين وافته المنية: يا إلهى أتعلم أننى فى الوقت الذى كنت أرتكب فيه المعصية كنت أحب أهل طاعتك، فاجعل هذا كفارة لذاك.(٣٦٠)

يروى: أنه كان أعزباً، فقيل له: أتريد زوجة؟ قال: لا، قالوا: لماذا؟ قال: لأن معى شيطان، ويدخل شيطان آخر وأنا لا أطيق أن يكون هناك شيطانان فى دارى. قالوا: كيف؟ قال: لكل منا شيطان، واحد لى وواحد لها، فكيف يبقى شيطانان فى بيت واحد.

بعد ذلك توفى، فرأوه فى المنام، فقالوا: ماذا فعل الله بك؟ قال: أظهر لى كل عطف ومودة وتبجيل وإكرام، ولكن أحداً لا يريق هناك ماء وجهه إلا من كابد أعباء العيال، وكد فى أثر الدابة والزنبيل. «رحمة الله عليه».

ذكر محمد بن أسلم[٣٦١] (قدس الله روحه)

هو قطب الدين والدولة وشمع جمع السنة، هو طاوي الأرض بالجسد المطهر، والفلك بالروح المنور، هو المتمكن من البساط القدسي محمد بن أسلم الطوسي (رحمة الله عليه).

كان فريد الدنيا، والقدوة المطلقة، وقد سمي «لسان الرسول» وكتب عنه «حارس خراسان».

ولم تكن لشخص قط همته في اتباع السنة، فقد كانت سكناته وحركاته طوال عمره على بساط السنة.

قدم إلى نيسابور مع علي بن موسى الرضا (رضي الله عنه)، ركب الإثنان معاً هودجاً على ناقة، وكان إسحق بن راهويه الحنظلي يمسك بزمامها (ولما) وصلوا إلى نيسابور، بدا وسط المدينة، مرتدياً عمامة من اللباد على رأسه وقميصاً من الصوف على جسده، وواضعاً خرطة مملوءة بالكتب على كتفه، عندما رآه الناس بتلك الهيئة بكوا، وبكى هو أيضاً. وقالوا: إننا لا نستطيع أن نراك بهذا القميص وهذه العمامة.

يروى: أن محمداً كان يعقد مجلساً، ولم يكن يأتي إليه أكثر من عدة

أشخاص قليلين ومع هذا اهتدى ما يقرب من خمسين ألف آدمى إلى الطريق المستقيم ببركات نفسه، وتابوا وكفوا عن الفساد.

وبعد ذلك سجن عامين، لأن ظالماً كان يقول له: القرآن مخلوق، فقال: لا ومن ثم وضع فى السجن، وكان يغتسل كل جمعة، ويؤدى السنن، وكان يرفع السجادة ويمضى إلى باب السجن ولما ينتعش، كان يعود، ويضع جهه على التراب ويقول: يا إلهى أديت ما علىّ، وأنت تعلم الآن.

ولما أطلق سراحه، كان عبدالله بن طاهر[٣٦٢] أميراً على خراسان، وكان رجلاً شديد الجمال وطيب السيرة. (وقد) أحسن إلى العلماء. (حدث أن) جاء إلى نيسابور، فخرج أعيان المدينة جميعاً لاستقباله والسلام عليه، وخرجوا فى اليوم الثانى للسلام عليه، وكذلك فى الأيام الثالث والرابع والخامس والسادس. قال عبدالله: ألم يبق شخص قط فى هذه المدينة لم يأت للسلام علينا؟ قالوا: جاءوا جميعاً سوى شخصين، قال: من هما ؟ قالوا: أحمد بن حرب ومحمد بن أسلم الطوسى (رحمهما الله)، قال: لماذا لم يأتيا إلينا؟ قالوا: هما عالمان ربانيان، لا يذهبان للسلام على السلاطين، فقال: إن لم يجيئا للسلام علينا نذهب نحن للسلام عليهما، وذهب إلى أحمد بن حرب، فقال شخص: إن عبدالله بن الطاهر قادم، قال: لا مفر دخل، فنهض أحمد، وظل يومئ برأسه ساعة تامة، ثم رفعها، وكان ينظر إليه، وقال: كنت قد سمعت: أنك رجل حسن الوجه، ولكن منظرك أجمل مما أخبرت به، الآن لا تقبح هذا الوجه الحسن بالمعصية ومخالفة أمر الله، ثم خرج من هناك وذهب إلى محمد بن أسلم، فلم يأذن له (بلقائه) ومهما حاول فلا جدوى، وكان اليوم جمعة، فانتظر حتى خرج لصلاة الجمعة، ونظر إليه، فلم يطق ذلك، ونزل من فوق دابته، ووضع وجهه على تراب قدم محمد بن أسلم، وقال: يا إلهى العزيز، إنه

يكرهنى لأننى عبد سيء وإننى أحبه لأنه عبد حسن، وأنا غلامه، طالما أننا لك، اجعل أمر هذا السيء فى أمر هذا الحسن! قال هذا، وعاد.

ثم ذهب محمد بن أسلم بعد ذلك إلى طوس، وأقام فيها، وكان له مسجد هناك، كل من كان ضريراً كان (يشفى) حين يصل إليه، ويرى أى مكان ذلك. وكان عربياً، فلما أقام هناك، اشتهر بمحمد بن أسلم الطوسى. وأمضى مدة طويلة فى طوس وكان هناك سلسبيل على باب داره لم يملأ منه قدحاً قط، وقال: هذا الماء ملك للناس ولا تجوز تعبئته، ورغب مدة فى الماء الذلال، بلا جدوى، ولما تجاوزت رغبته الحد فى النهاية، ملأ قدح ماء من البئر وصبه فى ذلك الجدول، وحمل منها ماء ذلالاً، ثم عاد إلى نيسابور.

يروى: أن واحداً من أكابر الطريقة قال: كنت فى الروم فى جمع، فجأة رأيت إبليس وقد سقط من الهواء، فقلت: أيها اللعين ما هذه الحال؟ وما حل بك؟ قال: تنحنح محمد بن أسلم فى المتوضأ فى هذه اللحظة، فسقطت هنا خوفاً من صوته وكاد أن يغشى على.

يروى: أن محمداً كان يقترض دائماً، ويتصدق على الفقراء، وذات مرة جاء يهودى وقال: قد أعطيتك بعض الذهب، فرده، ولم يكن لدى محمد بن أسلم شيئ قط، وفى تلك اللحظة كان قد برى القلم، ووضع نشارته أمامه، وقال لليهودى: انهض، وخذ نشارة القلم تلك، فنهض اليهودى ليرى أن نشارة القلم كانت قد صارت ذهباً، فتعجب وقال: كل دين تتحول فيه نشارة القلم ذهباً. بواسطة نفس عزيزة، لا يكون باطلاً، وآمن، وآمنت القبيلتان.

يروى: أن الشيخ على بن الفارمدى كان يعظ فى مجلس فى نيسابور ذات يوم، وكان إمام الحرمين حاضراً، فسأل واحد: أى العلماء ورثة الأنبياء؟ قال:

لا القائل ولا السامع أى أمام الحرمين، لكنه هذا الرجل الذى قد نام على بوابة، وأشار إلى تراب محمد بن أسلم.

يـــروى: أن محمداً مرض فى نيسابور، فرآه أحد جيرانه فى المنام، وهو يقول: الحمد لله وجدت الخلاص، وشفيت من المرض. فنهض ذلك الرجل كى يخبره، ولما وصل إلى باب داره، سأل: ما حال السيد؟ فقالوا: ليجزيك الله، قد توفى البارحة.

ولما حملوا نعشه طرحوا عليه الخرقة التى كان يملكها، وبسطوا تحته قطعة لباد قديمة كان يجلس عليها. وكانت هناك عجوزتان على سطح (دار)، كانتا تقولان لبعضهما البعض: مات محمد بن أسلم، وحمل ما ملكه معه[٣٦٣]، ولم تستطع الدنيا خداعه قط. (رحمة الله عليه).

ذكر أحمد بن حرب[٣٦٤] (قدس الله روحه)

هو الراسخ فى مقام المكنة، والأمين على السنة وإمامها، هو زاهد الزهاد، وقبلة العباد هو قدوة الشرق والغرب، شيخ خراسان أحمد بن حرب (رحمة الله عليه).

فضائله كثيرة، ولا نظير له فى الورع، ولا مثيل له فى العبادة، وكان معتقداً فيه إلى حد أن يحى بن معاذ الرازى (رحمة الله عليه) كان قد أوصى (قائلاً): ضعوا رأسى على قدمه. ووصل فى التقوى إلى حد أنْ أمه كانت قد شوت له طائراً، وقالت: كله فقد ربيته فى الدار، ولا شبهة فيه قط، فقال أحمد: ذات يوم حط على سطح الجار وأكل هناك بعض الحبوب، وكان ذلك الجار جندياً، فلا يليق هذا بحلقى.

وقيل: كان هناك أحمدان فى نيسابور، واحد همه فى الدين والآخر همه فى الدنيا فسمى أحدهم أحمد بن حرب، والآخر أحمد بن بازركَان، وقد اتصف هذا الأحمد بأن الذكر غلبه إلى حد أنه عندما كان يطلب المزين ليصلح له شعر شاربه، كان يحرك شفتيه فيقول له: كف حتى أصلح لك هذا الشعر، فكان يقول: انشغل أنت بشغلك. وفى كل مرة كانت تنجرح شفتاه.

ذات مرة كتب شخص رسالة إليه، فظل مدة طويلة يريد أن يكتب رد الرسالة، ولم يجد الوقت. ذات يوم كان المؤذن يؤذن للصلاة، فقال لواحد أثناء الإقامة اكتب رد رسالة الصاحب، وقل له: ألا يكتب لى مرة أخرى، فليس لدى وقت للرد، اكتب له انشغل بالله، والسلام.

وغلب حب الدنيا على أحمد بازركان إلى حد أنه طلب طعاماً من جاريته، فأعدت له الجارية الطعام، وأحضرته إليه ووضعته أمامه، وكان يحسب حساباً إلى حد أن صار الوقت ليلاً، وغلبه النوم حتى استيقظ فى الصباح وسأل: ألم تعدى الطعام يا جارية؟ فقالت: بلى، (لكنك) شغلت بالحساب، وأعدته مرة ثانية، وأحضرته إليه فلم يجد وقتاً أيضاً ليأكله، ومرة ثالثة أعدته ولم يتم الأمر، فذهبت إليه الجارية ووجدته نائماً، فحكت شفتيه بقطعة من الطعام، فاستيقظ، وقال: احضرى الطست، لأنه ظن أنه قد تناول الطعام.

يــروى: أن أحمد بن حرب كان يربى ابنه على التوكل، فقال له: كلما لزمك طعام أو أى شيء آخر، اذهب إلى هذه الطاقة، وقل: يا إلهى، يلزمنى خبز، ومن ثم كلما كان يذهب الطفل إلى ذلك الموضع كل شيء كان يطلبه كان يعد له ويلقى به فى تلك الطاقة. وذات يوم غاب الجميع عن الدار، فغلب الجوع الطفل، فاتجه إلى الطاقة كعادته، وقال: يا إلهى، يلزمنى الخبز والشيء الفلانى وفى الحال وصلت إليه فى تلك الطاقة، فجاء أهل الدار، ورأوه جالساً وهو يأكل شيئاً، فقالوا: من أين أحضرت هذا؟ قال: ممن يعطينى كل يوم فعلموا أن هذا الطريق انفتح عليه.

يروى: أن أحد التجار قال: مررت على مجلس أحمد بن حرب، وقد جرت مسألة على لسانه استضاء بها قلبى كالشمس وقد ظللت عاماً على هذا النحو، ولن يزول (النور) عن قلبى.

وكان أحمد مريداً ليحيى بن يحيى، وكان لديه بستان. أكل منه قليلاً من الكروم ذات يوم، فقال له أحمد: لماذا تأكل؟ قال: هذا البستان ملكي! قال: الماء وقف في هذه القرية يوم بليلة، ولا يهتم الناس بهذا، فتاب يحيى بن يحيى (وقال): لن آكل كروماً من ذلك البستان ثانية.

يروى: أن أحمد كانت لديه صومعة، كان يذهب إليها في كل وقت للعبادة حتى يفرغ ذات ليلة كان قد ذهب إليها للعبادة وعندما أخذت الأمطار الغزيرة تهطل، فكر في أمر الدار، ربما تتسرب إليه المياه وتبتل الكتب. فسمع صوتاً: يا أحمد، انهض واذهب إلى الدار، فما يتأتى منك من عمل، وجهته إلى الدار فما تفعل هنا؟ فتاب في الحال توبة نصوحة.

يروى: أن سادات نيسابور جاءوا ذات يوم للسلام عليه، فدخل من الباب ولده وهو ثمل وكان يعزف على العود، ومر عليهم، ولم يهتم بهم، فتغيروا جميعاً، رأى أحمد هذا الحال، فقال لهم: اعذروه لأنهم ذات ليلة أحضروا لنا مأكولاً من منزل الجار، فأكلنا منه (أنا وزوجي)، وكانت لنا صحبة في تلك الليلة، جاء منها إلى الوجود، تتبعت الأمر فكانت أمه قد ذهبت إلى عرس في قصر السلطان، وأحضرت منه مأكولا[٣٦٥].

يروى: أن مجوسياً يدعى بهرام كان جاراً لأحمد، وكان شريكه قد أرسله في تجارة وفي الطريق سرق اللصوص المال، ولما وصل الخبر للشيخ قال للمريدين: انهضوا نشاطر جارنا الأحزان لما حل به، فمع أنه مجوسي إلا أنه جار، وعندما وصلوا إلى باب داره وكان بهرام يشعل نار المجوسية، فأسرع إليه وقبل يده، وجال في خاطر بهرام: ربما هم جوعى، والخبز أقل من أن أضعه على مائدة. قال الشيخ: ما عليك، فقد جئنا نواسيك، لأني سمعت أن لصاً قد سرق أموالكم، قال المجوسي: بلى الأمر كذلك لكنه من الواجب أن أشكر الله

ثلاث مرات: أولاً: لأنها سرقت منى ولم أسرقها أنا من غيرى، ثانياً: لأن نصفها سرق ولم يسرق النصف الآخر، ثالثاً :لأن دينى معى، فالدنيا تجىء وتروح. سر أحمد بهذا الكلام، وقال: اكتبوا هذا، فإن رائحة الإسلام تفوح من هذه الأقوال الثلاثة، ثم اتجه الشيخ إلى بهرام وقال: لما تعبد تلك النار؟ قال: حتى لا تحرقنى، وسبب آخر هو أننى أزودها بالحطب اليوم، فلا تخوننى فى الغد، وتوصلنى إلى الله. قال الشيخ: أخطأت خطأ عظيماً، فالنار ضعيفة وجاهلة ولا وفاء لها وكل ما تعقده عليها باطلاً، فإن صب عليها طفل قدراً من الماء تخمد، وشخص ضعيف إلى هذا الحد كيف يستطيع أن يوصلك إلى قوى كهذا؟ شخص لا يقوى أن يدفع ذرة تراب عن نفسه، كيف يستطيع أن يوصلك إلى الحق، والشيء الثانى: أنها جاهلة، إن ألقيت فيها مسكاً وقذارة تلتهمها ولا تدرى أيهما أفضل ومن هنا فهى لا تفرق بين النجاسة والعود، والشيء الثالث هو: أنك عبدتها طيلة سبعين عاماً، ولم أعبدها أنا قط. هيا نضع أيدينا فيها، لترى أنها ستحرق كلا اليدين، ولا تحفظ لك وفاء فوقع هذا الكلام من قلب المجوسي موقعاً، فقال: أسألك أربع مسائل، إن أجبت أؤمن قل: لماذا خلق الحق (تعالى) الخلق؟ ولماذا رزقهم حين خلقهم؟ ولماذا يميتهم؟ ولماذا يبعثهم بعد أن يميتهم؟ قال: خلقهم ليعبدوه، ورزقهم ليعترفوا بأنه الرزاق، ويميتهم ليعترفوا له بالقهر، ويحييهم ليعترفوا له بالقدرة والعلم. عندما سمع بهرام هذا. قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» وعندما أسلم، صاح الشيخ صيحة، وفقد وعيه، ومضت فترة عاد فيها إلى رشده.

قالوا له: ما سبب هذا يا شيخ؟ قال: فى تلك اللحظة التى كان يبسط فيها إصبعه للشهادة، نودى علىّ: يا أحمد، قبع بهرام فى المجوسية سبعين عاماً، ثم آمن وأمضيت أنت سبعين عاماً فى الإسلام إلام ستئول فى العاقبة؟

يروى: أن أحمد لم يكن قد نام ليلة طوال عمره، فقالوا له: فلتسترح لحظة، قال: كيف يأتى النوم لشخص تزين له الجنة من أعلى ويشعل له الجحيم من أسفل ولا يدرى من أهل أيهما سيكون؟! وأيهما مقره؟

ومن أقواله ليتنى أعلم من يكرهنى ومن يغتابنى، ومن يسيئ إليَّ القول حتى كنت أرسل إليه الفضة والذهب، لأنه طالما ينشغل بأمرى ينفق من مالى.

وقال: اخشوا الله ما استطعتم، وأطيعوه قدرما تستطيعون وأطيعوه حتى لا تخدعكم الدنيا، فلا تبتلون بالبلاء كالسابقين.

ذكر حاتم الأصم[٣٦٦] (قدس الله روحه)

. هو زاهدالزمـان، والعـابد الفـريد، هو المعـرض عن الدنيـا، والمقـبل على العقبى، هو حاكم الكرم الشيخ حاتم الأصم (رحمة الله عليه).

كان من كبار مشايخ بلخ، وكان قد اشتهر فى خراسان. كان مريداً لشقيق البلخى وكان قد أدرك خضرويه أيضاً.

وكـان فريداً فى الزهد والرياضـة والورع والأدب والصـدق والحـذر، ويمكن القول: إن نفساً لم يكن قد صعد منه بعد البلوغ دون مراقبة ومحاسبة، ولم يخط خطوة بغـير صـدق وإخـلاص حـتى قـال الجنيـد عنه: «صـديق زمـاننا حـاتم الأصم».

وله أقوال عجيبة فى مجاهدة النفس، ودقائق مكرها، ومعرفة رعوناتها، ولا مثيل لتصانيفه القيمة، وآرائه وحكمته، مثلما قال لأصحابه ذات يوم: إن سألكم الناس ما ذا تعلمتم من حـاتم؟ ما تـقولون؟ قالوا: نقول العلم، قال: وإن قالوا لا علم لحاتم؟ قالوا: نقول الحكمة، قال: وإن قالوا لا حكمة له؟ ما تقولون؟ قالوا: نقـول: تعلمنا شيـئين: الأول: الرضـا بما فى اليـد، والثـانى: اليأس مما فى يد الناس.

ذات يوم سأل أصحابه(قائلا) : أتحمل عناءكم منذ عمر طويل ألم يصبح أى شخص منكم لائقاً؟ فقال أحدهم: غزا فلان عدة غزوات، قال: أيكون غازياً ويكون لائقاً عندى! قالوا: بذل فلان أموالاً طائلة، فقال: أيكون سخياً ويكون لائقاً لدى! قالوا: حج فلان كثيراً قال: أيكون حاجاً، ويكون لائقاً فى نظرى. فقالوا: لا ندرى، اشرح لنا إذن من هو اللائق لديك؟ قال: من لا يخاف سوى الله، ولا يأمل إلا فيه.

ووصل كرمه إلى حد أن امرأة جاءت إليه ذات يوم، وسألته عن مسألة، فخرج منها صوت (ريح)، قال حاتم: ارفعى صوتك فإننى أصم كى لا يخجلها، فرفعت العجوز صوتها فأجابها فى تلك المسألة[٣٦٧]. وكانت تلك العجوز قد عمرت ما يقرب من خمسة عشر عاماً، جعل نفسه فيها أصم حتى لا يقل شخص للعجوز أنه ليس كذلك. ولما توفيت العجوز أجاب الكلام ذى الصوت الخفيض حينئذ، وكان قبل ذلك يقول لكل من كان يتحدث معه، ارفع صوتك، ولهذا السبب سمى بالأصم.

يــروى : أن حاتماً كان يعظ فى مجلس بلخ ذات يوم، وكان يقول: إلهى، اغفر لمن هو أكثر ذنباً فى هذا المجلس، وأسود صحيفة وأجرأ على الذنوب. كان رجلاً يعمل نباشاً حاضراً فى ذلك المجلس، وكان قد شق كثيراً من القبور، وسرق الأكفان ولما حل الليل، ذهب للنباشة كعادته، وعندما رفع التراب من على القبر، سمع صوتاً من اللحد: ألا تخجل، فقد غُفر لك فى مجلس الأصم بالأمس، وتستمر فى عملك هذه الليلة أيضاً، فنهض النباش من التراب، وذهب إلى حاتم، وقص القصة، وتاب.

يقول سعد بن محمد الرازى[٣٦٨]: تتلمذت على يد حاتم عدة أعوام، ولم أره غاضباً قط إلا عندما كان قد ذهب إلى السوق ذات مرة، فرأى واحداً كان

قد تتلمذ على يديه وكان يصيح: قد استولى على بضاعتى عدة مرات، ولا يعطينى ثمنها. قال الشيخ: أيها السخى، اصفح عنه، قال: لا أعرف الصفح وأريد الفضة، ومهما تحدث فلا جدوى، فغضب ورفع الرداء عن كتفه، وألقاه على الأرض، فامتلأت حلبة السوق بالذهب، وكلها صحيحة فقال: هلا خذ حقك ولا تزد حتى لا تتيبس يدك، فأخذ الرجل الذهب المتناثر حتى حصل على حقه، ولم يستطع الصبر، فمدّ يده، وحمل ذهباً آخر، فتيبست يده فى الحال.

يــــروى: أن شخصاً دعا حاتم إلى دعوة، فقال له: لست معتاداً على الذهاب إلى ضيافة، فألح الرجل، فقال: إن كان لابد فأنا موافق بشرط أن توافق على ثلاثة أعمال: قال: موافق، قال: أجلس حيث أريد، وأفعل ما أريد، وآكل ما أريد، قال: حسناً ثم ذهب، ودخل، وجلس فى مكان النعال، قالوا: ليس هذا مكانك!. فقال: قد اشترطت أن أجلس حيث أريد، ولما وضعوا المائدة، أخرج حاتم رغيفاً من الشعير من كمه، وأخذ يأكل منه، فقال: يا شيخ، كل شيئاً من طعامنا، فقال: قد اشترطت أن آكل ما أريد، ولما فرغوا قال: ضع تلك النعال الثلاثة فى النار حتى تلتهب، فعل الرجل كذلك، فقال (له): الآن ضعهم فى هذا الممر، فعل الرجل ذلك، فنهض ووضع قدميه على الثلاثة نعال وقال: أكلت رغيفاً، ومضى. وقال: إن علمتم أن الصراط حق، والجحيم حق، وأن كل ما تفعلونه تسئلون عنه فوق ذلك الصراط، فتخيلوا أن هذه النعال الثلاثة هى ذلك الصراط، وضعوا أقدامكم عليها، وكل ما تناولتموه اليوم فى هذه الدعوة، تعطونى حسابه، قالوا: لا طاقة لنا بذلك يا حاتم، فقال حاتم: عندما تطيقون ذلك غداً تسئلون عما تكونوا قد فعلتموه فى الدنيا

وأكلتموه منها. «ولتسئلن يومئذ عما النعيم»[٣٦٩] فصارت تلك الدعوة مأتماً للجميع.

يــــروى: أن شخصاً جاءه ذات يوم، وقال: أملك مالاً وفيراً، وأريد أن أعطيك وأصحابك من هذا المال، أتأخذ؟ قال: أخشى أن تموت، وحينئذ ينبغي عليّ أن أقول: يا رازق السماء مات رازق الأرض.

قال رجل لحاتم: من أين تأكل؟ قال: من بيدر الله الذى لا يقبل الزيادة ولا النقص فقال ذلك الرجل: أتأكل مال الناس بالحسرة قال حاتم: أأكلت من مالك شيئاً؟ قال: لا، قال: ليتك كنت من المسلمين، قال إنك تسوق الحجج، قال: يطلب الله (تعالى) الحجة من العبد يوم القيامة، فقال: أهى كل هذا الكلام؟ قال: قد أنزل الله (تعالى) الكلام، وقد حللت أمك لأبيك بالكلام، قال: أيأتى رزقك من السماء؟ قال: يأتى الرزق للجميع من السماء. «وفى السماء رزقكم وما توعدون»[٣٧٠] قال: وربما ينزل من طاقة داركم قال: كنت فى بطن أمى، ولم يكن الرزق قد أتى فى ذلك الوقت، فقالت: ارضع الثرى حتى يأتى الرزق إلى فمك، قال حاتم: كنت قد رقدت عامين فى مهدى، وكان الرزق يأتى إلى فمى، قال: أرأيت شخصاً يحصد ما لم يزرع؟ قال: شعر رأسك الذى تحصده لا تزرعه، قال: انطلق فى الهواء حتى يصل رزقك إليك، قال: يصل إلى عندما أصبح طائراً، قال: اهبط على الأرض حتى يصل إليك قال: إن أصبحت نملة يصل إلى، قال: اغطس تحت الماء إذن واطلب الرزق، قال: يرزق السمك تحت الماء فلا عجب أن يصل رزقى إلىّ. فسكت الرجل، وتاب، وقال: عظنى، فقال: لا تطمع فى الخلق حتى لا يبخلون عليك، وأحسن باطنك مع الله حتى يحسن الله ظاهرك، وطع الله حيثما كنت حتى يطيعك الخلق.

وقـال لـه رجل أيضاً: من أين تأكل؟ قـال: «ولله خـزائن السـمـوات والأرض»[٣٧١]

يـروى: أن حاتماً سأل أحمد بن حنبل (قائلاً) أتسعى وراء رزقك؟ قال: بلى، قال: قبل أوانه أم بعده أم فيه؟ فكر أحمد (وقال): إن قلت قبل حينه لقال: لماذا تضيع وقتك؟ وإن قلت بعد حينه لقال: لما تبحث عن شيء ضاع منك؟ وإن قلت في حينه لقال: لماذا تنشغل بشيء سوف يأتي؟ وبقي عاجزاً أمام تلك المسألة، فقال الشيخ: هكذا ينبغي أن يكون الجواب: إن السعي (وراء الرزق) ليس بفريضة علينا ولا واجب ولا سنة فلماذا أسعى وراء شيء ليس من هذه الأشياء الثلاثة؟ وتسأل عن شيء هو نفسه يبحث عنك بقول الرسول ﷺ: يأتي هو إليك، وها هي إجابة حاتم: «علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا»

يـروى: أن حامد اللفاف[٣٧٢] قال: قال حاتم: ما من صباح إلا وإبليس يوسوس لي قائلاً: ما تأكل اليوم؟ أقول الموت يقول: وما تلبس؟ أقول: الكفن، يقول: وأين تسكن؟ أقول: القبر[٣٧٣] فيقول: يا لك من رجل سيء، أعجزتني، ويمضي.

يروى: أن حاتماً قال لزوجه: سأذهب للغزو، وأترك لك قليلاً من النفقات، قالت: بقدر ما تحيا، قال: الحياة ليست بيدي، قالت: والرزق أيضاً ليس بيدك. لما مضى حاتم، قالت عجوز لامرأته: ألم يترك حاتم رزقاً لكم؟ فقالت كان حاتم مرزقاً، والرازق هنا ولم يمض بعد.

يروى: أن حاتماً قال: عندما كنت في الغزو، أسرني تركي، وأضجعني كي يقتلني فلم ينشغل به قلبي قط، ولم يخف، بل كنت أنظر ما سيفعل؟ وبينما هو

يبحث عن سكين أصابه سهم فجأة، وطرحه عنى[٣٧٤]. فقلت: أقتلتنى أم قتلتك؟

يروى: أن شخصاً أراد السفر، فقال لحاتم: عظنى، قال: إن أردت العون فكفاك بالله عوناً، وإن أردت الصحبة فكفاك «كرام الكاتبين»، وإن أردت العبرة فكفاك الدنيا وإن أردت المؤنس فكفاك القرآن، وإن أردت العمل فكفاك عبادة الله، وإن أردت الموعظة فكفاك الموت، وإن لم تكتف بما ذكرته لك فكفاك الجحيم.

يروى: أن حاتماً قال لحامد اللفاف ذات يوم: كيف حالك؟ قال: بسلامة وعافية فقال: السلامة بعد عبور الصراط، والعافية أن تكون فى الجنة. قالوا: وفيما ترغب؟ قال: فى العافية، قالوا ألست فى عافية كل يوم؟ قال: إن عافيتى تكون فى ذلك اليوم الذى لا أعصى الله فيه.

يروى: أنهم قالوا لحاتم، قد جمع فلان مالاً وفيراً، قال: أجمع الحياة معه؟ قالوا: لا، قال: وما يفعل المال لميت؟! قال شخص لحاتم: أتحتاج شيئاً؟ قال: أحتاج، قال: أطلبه، قال: حاجتى هى: ألا ترانى وألا أراك.

وسأل أحد المشايخ حاتماً: كيف تصلى؟ قال: حين يحل الوقت، أتوضأ وضوءاً ظاهرياً وآخر باطنياً، وقال: الظاهرى بالماء والباطنى بالتوبة، وعندئذ أدخل المسجد، وأجعل المسجد الحرام شاهدى، وأضع مقام إبراهيم بين حاجبى، وأرى الجنة عن يمينى والجحيم عن يسارى والصراط تحت قدمى، وأتخيل ملك الموت خلفى، وأعهد بقلبى لله، عندئذ أكبر بتعظيم، وأقوم بحرمة، وأقرأ بهيبة، وأسجد بتضرع، وأركع بتواضع، وأجلس بحلم، وأسلم بالشكر، وهكذا تكون صلاتى.[٣٧٥]

يـــروى: أن حـاتماً مر ذات يوم علـى جماعة من أهل العلم وقال: اتصفوا بثلاثة وإلا وجبت الجحيم عليكم، قالوا: وما هى؟ قال: حسرة الأمس الذى مر عليكم ولم تستطيعوا الإكثار من الطاعة فيه ولا الاستغفار لذنوبكم، وإن شغلت اليوم بالاستغفار عن الأمس فمتى تؤدى حق اليوم؟ والثانية: اغتنام اليوم والسعى فى صلاح أمرك بالطاعة ومصالحة الخصوم، والثالثة: الخوف والخشية مما يصيبك فى الغد من نجاة أو هلاك.

وقـــال: وضع الله (تعالى) ثلاثة أشياء فى ثلاثة أشياء: فراغة العبادة فى أمن المؤنة والإخلاص فى العمل فى اليأس من الخلق، والنجاة من العذاب فى الطاعة، فطالما تطيعه فالأمل فى النجاة موجود.

وقـــال: احذر أن يدركك الموت وأنت على حال من ثلاثة أحوال: الكبر والحرص والخيلاء أما المتكبر فلن يخرجه الله من هذه الدنيا إلا ويذيقه الذلة من أقل شخص من أهله، وأما الحريص فلن يخرجه من هذه الدنيا إلا جائعاً يستولى العطش على حلقة ولا يسمح له بمرور شىء ليشربه، وأما المحتال فلا يخرجه إلا مبتلاً ببوله وحدثه.

وقال: إن وُزِنَ كبر زهاد زماننا وعلمائه وقرائه، لفاق كبر الأمراء والملوك كثيراً.

وقال: لا تغتر بالدار والبستان المزين، فلم ير آدم مكاناً أفضل من الجنة،فى كل ما رأى، ولا تغتر أيضاً بكثرة الكرامات والعبادات فقد رأى بلعم(٣٧٦) ما رأى مع القدر الكبير من الكرامات والاسم الأعظم الذى كان الله قد منحه إياه، وقال الله (تعالى): «فمثله كمثل الكلب»(٣٧٧)، ولا تغتر بكثرة العمل فقد رأى إبليس ما رأى مع كل طاعته ولا تغتر برؤية الزهاد والعلماء فليس هناك

شخص قط أعظم من المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والتحق ثعلبة بخدمته[٢٧٨]، وكان أقاربه يرونه ويقومون بخدمته ولم يستفيدوا شيئاً.

وقال: من يذهب هذا المذهب، فليتذوق ثلاثة أنواع من الموت: الموت الأبيض وهو الجوع، والموت الأسود وهو الاحتمال، والموت الأحمر وهو ارتداء المرقعة.[٢٧٩]

وقال: من لا يطلع على حكايات للزهاد تعادل سبع القرآن في يوم بليلته، لا يستطيع الحفاظ على سلامة دينه.

وقال: القلوب على خمسة أنواع: قلب ميت، وقلب مريض، وقلب غافل، وقلب منتبه، وقلب صحيح[٢٨٠]. القلب الميت قلب الكفار، والقلب المريض قلب المذنبين، والقلب الغافل قلب اللاهين، والقلب المنتبه قلب اليهودي سيء الفعال. «قالوا قلوبنا غلف»[٢٨١] والقلب الصحيح قلب العاقل العامل كثير الطاعة الخائف من الملك ذي الجلال.

وقال: تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر أن الله مطلع عليك وإذا تكلمت فاذكر أن الله سميع لما تقول، وإذا سكنت فاذكر أن الله عليم بحالك.[٢٨٢]

وقال: الشهوة ثلاثة أقسام: شهوة في الأكل، وشهوة في الكلام، وشهوة في النظر فاحفظ الاعتماد على الله بالأكل، واللسان بالصدق والنظرة بالعبرة[٢٨٣].

وقال: اطلب نفسك في أربعة مواضع: العمل الصالح بغير رياء والأخذ بغير طمع والعطاء بغير منة، والإمساك بغير بخل.[٢٨٤]

وقال: المنافق: ما أخذ من الدنيا يأخذه بالحرص، وإن منع، منع بالشك، وإن أنفق في المعصية، والمؤمن يأخذ ما يأخذه بقلة الرغبة والخوف، وإن حفظه حفظه بالضيق أي أن التملك صعب عليه، وإن أنفق، أنفق لوجه الله تعالى خالصاً في الطاعة.(٣٨٥)

وقال: الجهاد ثلاثة: جهاد في السر مع الشيطان حتى يتحطم، وجهاد في العلانية في أداء الفرائض حتى تؤدى، وكما قالوا: صلاة الفرض ظاهرة في الجماعة والزكاة أيضاً، وجهاد مع أعداء الدين في غزو الإسلام حتى يقتل أو يقتل.(٣٨٦)

وقال: ينبغي على الناس أن يحتملوا كل شيء سوى أنفسهم.

وقال: أول الزهد الاعتماد على الله ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

وقال: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل، وقرأ هذه الآية: «ألا تخافوا ولا تحزنوا»(٣٨٧)

وقال: إن أردت أن تكون حبيب الله، ارض بكل ما يفعله الله وإن أردت أن تُعرف في السماوات عليك بصدق الوعد.

وقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الضيف، وتجهيز الموتى، وتزويج البكر، وقضاء الدين، وتوبة المذنبين.(٣٨٨)

يروى: أنهم كانوا يرسلون شيئاً لحاتم فلم يكن يقبله، فقالوا: لماذا لا تأخذه؟ قال: أرى في قبوله ذلي، وفي رده عزي، وقبله ذات مرة، فقالوا: وما الحكمة؟ قال: فضلت عزه على عزي وذلي على ذله.

يروى: أن حاتماً عندما قدم إلى بغداد، أخبروا الخليفة بأن زاهد خراسان قد جاء، فطلبه، ولما دخل حاتم من الباب، قال للخليفة: يا زاهد، فقال الخليفة:

لست بزاهد فالدنيا بأسرها طوع أمرى، إنك أنت الزاهد، قال حاتم: لا بل أنت الزاهد، لأن الله (تعالى) يقول: «قل متاع الدنيا قليل» [٣٨٩] وقد قنعت بالقليل، فأنت الزاهد لا أنا فإننى لا أقنع بالدنيا والعقبى، فكيف أكون زاهداً.؟

ذكر سهل بن عبد الله التستري[٣٩٠] (قدس الله روحه العزيز)

هو سياح بيداء الطريقة، وغواص بحر الحقيقة، هو شرف الأكابر والمشرق الخاطر، هو مهدى الطريق ومرشده سهل بن عبد الله التسترى (رحمة الله عليه).

كان من سادة أهل التصوف، ومن كبار هذه الطائفة، وكان مجتهداً فى هذه الطريقة، وكان سلطانها فى زمانه، وكان برهان الحقيقة، كراماته كثيرة. وله فى الجوع والسهر شأن عال، وكان من علماء المشايخ، وكان إماماً للعهد، وأهلاً لثقة الجميع، وكان فى الرياضات والكرامات بلا نظير، وفى المعاملات والإشارات بلا بديل، وفى الحقائق والدقائق بلا مثيل.

وكما يقول عنه علماء الظاهر: إنه جمع بين الشريعة والحقيقة وهذا وجه العجب فيه لأن كليهما واحد، فالحقيقة زيت الشريعة والشريعة لبها.

وكان ذو النون المصرى شيخه، وقد أدركه فى ذلك العام الذى كان قد ذهب فيه للحج، ولم تقع هذه الواقعة لشيخ قط منذ طفولته كما حدثت له قبيل الطفولة.

كما يروى عنه أنه قال: أذكر أن الحق تعالى يقول «ألست بربكم»[٣٩١] فقلت: بلى وأجبت، وأذكر ذلك وأنا فى بطن أمى.

وقال: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم الليل، وكان خالي محمد بن سوار يبكى أثناء الصلاة لقيامي، وكان يقول: نم يا سهل، فإنك تشغل قلبى[٣٩٢] وكنت أراقبه سراً وعلانية، وحدث أن قلت لخالي: تعتريني حالة صعبة بحيث أننى أرى رأسى أمام العرش في السجود، فقال: إخف تلك الحال يا بنى، ولا تقل عنها لشخص قط، ثم قال: أذكره بقلبك حين تتقلب فى ثياب النوم من جنب إلى جنب، دون أن تحرك به لسانك وقل: «الله معى، الله ناظرى، الله شاهدى». قال: كنت أقول هذا وأخبرته فقال: قل فى كل ليلة سبع مرات، قال: (قلت) ثم أخبرته فقال: قل فى كل ليلة خمس عشرة مرة، وبعد هذا كانت حلاوة تسرى في قلبي، ولما انقضى عام، قال لى خالي: احفظ ما علمتك، وداوم عليه حتى تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة.

ثم قال: مرت أعوام، كنت أقول فيها ذلك، حتى ظهرت حلاوته في سريرتي. ثم قال لى خالي: يا سهل، من كان معه ويراه كيف يرتكب المعصية؟! فبالله عليك لا ترتكب معصية![٣٩٣].

وأقمت فى خلوة حتى بعثونى إلى الكتاب، فقلت: إنى لأخشى أن تتشتت همتى، فاشترطوا على المعلم أن أذهب إليه ساعة، فأتعلم شيئاً، ثم أرجع إلى عملي. ثم مضيت إلى الكتاب بهذا الشرط، وحفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وكنت أصوم دائماً وكان قوتي خبز الشعير، وفى الثانية عشرة صادفتنى مسألة لم يكن شخص يستطيع حلها، فسألت (أهلى) أن يبعثونى إلى البصرة حتى أسأل عنها، فجئت وسألت علماءها فلم يجبنى أحد منهم، فخرجت إلى «عبادان» إلى رجل كان يعرف بحبيب بن حمزة سألته عنها، فأجابنى، وأقمت عنده مدة وجيزة، واستفدت منه فوائداً جمة، ثم رجعت إلى تستر، فجعلت قوتي مقتصراً على درهم واحد، اشتروا لى به شعيراً، كانوا يطحنونه ويخبزونه

لى، وكنت أفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بغير ملح ولا إدام، فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة. ثم عـزمت على أن أفطر مـرة كل ثلاثة أيام، ثم وصلت إلى خمسة أيام ثم إلى سبعة أيام ثم إلى عشرين يوماً(٣٩٤).

يـروى: أن سهل قال: كنت قد وصلت إلى سبعين يوماً، وقال أحياناً كنت آكل لبة لوز فى أربعين يوماً بلياليهم وقال: كابدت الشبع والجوع عدة أعوام، وفى البداية أصابنى الضعف بسبب الجوع، وقويت بالشبع، ولما انقضى زمن استمديت قوتى من الجوع وضعفى من الشبع، وحينئذ قلت: يا إلهى، اغمض عيناً من عينى سهل حتى يرى الشبع فى الجوع والجوع فى الشبع بك. وقد كان أغلب صيامه في شعبان لأن أغلب الأخبار في شعبان، ولما كان يحل رمضان، كان يأكل شيئاً مرة واحدة، وكان يقضى الليل والنهار فى القيام.

قال ذات يوم: التوبة فريضة على العبد فى كل لحظة سواء كان من الخاصة أو العامة سواء كان مطيعاً أو عاصياً، فخرج عليه رجل فى تستر كان ينسب إلى الزهد والعلم، لهذا الكلام الذى يقوله والذى يعنى أنه ينبغى على العاصى أن يتوب عن المعصية، والمطيع عن الطاعة وحقره فى أعين العامة، ونسب أحواله إلى المخالفة، فكُفِّر لدى العامة والمشايخ، ولم يكن لديه القدرة على مناظرتهم، فشتتوه، وأمسكت نار الدين بطرفه، وكتب كل ما لديه من ضياع وعقار ومتاع وأوانى وذهب وفضة على ورقة، وجمع الخلق، ونثر قطع الورقة على رؤوسهم، وكل من أخذ قطعة من الورق، كان يعطيه كل ما كان قد كتب فى تلك الورقة شاكراً لهم لأنهم قبلوا الدنيا منه.

ولما منحهم كل ما لديه، قصد السفر إلى الحجاز، وقال لنفسه: أيتها النفس إننى صرت مفلساً، فلا تطلبى منى شيئاً قط لأنك لن تحصلى عليه، فاتفقت معه النفس ألا تطلب. ولما وصل إلى الكوفة، قالت له النفس: إلى هنا لم أطلب

منك شيئاً والآن أرغب فى قطعة خبز وسمك، وقالت: اعطنى مقداراً منها لأتناوله ولا أزعجك حتى مكة، فدخل الكوفة، فرأى طاحونة كانوا قد عقدوا ناقة بها، فقال: كم تدفعون أجراً لهذه الناقة قالوا: درهمين، قال الشيخ: أطلقها، وقيدنى حتى صلاة المغرب واعطنى درهما فأطلق الناقة، وربط الشيخ فى الطاحونة، وأعطوه درهماً فى المساء، فاشترى خبزاً وسمكاً، ووضعها أمامه، وقال: أيتها النفس، إذا رغبت فى شىء من هذا القبيل، فعاهدى نفسك أن تقومى بعمل الدواب من الصباح حتى المساء كى تحققى رغبتك.

ثم ذهب إلى الكعبة، وأدرك كثيراً من المشايخ هناك، وعندئذ قدم إلى تستر وكان قد أدرك ذا النون هناك، ولم يستند إلى حائط قط، ولم يتجول قط، ولم يجب على أى سؤال، ولم يعتل منبراً وكان قد ربط أصابع قدمه أربعة أشهر، فسأله فقير: ما أصاب أصابعك؟ قال: لا شىء، وعندئذ ذهب ذلك الفقير إلى مصر لدى ذى النون، فرآه وقد رُبطت أصابع قدمه، فقال: ما دهاك؟ قال: أصبت بداء، قال: منذ متى؟ قال: منذ أربعة شهور، قال: حسبتها فعرفت أن سهل قد وافق ذا النون ـ أى أن الموافقة شرط ـ قصصت الواقعة، فقال ذو النون: إنه الشخص الذى يعلم بدائنا ويوافقنا.

يروى: أن سهل تجول فى تستر ذات يوم، واستند إلى حائط، وقال: «سلونى عما بدا لكم؟ »فقالوا: لم تفعل هذا من قبل! قال: طالما كان الأستاذ حياً يجب أن يكون التلميذ مؤدباً، وسجل التاريخ أن ذا النون كان قد توفى فى ذلك الوقت.

يروى: أن عمرو بن الليث مرض، بحيث عجز كل الأطباء عن معالجته، وقالوا: هذا من اختصاص رجل يدعو (الله)، فقالوا: سهل مستجاب الدعاء، طلبوه فأجاب طاعة لأولى الأمر ولما جلس أمامه قال: يستجاب الدعاء فى حق شخص يتوب، وإن لك فى السجن مظاليم، فحررهم جميعاً وتاب. فقال

سهل: يا إلهى، مثلما أظهرت له معصيته فأره عز طاعتى، ومثلما ألبست باطنه لباس الإنابة فألبس ظاهره لباس العافية، ولما ناجى هذه المناجاة، جلس عمرو بن الليث، وصح (بدنه)، وعرض عليه مالاً وفيراً، فلم يقبله قط، وخرج من هناك.

قال مريد: إن قبلت شيئاً على سبيل دين نؤديه ألم يكن أفضل؟ فقال للمريد: أيلزمك ذهب؟ فانظر، نظر المريد فإذا الفيافي والصحارى صارت ذهباً وياقوتاً، فقال: الشخص الذى يكون مع الله على مثل تلك الحال، لماذا يأخذ شيئاً من مخلوق؟!(٣٩٥).

يروى: أن سهل عندما كان يسمع سماعاً كان الوجد يعتريه، ويظل خمسة وعشرين يوماً فى هذا الوجد، لا يتناول طعاماً، وكان العرق يتصبب منه - ولو كان الوقت شتاء - حتى كان قميصه يبتل، ولما كان العلماء يسألونه وهو على تلك الحال، كان يقول: لا تسألونى، فلا منفعة لكم منى ومن كلامى الآن.

يـروى: أن سهل كان يسير على الماء ولم تكن قدمه تبتل، فقال شخص: يقول قوم: إنك تسير على الماء! فقال له: سل مؤذن هذا المسجد فهو رجل صادق، قال: سألته فقال: لم أر ذلك، لكنه دخل حوض فى هذه الأيام كى يغتسل، فوقع فيه، ولو لم أكن هناك، لمات. لما سمع الشيخ أبو على الدقاق هذا، قال: إن له كرامات كثيرة لكنه أراد أن يخفيها.

يـروى: أن سهل كان قد جلس فى المسجد ذات يوم، فسقطت حمامة من الحر والتعب، فقال: مات شاه الكرمانى، ولما نظروا كان الأمر كذلك.

يـروى: أن أحد المشايخ قال: ذهبت إلى سهل يوم الجمعة قبل الصلاة، فرأيت حية فى داره، خفت، فقال: ادخل، قلت: إنى أخاف، فقال: لا يدرك

شخص حقيقة الإيمان طالما يخاف شيئاً آخر سوى الله، وقال لي: ما تقول في صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا والمسجد يوم بليلة، فأخذ بيدي، ثم نظرت فرأيت نفسي في المسجد الجامع فأدينا الصلاة، وخرجنا، وكنت أنظر إلى الناس، فقال: أهل لا إله إلا الله كثيرون والمخلصون قليلون.

يـــروى: أن كثيراً من الأسود والسباع كانت تجيء إليه فكان يقدم لها الطعام، ويرعاها، ويسمون بيت سهل في تستر اليوم «بيت السباع»[٣٩٦].

ومن كثرة ما ارتاض وعاني من الرياضة، لم يستقر في مكان إلا وحضرته حرقه البول، بحيث أنه كان يقضي حاجته عدة مرات في الساعة، وكان يحمل وعاء معه دائماً، لأنه لم يكن يستطيع الإمساك (على نفسه)، لكن عندما كان يحين وقت الصلاة كانت تنقطع، فكان يتطهر، ويصلي، وحينئذ كان يبقى قعيداً في مكانه، وعندما كان يعتلي المنبر، كانت تزول كل حرقته، وتنقطع، وتنمحي كل آلام قدمه، وعندما كان يهبط، كانت علته تعاوده، لكن مثقال ذره من الشريعة لم تكن تفوته.

يـروى: أن سهل قال لمريد: اجتهد أن تقول الله الله طوال اليوم، فكان الرجل يقولها حتى اعتادها، فقال له: الآن دوام عليها ليلاً، ففعل كذلك، حتى أنه إن كان يجد نفسه في الفراش يقول الله في النوم، حتى قيل له: كف عن هذا، وانشغل بالذكر، حتى حدث أنه استغرق طوال عمره في الذكر.

وكان في الدار ذات مرة، فسقطت قطعة خشب من فوقه، ووقعت على رأسه فأصابتها، وسالت قطرات الدم من رأسه على الأرض، ونقشت جميعها الله، الله.

يـروى: أن سهل أمر مريداً بعمل، فقال له: لا أستطيع خشية ألسنة الناس، فالتفت سهل إلى أصحابه وقال: لا يدرك حقيقة هذا الأمر ما لم يحظ بصفة

من صفتين: إما أن يسقط الخلق من عينه فلا يرى سوى الخالق، أو تسقط نفسه ولا يبالى بأى صفة يراه الخلق عليها. أى يرى الجميع الحق.

يـروى: أن سهل كان يحكى أمام مريد (قائلاً): هناك خباز فى البصرة، يحظى بدرجة الولاية، فنهض المريد، وذهب إلى البصرة، فرأى ذلك الخباز، وفي ذقنه خرطة كعادة الخبازين، ولما وقعت عليه عين المريد، جال بخاطره: إن كانت له درجة الولاية لما كان يحترز من النار، ثم سلم وسأل سؤالاً، فقال الخباز: طالما نظرت إلىّ بعين الاحتقار منذ البداية، فلا فائدة لك من كلامى.

يروى: أن الشيخ قال: كنت أسيرفى البادية ذات مرة، فرأيت عجوزاً كانت قادمة بمفردها، وقد عقدت عصابة على رأسها وأمسكت بعصا فى يدها، فقلت: ربما تخلفت عن قافلة، فوضعت يدى فى جيبى وأعطيتها شيئاً (قائلاً): إعتدى به حتى تبلغى مقصودك، فعضت العجوز بنان التعجب ومدت يدها فى الهواء، فأخذت حفنة من الذهب، وقالت: أنت تأخذ من الجيب، وأنا آخذ من الغيب، قالت هذا واختفت، فكنت أسير متعجباً لذلك، حتى وصلت إلى عرفات، ولما ذهبت إلى الكعبة للطواف رأيت الكعبة كانت تطوف حول شخص، فذهبت إلى هناك، فرأيت تلك العجوز قالت: يا سهل، من يخطو خطوة ليرى جمال الكعبة فلابد له من الطواف حولها، وأما من يخطو خطوة من وجوده ليرى جمال الحق، فلابد للكعبة من الطواف حوله.

وقال: قدم إلىّ رجل من الأبدال وتحدثت معه، وكان يسألنى عن الحقيقة وكنت أجيبه، حتى كان يصلى الصبح. وكان يسقط تحت الماء ويجلس تحته حتى وقت الزوال، وعندما كان أخى إبراهيم يؤذن للصلاة، كان يخرج من تحت الماء، ولم يكن طرف شعرة قد ابتل على جسده، وكان يصلى الظهر، ثم يسقط تحت الماء، ولم يكن يخرج من تحته إلا عند الصلاة، وقضى معى

مـدة على هذا الحـال، ولم يأكل شيـئاً قط، ولم يجلس مع شخص قط حتى مضى.

وقال: رأيت القيامة في المنام ذات ليلة، وكنت قد وقفت في هذا الموقف، وفجأة رأيت طائراً أبيض كان يمسك بواحد من كل جانب في الموقف، وكان يطير به إلى الجنة، فقلت: أي طائر هذا الذي إمتن به الحق تعالى على عباده؟ فجأة بدت ورقة من الهواء، فتحتها وكان قد كتب عليها: إنه الطير الذي يسمى الورع، فمن كان ورعاً في الدنيا، كان حاله كذلك في القيامة.

وقال: رأيت في المنام أنهم حملوني إلى الجنة، فرأيت ثلاثمائة شخص، فقلت: السلام عليكم، ثم سألت ما أفزع شيء آثار خوفكم؟ قالوا: الخوف من الخاتمة.

وقال: أراد الحق (تعالى) أن يهب الروح لآدم، فنفخ فيه الروح باسم محمد. وجعل كنيته أبا محمد، وليست هناك ورقة في الجنة كلها إلا مكتوباً عليها محمد، ولا شجرة في أرجاء الجنة إلا وغرست باسمه، وفي البداية سميت كل الأشياء باسمه، وسوف يكون خاتماً لجملة الأنبياء، فلا جرم أن جاء اسمه خاتم النبيين.

وقال: رأيت إبليس في المنام، فقلت: ما أشد شيء عليك؟ قال: إشارة قلوب العبيد إلى سيد العالم.

وقال: رأيت إبليس بين قوم، فقيدته بالهمة، ولما انصرف أولئك القوم قلت: لا أحرره، تعال، وتحدث في التوحيد وقال: جاء إبليس، وقال فصلاً في التوحيد لو كان عارفو الزمان حاضرين، لأخذوا جميعاً يعضون على نواجذهم.

وقال: رأيت شخصاً، وقد أحضروا له لقمة في ليلة جاع فيها جوعاً شديداً، فاشتبه فيها ولم يأكلها، ولم يستطع التعبد في تلك الليلة من الجوع، وتساوى

أجر ثلاثة أعوام كان يقضي ليلها في الطاعة، بأجر الجوع والتعفف عن طعام مشبوه في تلك الليلة.

وقـال: إن تمتلىء معدتي بالخمر أحب إليّ من أن تمتلىء بطعام حلال، قالوا: لماذا؟ قال: لأنه عندما تمتلىء المعدة بالخمر، يستريح العقل وتخمد نار الشهوة، ويأمن الخلق من يدي ولساني، ولكن عندما تمتلىء بالطعام الحلال ترغب في الفضول، وتقوى الشهوة، وتسعى النفس في طلب شهواتها(٣٩٧).

وقال: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح الحلال إلا بأداء حق الله.

وقال: من يأكل مرة واحدة في يوم بليلة فهذا هو أكل الصديقين.

وقال: لا تصح العبادة لشخص قط ولا يخلص له عمل ما لم يكن جائعاً.

وقـال: يجب عدم الفرار من أربعة أشياء حتى تصح العبادة هي: الجوع والفقر والذلة والقناعة.

وقـال: من يجوع لا يحوم الشيطان حوله بأمر الله، فأطلبوا الجوع حين تشبعون لأنه قد ابتلاكم بالشبع، وإن لم تفعلوا ذلك تتجاوزون الحد وتطغون.

وقال: الشبع أساس كل الآفات.

وقال: من يأكل حراماً تقع أعضاؤه السبعة في المعصية، فيبتلى بالمعصية أراد أو لم يرد، ومن يأكل حلالاً تشمل الطاعة أعضاءه السبعة ويلازمه التوفيق والخير.

وقال: الحلال الصافي هو الذي لا ينسى (المرء) الله فيه.

يروى: أن تلميذاً له جاع جوعاً شديداً، وانقضت عدة أيام، فقال: «يا أستاذ ما القوت؟ قال: ذكر الحي الذي لا يموت».

وقـــال : الخلق ثلاثة أقسام: مجموعة فى حرب مع أنفسهم من أجل الله تعالى، ومجموعة فى حرب مع الحق من أجل أنفسهم. إذ لماذا قضاؤك لا يرضينا ومشيئتك ليست بمشورتنا؟

وقال : قل لمن يريد أن تصح تقواه، تجنب كل الذنوب.

وقال : اعلموا أن كل عمل تؤدوه ولا تقتدون فيه بقدوة هو من جملة عذاب أنفسكم.

وقـــال : لا يصح تعبد العبد ما لم ير أثر المحبة على نفسه فى العدم، وأثر الوجود عليها فى الفناء.

وقـــال : خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا ومازالت قلوبهم غلف، ولم تهتد سوى قلوب الصديقين والشهداء.

وقـــال : لا يكمل إيمان المرء ما لم يتورع فى عمله، ويخلص فى ورعه، ويكون إخلاصه بالمشاهدة ويتبرأ إخلاصه عما دون الله.

وقـــال : أفضل الخائفين المخلصون، وأفضل المخلصين أولئك القوم الذين يخلصون حتى الموت. وقال: لا يطلع على الرياء إلا مخلصاً.

وقـــال : أولئك القوم الذين أدركوا هذا المقام، تحركوا بالبلاء، إن تحركوا انفصلوا وإن سكنوا اتصلوا.

وقال : من لا يعبد الله بالاختيار، عليه أن يعبد خلقه بالاضطرار.

وقـــال : حرام على القلب الذى يستطيع السكون إلى غير الله أن تصل إليه رائحة اليقين قط.

وقــال: حرام على القلب الذى يشوبه شىء لا يرضى الله عنه، أن يسرى فيه نور.

وقال: كل وجد ليس دليله الكتاب والسنة هو باطل(٣٩٨).

وقال: أفضل الأعمال أن يتطهر العبد من خبث طهارته.

وقال: من ينقل عن نفسه إلى نفسه يضيع ذكر خالقه من آن لآخر.

وقــال: الهمة هى أن يطلب (المرء) الزيادة، وعندما تنتهى، إما أن يصل إلى مقصوده أو ينقطع.

وقال: إن لم يكن البلاء لما كان السبيل إلى الحق.

وقــال: من يخلص أربعين يوماً، يزهد فى الدنيا، وتظهر عليه الكرامات وإن لم تظهر يكون قد أخل بالزهد، قالوا: وكيف تظهر عليه الكرامات؟ قال: بأن يأخذ ما يريد كما يريد.

وقــال: كل قلب يشتد بالعلم يصير أشد القلوب، وعلامته هى أنه يتعلق بالتدابير والحيل، ولا يمكن أن يسلم تدبيره لله، ومن يدعه الحق تعالى لتدبيره، يلق به فى الجحيم فى الدنيا والآخرة.

وقــال: العلماء ثلاثة أقوام: عالم بعلم الظاهر، يحدث بعلمه أهل الظاهر وعالم بعلم الباطن، يحدث بعلمه لأهله، وعالم علمه بينه وبين الله ولا يستطيع التحدث به لشخص قط.

وقال: لا تشرق الشمس ولا تغرب على شخص قط أفضل ممن يفضل الله على الجسد والمال والدنيا والروح والآخرة.

وقال: ليست هناك معصية قط أعظم من الجهل.

وقـال: لا تنظروا إلى هؤلاء المجانين بعين الاحتقار، لأنهم أطلقوا عليهم خلفاء الأنبياء.

وقـال شخص: ما علمك؟ قال: لا يتأتى علمنا بالتصرف، ولكن لا يمكن إطلاقه بالتكلف، عندما يرد هذا الحديث، يسلبك كل شيء.

وقـال: أصولنا ستة: التمسك بكتاب الله، والإقتداء بسنة الرسول «صلى الله وعلى آله وسلم»، وأكل الحلال، وكف الأذى عن الخلق وإن آذوك، واجتناب الآثام، والتعجيل بأداء الحقوق(٣٩٩).

وقـال: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالرسول في الأخلاق والأقوال والأفعال وأكل الحلال، والإخلاص في جملة الأعمال.

وقـال: أول شيء ينبغي على المبتدىء: التوبة وهي الندم، ونزع الشهوات من القلب، وتبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يدرك عبد التوبة ما لم يلزم الصمت، ولا يلزمه الصمت ما لم يختل، ولا تلزمه الخلوة ما لم يأكل حلالاً، ولا يتيسر الحلال ما لم يؤد حق الله، ولا يؤدى حق الله إلا بحفظ الجوارح، ولا يتيسر له ما أعددناه ما لم يطلب من الله العون عليه.

وقال: أول مقام للعبودية ترك الإختيار والتبرم من حولك وقوتك.

وقال: أعظم المقامات أن يبدل المرء طبعه السيء بالطبع الحسن.

وقال: شيئان يهلكان بني آدم: طلب العز والخوف من الفقر.

وقال: من كثر خشوع قلبه، لا يحوم الشيطان حوله.

وقـال: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، وحزين يظهر السرور، ورجل يكره شخصاً ويظهر له المحبة، ورجل يقوم الليل ويصوم النهار ويظهر القوة.

وقـال: ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من حجاب الدعوى، وليس هناك طريق أقرب إلى الله من الافتقار إليه(٤٠٠).

وقال: من إدعى لا يخاف، ومن لا يخاف لا يأمن، ومن لا يأمن لا يطلع على خزائن الملك.

وقال: من يداهن غيره لا يجد رائحة الصدق، ومداهنة النفس رياء.

وقـال: من يداهن مبتدعاً يسلبه الحق (تعالى) السنة، ومن يبتسم فى وجه مبتدع يسلبه الحق (تعالى) نور الإيمان.

وقال: كل حلال يريدون أخذه من أهل المعاصى يكون حراماً عليهم.

وقال: مثل السنة فى الدنيا كالجنة فى العقبى، فمن دخل الجنة أمن الخوف والبلاء، كذلك من عمل جادة السنة، أمن البدع والهوى.

وقـــال: من يطعن فى الكسب فقد طعن فى السنة، ومن يطعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان، ولا يصح كسب أهل التوكل سوى على جادة السنة، ومن هو ليس من أهل التوكل لا يصح كسبه سوى بنية التعاون أى يتعاون حتى يفرغ قلب الخلق منه.

وقـــال: إن استطعت أن تتشبث بالصبر فافعل، ولا تكن من أولئك القوم الذين يحيلون الصبر إليك.

وقـال: أصل جملة الآفات قلة الصبر على الأشياء. وغاية شكر العارف هى أن يعرف أنه عاجز عن أنه يستطيع أن يؤدى حق شكره، أو أن يصل إلى حد شكره.

وقال: لله عطايا فى كل يوم وساعة وليلة وأعظم عطاياه أن يلهمك ذكره.

وقال: ليست هناك معصية أسوأ من الغفلة عن الحق.

وقال: من يغمض عينه عن الحرام، لا يصيب الحق تعالى عينه بداء قط طوال عمره.

وقال: لم يخلق الحق (تعالى) مكاناً قط أعز من قلب المؤمن، لأنه لم يمنح الخلق شيئاً قط أعز من المعرفة، ويوضع أعز عطاء في أعز مكان، وإن كان في العالم مكان أعز من قلب المؤمن، لكان وضع معرفته فيه.

وقال: العارف لا يتغير طعمه قط وفي كل لحظة يكون أطيب رائحة.

وقال: لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر على الأشياء الخمسة التي ذكرناها.

وقال: لا يمر يوم إلا وينادي الحق (تعالى): إنك لا تنصف يا عبدي، اذكرك وتنساني، أدعوك إليّ فتذهب إلى حضرة شخص آخر، أرد عنك البلاء وتداوم على الذنب يا ابن آدم، أي عذر ستعتذر به حين تقدم يوم القيامة؟

وقال: خلق الله (تعالى) الخلق، وقال: قولوا لي أسراركم، وإلا فانظروا إليّ وإن لم تفعلوا هذا، اطلبوا حوائجكم.

وقال: لا يحيا القلب ما لم تمت النفس.

وقال: من ملك نفسه عز، وملك الآخرين أيضاً وكما قالوا: من ملك جسده ملك كل جسد، ولا يثور عليك خصمك طالما تثور على نفسك، ومن ملكته نفسه ذل، وأول جناية للصديقين هي إنسجامهم مع أنفسهم.

وقال: لا يُعبد الله عبادة أفضل من مخالفة الهوى والنفس.

وقال: من لا يعرف نفسه من أجل معرفة ربه، لا يعرفه الله.

وقال: من عرف الله، غرق في بحر من الحزن والسرور.

وقال: غاية المعرفة الحيرة والدهشة.

وقـال: أول مقام للمعرفة، هو أن يمنح العبد اليقين فى سريرته، فتطمئن جملة جوارحه بذلك اليقين، أى أن الخواطر السيئة من ضعف اليقين.

وقال: العارفون بالله هم أصحاب الأعراف، يعرفونه جميعاً بدليله.

وقـال: الصادق من يسلط الله (تعالى) عليه ملك، عندما يحين وقت الصلاة، يحثه عليها ليؤديها وينبهه إن كان نائماً(٤٠١).

وقال: اليأس من توبة القراء أكبر من اليأس من توبة الكفار وأهل المعاصى.

وقـال: على الخلق الاعتقاد فى لا إله إلا الله بالقلب والإعتراف بها باللسان، والوفاء بها بالعمل.

وقال: أول التوبة الإجابة ثم الإنابة ثم التوبة ثم الاستغفار، والإجابة بالفعل والإنابة بالقلب، والتوبة بالنية والاستغفار عن التقصير.

وقـال: الصوفى من يصفى من الكدر، ويمتلىء بالفكر، وينقطع فى قرب الله عن البشر، ويستوى لديه الذهب والمدر.

وقال: التصوف قلة الطعام، والسكون إلى الله، والفرار من الخلق.

وقـال: التوكل حال الأنبياء، فقل لمن يحظى بحال النبى فى التوكل، لا تحيد عن سنته.

وقـال: أول مقام فى التوكل أن تكون أمام القدرة كالميت أمام المغسل، يحركة كما يريد، ولا تكون له أى إرادة أو حركة.

وقال: لا يصح التوكل إلا ببذل الروح، ولا يمكن أن تبذل الروح إلا بترك التدبير.

وقال : علامات التوكل ثلاث: ألا يسأل وعندما يقدم (له شيء) لا يقبله، وطالما لا يقبله يتركه.

وقال : يمنح المتوكلون ثلاثة أشياء: حقيقة اليقين، ومكاشفة الغيب ومشاهدة قرب الحق (تعالى).

وقال : التوكل ألا تتهم الله، أي أن ما قدره لك سيحل بك.

وقال : التوكل هو السكون في كلا الحالتين السراء والضراء.

وقال : يوهب التوكل لقلب يحيا مع الله بلا غرض.

وقال : لجملة الأحوال وجه وقفا إلا التوكل كله وجه بلا قفا(٤٠٢). والمعنى أن الزهد والتقوى يكونان في اجتناب الدنيا، وتكون المجاهدة في مخالفة النفس والهوى، والعلم والمعرفة في رؤية الأشياء والعلم بها، والخوف والرجاء في اللطف والكبرياء، والتفويض والتسليم في الألم والعناء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء والصبر على البلاء والتوكل على الله، فلا جرم أن التوكل كله وجه بلا قفا. إن قال شخص :المحبة أيضاً كالتوكل على الله نقول: لا تكون المحبة على الله بل مع الله.

وقال : المحبة: التعلق بالطاعة، والبعد عن المخالفة.

وقال : من يحب الله يحظى بالسعادة.

وقال : الحياء أسمى من الخوف لأن الحياء للخاصة، والخوف للعلماء.

وقال : العبودية هي الرضا بفعل الله.

وقال : المراقبة: ألا تخاف أن تفوتك الدنيا وتخشى أن تفوتك الآخرة.

وقال : الخوف ذكر والرجاء أنثى وابنهما الإيمان.

وقال: كل قلب فيه كبر لا يستقر فيه الخوف أو الرجاء.

وقال: الخوف هو البعد عن النواهي، والرجاء هو الإسراع في أداء الأوامر، لا يصح علم الرجاء إلا للخائف.

وقال: أسمى مقام للخوف هو: أن يخاف العبد مما قدر له في علم الله، وكان رجل يدعي الخوف، فقال له: أتفكر في أي خوف خلافاً لخوف القطيعة؟. فقال: بلى، قال: إنك لم تعرف الله ولم تخش قطيعته.

وقال: الصبر انتظار الفرج من الله تعالى.

وقال: المكاشفة هي كما قالوا: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»[٤٠٣].

وقال: الفتوة متابعة السنة.

وقال: الزهد في ثلاثة أشياء: الزهد في الملبوس والذي سينتهي إلى المزابل والزهد في الأخوة التي ستؤل إلى الفراق، والزهد في الدنيا التي ستنتهي إلى الفناء.

وقال: الورع ترك الدنيا والدنيا نفس، فمن إعتد بنفسه فقد تمسك بعدو الله.

وقال: السفر من النفس إلى الله صعب.

وقال: لا تخلو النفس من ثلاث صفات: إما كافرة أو منافقة أو مرائية.

وقال: للنفس شرور كثيرة، واحد منها ظهر لفرعون ولا يظهر إلا بالفرعنة وهي إدعاء الربوبية.

وقال: ائتنس بشخص لديه كل ما يلزمك.

وقال: لم يقرّب الحق (تعالى) الأبرار بالخيرات وإنما قربهم باليقين.

وقــــال: حـافظوا على الدهن كي تزداد عـقـولكم، فلم يدرك الله قط قلب ناقص العقل.

وقــــال: التـجلي على ثلاثة أحـوال: تجلي الذات وهو المكاشـفـة، وتجلي الصفات وهو موضع النور، وتجلي حكم الذات وهو الآخرة وما فيها(٤٠٤).

سئل عن الأنس فقال: الأنس أن تأنس الأجساد بالعقل، ويأنس العقل بالعلم ويأنس العلم بالعبد، ويأنس العبد بالله.

وسئل عن بداية الأحـوال ونهـايتـهـا فـقـال: الورع أول الزهـد، والزهد أول التوكل، والتـوكل أول درجـة للعـارف، والمعـرفـة أول القناعـة، والقناعـة ترك الشهوات، وترك الشهوات أول الرضا، والرضا أول الموافقة.

وسئل: ما أقسى شيء على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه ليس لها نصيب فيه(٤٠٥).

وقال: الإخلاص إجابة ومن لا إجابة له لا إخلاص له.

وسئل عن الإخلاص فـقـال: الإخـلاص هو مـثلمـا أخذت الدين من الله لا تمنحه لأي شخص آخر إلا لله.

قالوا: صف لنا الصديقين فقال: هاتوا أسرار الصديقين حتى أخبركم عن أوصافهم.

قالوا: ما المشاهدة؟ فقال: العبودية.

قالوا: أللعاصين أنس؟ فقال: لا، ولا لمن يفكر في المعصية.

قـالوا: على أي شيء يكون الثـواب؟ فـقـال: لمن يقـوم الليل، ولا يجنى في النهار.

قالوا: يقول رجل: إننى كالدرهم لا أتحرك حتى يحركونى. فقال: لا يقول هذا الكلام إلا صديقاً أو زنديقاً.

قالوا: ما تقول فى تناول الطعام مرة فى يوم بليلته، قال: أكل الصديقين، قالوا: ومرتين؟ قال: أكل المؤمنين، قالوا: وثلاث مرات؟ قال: قل حتى ينتهوا إلى أن تأكل مثل الدواب.

سئل عن الطبع الحسن فقال: احتمال الفقر، ومكافأة من لا يفعل السوء، وطلب المغفرة له، والعطف عليه.

وقال: اتجاه العباد إلى الله زهد.

سئل بأى شىء يظهر (الله) أثر لطفه على العبد؟ قال: حين يصبر على الجوع والمرض والبلاء إلا ما شاء الله. سئل أين تذهب نار جوع شخص لم يأكل قط طيلة أيام كثيرة؟ فقال: يخمد النور تلك النار.

وقال: للجوع ثلاثة منازل: جوع الطبع وهو موضع العقل، وجوع الموت وهو موضع الفساد، وجوع الشهوة وهو موضع الإسراف.

سئل ما التوبة؟ فقال: أن تنسى الذنب، قال رجل: التوبة ألا تنسى الذنب فقال سهل: ليس كذلك فقد عرفت أن ذكر الجفاء فى أيام الوفاء يكون جفاء.

قال شخص: عظنى، فقال له: خلاصك فى أربعة أشياء: الجوع والسهر والوحدة والصمت، فقال: أريد أن أصحبك، قال: ومن تصاحب حين يموت أحدنا؟ احفظ نفسك معه الآن، وقال: إن خشيت السباع فلا تصاحبنى.

قالوا: يقال: إن السباع تأتى لزيارتك، قال: بلى يأتى الكلب للكلب.

قالوا: متى يستريح الفقير؟ قال: حين لا يرى نفسه إلا فى الوقت الذى يكون فيه.

قالوا: أي قوم نصحب من جملة الخلائق؟ قال: صاحبوا العارفين لإنهم لا يعتدون بشيء قط، وكل فعل يسرى عليهم، يأولونه لا جرم إنهم يلتمسون لك العذر في كل الأحوال.

ومناجاته:

قال: إلهي، ذكرتني ولم أذكرك، وإن ذكرتك لما كان هناك شخص مثلي ولما كفاني هذا سروراً ولما كان هناك شخص أسعد مني.

وكان سهل بن عبد الله واعظاً حقيقياً، وأقبل خلق على الطريق بفضله، وفي ذلك اليوم الذي اقتربت فيه وفاته، كان أربعمائة مريد، وقفوا على فراشه وقالوا: من يخلفك؟ ومن يعظ على منبرك؟ وكان هناك مجوسي، كانوا يقولون له «شاد دل» المجوسي، فتح الشيخ عينه وقال: يخلفني «شاد دل» قال الخلق: ربما اختل عقل هذا الشيخ. أينصب رجل له أربعمائة مريد عالم متدين من تلاميذه مجوسياً خليفة له؟!.

فقال: اجلوا ثورتكم، اذهبوا، واحضروا لي «شاد دل» فأحضروه، ولما وقع نظر الشيخ على «شاد دل» قال له: عندما يمر اليوم الثالث على وفاتي وبعد صلاة العصر ارتق المنبر، واجلس مكاني واخطب في الخلق وعظهم، قال الشيخ هذا، ومات. وفي اليوم الثالث بعد صلاة العصر، تجمع حشد من الناس، وجاء «شاد دل»، وارتقى المنبر، وكان الخلق يشاهدونه (ويقولون): ما هذا المجوسي ذو العمامة المجوسية على رأسه، والزنار المعقود على خصره؟! قال: أرسلني شيخكم رسولاً إليكم وقال لي: يا شاد دل ألم يحن الوقت بعد لأن تقطع زنار المجوسية فقلت: أقطعه الآن واستل خنجراً وقطع الزنار، وقد قال أيضاً: ألم يحن الوقت لأن تخلع عمامة المجوسية عن رأسك فقلت: ها أنا رفعتها وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ثم قال: وقد قال الشيخ:

قل: نصح من كان شيخكم وأستاذكم وقبول نصيحة أستاذكم شرط (قائلاً) : ها هو شاد دل قطع زنار الظاهر، وإن أردتم رؤيتي في القيامة عليكم بالمروءة وأن تقطعوا زنانير الباطن كلها، قال هذا: فقامت القيامة على أولئك القوم واعترتهم حالات عجيبة.

يروى: أنه في ذلك اليوم الذي حملوا فيه نعش الشيخ، كان كثير من الخلق يتزاحمون، وكان هناك يهودي في السبعين من عمره. عندما سمع الصياح والجلبة، خرج ليرى ما الخبر؟ ولما وصلت الجنازة، صاح نداء: أيها الناس، أترون ما أراه؟ كانت الملائكة تهبط من السماء، وترفرف على نعشه، وفي الحال، نطق الشهادة وأسلم.

وقال أبو طلحة بن مالك: إن سهل كان صائماً يوم ولد، ويوم مات، ووصل إلى الحق صائماً(٤٠٦).

يروى: أن سهل كان قد جلس مع أصحابه ذات يوم، فمر رجل من هناك، فقال سهل: لهذا الرجل سر، نظروا فكان الرجل قد مضى. ولما توفي سهل، كان مريد قد جلس على حافة قبره، فمر ذلك الرجل، قال له المريد: أيها السيد، هذا الشيخ الذي في هذا التراب قال: إن لديك سراً، فبحق الله الذي قد وهبك هذا السر افش لي شيئاً، فأشار ذلك الرجل إلى قبر سهل، (وقال): قل يا سهل، فقال سهل في القبر بصوت عال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» قال: يقال: من كان من أهل لا إله إلا الله لا يظلم قبره صدق أم لا؟ فصاح سهل من القبر وقال: إنه الصدق (رحمة الله عليه).

ذكر معروف الكرخى[٤٠٧] (رحمة الله عليه)

هو رفيق نسيم الوصال، ومحرم حرم الجمال، هو مقتدى صدر الطريقة، ومرشد طريق الحقيقة، هو العارف بأسرار المشيخة، قطب الزمان، معروف الكرخى (رحمة الله عليه).

كان السباق فى الطريقة، والمقدم لدى الطوائف، واختص بأنواع اللطائف. وكان سيد المحبين فى زمانه، وخلاصة عارفى عهده، بل إن لم يكن عارفاً لما كان معروفاً.

كانت كراماته وفيرة ورياضاته كثيرة، وكان آية فى الفتوة والتقوى، وقد حظى بلطف عظيم وقرب تام، ووصل فى مقام الأنس والشوق إلى الغاية.

وكان أبواه نصرانيين، فأرسلوه إلى مؤدب، قال له مؤدبه: قل: ثالث ثلاثة، فقال لا؟ ،بل هو الله الواحد، ومهما قال له: قل: الله ثلاثة، كان يقول: واحد ومهما ضربه الأستاذ فبلا جدوى. ذات مرة ضربه ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، ولم يجدوه ثانية وكان أبواه يقولان: ليته كان يرجع إلينا، ولكنا نوافقه على أى دين يشاء. مضى (معروف) وأسلم على يد على بن موسى الرضا، وبعد فترة رجع إلى دار والده ذات يوم، وطرق الباب فقيل: من؟ قال:

معروف، قيل: على أى دين أنت؟ قال: على دين محمد رسول الله، فأسلم أبوه فى الحال(٤٠٨).

وحينئذ التقى بداود الطائى، وارتاض كثيراً، وأكثر من التعبد والمجاهدة، واتخذ من الصدق منهجاً حتى أصبح «مشاراً إليه» يقول محمد بن منصور الطوسى(٤٠٩): كنت عند معروف فى بغداد، فرأيت فى وجهه أثراً (شجة)، فقلت: كنت عندك بالأمس، ولم يكن هذا الأثر؟ فما سببه؟ فقال: الشىء الذى لا شأن لك به لا تسأل عنه، وسل عن شىء يعنيك! فقلت: قل بحق المعبود، فقال: كنت أصلى بالأمس، وأردت الذهاب إلى مكة والطواف حولها، وذهبت إلى زمزم لأشرب، فزلت قدمى، وارتطم بها وجهى وهذا هو الأثر(٤١٠).

يـــروى: أن معروفاً كان قد ذهب إلى دجلة للطهارة، ووضع المصحف والمصلى فى المسجد، فدخلت عجوز، وأخذتهما، ومضت، فأخذ معروف يتعقبها حتى وصل إليها وتحدث معها، ورفع رأسه كى لا يقع نظره عليها، وقال: ألديك ولد يقرأ القرآن؟ قالت: لا، قال: اعطنى المصحف إذن، والمصلى لك، فتعجبت تلك المرأة من حلمه، وتركتهما مكانهما، فقال معروف: خذى المصلى حلالاً عليك، فمضت المرأة مسرعة من الخجل والحياء.

يروى: أن معروفاً كان يسير ذات يوم مع جمع، وكانت جماعة من الشباب قادمة، وتعيث فسادا، حتى وصلوا إلى شاطئ دجلة، فقال له الأصحاب: يا شيخ، أدع أن يغرقهم الحق (تعالى) جميعاً، لينقطع آذاهم عن الخلق، فقال معروف: إرفعوا أيديكم، ثم قال: إلهى، أسألك أن تسعدهم فى الآخرة كما أسعدتهم فى الدنيا، فتعجب الأصحاب وقالوا: يا سيدنا، إننا لا نعرف سر هذا الدعاء، قال: يعلمه من أحدثه، فانتظروا وسيتضح سره الآن. وعندما رأى ذلك الجمع الشيخ، حطموا الرباب، وسكبوا الخمر، وارتعدوا، وجثوا على يدى الشيخ

وقدميه، وتابوا. قال الشيخ: أرأيتم أن مراد الجميع قد حدث دون غرق ودون أن يصاب شخص بأذى(٤١١).

يـروى: أن سرى السقطى قال: رأيت معروفاً يوم عيد، كان يلتقط نوى التمر، فقلت: ما تفعل به؟ قال: رأيت هذا الطفل، وكان يبكى، فقلت: لماذا تبكى؟ فقال: إننى يتيم ليس لدى أب ولا أم، ويملك الأطفال الآخرين ثياباً، وأنا لا، ولديهم الجوز وأنا لا، ولهذا فإننى التقط هذا النوى من أجله كى أبيعه، وأشترى له جوزاً ليمضى ويلعب، فقال سرى: كف عن هذا، ثم حملت الطفل، وأرديته ثياباً، واشتريت له الجوز، وأدخلت السرور على قلبه، فرأيت نوراً فى الحال أضاء قلبى، وتبدل حالى(٤١٢).

يروى: أن مسافراً نزل على معروف فى الخانقاه ذات يوم، ولم يكن يعرف القبلة فاتجه (فى صلاته) إلى ناحية أخرى، وصلى، ولما حان وقت الصلاة، واتجه الأصحاب إلى القبلة وصلوا، خجل ذلك المسافر، وقال: لماذا لم تخبرونى؟ فقال الشيخ: إننا فقراء، وأى شأن للفقير بالتصرف؟ وراعى ذلك المسافر رعاية لا يمكن وصفها.

يـروى: أنه كان هناك خال لمعروف، وكان والياً على المدينة وكان يمر فى مكان خرب ذات يوم فرأى معروفاً جالساً فيه، وكان يتناول خبزاً وأمامه كلب، فكان يضع لقمة فى فمه ولقمة فى فم الكلب فقال له خاله: ألا تخجل أن تتناول الخبز مع كلب؟ قال: بل أخجل أن أعطى الخبز لفقير، ثم رفع رأسه، ودعا طائراً من الهواء، فهبط الطائر، وحط على يده، وكان يغطى رأسه وعينه بريشه، فقال معروف: من يخجل من الله، تخجل منه كل الأشياء، فخجل خاله فى الحال.

يروى: أن طهارة معروف نقضت ذات يوم، فتيمم فى الحال، فقيل له: ها هو نهر دجلة فلماذا تتيمم؟ قال: ربما لا أعيش حتى أبلغه(٤١٣).

يروى: أن الشوق غلبه ذات مرة، وكان هناك عمود، فنهض، واحتضن ذلك العمود وضغط عليه إلى حد أنه خشى معه أن يتفتت.

وله كلمات عالية منها أنه قال: للفتيان علامات ثلاث: وفاء بلا خوف، ومدح بلا جود وعطاء بلا سؤال(٤١٤).

وقال: علامة محبة الله: أن يشغل (العبد) بعمل تكون فيه سعادته، ويحفظه من المشاغل التى لا تفيده فى العمل.

وقال: علامة مقت الله العبد أن تراه مشتغلاً بما لا يفيده من أمر نفسه(٤١٥).

وقال: علامات أولياء الله ثلاث: همومهم لله، وفرارهم إليه، وشغلهم فيه(٤١٦).

وقال: إذا أراد الحق (تعالى) بعبد خيراً يفتح عليه باب عمل الخير، ويغلق عليه باب الكلام، وكلام الرجل فيما لا يعنيه علامة الخذلان(٤١٧). وإذا أراد بعبد شراً يكون الأمر على خلاف هذا.

وقال: حقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات وفراغ الهم عن فضول الآفات(٤١٨).

وقال: إذا أراد الله (تعالى) بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الكسل(٤١٩).

وقال: طلب الجنة بلا عمل ذنب وانتظار الشفاعة دون حفظ الرسوم نوع من الغرور، وارتجاء الرحمة فى عدم الطاعة جهل وحمق(٤٢٠).

وقالوا: ما التصوف؟ فقال: الأخذ بالحقائق، والقول بالدقائق، واليأس مما فى أيدى الخلائق.

وقال: من عشق الرئاسة لا يفلح قط.

وقال: أعرف سبيلاً إلى الله هو: ألا تطلب شيئاً من شخص، وألا يطلب شخص منك شيئاً قط.

وقال: غضوا أبصاركم عن الجميع ذكراً كان أو أنثى(٤٢١).

وقال: احفظوا اللسان من المدح واحفظوه من الذم أيضاً، وسألوه: بأى شيء ندرك الطاعة؟ فقال: بأن تخرجوا الدنيا من قلوبكم، وإن يرد على قلوبكم شيء قليل منها اقتلعوه فى كل سجدة تسجدوها(٤٢٢).

وسئل عن المحبة فقال: المحبة ليست من تعاليم الخلق، إنما هى من مواهب الحق وفضله(٤٢٣).

وقال: إذا لم تكن هناك أى نعمة للعارف فهو فى كل نعمة(٤٢٤).

يروى: أن معروفاً كان يتناول طعاماً طيباً ذات يوم، فقالوا له: ما تأكل؟ فقال: أنا ضيف، آكل ما يعطونه لى ومع هذا كان يقول لنفسه ذات يوم: أيتها النفس خلصينى حتى تتحررى أيضاً(٤٢٥).

وطلب منه إبراهيم(٤٢٦) وصية ذات مرة فقال: توكل على الله حتى يكون معك، ويكون مؤنسك وملاذك حين تشكو له من الجميع، لأن جملة الخلق لا يستطيعون نفعك ولا دفع الضرر عنك(٤٢٧) وقال: ارجوه لأن جملة الأدواء لديه، واعلم يقيناً أن كل ما يحل بك من داء أو بلاء أو فاقة أن الفرج منها يكمن فيها.

وقال شخص آخر: عظنى، فقال: احذر أن يراك الله ولا تكون فى زمرة المساكين.

قال سرى: قال لى معروف: إذا كنت فى حاجة إلى الله، أقسم له وقل: يارب بحق معروف الكرخى تجب حاجتى فتكون الإجابة فى الحال(٤٢٨).

يروى: أن الشيعة تزاحموا على باب الرضا (رضى الله عنه) ذات يوم، وكسروا أضلع معروف الكرخى، فمرض(٤٢٩) فقال له سرى السقطى: عظنى، فقال: إذا مت، تصدق بقميصى، فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عارياً مثلما دخلتها(٤٣٠).

لا جرم كان فريداً فى التجريد، ومن قوة تجريده، كانوا يسمون قبره بعد وفاته الترياق المجرب، وأى حاجة يذهبون إلى قبره فيها يجيبها الحق تعالى.

وعندما توفى حدث أن تنازعت عليه كل معتنقى الأديان: من يهود ونصارى ومؤمنين لغاية لطفه وتواضعه، وقالت كل مجموعة: إنه منا، فقال خادم إنه قد قال: من يستطيع رفع نعشى من الأرض أكون من قومه، فلم يستطع النصارى ولا اليهود، فجاء أهل الإسلام، ورفعوه، وصلوا عليه ودفنوه هناك.

يروى: أنه كان صائماً ذات يوم، وكان النهار قد انتصف، وكان يمضى فى السوق وكان سقاء يقول: «رحم الله من شرب» فأخذ منه وشرب، فقيل له: ألم تكن صائماً؟ فقال: بلى لكنى رجوت دعاءه(٤٣١) ولما توفى، رأوه فى المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلنى فى دعاء السقاء، وغفر لى.

قال محمد بن الحسين(٤٣٢) (رحمة الله عليه): رأيت معروفاً فى المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى، فقلت: بزهدك وورعك، قال: لا، بقبولى عظة سمعتها من ابن السماك فى الكوفة حيث قال: من أقبل على الله

كلية، أقبل الله برحمته عليه، وأقبل بجميع الخلق عليه، فوقع كلامه فى قلبى فأقبلت على الله، وتركت جميع المشاغل إلا خدمة على بن موسى الرضا، وذكرت له هذا الكلام فقال: إذا قبلت الموعظة، فيكفيك هذا[٤٣٣].

قال سرى: رأيت معروفاً فى المنام وهو واقف تحت العرش، وقد حملق عينه كالوا له المفتون، وكان نداء يصل من الحق تعالى إلى الملائكة: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يارب، فيقول: إنه معروف الذى سكر من حبنا ووله به، فلا يفيق إلا برؤيتنا، ولا يعلم عن نفسه شيئاً إلا بلقائنا[٤٣٤]. (رحمة الله عليه).

ذكر سري السقطي[٤٣٥] (قدس الله روحه)

هو النفس الخاضعة بالمجاهدة، والقلب الحي بالمشاهدة، هو سالك حضرة الملكوت، والشاهد على عزة الجبروت هو مركز دائرة «لا نقطي»[٤٣٦]، شـيخ الزمان سرى السقطي (رحمة الله عليه).

كان إماماً لأهل التصوف، ووصل إلى الكمال في أصناف العلم، وكان بحراً للحزن والألم، وجبلاً للحلم والثبات، وخزانة للمروءة والشفقة، وأعجوبة في الرموز والإشارات، وكان أول شخص تحدث عن الحقائق والتوحيد في بغداد، وكان أغلب مشايخ العراق من مريديه، وكان خال الجنيد، ومريداً لمعروف الكرخي، وكان قد رأى حبيباً الراعي.

وفي بدء أمره كان يقيم في بغداد، وكان له حانوت، كان يعلق عباءته على بابه، ويصلي، وفي كل يوم كان يصلي عدة ركعات، فجاء رجل من جبل اللكام لزيارته. ورفع العباءة من على الباب، وسلم، وقال لسرى: يبلغك الشيخ الفلاني من جبل اللكام السلام، فقال السري: إنه قد سكن الجبل، ولا يعمل، ويجب على الرجل الانشغال بالحق في السوق بحيث لا يغيب عنه لحظة[٤٣٧].

يــروى: أن السرى لم يكن يطلب فى البيع والشراء سوى نصف على كل عشرة، وذات مـرة اشترى جوزاً بستين ديناراً، وحدث أن ارتفع ثمن الجوز، فأتاه دلال وقال له: بعه لى قال: بكم؟، قال: بثلاثة وستين ديناراً، قال الدلال: ثمن اللوز اليوم تسعين ديناراً، فقال: إنى قد عقدت العزم ألا آخذ أكثر من نصف دينار على كل عشرة دنانير، ولن أنقض عزمى، فقال الدلال: وأنا أيضاً لا أجيز أن أبيع بضاعتك بالقليل، فلم يبع الدلال، ولم يجز السرى[٤٣٨].

فى بادىء الأمر كان يسب البيع، وحدث أن احترق سوق بغداد ذات يوم، فقيل له: احتـرق السوق، فقال: وأنا فرغت أيضاً، نظروا بعد ذلك فلم يكن حانوته قد احترق ولما رأى ذلك، وهب الفقراء كل ما يملك، وسلك طريق التصوف[٤٣٩].

سئل: كيف كانت بداية حالك؟ فقال: مر حبيب الراعى بدكانى ذات يوم، فأعطيته شيئاً يمنحه للفقراء فقال: «خيّرك الله» ومنذ ذلك اليوم الذى قال فيه هذا الدعاء فترت الدنيا على قلبى[٤٤٠].

وذات يوم آخر كان معروف الكرخى يأتى إليه وبرفقته صبى يتيم، وقال: إكس هذا اليتم، قال سرى: فكسوته، فقال معروف: بغّض الله (تعالى) إليك الدنيا، وأراحك من هذا الشغل، ففرغت من الدنيا مرة واحدة ببركات دعاء معروف[٤٤١].

ولم يبالغ شخص فى رياضته مثله إلى حد أن الجنيد قال: لم أر شخصاً قط أكمل عبادة من السرى مرت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى خلالها مضطجعاً إلا فى علّة الموت[٤٤٢].

وقال: تشتهى نفسى جزرة مغموسة فى الدبس منذ أربعين عاماً ولم أُذِقْها إياها[٤٤٣].

وقـال: أنظر فى المرآه كل يوم عدة مرات مخافة أن يكون قد إسود وجهى من الذنوب(٤٤٤).

وقال: أريد أن تُلّقى ما على قلوب الناس من هموم على قلبى حتى يفرغوا من الهم.

وقـال: أخشى إن جاءنى أخ. وحككت محاسنى بيدى، فيسجل اسمى فى صحيفة المنافقين.

وقال بشر الحافى: لم أكن أسأل شخصاً قط سوى السرى الذى كنت قد عرفت زهده، وأنه يسر بما يخرج من يديه.

قال الجنيد: دخلت يوماً على السرى وهو يبكى، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جال بخاطرى أن أعلق كوزاً الليلة ليبرد الماء، ثم استغرقت فى النوم، فرأيت حورية، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يعلق الكوز ليطيب ماؤه، وضربت تلك الحورية بكوزى على الأرض، انظر ها هو، قال الجنيد فرأيت خزفاً مكسوراً، وكأنه كان قد وقع منذ زمن بعيد(٤٤٥).

قال الجنيد: كنت نائماً ذات ليلة، ثم استيقظت، وتملكتنى رغبة فى الذهاب إلى مسجد «شونيزيه»، فذهبت، ورأيت شخصاً مهيباً، فخفت، فقال لى: أتخاف يا جنيد منى، قلت: بلى، قال: إن عرفت الله كما ينبغى لما خفت غيره، فقلت: من أنت؟ قال: إبليس، قلت: وهل يمكن لى أن آراك؟ فقال فى تلك البرهة التى خفت فيها منى غفلت عن الله، وأنت لا تدرى، فما مرادك من رؤيتى؟ قلت: أردت أن أسألك: ألك يد على الفقراء؟ قال: لا، قلت: لماذا؟ قال: إذا أردت أن آخذهم بالدنيا يفرون إلى العقبى، وإذا أردت أن آخذهم بالعقبى يفرون إلى المولى، ولا سبيل لى إليه. فقلت: طالما ليست لك يد عليهم فإنك لا تراهم إذن،

قال: أراهم فى حال فى السماع والوجد وأرى مما ينوحون؟ قال هذا، واختفى. ولما دخلت المسجد، رأيت السرى، وقد وضع رأسه على ركبته، فرفع رأسه وقال: يكذب عدو الله فهم أعز من أن يظهروا معه.

قال الجنيد: مررت والسرى بجماعة من المخنثين، فجال بخاطرى: كيف سيكون حالهم؟ قال السرى: لم يجل بخاطرى قط أن لى فضلاً على أى مخلوق فى كل العالم، قلت: يا شيخ، ولا على المخنثين؟ قال: لا(٤٤٦).

قال الجنيد: دخلت على السرى، فرأيته متغيراً، فقلت: ما حدث؟ قال: جاءنى ملك من الملائكة وسألنى ما الحياء؟ فأجبته، فصار ذلك الملاك ماء كما ترى!!

يروى: أن السرى كانت له أخت، فاستأذنته أن تكنس له داره، فلم يأذن لها، وقال: لا تساوى حياتى أجر هذا، ودخلت داره يوماً فرأت عجوزاً كانت تكنس داره، فقالت: يا أخى، إنك لم تأذن لى أن أقوم بخدمتك، والآن أحضرت امرأة غريبة! فقال: لا تشغلى قلبك يا أختاه، فهذه هى الدنيا قد احترقت فى عشقنا وحرمت منا، والآن استأذنت الحق (تعالى) أن يكون لها نصيب من زماننا، فمنحت مكنسة رواقنا.

يقول أحد المشايخ: رأيت عدداً من المشايخ، فلم أجد أحداً قط مشفقاً على خلق الله شفقه السرى.

يروى: أن من كان يسلم عليه، كان يقطب وجهه، ويجيبه السلام، فسئل عن سر هذا فقال: قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من يسلم على مسلم، تهبط عليه مائة رحمة، تسعون منها لمن تنفرج أساريره، لذا قد عبست لتحل عليه تسعون رحمة. إن قال شخص هذا إيثار وما فعله أكبر من درجة

الإيثار وإلا فكيف يريد أن يفضله على نفسه؟ أقول: «نحن نحكم بالظاهر» فإننا نستطيع أن نحكم بالظاهر على تقطيب الوجه، لكننا لا نستطيع الحكم على الإيثار وهل هو نابع من الصدق أم لا؟ ومن الإخلاص أم لا فلا جرم أنه فعل ما استطاع في الظاهر.

يروى: أن السرى رأى يعقوب (عليه السلام) في المنام ذات مرة، فقال: ما هذه الفتنة التي ألقيت بها في الدنيا من أجل يوسف يانبى الله؟ وطالما أن لك شأناً في الحضرة، فاترك حديث يوسف، فجاءه هاتف: أيها السرى، احفظ قلبك، وأظهروا له يوسف، فصاح صحيحة، وغشى عليه، وكان قد ظل ثلاثة عشر يوماً بلياليها فاقداً الوعى، ولما ثاب إلى رشده قيل هذا جزاء من يلم عشاق حضرتنا.

يروى: أن شخصاً أحضر طعاماً للسرى وقال: منذ كم يوم لم تأكل؟ فقال: منذ خمسة أيام، فقال: قد كان جوعك جوع بخل ولم يكن جوع فقر.

يروى: أن السرى أراد أن يرى أحد الأولياء، فتصادف أن رأى أحدهم على قلة جبل، فلما وصل إليه قال: السلام عليك، من أنت؟ فقال: هو، قال: وما تفعل؟ قال: هو، قال: وما تأكل؟ قال: هو، قلت: أتقصد الله بقولك هو؟ سمع هذا الكلام فصاح صيحة، وأسلم الروح.

يروى: أن الجنيد قال: سألنى السرى عن المحبة يوماً، فقلت: قال قوم: هى الموافقة، وقوم آخرون: هى الإشارة، وقال: أشياء أخرى. فأخذ السرى جلدة يده، وجذبها فلم تنجذب، ثم قال: وعزته إن قلت أن هذه الجلدة يبست بسبب محبته لصدقت، وغشى عليه،وصار وجهه كأنه قمر[٤٤٧].

يروى: أن السرى قال: يصل العبد في المحبة إلى حد أنه إن ضربته بسهم أو بسيف فإنه لا يدرى، وعلم قلبى بهذا حتى اتضح أن الأمر هكذا.

وقال السرى: عندما أعلم أن الناس يجيئونني ليتعلموا منى العلم، أدعو (قائلاً): يارب، هب لهم علماً يشغلهم عنى، حتى لا يشغلونى، فإنى لا أحب مجيئهم إلى(٤٤٨).

يـــروى: أن رجلاً ظل ثلاثين عاماً ملتزماً بالمجاهدة، فقيل له: بما نلت هذا؟ قال: بدعاء السرى، قالوا: كيف؟ قال: دخلت داره يوماً، وطرقت الباب، وكان فى خلوة، فصاح: من؟ قلت: عارف، قال: إن كنت عارفاً لشغلت به، ولما اهتميت بنا، ثم قال: إلهى، اشغله بك حتى لا يهتم بشخص قط، دعا هذا الدعاء، فنزل شيء بصدرى ووصل بى الأمر إلى هذه الدرجة.

يروى: أن السرى كان يعظ فى مجلس ذات يوم، وكان أحد ندماء الخليفة ويدعى أحمد بن يزيد الكاتب يمر فى أبهة تامة وقد التفت حوله مجموعة من الخدم والغلمان، وقال: لأذهب إلى مجلس هذا الرجل، فإننى ذاهب إلى عدة أماكن لا ينبغى الذهاب إليها، ومن ثم ساقنى قلبى إلى ذلك المكان، ثم مضى إلى مجلس السرى، وجلس، فجرى على لسان السرى: ليس هناك شخص قط أضعف من الإنسان فى الثمانية عشر ألف عالم ولا يعصى مخلوق قط من أنواع خلق الله أو امره كالانسان، فإن أحسن يحسن إلى حد تحسده عليه الملائكة، وإن أساء يسيء إلى أن يستنكف الشياطين صحبته، والعجيب أن إنساناً بهذا الضعف يعصى إلهاً بهذه العظمة، فكان هذا سهماً اطلق من قوس سرى واتجه إلى روح أحمد، فبكى طويلاً إلى أن غشى عليه، ثم نهض باكياً، وذهب إلى داره، ولم يأكل فى تلك الليلة قط، ولم يتحدث، وفى اليوم التالى جاء إلى المجلس مترجلاً، حزيناً شاحباً، ولما انتهى المجلس مضى إلى داره، وفى اليوم الثالث جاء مترجلاً بمفرده، ولما انتهى المجلس، تقدم إلى السرى وقال: أيها الأستاذ، قد أسرنى كلامك هذا وجعل الدنيا فاترة على قلبى، ومن

ثم أريد أن أعتزل الخلق، وأترك الدنيا، فارشدني إلى طريق السالكين، فقال: أتريد سبيل الطريقة أم الشريعة؟ أتريد طريق العامة أم الخاصة؟ فقال: إرشدني إلى الطريقين، فقال: سبيل العامة هو: أن تحافظ على الصلوات الخمس وتخرج الزكاة إن كانت عن المال فنصف دينار لكل عشرين ديناراً وسبيل الخاصة هو: أن تطىء الدنيا كلها بقدمك، ولا تنشغل بشيء قط من زينتها، وإن أعطيت فلا تقبل، وأنت تعرف هذين الطريقين.

ثم خرج من هناك، واتجه إلى الصحراء، ولما انقضت عدة أيام، جاءته عجوز شعثاء مخدوشة الوجه وقالت: يا إمام المسلمين، لدى ولد شاب نضر الوجه، جاء إلى مجلسك ضاحكاً مختالاً، وعاد باكياً متهالكاً، الآن قد غاب عدة أيام ولا أعلم أين هو؟ احترق قلبي لفراقه، فدبرني في هذا الأمر، فأشفق السرى عليها من كثرة نحيبها، وقال لا تتضايقي، فلن يحدث إلا خيراً، وعندما يعود، سأخبرك، إنه قد ترك الدنيا فبقيت لأهلها، وقد أصبح تائباً حقيقياً. ولما انقضت مدة، جاء أحمد ذات ليلة، فقال السرى للخادم: إذهب، وأخبر العجوز، ثم رأى السرى أحمد وقد ذبل وجهه وأصابه الهزال، وانحنى قده، فقال: أراحك الله أيها الأستاذ المشفق كما أرحتني من الظلمات، ووهبك الراحة في العالمين، وبينما كانوا في هذا الحديث جاءت أم أحمد وعياله، وكان له صبي صغير أحضروه، فلما وقعت عين الأم على أحمد، ورأته على تلك الحال، التي لم تكن قد رأتها من قبل، ألقت بنفسها في حضنه، وأخذ عياله يبكون في ناحية، وكان الصبي يبكي، وارتفع الصياح منهم جميعاً، فبكى السرى، وألقى طفله بنفسه على قدميه، ومهما حاولوا أن يحملوه إلى الدار فبدون جدوى، وقال: يا إمام المسلمين، لماذا أخبرتهم؟ إنهم سيضروننى؟ فقال: كانت أمك قد انتحبت كثيراً، وقد قبلت منها، ثم أراد أحمد أن يعود، فقالت له زوجه: جعلتني أرملة

وأنت حى، ويتمت أولادى فى ذلك الوقت الذى يريدونك فيه، فما أفعل؟ لا جرم ينبغى عليك أن تأخذ ابنك معك، فقال: وهو كذلك، فخلع عن ابنه الثياب الحسنة، وألقى عليه قطعة خشنة، ووضع زنبيلاً فى يده، وقال: سر، فلما رأت الأم تلك الحال قالت: لا أطيق هذا، اختطفت الابن، فقال أحمد لزوجه: وأنت أيضاً جعلتك وكيلة لنفسك إن أردت طلقينى، ثم عاد أحمد، واتجه إلى الصحراء، وانقضت عدة أعوام، وذات ليلة فى صلاة العشاء اتجه شخص إلى خانقاه السرى ودخل وقال: أرسلنى أحمد إليك، ويقول: ضاق بى الأمر، فأدركنى، فذهب الشيخ ورأى أحمد نائماً فى قبر على التراب، وقد وصلت روحه إلى شفتيه، وكان يحرك لسانه، أنصت إليه فكان يقول: «لمثل هذا فليعمل العاملون»[٤٤٩] رفع السرى رأسه، ونظفها من التراب، ووضعها على طرفه ففتح أحمد عينيه، فرأى الشيخ، فقال: أيها الأستاذ، جئت فى وقتك، فقد ضاق بى الأمر، ثم انقطع نفسه، فاتجه السرى إلى المدينة باكياً، حتى يهيىء له الأمر فرأى خلقاً كانوا يخرجون من المدينة، فقال أين تذهبون؟ قالوا: ألا تعلم أن نداء جاء من السماء بالأمس: قل لمن يريد أن يصلى على ولى الله الخاص أن يذهب إلى مقابر شونيزيه، وهكذا كانت له كرامة حيث كان المريدون ينهضون إليه، ولو أنها صدرت عن الجنيد لكان صحيحاً. ومن أقواله أنه قال: أيها الشباب، اعملوا فى الشباب قبل أن تصلوا إلى الشيخوخة فتضعفون وتقصرون مثلى، وفى هذا الوقت الذى قال فيه هذا الكلام لم يحظ شاب قط بطاقة عبادته.

وقال: منذ ثلاثين سنة وأنا أستغفر بسبب شكر، قيل: وكيف؟ فقال: وقع حريق بسوق بغداد، لكن دكانى لم يحترق فأخبرونى، فقلت: الحمد لله، وأستغفر خجلاً من أننى أردت لنفسى أفضل مما كان لإخوانى المسلمين وحمدت الدنيا[٤٥٠].

وقال: إذا فاتنى جزء من وردى فلا قضاء له أبداً[٤٥١].

وقال: ابتعدوا عن الجيران الأغنياء، وقراء السوق، وعلماء الأمراء.

وقال: قل لمن أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمه، فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة[٤٥٢].

وقال: كل الدنيا فضول إلا خمسة أشياء: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره وبيت يكنه وعلم يستعمله[٤٥٣].

وقال: كل معصية سببها شهوة يرجى غفرانها، وكل معصية سببها كبر لا يرجى غفرانها، لأن معصية إبليس كانت من الكبر، وزلة آدم من الشهوة.

وقال: إن دخل شخص بستاناً فيه أشجار كثيرة، وعلى كل ورقة منها طائر يقول له بلسان فصيح: «السلام عليك ياولى الله»، وذلك الشخص وهو لا يخاف يجب أن يخيفه ذلك المكر والاستدراج[٤٥٤].

وقال: علامة الاستدراج تجاهل عيوب النفس[٤٥٥].

وقال: المكر قول بلا عمل.

وقال: الأدب ترجمان القلب[٤٥٦].

وقال: أقوى قوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ألف مرة[٤٥٧].

وقال: ما أكثر من لا يوافق قولهم فعلهم وما أقل من يوافق قولهم فعلهم[٤٥٨].

وقال: من لم يعرف قدر النعمة سلبها من حيث لا يعلم[٤٥٩].

وقال: من أطاع من فوقه أطاعه من دونه(٤٦٠).

وقـــال: لسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر فى قلبك(٤٦١).

وقـــال: القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل الشجرة أصلها ثابت لكن الريح تميلها من وقت لآخر، وقلب كالريشة تتقاذفه الرياح فى كل صوب(٤٦٢).

وقال: قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، وقلوب المقربين معلقة بالسوابق.(٤٦٣) ومعنى ذلك أن حسنات الأبرار هى سيئات المقربين، وتسقط الحسنة على السيئة فتمحوها، وبذلك يختم الأمر عليك فى كل منزلة تنزلها، والأبرار هم أولئك القوم الذين ينزلون فى نعمة «إن الأبرار لفى نعيم»(٤٦٤)، لا جــرم أن قلوبهم معلقة بالخواتيم، أما السابقون المقربون فإن لهم عيناً فى الأزل، فلا جرم لا ينزلون أبداً ولا يستطيعون الوصول إلى الأزل، لهذا طالما أنهم لا ينزلون فى منزلة قط فيجب أن يسحبوا إلى الجنة بزنجير.

وقال: يدخل الحياء والأنس القلب إن سكنه الزهد والورع وإلا رجعا.

وقـــال: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله، والرجاء فى الله، والحب لله، والحياء من الله، والأنس بالله وحده(٤٦٥).

وقال: مقدار فهم كل رجل بمقدار قرب قلبه من الله.

وقال: أكثر الخلق فهماً من يفهم أسرار القرآن ويتدبر فيها الأسرار.

وقال: أصبر الخلق من يستطيع الصبر على الخلق.

وقال: يدعون الأمم غداً بالأنبياء والأحبة بالله.

وقال: الشوق أسمى مقامات العارف.

وقــال: العارف من كان أكله أكل المرضى، ونومه نوم من أصابته جنة وعيشه عيش الغرقى(٤٦٦).

وقــال: ذكر فى بعض الكتب المنزلة أن الله قال: يا عبدى عندما يغلبك ذكرى أصير عاشقاً لك، والعشق هنا بمعنى المحبة.

وقــال: صفة العارف الشمس التى تشرق على العالم كله، وشكله الأرض التى تثمر كل الموجودات، وطبعه الماء الذى تحيا به القلوب، ولونه النار التى يضيء بها العالم.

وقال: التصوف اسم لثلاثة معان: وهو الذى لا يطفيء معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله(٤٦٧).

وقال: علامة الزاهد كف النفس عن الطلب، وقناعتها بما يسرى عليها من جوع، ورضاؤها بما يستر العورة، ونفورها من الفضول، وإخراجها الخلق من القلب.

وقال: أصل العبادة الزهد فى الدنيا وأصل الفتوة الرغبة فى الآخرة.

وقـال: لا يطيب عيش الزاهد المشغول بنفسه، ويطيب عيش العارف حين ينشغل عن غيره.

وقال: مسكت بيدى أمور الزهد، فأدركت كل ما أردت إلا الزهد.

وقال: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من ذكر الحق(٤٦٨).

وقال: من كثر لختلاطه بالخلق، قل صدقه.

وقال: حسن الخلق كف الأذى عن الناس، واحتمال الأذى عنهم بلا حقد ولا جزاء[٤٦٩].

وقال: لا تنقطع عن أخ بالظن والشك ولا تتخلى عن صحبته بلا عتاب.

وقال: أجلد الناس من ملك غضبه[٤٧٠].

وقال: ترك الذنب على ثلاثة وجوه: الخوف من الجحيم، والرغبة فى الجنة، والخجل من الله.

وقال: لن يكمل العبد حتى يؤثر دينه على شهواته[٤٧١].

يروى: أن السرى كان يتحدث عن الصبر يوماً، فلدغته عقرية عدة مرات، فقيل له: لماذا لم تدفعها؟ قال: خجلت، فكيف أدفعها وأنا أتحدث عن الصبر؟

وقال فى المناجاة: إلهى، منعتنى عظمتك عن مناجاتك، وأنست بمعرفتى لك.

وقال: إن لم تكن أنت الذى قلت: اذكرنى باللسان وإن لم أكن ذكرتك أى أن اللسان لا يتسع لذكرك فكيف أذكرك بلسان قد تلوث باللهو؟

قال الجنيد: قال السرى: لا أريد أن أموت ببغداد، لأننى أخاف ألا تقبلنى الأرض فافتضح، وقد ظن الناس بى ظناً حسناً فيسيئون الظن بى.

وقال: لما مرض دخلت لعيادته، كانت هناك مروحة، فأخذتها، وكنت أجلب له الهواء، فقال: يا جنيد، ضعها كى تلتهب النار، فقال الجنيد: ما الحال؟ فقال: «عبد مملوك لا يقدر على شيء» فقلت: عظنى، قال: لا تنشغل بصحبة الخلق عن صحبة الحق تعالى، فقال الجنيد: إن قلت هذا الكلام من قبل لما كنت صاحبتك أنت أيضاً، وأسلم السرى الروح. (رحمة الله عليه).

ذكر فتح الموصلى[٧٢] (قدس الله روحه العزيز)

هو عالم الفروع والأصول، وحاكم الوصال والفصال، هو ممدوح الرجال، وأسير الجلال، هو الوالى فى الحقيقة، شيخ الزمان فتح الموصلى (رحمة الله عليه).

كان من كبار المشايخ، وكان صاحب همة وعالى القدر، ووصل فى الورع والمجاهدة إلى الغاية، وغلبه الحزن والخوف واعتزال الخلق، وكان يخفى نفسه عن الخلق إلى حد أنه كان قد عقد مجموعة من المفاتيح على شاكلة التجار، وفى كل مكان كان يذهب إليه كان يضعها أمام السجادة، فلم يكن شخص يعرف من هو.

ذات مرة أتاه واحد من أحباب الحق (تعالى)، وقال له: ماذا تفتح بهذه المفاتيح التى تعلقها؟

وسئل شيخ: أيحظى الفتح بأى علم؟ فقال: أفضل علم له أنه قد ترك الدنيا كلية.

يقول عبد الله بن الجلا: كنت فى دار السرى، ولما مرّ جزء من الليل ارتدى ثياباً نظيفة، وأطاح بالرداء، فقلت: أين تذهب فى هذا الوقت؟ فقال: لعيادة فتح

الموصلي، ولما خرج، قبض عليه العسس، وحمل إلى السجن، وعندما طلع النهار صدر الأمر بضرب المساجين، ولما رفع الجلاد يده ليضربه، تيبست يده فلم يستطع تحريكها ، فقالوا للجلاد: لماذا لا تضرب؟ فقال: لقد وقف شيخ أمامي كان يقول لي: لا تضربه، فلم أطعه، نظروا فكان فتح الموصلي، فحملوا إليه السري، وأطلقوا سراحه.

يروى: أن فتح سئل عن الصدق، فمد يده إلى مرجل حداد، وأخرج قطعة حديد مشتعلة، ووضعها على يده وقال: هذا هو الصدق.

قال فتح: رأيت أمير المؤمنين علياً في المنام فقلت له: عظني، فقال: لم أر شيئاً أطيب من تواضع الغني للفقير ابتغاء ثواب الحق، فقلت: زدني، فقال: الأطيب منه تكبر الفقير على الغني اعتماداً على الحق.

يــروى: أن فتح قال: ذات مرة كنت في المسجد مع الأصحاب، فدخل شاب بقميص خلق وسلم، وقال: للغرباء رب، تعال بعد غد إلى المكان الفلاني، واسأل عن داري، سأكون نائماً، فغسلني، وكفنني بهذا القميص، وادفنني في التراب. فذهبت، وكان الأمر كذلك، فغسلته وكفنته بذلك القميص ودفنته، وكنت أريد العودة، فأمسك بطرفي وقال: إن كانت لي منزلة عند الحضرة الإلهية يافتح، أكافئك على هذا التعب الذي رأيته، ثم قال: يموت المرء على ما يحيا عليه، قال هذا وخمدت أنفاسه.

يـروى: أن فتح كان يبكي يوماً، وكانت الدموع تسيل من عينيه مضرجة بالدماء. قيل لماذا أنت دائم البكاء؟ فقال: حينما أتذكر ذنوبي يسيل الدم من عيني لأنه لا ينبغي أن يكون بكائي رياءً لا إخلاصاً.

يروى: أن شخصاً أعطى فتح خمسين درهماً وقال: ورد في الأخبار أن من يمنح شيء دون سؤال، ويرده، فقد رده إلى الحق تعالى، فأخذ درهماً ورد له الباقي.

وقال: صحبت ثلاثين شيخاً، كانوا من جملة الأبدال.

قالوا لى جميعاً: تعفف عن صحبة الخلق، وأمرونى جميعاً بقلة الأكل.

وقال: أيها الناس، أيموت من يمتنع عن الطعام والشراب من المرضى؟ قالوا: بلى، قال: وكذلك يموت القلب الذى يمتنع عن العلم والحكمة وكلام المشايخ؟

وقال: سألت راهباً ذات مرة: كيف السبيل إلى الله فقال: حيثما تولى وجهك إليه هو موجود.

وقال: أهل المعرفة هم: أولئك القوم الذين حين يتحدثون يتحدثون عن الله، وحين يعملون يعملون لله، وحين يطلبون يطلبون من الله.

وقال: من أدام الذكر ورثه ذلك فرح المحبوب، ومن آثر الله على هواه ورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه زهده فيما سواه(٤٧٣).

يروى: أنهم رأوا فتح فى المنام حين توفى، فقالوا: ما فعل الله بك؟قال: قال الله (تعالى): لماذا أكثرت من البكاء؟ فقلت: خجلاً من الذنوب يا إلهى، فقال أيا فتح إننى كنت قد أمرت ملاك الذنب الخاص بك ألا يسجل عليك ذنباً قط بسبب بكائك طيلة أربعين عاماً (رحمة الله عليه).

ذكر أحمد بن أبي الحواري[٤٧٤] (قدس الله روحه)

هو الشيخ الكبير، والإمام الخطير، هو زينة الزمان وركن الدنيا، هو ولي قبة التواري، قطب الزمان أحمد بن أبي الحواري (رحمة الله عليه).

كان فريداً في زمانه، وعالماً في جميع فنون العلوم، وله في الطريقة بيان عال، وقيمة في الحقائق، وكان القدوة في الروايات والأحاديث، ومرجع أهل زمانه في الواقعات، وكان من أكابر مشايخ الشام، وكان ممدوحاً بكل لسان إلى حد أن قال عنه الجنيد: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام، وكان من مريدي أبي سليمان الداراني، وكان قد صحب سفيان بن عيينه، ولكلامه أثر عجيب في القلوب، في بادىء أمره انشغل بتحصيل العلم، حتى وصل فيه إلى درجة الكمال، ثم حمل كتبه فأغرقها في البحر، وقال: نعم الدليل كنت لي، لكن لما بلغت المقصود كان من المحال الانشغال بالدليل؛ لأن الدليل يلزم المريد في الطريق، وطالما بدا المقصود فأي قيمة للحضرة والطريق، ثم ألقى بالكتب في البحر، وتألم لذلك ألماً عظيماً. وقال المشايخ: إنه كان في حالة سكر.

يروى: أن عهداً كان بين أبي سليمان الداراني وأحمد الحواري على ألا يخالفه في شيء قط، وكان أبو سليمان يعظ يوماً، فقال له: أضيء التنور، فبما

تأمر؟ فلم يجبه أبو سليمان فكررها ثلاث مرات، فقال أبو سليمان: اذهب واجلس فيه، ولما انقضت فترة وهو على هذه الحال تذكره أبو سليمان فقال: أطلبوا أحمد، فطلبوه فلم يجدوه، فقال: انظروا فى التنور، فإنه قطع معى عهداً على ألا يخالفنى فى أى شىء، فلما نظروا كان فى التنور، ولم تكن شعره منه قد احترقت.

يروى: أن أحمد قال: رأيت حوراء فى المنام، كان لها نور يتلألأ فقلت: أيتها الحوراء إن لك وجهاً جميلاً، فقالت: نعم يا أحمد، ففى تلك الليلة التى كنت تبكى فيها، مسحت وجهى بدموع عينك، فصار وجهى على هذا النحو.

وقال: لا يكون العبد تائباً حتى يندم بالقلب، ويستغفر باللسان، ويرد المظالم ويجتهد فى العبادة، وطالما تعبد كما ذكرت، يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد والصدق، ثم يتشعب له من الصدق التوكل ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة ثم يتشعب له من الاستقامة المعرفة، ثم يتشعب له من المعرفة لذة الأنس ثم بعد الأنس الحياء ثم بعد الحياء الخوف من المكر والاستدراج، ولا يفارق قلبه فى جميع هذه الأحوال خوف (زوالها) عنه دون لقاء الحق(٤٧٥).

وقال: من عرف ما يجب عليه الخوف منه سهل عليه اجتناب ما نهى عنه.

وقال: من كان أكثر عقلاً كان أكثر معرفة بالله، ومن كان أكثر معرفة بالله سرعان ما يصل إلى المنزل.

وقال: الرجاء قوت الخائفين.

وقال: أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته سدى(٤٧٦).

وقــال: من نظر إلى الدنيا بنظر الإرادة والحب أخرج الله نور الفقر والزهد من قلبه(٤٧٧).

وقــال: الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب، ومن عكف عليها أقل من الكلاب، فإن الكلب حين يأخذ منها حاجته يشبع وينصرف(٤٧٨).

وقال: من لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور(٤٧٩).

وقال: ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة وقسوة القلب(٤٨٠).

وقال: إنما كره الأنبياء الموت لأنه أقعدهم عن ذكر الحق(٤٨١).

وقال: لمحبة الله علامة وهى حب طاعته(٤٨٢).

وقال: محبة الله تكمن فى محبة طاعة الله.

وقال: لا دليل على معرفة الله سوى الله، لكن دليل الطلب آداب الخدمة.

وقــال: من أحب أن يعرف بالخير أو يذكر به، فهو مشرك فى عبادة الله تعالى لدى هذه الطائفة؛ لأن من عبد الله بالمحبة لايحب أن يرى خدمته شخص قط سوى مخدومه والسلام(٤٨٣).

ذكر أحمد بن خضرويه[٤٨٤] (قدس الله روحه العزيز)

هو فتوة الطريق، وتقى الحضرة، هو المتصرف فى الطريقة، والمتوكل فى الحقيقة، هو صاحب الفتوة والمشيخة، أحمد بن خضرويه البلخى. (رحمة الله عليه).

كان من كبار مشايخ خراسان، ومن مرشدى الطريقة، ومن المشهورين بالفتوة، وكان من سلاطين الولاية والمقبولين عند الفرق كلها، وكان مشهوراً بالرياضة، ومذكوراً بالكلمات السامية، وكان صاحب تصانيف، وكان له ألف من المريدين كانوا يسيرون على الماء ويطيرون فى الهواء.

وفي بادىء أمره كان مريداً لحاتم الأصم، وكان قد صحب أبا تراب النخشبى، ورأى أبا حفص.

وسئل أبو حفص: من رأيت من هذه الطائفة؟ فقال: ما رأيت أحداً أكبر همة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه[٤٨٥].

وقال أبو حفص أيضاً: لولا أحمد ما ظهرت الفتوة والمروءة[٤٨٦] . وكان أحمد يرتدى ثياباً على شاكلة الجنود[٤٨٧].

وكانت فاطمة زوجته آية في الطريقة، وكانت من بنات أمير بلخ، تابت، وبعثت رسولاً إلى أحمد (قائلة): اطلبني من أبي، فلم يجبها، فأرسلت إليه ثانية (تقول): يا أحمد، عرفتك أسخى من هذا، فكن هادياً لا قاطعاً، فأرسل أحمد رجلا وطلبها من أبيها، فزوجها لأحمد بحكم التبرك. وتركت فاطمة الانشغال بالدنيا، واستراحت بحكم العزلة مع أحمد، إلى أن قصد أحمد زيارة أبي يزيد، فرافقته فاطمة، ولما أقبلا على أبي يزيد، رفعت فاطمة النقاب عن وجهها، وأخذت تتحدث معه، فغضب أحمد، واستولت الغيرة على قلبه فقال: أي جرأة تلك التي كانت لك مع أبي يزيد؟ فقالت فاطمة لأنك أنت محرم طبيعتي، وأبو يزيد محرم طريقتي، فأصل بك إلى الهوى، وأصل به إلى الله، والدليل على هذا أنه في غنى عن صحبتي وأنت محتاج إلي[٤٨٨] وكان أبو يزيد جريئاً دائماً مع فاطمة، حتى وقعت عينه يوماً على يدها، وكانت قد تخضبت بالحناء، فقال يا فاطمة، لم الخضاب بالحناء؟ قالت: يا أبا يزيد لقد كنت أتبسط معك طالما لم تكن رأيت يدي وحناي، والآن وقد وقعت عينك على يدي فقد صارت صحبتنا حراماً[٤٨٩].

وإن استبدت الظنون بأحد، وتخيل أكثر مما قلت، فإن أبا يزيد قال: رجوت الله أن يجعل النساء كالحائط أمام عيني، وقد جعلهم سواء، وطالما يكون الشخص كذلك فكيف يرى امرأة؟

ثم اتجه أحمد وفاطمة من هناك إلى نيسابور، فسر أهل نيسابور بأحمد، وعندما جاء يحيى بن معاذ الرازي (رحمة الله عليه) إلى نيسابور وقصد بلخ، أراد أحمد أن يدعوه، فشاور فاطمة فيما ينبغي لدعوة يحيى فقالت: يلزم كثير من البقر والخراف والحوائج، وكثير من الشمع والعطر، ومع كل هذا يلزم كثير من الحمير أيضاً، فسألها أحمد: ولماذا ذبح الحمير؟ قالت: حين يكون الكريم

ضيفاً، يجب أن يكون لكلاب المحلة نصيب من ذلك(٤٩٠). وهكذا كانت فاطمة في الفتوة فلا جرم أن قال أبو يزيد (عنها): من أراد أن يرى رجلاً مخبوءاً تحت لباس امرأة فلينظر إلى فاطمة(٤٩١).

يروى: أن أحمد قال: قهرت نفسي مدة طويلة، وكانت جماعة تذهب للغزو يوماً، فرغبت في ذلك رغبة شديدة، وذكرت الأحاديث التي وضعت في بيان ثواب الغزو، ثم تعجبت وقلت: إن نفسي لا تطاوعني على الطاعة، لأنني أجعلها دائماً تداوم على الصوم، فلم يعد لديها طاقة بسبب الجوع، وتريد أن تفطر، فقلت لها: لن أفطر في السفر، قالت: أوافق، فتعجبت وقلت: ربما تقول ذلك لأنني آمرها بقيام الليل فترغب في السفر حتى تنام الليل وتستريح، فقلت: أوقظك حتى النهار، قالت: أوافق، فتعجبت، وظننت أنها ربما تقول ذلك لتختلط بالخلق فقد ملت الوحدة، ويلزمها أن تأنس بالخلق، فقلت: كل مكان أحملك إليه أنحو بك جانباً وأعزلك فيه عن الخلق، قالت: أوافق، فعجزت، ورجعت إلى الحق متضرعاً، كي يحيطني علماً بمكرها أو يقرها، وهكذا قالت: إنك تقتلني كل يوم مائة مرة على خلاف مرادي ولا يعلم الخلق، ولكني أقتل في الغزو مرة واحدة، وأتحرر، وأتخلص من الدنيا، ويذاع في الدنيا بأسرها: هنيئاً لأحمد بن خضرويه قتل واستشهد، فقال: سبحان الله الذي خلق نفساً منافقة في الحياة ومنافقة بعد الموت ولن تسلم في الدنيا ولا الآخرة، وظننت أنها تبحث عن الطاعة، ولم أعرف أنها تعقد الزنار، فازددت مخالفة لما كنت أفعل.

يروى: أن أحمد قال: ذات مرة سلكت طريق الحج في البادية متوكلاً، واندفعت دفعة واحدة، فانكسرت في رجلي شوكة، ولم أخرجها، وقلت: يبطل التوكل، وبينما كنت أسير، دخلت شوكة في قدمي، فلم أخرجها أيضاً، وهكذا

وصلت إلى مكة وأنا أعرج، وأديت الحج وعدت، وكان شيئاً يخرج منها طول الطريق، وكنت أسير في ألم شديد، رأى الناس ذلك، فنزعوا الشوكة عني، وجرحت قدمي، واتجهت إلى بسطام إلى أبي يزيد وقعت عين أبي يزيد عليّ فابتسم وقال: ما فعلت بتلك الشوكة التي أصيبت بها قدمك؟ فقلت: تركت اختياري لاختياره، فقال الشيخ: تقول اختياري، أيها المشرك! أي أن لك وجوداً واختياراً، أليس هذا شرك؟(٤٩٢).

يروى: أن أحمد قال: أستر عز فقرك(٤٩٣).

وقال: دعا فقير في شهر رمضان واحداً من الأغنياء، ولم يكن في منزله غير رغيف يابس، عاد الغني وأرسل إليه صرة ذهب، فردها وقال: هذا جزاء من يكشف سره لمثلك، إننا لا نبيع هذا الفقر بكلا العالمين(٤٩٤).

يروى: أن لصاً دخل داره وطاف فيه كثيراً، فلم يجد شيئاً، فأراد العودة وهو يائس فقال أحمد: أيها الشاب، احمل الدلو، وارفع الماء من البئر، وتطهر، وانشغل بالصلاة، وعندما يصل شيء أمنحك إياه، حتى لا تعود فارغ اليد من دارنا، فعل اللص كذلك. ولما طلع النهار، أحضر السيد مائة دينار، وأعطاها للشيخ، فقال الشيخ: خذها، فهذا جزاء ليلة صلاتك، فاعترت اللص حالة، وارتعد، وغلبه البكاء وقال: كنت قد أخطأت الطريق، عملت ليلة من أجل الله فأكرمني مثل هذا الإكرام، وتاب وعاد إلى الله، ولم يقبل الذهب، وأصبح من مريدي الشيخ.

يروى: أن أحد المشايخ قال: رأيت أحمد بن خضرويه وقد جلس في عربة ذات سلاسل ذهبية، وكانت الملائكة تحمل تلك العربة في الهواء، فقلت: أيها الشيخ! إلى أين تطير؟ وأنت بهذه المنزلة، قال: لزيارة حبيب، فقلت: أيلزمك الذهاب لزيارة شخص وأنت تحظى بمثل ذلك المقام، قال: إذا لم أذهب يأتي ويحظى هو بدرجة الزائرين لا أنا.

يروى: أن أحمد كان يدخل الخانقاه ذات مرة بثياب خلق، وقد فرغ من رسوم الصوفية وانشغل بوظائف الحقيقة، فأنكره أصحاب تلك الخانقاه فى الخفاء، وكانوا يقولون لشيخهم: إنه ليس أهلاً للخانقاه، حتى قدم أحمد ذات يوم إلى حافة بئر، فسقط دلوه فيه، فآذوه، فجاء أحمد إلى الشيخ وقال: اقرأ الفاتحة يخرج الدلو من البئر، فرفض الشيخ (وقال): أى طلب هذا! فقال أحمد: إذا لم تقرأ أنت اسمح لى أن أقرأ أنا، فسمح له الشيخ، قرأ أحمد الفاتحة، فارتفع الدلو إلى حافة البئر، عندما رأى الشيخ ذلك، وضع العمامة وقال: أيها الشاب! من أنت؟ فقد نقص بيدر جاهي أمام بذرتك، فقال: قل للأصحاب ألا ينظروا إلى المسافرين نظرة احتقار، وقال: لأننى ذاهب بنفسى.

يروى: أن رجلاً جاءه، وقال: إننى فقير متعب، أرشدنى إلى الطريق حتى اتخلص من هذه المحنة، فقال الشيخ: اكتب اسم كل مهنة موجودة على ورقة، وضعها فى بوتقة، وأحضرها إلىّ. كتب الرجل اسماء كل الحرف، وأحضرها، فمد الشيخ يده إلى البوتقة، وسحب ورقة، كان قد كتب عليها السرقة، قال ينبغى عليك أن تعمل بالسرقة بقى الرجل متعجباً، ثم نهض، وذهب إلى جماعة كانوا يسرقون على قارعة الطريق وقال: إننى أرغب فى هذا العمل، فكيف أمارسه؟ فقالوا: لهذا العمل شرط هو: أن تنفذ ما نأمرك به، فقال: أفعل ما تأمرون وأقام معهم عدة أيام حتى وصلت قافلة ذات يوم، فسطوا عليها، وأحضروا رجلاً من أهلها كان غنياً جداً، وقالوا لهذا المستجد: اضرب رقبته، فرفض الرجل وقال لنفسه: ربما يكون شيخ اللصوص هذا قد قتل عدداً كبيراً من الخلق، فأقتله أفضل من أن أقتل هذا التاجر، فقال له ذلك الرجل: إن كنت مستعداً للعمل، فيجب أن تفعل ما نأمرك به وإلا فاذهب إلى عمل آخر، قال: طالما أنه ينبغى علىّ طاعة الأمر، فلأطع أمر الله لا أمر اللص، ثم أخذ

السيف، وترك ذلك التاجر، وفصل رأس شيخ اللصوص عن جسده، عندما رأى اللصوص ذلك هربوا، وسلمت الأحمال، ونجا التاجر، وأعطاه كثيراً من الذهب والفضة بحيث إنه استغنى.

يروى: أن فقيراً جاء لضيافة أحمد ذات مرة، فأشعل الشيخ سبعين شمعة، فقال الفقير: لا يروقني هذا، فإن التكلف لا ينسب إلى التصوف، فقال أحمد: اذهب، وأطفىء كل شيء لم أشعله من أجل الله، فكان ذلك الفقير يصب الماء والتراب حتى الصباح، فلم يستطع أن يطفىء شمعة واحدة من تلك الشموع السبعين، وفي اليوم التالي قال للفقير: ما كل هذا التعجب؟ انهض لترى العجائب، وكانوا يسيرون حتى جلسوا على باب كنيسة المسيحيين وعندما رأوا أحمد وأصحابه، قال كبيرهم: ادخلوا، فدخلوا، ووضع مائدة ثم قال لأحمد: كل، قال: لا يأكل الأحبة مع الأعداء، وقال له: اشرح الإسلام، ثم أسلم وأسلم سبعون شخصاً من أتباعه، ونام في تلك الليلة فرأى في المنام أن الحق (تعالى) قال: يا أحمد أضأت لنا سبعين شمعة فأضأنا لك سبعين قلباً بنور شعاع الإيمان.

يروى: أن أحمد قال: رأيت كل الخلق كالبقر والحمير يختطفون العلف من بعضهم البعض. فقال رجل: وأين كنت أيها السيد؟ قال: كنت معهم أيضاً لكن الفرق بيني وبينهم: أنهم كانوا يأكلون ويضحكون ويلهون ولا يعلمون، وكنت أنا آكل وأبكي وكنت قد وضعت رأسي على ركبتي وأنا أعلم.

وقال: من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس.(٤٩٥)

وقال: من أحب أن يكون الله معه في جميع الأحوال فليلزم الصدق لقوله تعالى: «إن الله مع الصادقين»(٤٩٦).

وقال : من صبر على صبره فهو الصابر لا من صبر وشكا[٤٩٧] .

وقال : الصبر زاد المضطرين والرضا درجة العارفين[٤٩٨] .

وقال : حقيقة المعرفة المحبة له بالقلب والذكر له باللسان وقطع الهمة عن كل شيء سواه[٤٩٩] .

وقال : أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقاً[٥٠٠] .

وقال : ليس من طالبه الحق بآلائه، كمن طالبه الحق بنعمائه[٥٠١] .

وسئل: ما علامة المحبة؟ فقال: من لا يعظم شيئاً قط من الكونين في قلبه لأنه قد امتلأ بذكر الله، ولا يرغب في شيء قط سوى خدمته، لأنه لا يرى عز الدنيا والآخرة إلا في خدمته، ومن يرى نفسه غريباً وإن كان بين أهله لأن شخصاً قط لا يوافقه فيما هو فيه من خدمة حبيبه.

وقال : القلوب جوالة: إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الخوف[٥٠٢] .

وقال : القلوب أوعية كلما امتلأت من الحق، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح[٥٠٣] .

وقال : لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولو لا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة[٥٠٤] .

وقال : في الحرية تمام العبودية، وفي تحقيق العبودية تمام الحرية[٥٠٥] .

وقال : يجب أن تحيا في الدنيا والدين بين متضادين.

وقال : الطريق واضح، والحق لائح، والداعي قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى[٥٠٦] .

وسئل: أى الأعمال أفضل؟ قال: رعاية السر عن الالتفات إلى شىء سوى الله تعالى(٥٠٧).

وقرىء بين يدى أحمد بن خضروية يوماً، (قول الله عز وجل): «ففروا إلى الله(٥٠٨). فقال: يخبرهم بأن أفضل مفر هو إلى حضرة الله.

وقال له شخص: أوصنى، فقال: أمت نفسك حتى يحييها(٥٠٩).

ولما اقتربت وفاته، كان عليه سبعمائة دينار ديناً كان قد منحها للمساكين والمسافرين، ووصل إلى النزع، وتجمع غرماؤه حول فراشه، فناجى أحمد فى الحال وقال: إلهى: أتقبضنى وروحى رهينة لديهم، وأنا رهن لهم وكيف تأخذ منهم وثيقتهم، فاختر شخصاً يرد لهم حقوقهم، وعندئذ اقبض روحى، وبينما كان يناجى إذ دق شخص الباب ليخرج غرماء الشيخ، فخرجوا جميعاً، وأخذوا حقوقهم كاملة، ولما أدى الدين انفصلت الروح عن أحمد(٥١٠).

«رحمة الله عليه»

ذكر أبي تراب النخشبي[٥١١] (قدس الله روحه)

هو مناضل معركة البلاء والعارف بالصدق والصفاء، هو رجل ميدان المعنى، وفرد إيوان التقوى، هو محقق الحق ونبي زمانه وقطبه أبو تراب النخشبي (رحمة الله عليه).

كان من عياري الطريقة، ومجردي طريق البلاء، كان من سائحي بادية الفقر، ومن سادة هذه الطائفة، وكان من أكابر مشايخ خراسان، وكانت له قدم راسخة في المجاهدة والتقوى، ونفس عالية في الإشارات والكلمات.

كان قد وقف أربعين موقفاً، ولم يكن قد وضع رأسه على وسادة قط أعواماً طويلة سوى أنه استغرق في النوم في الحرم ذات يوم، فأرادت جماعة من الحور أن يعرضن أنفسهن عليه. فقال الشيخ: إنني أخشى الغفور ولا أخشى الحور. فقالت الحور: أيها الشيخ، مع أن الأمر كذلك، لكن أصحابنا يشمتن فينا حين يسمعن أننا لم نحظ بالقبول منك، فأجاب الرضوان: محال أن يخشاكن هذا العزيز، فاذهبن حتى يستقر في الجنة غداً ويجلس على عرش المملكة. عندئذ تأتين، وتؤدين ما بدا منكن من تقصير في خدمته. فقال أبو تراب: يا رضوان! قل لهن: يقمن بخدمتي إن نزلت بالجنة.

يقول ابن الجلاء: دخل أبو تراب مكة طيب النفس، فقلت: أين أكلت؟ فقال: أكلة بالبصرة وأكلة ببغداد وأكله ههنا(٥١٢).

ويقول ابن الجلاء: صحبت ثلاثمائة شيخ ما لقيت فيهم أعظم من أربعة أولهم أبو تراب النخشبى(٥١٣).

يروى: أنه عندما كان يرى من أصحابه ما يكره، كان يتوب ويكثر من مجاهداته، ويقول بشؤمى وقع هذا المسكين فى هذا البلاء(٥١٤).

وكان يقول لأصحابه: من لبس منكم مرقعة فقد سأل، ومن قعد فى خانقاه فقد سأل، ومن قرأ القرآن من مصحف فقد سأل(٥١٥).

ومد أحد أصحابه يده إلى قشر شمام ذات يوم، وقد طوى ثلاثة أيام لم يأكل فيها شيئاً، فقال له: اذهب، فإنك لا تصلح للتصوف، وعليك أن تلزم السوق(٥١٦).

وقال: بينى وبين الله عهد ألا أمد يدى إلى حرام إلا وقصرت يدى عنه(٥١٧).

وقال: لم تسيطر رغبة على نفسى قط إلا مرة واحدة كنت أسير فى البادية، فرغبت فى خبز ساخن وبيض، وحدث أن ضللت الطريق إلى قبيلة، وكانت مجموعة منها قد وقفت، وكانوا مشغولين بأمر، ولما رأونى تعلقوا بى وقالوا: سرقت بضاعتنا، وكان شخص قد جاء وسرق بضاعتهم، فقبضوا على الشيخ وضربوه مائتى خشبة، وأثناء ذلك مر شيخ من ذلك المكان، ورأى شخصاً يضرب فاقترب منه وعرف من هو فمزق مرقعته وصاح قائلاً: إنه شيخ شيوخ الطريقة أى جرأه هذه! أى وقاحة هذه! التى تفعلوها مع سيد صديقى الطريقة جميعاً فصرخ أولئك الناس، وندموا وطلبوا المعذرة. قال

الشيخ: أيها الأخوة، بحق وفاء الإسلام لم يمر عليّ وقت قط أطيب من هذا الوقت، ومرت على أعوام كنت أريد فيها أن أحقق هذه الرغبة، والآن حققتها.
ثم أخذ الشيخ الصوفي بيده وحمله إلى الخانقاه، وأمر بإحضار طعام، ثم ذهب وأحضر خبزاً ساخناً وبيضاً، فقال الشيخ: أيتها النفس! كل رغبة ترغبينها لن تدركيها دون مائتي مقرعة(٥١٨).

يروى: أن أبا تراب كان له عدد من الأبناء، وكان قد ظهر في عهده ذئب مفترس فمزق عدداً من أبنائه. وكان قد جلس على سجادة يوماً، فقصده الذئب، فأخبروه بذلك وعندما رآه الذئب، عاد.

يروى: أن أبا تراب كان يسير مع أصحابه في البادية ذات مرة، فعطش الأصحاب، وأرادوا أن يتوضأوا، فرجعوا إلى الشيخ فرسم الشيخ خطاً، فتفجرت المياه وتوضأوا.

يقول أبو العباس السيرفي: كنت مع أبي تراب في البادية، فقال أحد الأصحاب أنا عطشان، فضرب الأرض برجله، فإذا بعين ماء، فقال الرجل: أحب أن أشربه في قدح، فضرب بيده الأرض فإذا قدح من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب من ذلك الماء، وسقى الرفاق ومازال القدح معنا حتى مكة(٥١٩).

وقال أبو تراب لأبي العباس: ما يقول أصحابك فيما يظهره الحق (تعالى) على أوليائه من كرامات؟ فقال: لم أر شخصاً قط آمن بها إلا قلة، فقال: من لا يؤمن بها، فهو كافر وقال المريدون ذات مرة: لابد من القوت، فقال الشيخ: ليس هناك بد مما ليس منه بد!(٥٢٠).

قال أبو تراب: كنت أسير في البادية ذات ليلة بمفردي، وكانت الليلة مظلمة فجأه تقدم إليه عبد كالمنارة، فخفت عندما رأيته وقلت له: أملاك أنت أم

آدمي؟ فقال: أأنت مسلم أم كافر؟ قلت: مسلم: قال: لا يخشى المسلم سوى الله شيئاً، قال الشيخ: فعاد لى صوابى، وعلمت أنه رسول الغيب. فسلمت، وزال الخوف عنى.

وقال: رأيت غلاماً فى البادية بلا زاد ولا راحلة، فقلت: إذا لم يكن معه اليقين لهلك، ثم قلت أتمضى فى مثل هذا المكان دون زاد أيها الغلام؟ فقال: أيها الشيخ ارفع رأسك أترى سوى الله شخصاً قط، فقلت: اذهب الآن إلى أى مكان تريده.

وقال: لم آخذ شيئاً من شخص قط طيلة عشرين عاماً، ولم أعط شيئاً لشخص. قالوا: كيف؟ قال: إن كنت آخذ لكنت آخذ منه وإن كنت أعطى لكنت أعطيته.

وقال: عرض علىَّ طعام ذات يوم، فامتنعت عنه، فظللت جائعاً أربعة عشر يوماً بشؤم ذلك (الامتناع)(٥٢١).

وقال: لا أعرف شيئاً قط أضر للمريد من السفر متابعة لنفسه، ولا يجد الفساد سبيلاً إلى المريد قط (إلا بسبب) الأسفار الباطلة.

وقال: قال الحق تعالى: اجتنبوا الكبائر، وليست الكبائر إلا الدعوى الفاسدة والإشارات الباطلة وإطلاق العبارات والألفاظ الكاذبة.

،ثم قال: قال الله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم(٥٢٢).

وقال: لا يحظيِ شخص قط برضاء الله إن كانت فى قلبه ذرة للدنيا.

وقال: إذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل(٥٢٣).

وقال: أنتم تحبون ثلاثة وهى ليست لكم: تحبون النفسَ وهى لله وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال، والمال لله، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما: الفرح والراحة وهما فى الجنة(٥٢٤).

وقال: سبب الوصول إلى (الحق)، سبع عشرة درجة أدناها الإجابة وأعلاها التوكل على الله بحقيقته(٥٢٥).

وقال: التوكل هو أن تلقى بنفسك فى بحر العبودية، وتعلق قلبك بالله إن أعطاك تشكر وإن منع عنك تصبر.

وقال: لا يُظلِم أمام العارف شىء قط ويستنير به كل ظلام.

وقال: من القلوب قلب أحياه الله بنور الفهم.

وقال: القناعة قوة من الله.

وقال: ليس من العبادات شىء أنفع من إصلاح الخواطر(٥٢٦).

وقال: احفظ همك، فإنه مقدمة الأشياء فمن صح له همه صح له ما بعد ذلك، من أفعاله، وأحواله(٥٢٧).

وقال: كأن الحق تعالى ينطق العلماء، فى كل زمان، بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمان(٥٢٨).

وقال: حقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثالك(٥٢٩).

يروى: أن رجلاً قال له: ألك حاجة أقضيها لك؟ فقال الشيخ: يوم يكون لى إليك وإلى أمثالك حاجة لا يكون لى إلى الله حاجة(٥٣٠). أى إننى فى مقام الرضا وأى شأن للراضى بالحاجة؟!

وقال: الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل[٥٣١].

وكانت وفاته فى بادية البصرة. وبعد بضع سنوات جاءته جماعة فرأوه واقفاً على قدميه ووجهه إلى القبلة، وقد تيبس، ووضع ركوة أمامه وأمسك بيده عصا. ولم يحم حوله أى سبع من السباع[٥٣٢]. (رحمة الله عليه).

ذكر يحيى بن معاذ[٥٣٣] (قدس الله روحه العزيز)

هو ينبوع روضة الرضا، مركز كعبة الرجا، هو ناطق الحقائق وواعظ الخلائق، هو رجل المراد يحيى بن معاذ (رحمة الله عليه).

كان لطيف زمانه، وكانت له خلق عجيبة، وخلط بين البسط والقبض وغلبه الرجاء وسلك مسلك الخائفين، وكان لسان الطريقة والمحبة، وكانت له همة عالية، وكان جسور الحضرة، وكان له وعظ شاف إلى حد أنه كان يسمى يحيى الواعظ، وكانت له قدم راسخة فى العلم والعمل، واختص باللطائف والحقائق، واتصف بالمجاهدة والمشاهدة، وكان صاحب تصانيف وله كلام موزون مبهج إلى حد أن المشايخ قالوا عنه: كان لله (تعالى) رجلان يسميان يحيى، أحدهما من الأنبياء والثانى من الأولياء (صلوات الله عليهما) فأما يحيى بن زكريا (عليه السلام) فقد سلك طريق الخوف بحيث يئس الصديقون من فلاحهم بسبب خوفه، وأما يحيى بن معاذ فقد سلك طريق الرجاء على نحو مرّغ أيدى أدعياء الرجاء فى التراب[٥٣٤].

قالوا: حال يحيى بن زكريا (عليه السلام) معروف، فكيف كان حال يحيى هذا؟ قال: هكذا بلغنى أنه لم يمل الطاعة قط، ولم تجر عليه كبيرة، واحتواه

من الله خطر عظيم فى المعاملة والممارسة، فلم يكن لأحد من الأصحاب طاقته(٥٣٥).

قيل له: أيها الشيخ، ما معاملة الراجين وما معاملة الخائفين؟ قال: اعلم أن ترك العبودية ضلالة، وأن الخوف والرجاء قائمتا الإيمان، فمحال أن يقع أحد فى الضلالة بممارسة ركن من أركان الإيمان. فالخائف يعبد خشية القطيعة، والراجى أملاً فى الوصول، وما لم توجد العبادة لا يصح الخوف ولا الرجاء، فإذا حدثت العبادة لا تكون دون خوف ورجاء.

وكان أول من اعتلى المنبر بعد الخلفاء الراشدين من مشايخ هذه الطريقة(٥٣٦).

يروى: أن يحيى بن معاذ اعتلى المنبر ذات يوم، وقد حضر أربعة آلاف رجل فنظر جيداً ونزل، وقال: إن الرجل الذى اعتلينا المنبر من أجله ليس حاضراً.

يروى: أن أخاً كان ليحيى ذهب إلى مكة، وجاورها، وكتب رسالة إلى يحيى (فحواها): إننى أرغب فى ثلاثة أشياء، وجدت اثنين وبقى واحد، فأدع أن يكرمنى الله به أيضاً، رغبت أن أمضى آخر عمرى فى بقعة أفضل، فجئت إلى الحرم أفضل البقاع، ورغبت أن يكون لى خادم يخدمنى، ويهيىء لى ماء الوضوء، فوهبنى جارية لائقة، ورغبتى الثالثة أن أراك قبل الموت فليحققها الله لى ذات يوم. فكتب له يحيى: أما عن ما قلته: من أنك رغبت أفضل بقعة فكن أفضل الخلق فى كل بقعة تريد أن تكون فيها، فالبقاع عزيزة بالناس لا العكس. وأما فيما يتعلق بما قلته: أردت خادماً ووجدته فإن كانت لك مروءة وفتوة لما جعلت خادم الحق خادماً لك، ولما امتنعت عن خدمة الحق وانشغلت بخدمة نفسك، يلزمك خادم، وترغب أن تكون مخدوماً، والمخدومية من

صفات الحق، والخادمية من صفات العبد، ينبغي للعبد عبد، وطالما طمع العبد في مقام الحق كان بمثابة فرعون، وأما عن ما قلته: إنني أرغب في رؤياك، فإنه إذا كان لك خبر عن الله لما تذكرتني، فصاحب الحق صحبة لا تذكرك بأخ قط حيث ينبغي التضحية بالأبناء فما بالك بالأخ، إذا وجدته فبماذا سأفيدك؟ وإن لم تجده فأي فائدة لك بي؟

يــروى: أن يحيى كتب رسالة إلى صاحبه ذات مرة (مضمونها): الدنيا كالنوم والآخرة كاليقظة، ومن رأى في المنام أنه يبكي، كان تفسيره أنه سيضحك في اليقظة ويسر، فابك في منام الدنيا حتى تضحك في يقظة الآخرة وتسعد.

يــروى: أن بنتاً كانت ليحيى، قالت يوماً لأمها: يلزمني الشيء الفلاني، فقالت لها أمها: اطلبيه من الله، فقالت: يا أمي! إنني أخجل أن أطلب حاجاتي الشخصية من حضرته، وما تعطيه لي هو ملك له أيضاً(٥٣٧).

يروى أن يحيى مرّ مع أخيه على باب قرية، فقال أخوه: ما أطيبها قرية، فقال يحيى الأطيب منها قلب شخص فارغ منها «استغنى بالـمَلك عن الـمُلك».

يروى: أنهم صحبوا يحيى إلى دعوة، وكان رجلاً قليل الأكل، فلم يأكل شيئاً فألحوا عليه فقال: لا نتخلى عن مقرعة الرياضة لحظة، فقد استكان هوى نفسها هذا في كمين مكره، وإن تركنا له العنان لحظة، ألقى بنا في دوامة الهلاك.

كان الشمع قد وضع أمامه ذات ليلة، فهبت ريح وأطفأته، فانخرط يحيى في البكاء قيل له: لماذا تبكي؟ أنمدعك هذه البرهة؟ فقال: لا أبكي لهذا، بل أبكي لأن شموع الإيمان ومصابيح التوحيد قد أضيئت في صدورنا، وأخاف لأنه لا ينبغي أن تهب رياح من مهب الاستغناء كذلك فتطفئها كلها.

كانوا يقولون أمامه يوماً: لا تساوى الدنيا حبة أمام ملك الموت، فقال: أخطأتم، لو لم يكن هناك ملك الموت لما كانت الدنيا تساوى شيئاً، قالوا: لماذا؟ قال: «الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب».

وسئل عن هذه الآية يوماً «آمنا برب العالمين» فقال: لا يعجز إيمان ساعة عن محو كفر عشرين عاماً، فكيف يعجز إيمان سبعين عاماً عن محو ذنوب سبعين عاماً.

وقال: إن قال الله (تعالى) يوم القيامة: ما تريد؟ أقول: يا إلهى، أريد أن ترسلنى إلى أسفل السافلين، وتأمر أن ينصبوا لى خياماً نارية، ويضعون فيها عرشاً نارياً، ولما نجلس في أسفل الجحيم على عرش المملكة، تصدر أمراً أن تنفخ نفخة من تلك النار التي وضعتها في سريرتى كوديعة، حتى أطيح بمالك وخزانة الجحيم والجحيم دفعة واحدة إلى ستر العدم. وإن أردت نصاً دليلاً على هذه الحكاية فهو «يامؤمن فإن نورك أطفأ لهبى» وهذا دليل كاف.

وقال: إن منحتُ الجحيم فلن أحرق عاشقاً قط لأن عشقه حرقه مائة مرة، فقال سائل: وإن كانت لذلك العاشق ذنوب كثيرة، ألا تحرقه؟ قال: لا، لأنها لم تكن باختياره، فسلوك العشاق اضطرارى وليس اختيارى.

وقال: من سر بخدمة الله (عز وجل) سرت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله، قرت عيون كل شيء بالنظر إليه.

وقال: لا يحتار في الله شخص قط مثل شخص يحتار في أمر العجائب التى تمر عليه.

وقال: الله (تعالى) أكرم من أن يدعو العارفين إلى طعام الجنة لأن لهم همة لا تستكين إلا برؤية الله.

وقال: على قدر حبك لله تعالى يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يخشاك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق، ومن كان قد خجل من الله فى حال الطاعة يخجل الله عز وجل ـ كرماً ـ من أن يعذبه لذنبه(٥٣٨).

وقال: حياء العبد حياء الندم، وحياء الله حياء الكرم.

وقال: يظن العبد بالله ظناً حسناً بقدر معرفته بكرم الله، وليس هناك شخص قط يترك الذنب من أجل نفسه وخوفاً عليها مثل شخص يترك الذنب خجلاً من الله؛ لأنه يعلم أن الله يراه فى شىء قد نهى عنه، ومن ثم فإنه يعرض عنه لذلك لا من أجل نفسه.

وقال: الظن الحسن بالله هو أفضل الظنون، طالما تصاحبه الأعمال اللائقة والمراقبة ولكن إن صحبته الغفلة والمعاصى تكون الرغبة التى تلقيه فى الخطر.

وقال: يصدر الظن الحسن من العمل الحسن والظن السىء من العمل السىء.

وقال: المخدوع من يهمل زمانه بالبطالة، ويسلط جوارحه على الهلاك، ويموت قبل أن يثوب إلى رشده من الجناية.

وقال: العبرة بالأوتار والمعتبر بالمثقال(٥٣٩).

وقال: من لم يعتبر بالمعاينة، لم يتعظ بالموعظة، ومن اعتبر بالمعاينة، استغنى عن الموعظة(٥٤٠).

وقال: اجتنب صحبة ثلاثة أقوام: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين(٥٤١).

وقال: الوحدة منية الصديقين والأنس بالخلق وحشتهم(٥٤٢).

وقـال: ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله في كل شيء، والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء(٥٤٣).

وقـال: إن كان الموت يباع في السوق، ويوضع على طبق، لكان جديراً بأهل الآخرة لأن أياً منهم لم يكن يرغب سواه ولم يكن يشترى سواه.

وقال: أصحاب الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأصحاب الآخرة يخدمهم الأبرار والأحرار والزهاد والأكابر(٥٤٤).

وقـال: لا يكون الرجل حكيماً ما لم يجمع بين ثلاث خصال: الأولى: أن ينظر إلى الأغنياء بعين العظة لا الحسد، والثانية: أن ينظر إلى النساء بعين الشفقة لا الشهوة، والثالثة: أن ينظر إلى الفقراء بعين التواضع لا التكبر.

وقال: من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية(٥٤٥).

وقال: طالما أنصف العبد الله على نفسه غفر الله له.

وقال: أقلوا الحديث مع الناس وأكثروه مع الله.

وقال: طالما تخلى العارف عن الأدب مع الله هلك مع الهالكين.

وقـال: من استغنى بالله فهو غنى على الدوام، ومن استغنى بكسبه ظل فقيراً على الدوام. ويطلب المجذوبون في الأول والمجاهدون في الآخر.

كما قال: نعمة الفضل في السراء، ونعمة التطهير في الضراء فإن تكن عبداً فكن عبداً في السراء.

وقـال: أعجب من آهة الموحدين التي تشعل النيران في الجحيم إذ كيف تشتعل النار بصدق توحيده.

وقال: سبحان الله الذى يرتكب العبد الذنب ويخجل هو (الحى) منه.

وقال: ذنب تفتقر به إليه أحب إلىّ من طاعة يفتخرون بها عليه(٥٤٦).

وقال: من أحب الله كره النفس.

وقال: لا يرائى الولى ولا ينافق ومثل ذلك الشخص يكون قليل الأصدقاء.

وقـــال: بئس الصديق صديق تحتاج أن تسأله حاجةً، أو تقول له اذكرنى فى دعائك، أو تحتاج أن تعيش معه بالمداراة، أو يلجئك إلى الاعتذار فى ذلة كانت منك(٥٤٧).

وقال: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذمه(٥٤٨).

وقـــال: ليست هناك حماقة أكثر من أن يلقى (المرء) جذوة النار ويطمع فى الجنة.

وقال: ذنب بعد التوبة أسوأ من سبعين ذنباً قبلها.

وقال: ذنب المؤمن يكون بين الخوف والرجاء كالثعلب بين أسدين.

وقال: أفضل دواء لكم ترك الذنب.

وقـــال: أعجب من شخص يتعفف عن الطعام خشية المرض، ومن ثم فلماذا لا يتعفف عن الذنب خشية العقوبة.

وقال: كرم الله أكثر وضوحاً فى خلق الجحيم عنه فى خلق الجنة، فبالرغم من أنه قد وعد بالجنة، فإن لم يكن الخوف من الجحيم لما طاعه أحد.

وقـــال: الدنيا دار الأشغال، ولايزال العبد بين الأشغال والأهوال حتى يستقربه القرار إما إلى الجنة وإما إلى النار(٥٤٩).

وقال: جميع الدنيا، من أولها إلى آخرها، لا تساوى غم ساعة، فكيف تغم عمرك فيها مع قليل يصيبك منها؟!(٥٥٠).

وقال: الدنيا دكان الشيطان فاحذر، ولا تسرق شيئاً من دكانه لأنه يتسلل من خلفك ويسترده منك(٥٥١).

وقال: الدنيا عروس وطالبها ما شطتها، والزاهد فيها يسود وجهها وينتف شعرها ويمزق ثيابها(٥٥٢).

وقال: فى الدنيا هم وغم وفى الآخرة عذاب وعقاب فمتى ستكون الراحة إذن؟

وقال: يقول الله (تعالى): لا تشكو منى بسبب هم الدنيا، فليس خافياً عليكم أن العالمين لى وأنا لكم.

وقال: فى كسب الدنيا ذل النفوس وفى كسب الجنة عز النفوس، فياللعجب من شخص يختار الهوان والذلة فى طلب شىء لن يخلد أو يبقى.

وقال: يحل عليك شؤم الدنيا بحيث تشغلك الرغبة فيها عن الله كى تحصل على ما تسعى إليه.

وقال: العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بنى قبره قبل أن يدخله ومن أرضى ربه قبل أن يلقاه(٥٥٣).

وقال: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون عن أفجع منهما ويحلان عند الموت. قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ المال كله ممن جمعه ويسئل عنه كله(٥٥٤).

وقال: الدينار والدرهم عقربان: لا تمد يدك لهما ما لم تتعلم رقيتهما وإلا قتلك سمهما قالوا: وما رقيتهما؟ قال: أن يكون دخله من الحلال وإنفاقه فى سبيل الحق(٥٥٥).

وقال: طلب العاقل للدنيا، أحسن من ترك الجاهل لها(٥٥٦).

وقال: يا أرباب العلم والاعتقاد! قصوركم قيصرية ودياركم كسروية وعمائركم شدادية وكبركم عادى وليس فيكم أحمدى قط(٥٥٧).

وقال: طالب الدنيا دائماً فى ذل المعصية، وطالب الآخرة فى عز الطاعة على الدوام، وطالب الحق دائماً فى روح وراحة.

وقال: ارتداء الصوف حانوت، والحديث فى الزهد حرفته وهو عارض لنوافل الله بكل هذه الدلائل.

وقال: من طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان.

وقال: التكبر مع شخص يتكبر عليك بماله تواضع.

وقال: من شروط إدبار الرجال اهتمامهم بأنفسهم.

وقال: لا مفر للمريد من ثلاث: دار يتوارى فيه، وكفاية يستطيع العيش بها، وعمل يستطيع أن يحترفه، فداره الخلوة وكفايته التوكل وحرفته العبادة.

وقال: عندما يبتلى المريد بكثرة الأكل تبكى عليه الملائكة، ومن ابتلى بالحرص على الطعام سرعان ما يحترق بنار الشهوة.

وقال: فى جسد ابن آدم ألف عضو كلها من الشر وكلها فى يد الشيطان عندما يتحقق الجوع للمريد يهذب نفسه فتتيبس كل الأعضاء وتحترق جميعها بنار الجوع.

وقال: الجوع نور والشبع نار والشهوة حطبها تتوالد منه النار ولا تخمد ما لم يخمدها الله.

وقال: لا يشبع العبد قط ما لم يسلبه الله شيئاً لا يستطيع أن يجده ثانية بعد ذلك.

وقال: الجوع طعام الله فى الأرض يقتات به الصديقون فقط.

وقال: الجوع رياضة للمريدين، وتجربة للتائبين وسياسة للزاهدين ومكرمة للعارفين.

وقال: أعوذ بالله (تعالى) من زاهد يفسد معدته بكثرة أطعمة الأغنياء المتنوعة.

وقال: إنهم ثلاثة أقوام: زاهد ومشتاق وواصل: الزاهد يعالج بالصبر، والمشتاق يعالج بالشكر، والواصل يعالج بالولاية.

وقال: حين ترى أن الرجل يشير إلى العمل اعلم أن طريقته الورع، وحين ترى أنه يشير إلى الآيات فاعلم أن طريقه طريق الأبدال، وحين ترى أنه يسير إلى الآلاء فاعلم أن طريقه طريق المحبين، وحين ترى أنه يتعلق بالذكر فاعلم أن طريقه طريق العارفين.

وقال: مادمت تشكر، فإنك لست بشاكر، فغاية الشكر التحير.

وقال: لا يسكن قلب مريد الآخرة إلا فى أربعة مواضع: إما زاوية دار أو مسجد أو قبر أو موضع لا يستطيع أن يراه فيه أحد قط ثم لا يجلس إلا مع شخص لا يشبع من ذكر الله تعالى. قيل: ما أقسى شيء على المريد قال: مجالسة الأضداد.

وقال: انظر أنسك بالخلوة والأنس بالحق فى الخلوة، فإن كان أنسك بالخلوة فإنه يزول حين تخرج منها، وإن كان أنسك بالله استوت لديك الدنيا بأسرها من بادية وجبل وصحراء.

وقال: الوحدة أنيس الصديقين. وقال: عند نزول البلاء، تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة المقدور، تظهر حقائق الرضا(٥٥٨).

وقـــال: محبوب اليوم يعقب المكروه غداً، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً(٥٥٩).

وقال: ضياع الدين من الطمع وبقاء الدين فى الورع.

وقال: لا ضرر للمعصية مع النية الحسنة.

وقال: مقدار حبة من محبة أحب إلىّ من سبعين عاماً عبادة بلا محبة.

وقال: الأعمال فى حاجة إلى ثلاث خصال: العلم والنية والإخلاص.

وقـال: يمكن (للمرء) الخلاص من العبودية بصدق التوكل، ويستطيع أن يحظى بالجزاء بالإخلاص فى الإنفاق، ويمكن أن يطيب عيشه بالرضاء بالقضاء.

وقـــال: الإيمان ثلاث: الخوف والرجاء والمحبة، ويتضمن الخوف ترك الذنب حتى تنجو من النار، ويتضمن الرجاء الاستغراق فى الطاعة حتى تفوز بالجنة، وتتضمن المحبة احتمال المكروه حتى يتحقق رضاء الحق.

وقـــال: العارف من لا يحب شيئاً أكثر من ذكر الله. وقال: لا تسرى المعرفة إلى قلبك ما لم تؤد حقها عليك.

وقـــال: الخوف شجرة فى القلب ثمرتها الدعاء والتضرع، عندما يخاف القلب تستجيب جملة الجوارح للطاعة وتجتنب المعاصى.

وقال: أسمى منازل الطالبين الخوف، وأسمى منازل الواصلين الحياء.

وقال: لكل شىء زينة، وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل.

وقال: علامة الفقر الخوف من الفقر. وقال: أسمى تعفف التواضع.

وقال: الإخلاص لله هو تنزيه العمل عن العيوب.

وقـال: علامة الشوق أن تحفظ الجوارح عن الشهوات، وعلامة الشوق لله محبة الحياة مع الراحة، أي طالما تكون الحياة ولا يكون الألم الذى يحرق يزداد الشوق إليه.

وقال: الطاعة خزانة الله ومفتاحها الدعاء.

وقـال: التوحيد نور والشرك نار، يحرق نور التوحيد كل سيئات الموحدين، وتجعل نار الشرك كل حسنات المشركين رماداً.

وقـال: طالما أن التوحيد ليس بعاجز عن كل شيء اعترضه من قبل من كفر وطغيان، فإنه ليس بعاجز عن أن يمحو كل شيء يعترضه بعد ذلك من ذنب وعصيان.

وقال: الورع هو الوقوف على حد العلم دون تأويل.

وقـال: الورع على نوعين: ورع فى الظاهر لا يتحرك إلا بالله وورع فى الباطن وهو لا يسرى إلى قلبك إلا بالله.

وقـال: الزهد ثلاثة حروف: الزاى والهاء والدال أما الزاى فترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا.

وقال: ينبعث السخاء بالملك من الزهد ومن الحب السخاء بالنفس والروح.

وقـال: الزهد هو الحرص على ترك الدنيا أكثر منه على طلبها. وقال: الزاهد صافى الظاهر، والعارف صافى الباطن مختلط الظاهر(٥٦٠).

وقال: الفوت أشد من الموت لأن الموت انقطاع عن الخلق، والفوت انقطاع عن الحق تعالى(٥٦١).

وقال: من تحدث قبل أن يفكر جنى الندم، ومن فكر قبل أن يتحدث وجد السلامة.

وقــال: علامات التوبة النصوح ثلاث: قلة الأكل من أجل الصوم، وقلة النوم من أجل الصلاة، وقلة القول من أجل ذكر الله (تعالى).

وقال: يمحو ذكره كل الذنوب فكيف يكون رضاؤه؟ ويمحو رضاؤه الآمال فكيف يكون حبه؟ ويصيب حبه العقول بالدهشة فكيف يكون وده؟ وينسى وده كل شيء دونه فكيف يكون لطفه؟!

سئل: بما يمكننا أن نعرف أن الله (تعالى) راض عنا أم لا؟ قال: إن كنت راضياً عنه فهذا دليل على أنه راض عنك.

قالوا: وحينما لا يكون شخص راضياً عنه ويدعي معرفته، قال: بلى، من يغفل إنعامه ويغضب لمقدور سواء نعمة أو محنة أو مصيبة.

وقال شخص: متى أصل إلى مقام التوكل، وأخلع رداء الطمع، وأجلس مع الزاهدين؟ قال: حين تجعل النفس ترتاض في السر، حتى تصل إلى درجة أنه لو لم يرزقك الحق ثلاثة أيام فلا تضعف من داخلك، وإذا لم تصل إلى هذه الدرجة يكون جلوسك على بساط الزاهدين جهلاً ولا تأمن فضيحتك.

قيل: من يكون أكثر أمناً غداً؟ قال: من يكون أكثر خوفاً اليوم.

قيل: متى يصل الرجل إلى التوكل؟ قال: حين يرضى بوكالة الله (تعالى).

قيل ما الغنى؟ قال: الإيمان بالله.

قيل: من العارف؟ قال: غير موجود.

قيل: ما الفقر؟ قال: أن تستغني بإلهك عن كل الكائنات.

حدث أن كان الحديث عن الغنى والفقر يدور أمامه ذات يوم فقال: لن تكون هناك قيمة للغنى ولا الفقر غداً، إنما ستكون للصبر والشكر، فعليك أن تشكر وتصبر.

قالوا: من أرسخ قدماً من الخلق فى الزهد، قال: من كان أكثر يقيناً.

قيل: ما علامة المحبة؟ قال: لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء[٥٦٢].

قال له رجل: أوصنى، فقال: سبحان الله، طالما لا تقبل نفسى منى كيف تقبل أخرى منى؟!.

قالوا: نرى جماعة يغتابونك، قال: إن أراد الله أن يغفر لى فلا ضرر علىّ مما يقولونه، وإن لم يرد فإننى جدير بما يقولون.

قيل: لماذا تتحدث دائماً عن الرجاء وتشرح كرمه ولطفه؟ قال: لابد ألا يكون حديث مثلى مع الفتيان إلا عن الكرم واللطف.

وله مناجاة قال فيها: إلهى، أرجو منك السيئات قبل أن أرجو الحسنات؛ لأننى أجد نفسي أعتمد على الطاعة بإخلاص، وكيف أستطيع الطاعة بإخلاص وأنا معروف بالآفات؟! ولكننى أجد نفسى فى الذنوب على نحو أعتمد معه على عفوك، وكيف لا تغفر ذنبى وأنت موصوف بالجود.

وقال: إلهى أرسلت موسى الكليم وهارون العزيز إلى فرعون الطاغى الباغى، وقلت: ترفقا به، إلهى، هذا هو لطفك مع شخص يدعى الألوهية، فكيف يكون لطفك مع شخص يعبدك (مخلصاً) من الأعماق.

وقال: إلهى، هذا هو لطفك وحلمك مع شخص يقول «أنا ربكم الأعلى» فمن يعرف ما سيكون لطفك وكرمك مع شخص يقول «سبحان ربى الأعلى».

وقال: إلهى ليس لى فى كل مالى وملكى سوى مرقعة بالية، ومع هذا إن طلبها شخص منى لا أمنعها عنه مع أننى محتاج إليها. لديك آلاف مؤلفة من الرحمات ولست محتاجاً إليها مثقال ذرة، فكيف تضن بتلك الرحمات الموجودة عليهم.

وقـــال: إلهى، قلت: «من جاء بالحسنة فله خير منها»[٥٦٣] ولـيس هـنـاك شيء قط أطيب من الإيمان الذى وهبتنا إياه، والشيء الأفضل منه الذى تهبه لنا ليس إلا لقاءك يا إلهى.

وقـــال: إلهى، كما أنك لا تشبه شخصاً فلا تشبه أعمالك أعمال شخص، فكل شـخـص يحب شـخـصـاً يبـحث عن الراحـة التـامـة له، وأنت عندمـا تحب شخصاً تمطر على رأسه البلاء.

وقـــال: إلهى! كل شيء تمنحه لى من الدنيا امنحه للكافرين وكل شيء تمنحه لى من العقبى امنحه للمؤمنين، فيكفينى ذكرك فى الدنيا ولقاؤك فى العقبى.

وقـــال: إلهى، كيف أمتنع بالذنب عن الدعاء ولا أراك تمتنع بذنبى عن العطاء، فمع أننى أرتكب الذنوب فإنك تمنحنى العطاء، ومن ثم فلا أستطيع التوقف عن الدعاء على الرغم من اقترافى الذنوب.

وقـــال: إلهى! إذا لم أستطع الإقلاع عن الذنب فإنك تستطيع أن تغفر ذنبى.

وقـــال: إلهي كل ذنب يصدر مني في الوجود له وجهان: أحدهما بلطفك والآخر بضعفى فإما أن تغفره بلطفك أو تعفو عنه بضعفي.

وقـــال: إلهى، أخشاك لسوء سلوكى، وأرجوك بفضلك، ومن ثم أتمنع فضلك عنى بسبب سوء سلوكى.

وقال: إلهى! أعف عنى فإننى ملك لك.

وقال: إلهى! كيف أخشاك وأنت كريم؟ وكيف لا أخشاك وأنت عزيز؟

وقـــال: إلهى كـيف أدعـوك وأنا عـاصى؟ وكـيف لا أدعـوك وأنت إله كريم؟[٥٦٤].

وقال: إلهى! ما أطيبك إلهاً منزهاً، يذنب العبد وتخجل كرماً.

وقال: إلهى أخشاك لأننى عبد، وأرجوك لإنك إله.

وقـــال: إلهى! إنك تحبنى لأننى أحبك مع أنك فى غنى عنى، ومن ثم فكيف لا أحبك لأنك تحبنى مع كل احتياجى هذا لك.

وقـــال: إلهى إننى غريب، وقد ألفت ذكرك لأن الغريب يتآلف مع الغريب.

وقـــال: إلهى! أحلى عطاء فى قلبى رجاؤك، وأطيب كلام على لسانى الثناء عليك، وأحب الأوقات إلى وقت لقائك.

وقـــال: إلهى! لا أستحق الجنة ولا أطيق الجحيم، الآن توقف الأمر على فضلك.

وقـــال: إن قال لى غداً ما أحضرت؟ أقول: قد عقدت من السجن شعراً أشعث ورداءً قذرة وعالماً حزيناً وخجلاً، فما أستطيع أن أحضر؟ فاغسلنى واخلع على ولا تسأل.

يـــروى: أن يحيى اقترض مائة ألف درهم كان قد صرفها على الغازين والحجيج والفقراء والعلماء والمتصوفة، وكان غرماؤه يطالبونه، فانشغل قلبه بذلك، وفى ليلة الجمعة رأى النبى (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فى المنام، قال: يا يحيى! لا تحزن، فإننى أتألم لضيقك، فانهض، واذهب إلى خراسان فإن امرأة قد وضعت لك ثلاثمائة ألف درهم مقابل تلك المائة ألف درهم التى اقترضتها، قال: يا رسول الله! فى أى مدينة؟ ومن تلك المرأة؟ قال: امض من

مدينة إلى مدينة وعظ فإن كلامك شفاء للقلوب، ومثلما جئتك فى المنام أجىء لتلك المرأة، ثم قدم يحيى إلى نيسابور، فوضعوه أمام طاقة منبر، فقال يا أهل نيسابور، قد جئت هنا بإشارة من النبى (عليه السلام) فقد قال: إن شخصاً سيؤدى دينك، وإن علىّ ألف درهم فضة، واعلموا أن لحديثنا جمال فى كل وقت الآن جاء هذا الدين حجاباً، فقال أحدهم: أعطيك خمسين ألف درهم وقال آخر: أعطيك أربعين ألف درهم، فلم يأخذها يحيى وقال: أشار السيد (عليه السلام) إلى شخص، ثم انخرط فى الحديث، وحملوا سبع جنازات من مجلسه فى اليوم الأول، ولما لم يؤد دينه فى نيسابور قصد بلخ، ولما وصل هناك احتجزه الناس مدة حتى تكلم وفضل الغنى على الفقر فأعطوه مائة ألف درهم، وكان هناك شيخ فى تلك الناحية لم يعجبه ذلك الكلام وتفضيل الغنى فقال: لا بارك الله له، ولما خرج من بلخ، قطع عليه اللصوص الطريق، وسلبوه المال، قيل: كان هذا أثر دعاء ذلك الشيخ، ثم قصد هراة، ويقال: مضى إلى مرو ثم قدم إلى هراة، وقص المنام، وكانت ابنة أمير هراة فى المجلس فأرسلت إليه شخصاً قال (عن لسانها): أيها الإمام! أفرغ قلبك من الدين، فتلك الليلة التى قال لك فيها سيد العالم (عليه السلام) قال لى فيها أيضاً فقلت: يا رسول الله هل أذهب إليه؟ فقال: سيأتى هو، وكنت أنتظرك، ولما زوجنى والدى أعد لى ما كان للآخرين من قصدير ونحاس وفضة وذهب، وتلك هى الفضة ثلاثمائة ألف درهم، آثرتها كلها لك، ولكن لى حاجة وهى أن تعظ فى المجلس أربعة أيام متتالية فوعظ يحيى فى المجلس أربعة أيام، فى اليوم الأول: رفعوا عشرة نعوش، وفى اليوم الثانى: حملوا خمسة وعشرين، وفى اليوم الثالث: أربعين نعشاً، وفى اليوم الرابع: سبعين نعشاً، وفى اليوم الخامس: ترك هراة بسبعة أحمال من الفضة ولما وصل بهم كان معه ولد، وكان يحضر ذلك المال، فقال:

لا ينبغى أن يمنحها إلى الغرماء والفقراء حين يصل إلى المدينة ويتركنى بلا نصيب.

كان يناجى فى السحر ووضع رأسه فى سجدة، فجأة وقع حجر على رأسه، فقال يحيى: امنحوا المال للغرماء، وأسلم الروح، فحمله أهل الطريقة على أعناقهم وأحضروه إلى نيسابور ودفنوه فى قبور عامرة[٥٦٥]. (رحمة الله عليه).

ذكر الشاه شجاع الكرمانى[٥٦٦] (قدس الله روحه)

هو ثاقب البصيرة، وصقر الصورة والسيرة، هو صديق المعرفة، والمخلص بلا صفة هو نور السراج الروحانى الشاه بن شجاع الكرمانى (رحمة الله عليه).

كان شيخ زمانه، وسيد عصره، وكان من عيارى الطريقة، ومن صعالكة سبيل الحقيقة وكان حاد الفراسة، ولم تكن فراسته تخطىء قط، وكان من أبناء الملوك، وصاحب تصانيف وقد ألف كتاباً يسمى «مرآة الحكماء»[٥٦٧].

وكان قد رأى كثيراً من المشايخ مثل أبى تراب ويحيى بن معاذ وغيرهما، وكان يرتدى القباء.

لما قدم إلى نيسابور، ورآه أبو حفص الحداد وبسبب ما حظى به من عظمة نهض وقدم إليه وقال: «وجدت فى القباء ما طلبت فى العباء».

يروى: أنه لم ينم لأربعين عاماً، وكان يضع الملح فى عينيه، فكانت عيناه قد أصبحت كقدحين من الدماء ونام ذات ليلة بعد أربعين عاماً فرأى الله (سبحانه وتعالى) فى المنام، فقال: يا إلهى، كنت أطلبك بسهر الليل فرأيتك فى النوم! فقال: يا شاه لقد أدركتنا فى النوم بالسهر، ولو لم يكن ذلك السهر لما كان مثل هذا المنام[٥٦٨].

كانوا يرونه بعد ذلك كان يضع وسادة فى كل مكان كان يذهب إليه، وكان ينام ويقول: لعلنى أرى مثل ذلك المنام ذات مرة، وكان قد أصبح عاشقاً للنوم، وكان يقول لا أمنح ذرة من خوفى هذا بيقظة العالم كله(٥٦٩) .

يـــروى : أن ابناً كان لشاه، كان قد كتب على صدره «الله» بخط أخضر، ولما أدركه الشباب، اشتغل بالترحال، وكان يعزف على الربابة، وكان له صوت حسن، وكان يعزف على الربابة ويبكى. خرج ثملاً ذات ليلة، ونزل عازفاً ومنشداً فى محلة، فنهضت عروس من جانب زوجها وجاءت لمشاهدته، فاستيقظ الزوج، فلم ير زوجته، فنهض، وشاهد تلك الحال، فنادى يا بنى، ألم يحن وقت التوبة حتى الآن؟! فوقع هذا الكلام من قلبه موقعاً، وقال: آن، آن، ومـــزق رداءه وحطم الربابة، ودخل الدار، ولم يأكل قط لأربعين يوماً، ثم خرج، ومضى، فقال الشاه: ما منحوه لنا فى أربعين عاماً مُنح له فى أربعين يوماً.

يــروى : أن بنتاً كانت لشاه، وكان يطلبها ملوك كرمان، فطلب منهم عدة أيام مهلة كان يطوف فيها فى المساجد، حتى رأى فقيراً كان يحسن الصلاة، فظل الشاه صابراً حتى فرغ الفقير من الصلاة وقال: أيها الفقير! أأنت متزوج؟ قال: لا قال: أتريد زوجة تقرأ القرآن؟. قال: ومن يزوجنى مثل هذه المرأة وأنا لا أملك أكثر من ثلاثة دراهم؟ قال: أنا أزوجك ابنتى، وهذه الدراهم الثلاثة التى تملكها أنفق واحداً منها فى الخبز، وواحداً فى العطر وأعقد عقد النكاح، وهكذا فعلا، وأرسل ابنته إلى داره فى نفس الليلة، فلما دخلت الفتاة دار الدرويش رأت خبزاً يابساً، وقد وضع على حافة قدح ماء، فقالت: ما هذا الخبز؟ قال: كان قد بقى من البارحة وتركته لهذه الليلة، فهمت البنت بالخروج، فقال الفقير: علمت أن ابنة الشاه شجاع لا تستطيع العيش معى، ولا

تخضع لضعفى، فقالت الابنة: أيها الشاب إننى لا أمضى بسبب فقرك لكن بسبب ضعف إيمانك ويقينك فقد أبقيت خبزاً من الأمس للغد ولا تعتمد على الرزق، ولكنى أعجب من والدى فقد (حفظنى) فى داره عشرين عاماً وقال: سأزوجك لتقى، وعندئذ زوجنى لشخص لا يعتمد على الله فى رزقه، قال الفقير: لهذا الذنب عذر فقالت: والعذر هو: إما أن أبقى أنا فى هذا الدار أو الخبز اليابس.

يروى: أن أبا حفص الحداد كتب رسالة إلى الشاه شجاع، وقال: نظرت إلى نفسى وعملى وتقصيرى فيئست والسلام. فرد عليه الشاه: جعلت رسالتك مرآة لقلبى، فإن كان يأسى من نفسى خالصاً لصفا رجائى فى الله، وان صفا رجائى فى الله لصفا خوفى منه، وعندئذ أيأس من نفسى وان يئست من نفسى أستطيع أن أذكر الله آنذاك، وان ذكرت الله ذكرنى، وإن ذكرنى الله أنجو من المخلوقات وأتعلق بكل المحبوبات والسلام.

يروى: أن محبة كانت بين الشاه ويحيى بن معاذ، واجتمعا فى مدينة، ولم يكن الشاه يحضر مجلس يحيى، فقيل له: لماذا لا تأتى؟ قال: الصواب فى ذلك، فألحوا عليه، فمضى ذات يوم، وجلس فى زاوية، فسكت يحيى عن الكلام وقال: هنا شخص حاضر أولى منى بالحديث، فقال الشاه: قلت: إن مجيئى ليس من المصلحة.

وقال: لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم. ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها أيضاً، فإذا رأوها فلا ولاية لهم(٥٧٠).

وقال: الفقر سر الحق لدى العبد، حين يخفيه يأمن وحين يفشيه يتركه اسم الفقر.

وقــال: علامات الصدق ثلاث: الأولى: أن يذهب قدر الدنيا عن قلبك بحيث يصبح الذهب والفضة أمامك كالتراب، فإذا وقعت الفضة والذهب فى يدك تنفض يدك منها كما تنفض التراب الثانية: أن يستغنى قلبك عن رؤية الخلق بحيث يستوى لديك المدح والذم فلا تزداد بالمدح ولا تنقص بالذم. والثالثة: أن يعينك على مقاومة الشهوة من قلبك بحيث تسر بالجوع وترك الشهوات لأن أهل الدنيا يسرون بالشبع واطلاق الشهوات وكلما تكون كذلك، الزم طريق المريدين، وإذا لم تكن كذلك فأى شأن لك بهذا الكلام؟

وقال: الخوف حزن دائم.

وقال: الخوف الواجب هو أن تعرف أنك مقصر فى حقوق الله (تعالى).

وقال: علامة الطبع الحسن أن تكف أذاك عن الخلق وتتحمل أذاهم.

وقال: علامة التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات(٥٧١).

وقــال: مات العشاق بالعشق لأنهم عندما أدركوا الوصال ادعوا الألوهية وهماً.

وقال: علامة الرجاء حسن الظاهر.

وقال: علامات الصبر ثلاث: ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول القضاء بقلب راض.

وقــال: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وجمّل ظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسة(٥٧٢).

يــروى: أنه قال لأصحابه ذات يوم: اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا ما بدالكم(٥٧٣).

وقال: دع الدنيا تتوب، ودع هوى النفس تصل إلى المراد.

سئل: كيف تكون في الليل؟ قال: الطائر الذي يضربونه بالعصا ويدورونه حول النار لا حاجة للسؤال عنه!

يــروى: أن السيد على السيرجاني[٥٧٤] كان يتصدق بخبز على قبره، ووضع الطعام أمامه ذات يوم وقال: إلهي أرسل حنيفاً، وفجأة دخل كلب، فصاح عليه السيد على، فمضى الكلب فهتف هاتف من قبر الشاه: أتريد حنيفاً وعندما نرسله ترده. فنهض في الحال، وخرج مسرعاً، وأخذ يطوف الانحاء، فلم ير كلباً، فمضى إلى الصحراء فرآه نائماً في زاوية، فوضع أمامه ما أحضره، فلم يلتفت الكلب إليه قط، خجل السيد على، ووقف في مقام الاستغفار وأمسك المنديل وقال: تبت، فقال الكلب: أحسنت يا سيد على، تدعو الضيف وحين يأتى تطرده! تلزمك عين، وإن لم يكن الشاه لما رأيت ما رأيت. (رحمة الله عليه).

ذكر يوسف بن الحسين[٥٧٥] (قدس الله روحه العزيز)

هو معتكف الحضرة الدائم، وحجة ولاية (ولا يخافون لومة لايم)[٥٧٦]، هو الشمس المحتجبة، وماء الحياة فى الظلمة، هو صقر الكونين قطب الزمان يوسف بن الحسين (رحمة الله عليه).

كان من جملة المشايخ، ومن المقدمين بين أولياء العالم فى أنواع العلوم الظاهرة والباطنة، وله آراء فى بيان المعارف والأسرار.

وكان شيخ الرى، وكان قد رأى كثيراً من المشايخ والشيوخ، وصاحب أبا تراب، وكان من رفاق أبى سعيد الخراز، وكان مريداً لذى النون المصرى. وكان قد عمر طويلاً، وقد أبدى فى أمره جدية تامة على الدوام، وكان آية فى الأدب، وكان هو نفسه أديباً، وله رياضات وكرامات، وله فى الملامة قدم راسخة وهمة عالية.

وكانت بداية أمره أنه وصل مع جمع إلى قبيلة من قبائل العرب، فلما رأته ابنة أمير العرب فتنت به لأنه كان جميلاً جداً، وفجأة اغتنمت تلك الفتاة الفرصة وألقت بنفسها أمامه فارتعد وتركها، وابتعد عن القبيلة، ونام فى تلك الليلة. وكان قد أسند رأسه على ركبته واستغرق في النوم، فرأى موضعاً لم يكن

قد رأى مثله من قبل، وجماعة مرتدية ثياباً خضراء، ورجلاً جالساً على العرش كالملك، فأراد يوسف أن يعرف من هم؟ فذهب بنفسه إليهم، فأرشدوه إلى الطريق ويجلوه، فقال: من أنتم؟ قالوا: إننا ملائكة والذى على العرش هو يوسف النبى (عليه السلام) وقد جاء لزيارة يوسف بن الحسين.

قال: غلبنى البكاء وقلت: من أنا حتى يأتى نبى الله لزيارتى، وبينما كنت فى هذا التفكير نزل يوسف (عليه السلام) من العرش، واحتضننى وأجلسنى على العرش، فقلت: يا نبى الله! من أنا حتى تفعل معى هذا اللطف؟!

قال: فى تلك الساعة التى ألقت فيها تلك الفتاة شديدة الجمال بنفسها أمامك وتركتها للحق (تعالى) واستعذت به، عرض الحق (تعالى) (أمرك) علىّ وعلى الملائكة ووضحه وقال: انظر يا يوسف! أنت يوسف الذى كان يقصد دفع زليخا، وهو يوسف الذى لم يقصد ابنة ملك العرب وفرّ. ومن ثم أرسلنى وهؤلاء الملائكة لزيارتك. وبشر بأنك من رجال الحق.

ثم قال: فى كل عصر آية، وآية هذا العصر ذو النون المصرى الذى مُنح الاسم الاعظم فاذهب إليه. عندما استيقظ يوسف، كان قد احتواه الألم كلية، وغلبه الشوق، فاتجه إلى مصر وكان يرغب فى اسم الله الأعظم. وعندما وصل إلى مسجد ذى النون، سلم، وجلس فأجاب ذو النون السلام، اعتكف يوسف عاماً فى زاوية المسجد ولم يجرؤ أن يسأل ذا النون شيئاً، بعد عام، سأل ذو النون: من أين هذا الفتى؟ قال: من الرى، ولم يقل شيئاً لعام تال أقام فيه يوسف فى تلك الزاوية أيضاً، ولما مر عام آخر، قال ذو النون: لما جاء هذا الشاب؟ قال: لزيارتكم، ولم يقل شيئاً لعام آخر، بعد ذلك قال: ألك حاجة؟ قال: جئت لتعلمنى الاسم الاعظم، ولم يقل شيئاً لعام آخر وبعد ذلك أعطاه قدحاً خشبياً مغلقاً وقال: أعبر نهر النيل، ففى المكان الفلانى شيخ، أعطه هذا الوعاء،

وتعلم كل شيء يقوله لك، حمل يوسف الوعاء، ومضى، ولما قطع مسافة من الطريق ثارت الوساوس داخله (متسائلاً) ما الذى يتحرك فى هذا الوعاء؟ ففتحه، فقفز فأر وفرّ، اندهش يوسف وقال: أين أذهب الآن؟ أأذهب إلى هذا الشيخ أم إلى ذى النون؟ وفى النهاية ذهب إلى الشيخ بالوعاء الفارغ، عندما رآه الشيخ ابتسم وقال: هل طلبت منه اسم الله الأعظم؟ قال بلى. قال: كان ذو النون: يرى قلقك فأعطاك فأراً، سبحان الله لم تستطع الحفاظ على فأر فكيف تحفظ اسم الله الأعظم؟ خجل يوسف ورجع إلى مسجد ذى النون، قال ذو النون رجوت الحق بالأمس سبع مرات أن يسمح لى أن أعلمك الاسم الأعظم، فلم يأذن لى، أى أن الوقت لم يحن بعد. ثم قال الحق (تعالى): اختبره بفأر، ولما اختبرتك كان الأمر كذلك فارجع إلى مدينتك الآن حتى يحين الوقت. قال يوسف: أوصنى، قال: أوصيك بثلاث: واحدة كبيرة والأخرى متوسطة والثالثة صغيرة، الوصية الكبيرة هى: أن تنسى كل ما قرأته وأن تمحو كل ما كتبته حتى ينقشع الحجاب.

فقال يوسف: لا أستطيع هذا. قال ذو النون: والمتوسطة هى: أن تنسانى ولا تفصح باسمى لشخص، فهكذا قال شيخى وهكذا أمر بأن كل هذا غرور قال: ولا أستطيع أن أفعل هذا أيضاً ثم قال: والوصية الصغرى هى: أن تنصح الخلق وتدعوهم إلى الله.

قال: أقدر على هذا إن شاء الله قال: لكن بشرط أن تنصح دون أن تُرى بين الخلق قال: سأفعل ذلك.

ثم جاء إلى الرى، وكان ابن شيخها، فاستقبله أهل المدينة، ولما بدأ المجلس شرح كلام الحقائق، فعاداه أهل الظاهر فلم يكن هناك فى ذلك الوقت علم سوى علم الظاهر، وكان يسلك طريق الملامة أيضاً إلى حد أن شخصاً لم يأت إلى

مجلسه. دخل ذات يوم ليعظ في المجلس فلم ير أحداً، أراد أن يعود، فنادته عجوز (قائلة): ألم تكن قد تعاهدت مع ذي النون على أن تنصح من لا تراه من الخلق؟ وأن تتحدث من أجل الله؟ عندما سمع هذا، اندهش، وبدأ الكلام غير مهتم بأن يكون هناك أحد أم لا، وقضى خمسين عاماً على هذا الحال.

وأصبح إبراهيم الخواص مريداً له، وقوى شأنه، ووصل أمره ببركة صحبته إلى حد أنه كان يقطع البادية بلا زاد أو راحلة. وقال إبراهيم: سمعت نداء ذات ليلة (فحواه): اذهب وقل ليوسف بن الحسين إنك من المطرودين، فقال إبراهيم: شق عليّ هذا الكلام بحيث إن ضربت بجبل على رأسي لكان أيسر على من أن أبلغه هذا الكلام، وفي الليلة التالية سمعت بتهديد أكبر: قل له إنك من المطرودين، فنهضت واغتسلت واستغفرت وجلست أفكر، وفي الليلة الثالثة سمعت نفس النداء: قل له إنك من المطرودين، وإن لم تقل له تصاب بآلام تقعدك، فنهضت، ودخلت المسجد في حزن عميق، فرأيته جالساً في المحراب، ولما رآني قال: أتذكر أي بيت؟ قلت: بلى تذكرت بيتاً عربياً قلته فسريه ونهض ووقف طويلاً على قدميه، وسال الدمع من عينيه كما لو أنه كان قد اختلط بالدم. ثم التفت إليّ وقال: كانوا يقرأون أمامي منذ الصباح وحتى الآن فلم تسقط من عيني قطرة ماء، واعترتني هذه الحالة بهذا البيت الذي قلته، فسال طوفان من عينيّ صدق الناس إنه زنديق، وصدق الخطاب الصادر من الحضرة: إنه من المطرودين، فشخص يتأثر ببيت هكذا ولا يتأثر بالقرآن، هو مطرود! قال إبراهيم: عجبت لأمره، وضعف اعتقادي فيه فخفت ونهضت واتجهت إلى الصحراء، وتصادف أن التقيت بالخضر فقال لي: يوسف بن الحسين جريح الحق، ولكن مقامه أعلى العليين فينبغي الخطو خطوات كثيرة في سبيل الحق حتى إذا وضعوا يد الرفض على جبينك يظل مقامك أعلى العليين، لأن كل من يتخلف في هذا الطريق يتخلف عن الملك لا عن الوزارة.

يروى: أن عبد الواحد بن زيد[٥٧٧] كان رجلاً متمرداً، وكان والداه يعانون منه دائماً لأنه كان عاقاً جداً، مرّ يوماً على مجلس يوسف بن الحسين: وكان يقول هذا القول: «دعاهم بلطفه كأنه محتاج إليهم» فأطاح عبد الواحد بثيابه وصاح صيحة، وذهب إلى المقابر، وظل ثلاثة أيام بلياليها، في الليلة الأولى رآه يوسف بن الحسين في المنام وكأنه كان يسمع خطاباً: «أدرك الشاب التائب» فأخذ يوسف يطوف حتى وصل إليه في تلك المقابر، واحتضنه ففتح عينه وقال: أرسلوا لك منذ ثلاثة أيام بلياليها وتأتي الآن! قال هذا وأسلم الروح.

يروى: أن تاجراً من نيسابور كانت لديه جارية تركية، اشتراها بألف دينار وكان له غريم في مدينة أخرى، أراد أن يسرع ويسترد ماله منه، ولم يثق في شخص في نيسابور كي يترك له جاريته، فجاء إلى أبي عثمان الحيري وقص حاله، فلم يقبل أبو عثمان فتشفع كثيراً وقال له: امنحها السبيل إلى حرمك، فسرعان ما أعود، الخلاصة قبل، ومضى ذلك التاجر، فوقع نظر أبي عثمان على تلك الجارية رغماً عنه فعشقها بحيث سلبه العشق قراره ولم يعرف ما يفعل؟ فنهض وذهب إلى شيخه أبي حفص الحداد، فقال له أبو حفص: ينبغي عليك أن تذهب إلى يوسف بن الحسين في الري، فقصد أبو عثمان العراق في الحال، ولما وصل إلى الري، سأل عن مقام يوسف بن الحسين فقالوا: ما تفعل بذلك الزنديق الإباحي؟ ويبدو أنك من أهل الصلاح وتضرك صحبته، وقالوا له كلاماً من هذا القبيل، فندم أبو عثمان على مجيئه وعاد. ولما قدم إلى نيسابور، قال أبو حفص: أرأيت يوسف بن الحسين؟ قال: لا، قال: لماذا؟ فقص الحال قائلاً: سمعت أنه رجل كذا وكذا، فلم أذهب إليه وعدت، فقال له أبو حفص: عد وأدركه، فعاد أبو عثمان، وقدم إلى الري، وسأل عن داره فقالوا له

مئات الأقوال الأخرى، فقال: لى معه أمر هام فأرشدوه، ولما وصل إلى داره، رأى شيخاً جالساً وأمامه ولد أمرد جميل جداً، ووضع أمامه كأساً، وكان النور يشع من وجهه، فدخل وسلم وجلس، واسترسل الشيخ يوسف فى الكلام، وقال كلمات عالية سامية فدهش أبو عثمان ثم قال: لله أيها السيد مع مثل هذه الكلمات والمشاهدة أى حالة هذه التى تعتريك من خمر وأمرد؟! قال يوسف: هذا الأمرد ابنى، وقليل من الناس من يعرفون أنه ابنى، وأنا أعلمه القرآن، وكان كأساً قد سقط فى الموقد فرفعته ونظفته وملأته بالماء، ومن طلب الماء شرب منه لأننى لا أملك قدحاً. قال أبو عثمان: لله، لماذا تفعل مثل هذا؟ فيقول الناس ما يقولون. قال يوسف: أفعل هذا لكى لا يرسل أحد جاريته التركية إلى دارى واثقاً فى عندما سمع أبو عثمان هذا جثا على قدمه، وعرف أن هذا الرجل يحظى بدرجة عالية.

يروى: أن حمرة ظهرت فى عين يوسف وفتوراً بسبب عدم النوم، فسألوا إبراهيم الخواص كيف كانت عبادته؟ قال: عندما كان يفرغ من صلاة العشاء كان يقف حتى النهار على قدميه لا يركع ولا يسجد ثم سألوا يوسف: أى عبادة الوقوف حتى النهار؟ قال: أؤدى فريضة الصلاة بيسر لكنى أريد أن أؤدى صلاة الليل فأقف هكذا ولا يمكننى التكبير بسبب عظمته. وفجأة يحل بى شىء ويعترينى حتى الصباح، وعندما يطلع الصبح أؤدى الفريضة.

يروى: أنه كتب رسالة للجنيد ذات مرة (جاء فيها): لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً[٥٧٨].

وقال: لكل أمة صفوة هم وديعة الله يحجبهم عن خلقه فإن وجدوا فى هذه الأمة فهم الصوفية.

وقال: آفة الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفقة النساء[٥٧٩].

وقــــال: علم القوم بأن الله يراهم، فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سـواه[٥٨٠]. ومن ذكر الله بحقيقة ذكره، نسى ذكر غيره، ومن نسى ذكر كل شيء فى ذكره، حفظ عليه كل شيء، إذ كان الله عوضاً عن كل شيء[٥٨١].

وقـال: إشارة الخلق على قدر إدراكهم، وإدراك الخلق على قدر معرفتهم، ومعرفة الخلق على قدر محبتهم، وليس هناك حال أحب إلى الله تعالى من محبة العبد له.

وسئل عن المحبة فقال: من أكثر من محبة الله كثرت مهانته وذلته وكثرت شفقته على الخلق ونصيحته لهم.

وقال: علامة معرفة الأنس اجتناب (المرء) ما يمنعه عن ذكر الحبيب.

وقال: علامتا الصادق اثنان: محبة الوحدة وإخفاء الطاعة.

وقال: توحيد الخاصة أن يفكر (المرء) فى التوحيد فى السريرة والقلب كما لو كان واقفاً أمام الحضرة، ويسرى تدبيره عليه فى أحكام قدرته وبحار توحيده وهو فان عن نفسه وجاهل بأنه موجود كما كان من قبل تحت جريان حكمه.

وقـال: من سقط فى بحر التجريد ازداد عطشاً كل يوم ولا يرتوى قط لأن للعطشى حقيقة لا تسكن سوى بالحق.

وقـال: أثمن شيء فى الدنيا الإخلاص، كلما اجتهدت أن أطيح الرياء عن قلبى يتسلل إلى قلبى بلون آخر.

وقال: لأن ألقى الله (تعالى) بجميع المعاصى أحب إلىّ من أن ألقاه بذرة من التصنع[٥٨٢].

وقـال: علامة الزهد هى ألا يطلب (المرء) المفقود حتى لا يجعله الموجود مفقوداً.

وقال: غاية العبودية أن تكون عبداً له في كل شيء.

وقال: من عرفه بالفكر عبده بالقلب.

وقال: أذل الناس الطماعون وأشرفهم الفقير الصادق[٥٨٣].

ولما اقتربت وفاته قال: إلهي، إنك تعلم أنني نصحت الخلق قولاً، ونصحت النفس فعلاً، فاغفر خيانة نفسي بنصيحتي خلقك.

وبعد وفاته رأوه في المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قالوا: لأي سبب؟ قال: ببركة أنني لم أخلط الهزل بالجد أبداً. (رحمة الله عليه).

ذكر أبى حفص الحداد[٥٨٤] (قدس الله روحه العزيز)

هو قدوة الرجال، ونقطة الكمال، هو العابد الصادق والزاهد العاشق، هو سلطان الأوتاد، قطب العالم أبو حفص الحداد (رحمة الله عليه).

كان ملك المشايخ على الإطلاق، وكان خليفة الحق بالاستحقاق، وكان من سادة هذه الطائفة، ولم يكن هناك شخص فى عظمته فى زمانه، وكان فى الرياضة والكرامة والمروءة والفتوة بلا نظير، وكان فريداً فى الكشف والبيان، وكان الله (عز وجل) معلمة وملقنه بلا واسطة، وكان شيخاً لأبى عثمان الحيرى، وقدم شاه بن شجاع من كرمان لزيارته وصحبه إلى بغداد لزيارة المشايخ.

وكانت بداية أمره أنه عشق جارية إلى حد أنها سلبته قراره، فقيل له: يوجد بمدينة نيسابور يهودى ساحر لديه تدبير أمرك، فذهب إليه أبو حفص، وشرح له حاله فقال له عليك أن تكف عن الصلاة أربعين يوماً، وألا تؤد طاعة أو صنيعاً حسناً، وألا يرد اسم الله على لسانك، وألا تنو نية حسنة، حتى أتدبر أمرك، وأحقق مرادك بالسحر، ففعل أبو حفص ذلك لأربعين يوماً. وبعد ذلك صنع اليهودى طلسماً، ولم يتحقق المراد فقال اليهودى: لا شك أن خيراً صدر

منك في الوجود، وإلا فإنني على يقين أن المراد كان سيتحقق. قال أبو حفص: إنني لم أفعل شيئاً إلا أني كنت قادماً في الطريق، فأبعدت حجراً بقدمي حتى لا يتعثر فيه شخص، فقال له اليهودي: لا تغضب الإله الذي عصيته أربعين يوماً ولم يضع هذا المقدار من تعبك بكرمه، فاضطرمت نار في قلب أبي حفص وقويت إلى حد أنه تاب على يد اليهودي(٥٨٥).

وكان يعمل بالحدادة ويخفي حقيقته وكان يكسب كل يوم ديناراً، ويعطيه للفقراء ليلاً أو يلقي به في جعبة الأرامل، ولم يكن يعرفن، وكان يؤدي صلاة العشاء متسولاً، ويفطر بما يحصل عليه. وكان يلتقط بقايا الكراث من الحوض الذي يُغسل فيه، وكان يعد خبزاً لطعامه، وظل يمضي فترة على هذا النحو. كان هناك رجل كفيف يمر بالسوق يوماً، وكان يقرأ هذه الآية «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون»(٥٨٦).

فانشغل قلبه بهذه الآية وحل به شيء فغاب عن نفسه، وأدخل يده في النار بدلاً من الملقط، وأخرج حديدة محماة وضعها على السندان، فضربها الصبيان بالمطرقة ثم نظروا فرأوا الحديدة في يده، وكان يتلقفها فقالوا: ما هذا الحال يا استاذ؟ فصاح عليهم: اضربوا، قالوا: وأين نطرق يا أستاذ طالما أن الحديدة قد صارت نظيفة، ولما عاد إلى صحوه، ورأى الحديدة المحماة في يده، وسمع هذا الكلام: أين نطرق طالما أن الحديد قد صار نظيفاً، صاح صيحة وألقى بالحديدة من يده، وترك المكان للسلب والنهب(٥٨٧).

وقال: أردنا مرات عديدة بالتكلف أن نترك هذا العمل فلم نفعل حتى هاجمنا هذا الحديث وسلبنا أنفسنا، وعلى الرغم من أنني كنت أتوقف عن العمل حتى يرجع عني فلا جدوى. ثم اتجه إلى الرياضة الشاقة، وسلك مسلك العزلة والمراقبة.

وكما يروى: أنهم كانوا يستمعون إلى الأحاديث بجواره، فقالوا له: لماذا لا تأتي كي تستمع إلى الأحاديث، قال: أردت أن أوفى حديثاً واحداً حقه طيلة ثلاثين عاماً فلم أستطع، فكيف استمع إلى حديث آخر؟ قالوا: وأى حديث ذلك؟ قال: يقول الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

يروى: أن أبا حفص قد ذهب مع أصحابه إلى الصحراء، وتحدث إليهم فطاب وقتهم فجاء غزال من الجبل، ووضع رأسه على طرف أبي حفص، فكان أبو حفص يلطم وجهه ويصيح، فمضى الغزال، وعاد الشيخ إلى حاله. سأله الأصحاب: ما هذا؟ قال: لما طاب وقتنا جال بخاطرى: أن ليت كانت لدى شاة فكنت أشويها، ولما كان الأصحاب لم يتفرقوا بعد هذه الليلة، ولما جال بخاطرى هذا جاء غزال، فقال المريدون: يا شيخ أى معنى للصياح واللطم من شخص حاله مع الحق هكذا؟ قال: ألا تعلمون أن نيل المراد هو الحرمان منه فإن كان الله (تعالى) يريد بفرعون خيراً لما جعل النيل يسرى وفقاً لمراده.

يروى: أن أبا حفص كلما كان يغضب كان يتكلم فى حسن الخلق، حتى يسكن غضبه عندئذ ينصرف إلى حديث آخر(٥٨٨).

يروى: أن أبا حفص كان يمضي يوماً، فرأى رجلاً حائراً باكياً، فقال: ما حدث لك؟ قال: لقد فقدت حماراً أملكه، ولم أملك غيره، فتوقف الشيخ وقال: بعزته، لا أخطو خطوة ما لم يعد الحمار إليه، فظهر فى الحال.

يقول أبو عثمان الحيرى: كنت أمضى يوماً إلى أبي حفص، فرأيت أمامه بضع حبات من الزبيب، فأخذت زبيبة ووضعتها فى فمى، فأمسك بحلقى، وقال: أيها الخائن، لما أكلت زبيبتى وبأى سبب؟ فقلت: إننى أعرف قلبك وأثق فيك، وعلمت أيضاً أن كل ما تملكه تؤثره، فقال: إننى لا أثق بقلبى أيها

الجاهل، فكيف تثق أنت به؟ بعزة الحق إنني أحيا عمري في خشية منه ولا أعلم ما سيصدر مني. فشخص لا يعرف ما بداخله، فماذا يعرف شخص آخر عما بداخله؟!(٥٨٩).

ويقول أبو عثمان أيضاً: كنت مع أبي حفص في دار أبي بكر بن حنيفة(٥٩٠). وكانت هناك مجموعة من الأصحاب، كانوا يتحدثون عن فقير، فقلت: ليته كان يحضر، فقال الشيخ: إن كانت هناك ورقة، لكنت كتبت عليها حتى يحضر. فقلت: هنا ورقة، قال: لقد ذهب رب البيت إلى السوق، وربما مات، فيكون هناك وارث للورقة، فلا يجوز كتابة شيء عليها(٥٩١).

قال: أبو عثمان: قلت لأبي حفص: اشرح لي كيف أعظ في مجلس العلم، قال: وما الذي يدعوك إلى هذا؟ قال: الشفقة على الخلق، فقال: وأي حد بلغت من شفقتك عليهم؟ قال: إلى حد أنني أجيز أن يلقى بي الحق تعالى في الجحيم عوضاً عن العاصين، ويعذبني بدلاً منهم. قال: إن كان الأمر هكذا فبسم الله عندما تعظ في مجلس فانصح قلبك وجسدك أولاً، ثانياً: لا يغرك تجمع الناس فهم يراقبون ظاهرك ويراقب الحق (تعالى) باطنك، ومن ثم اعتليت المنبر، واختفى أبو حفص في زاوية، ولما انتهى المجلس نهض سائل، وطلب قميصاً، فخلعت قميصي في الحال، وأعطيته له قال أبو حفص: «يا كذاب انزل من المنبر»، فقلت: أي كذاب؟ قال: ادعيت أن شفقتك على الخلق أكثر من شفقتك على نفسك، وسبقت إلى الصدقة كي يكون لك فضل السباقين، فطلبت الأفضل لنفسك وإن كانت دعواك صادقة، لتأخرت برهة ليكون فضل السباقين لآخر، ومن ثم فأنت كذاب والمنبر ليس مكاناً للكذابين(٥٩٢).

يروى: أنه كان يمضي في السوق يوماً، فتقدم إليه يهودي، فاعتراه الحال، وفقد صوابه، ولما عاد إلى رشده، سألوه فقال: رأيت رجلاً ارتدى لباس العدل،

ورأيت نفسي ارتديت لباس الفضل، فخفت خشية أن ينزعوا لباس الفضل عنى ويلبسوه لذلك اليهودى، وينزعوا عنه لباس العدل ويلبسوه لى.

وقال: كنت أرى الحق وقد نظر إلىّ غاضباً طيلة ثلاثين عاماً، فسبحان الله أى خوف ومهابة كانت له وهو فى تلك الحال.

يــروى: أن أبا حفص اعتزم الحج وكان عامياً، ولا يعرف العربية، فلما وصل إلى بغداد قال المريدون لبعضهم البعض: شين عظيم أن يلزم شيخ شيوخ خراسان ترجمان كى يعرف لغتهم، ثم أرسل الجنيد المريدين لاستقباله، وعرف الشيخ ما كان يفكر فيه أصحابنا، فبدأ الحديث بالعربية فى الحال إلى حد أن أهل بغداد تعجبوا من فصاحته، وتجمعت لديه جماعة من الأكابر، وسألوه عن الفتوة، فقال أبو حفص: القول لكم فقولوا أنتم، فقال الجنيد: الفتوة فى رأيى إسقاط رؤية نفسك، وترك نسبة ما تكون قد فعلته لنفسك، فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت. ولكن الفتوة عندى أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف. فقال الجنيد: اعملوا يا أصحابنا، قال أبو حفص: لا يستقيم هذا بالقول، عندما سمع الجنيد هذا قال: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم، وذريته(٥٩٣) فى الفتوة أى أنه حصر أولاد آدم فى الفتوة إن كانت الفتوة هى ما يقوله.

وكانت لأبى حفص هيبة شديدة وإجلال عظيم لدى أصحابه، ولم يكن مريد قط يجرؤ أن يجلس أمامه أو يلقى نظرة على وجهه، وكان الجميع يقفون أمامه ولا يجلسون دون أمره وكان أبو حفص يجلس كالسلطان. قال الجنيد: علمت الأصحاب أدب السلاطين، فقال أبو حفص: إنك لا ترى أكثر من عنوان الرسالة لكن يمكنك الاستدلال منه على ما فيها. ثم قال أبو حفص: مرهم بإعداد قدر من الحساء وحلوى، فأشار الجنيد إلى مريد ليعده، ولما أحضره قال

أبو حفص: ضعوه على حمال يحمله إلى أن يصيبه التعب، عندئذ ينادى أمام باب كل دار يصل إليه ويعطيه لمن يخرج. فعل الحمال ذلك وكان يمضى حتى أصابه التعب، ولم يطق (مواصلة السير)، فوضعه أمام باب دار ونادى وكان رب الدار شيخاً فقال: آأحضرت الحساء والحلوى حتى أفتح الباب؟ قال: بلى ففتح الباب، وقال: ادخل، قال الحمال: تعجبت وسألت الشيخ: ما هذا الحال؟ وكيف عرفت أننى أحضرت الحساء والحلوى؟ قال: جال هذا بخاطرى فى مناجاتى بالأمس، فأبنائى يطلبونها منى منذ مدة، وأعلم أنها لم تسقط من السماء.

يروى: أن مريداً شديد الأدب التحق بخدمة أبى حفص، ونظر إليه الجنيد عدة مرات ليرحب بمقدمه، وسأل (أبا حفص): كم عام قضاها فى خدمتك؟ قال أبو حفص: عشر سنوات، قال: إنه يحظى بأدب جم وعظمة عجيبة وكفاءة، فقال أبو حفص: بلى، فقد ضحى بسبعة عشر الف دينار في سبيلنا، واقترض سبعة عشر ألف أخرى، وضحى بها ولا يجرؤ حتى الآن أن يسألنا عن شيء. ثم اتجه أبو حفص إلى البادية، وقال: رأيت أبا تراب فى البادية ولم أكن قد أكلت شيئاً لستة عشر يوماً، فذهبت إلى حافة حوض لأشرب واستغرقت فى التفكير، قال أبو تراب: ما أقعدك هنا؟ قلت: انتظر لمن تكون الغلبة للعلم أم اليقين؟ حتى أكون عوناً لمن تكون له الغلبة، فإن كانت للعلم أشرب الماء، وإن كانت لليقين أنصرف، فقال أبو تراب: ليعظم شأنك. ولما وصل إلى مكة رأى جماعة من المساكين المحتاجين العاجزين، فأراد أن ينعم عليهم، فاحتد واعتراه حال، فمديده ورفع حجراً وقال: بعزتك لأحطم قناديل المساجد كلها إن لم تهبنى شيئاً!

قال هذا، وأخذ يطوف، وفى الحال جاء شخص، وأحضر صرة ذهب وأعطاها له لينفقها على الدراويش، ولما أدى الحج، وقدم إلى بغداد، استقبله

أصحاب الجنيد وقال الجنيد: ما الهدية التى أحضرتها لنا أيها الشيخ؟ قال أبو حفص: ربما لا يستطيع أحد أصحابنا أن يحيا كما ينبغى وها أنا ظفرت بما قلته، فإن رأيتم وقاحة من أخ فابحثوا له عن عذر، وأطلبوا العذر من أنفسكم دونه، فإن لم يجد ذلك العذر وكان الحق معك فابحث عن عذر أفضل، وأطلب من نفسك عذراً آخراً دونه، فإن لم تجد ابحث عن عذر آخر حتى أربعين عذراً، فإن لم تجد وكان الحق معك ولم تمح الأعذار الأربعين الجرم، فأجلس وقل لنفسك: ما أعجبك يا دابة النفس وما أعجب ثقلك وظلمتك وأنانيتك الحقيرة ووضاعتك الظالمة، التمس لك أخ أربعين عذراً من أجل جرم ولم تقبلى واحداً وتشبثت برأيك! إننى تخليت عنك وأنت تعلمين، فافعلى ما تريدين. عندما سمع الجنيد هذا تعجب. أى لمن يمكن أن تكون هذه المقدرة.

يروى: أن الشبلى استضاف أبا حفص أربعة أشهر، وكان يحضر كل يوم عدة ألوان من الطعام وعدة أصناف من الحلوى، ولما ذهب لوداعه فى آخر الأمر قال: يا شبلى! إن أتيت إلى نيسابور مرة علمتك الضيافة والمروءة. قال: وما فعلت يا أبا حفص؟ قال: تكلفت والمتكلف ليس من أهل المروءة، فيجب ألا يثقلك مجيء الضيف وألا تسعد برحيله، وطالما تكلفت، ثقل عليك مجيئه وسهل عليك رحيله، ومن كان هذا حاله مع الضيف فهو ليس من أهل المروءة. ولما جاء الشبلى إلى نيسابور، نزل عند أبى حفص، وكان معه أربعون شخصاً، فأشعل أبو حفص واحداً وأربعين سراجاً ليلاً. قال الشبلى: ألم تقل إنه لا يحب التكلف؟ قال أبوحفص: انهض وأطفئها، فنهض الشبلى ومهما حاول لم يستطع أن يطفيء أكثر من سراج، فقال: ما هذه الحال يا شيخ؟ فقال: إنكم أربعون شخصاً من رسل الحق، فالضيف رسول الحق، ولا جرم أشعلت مصباحاً باسم كل منكم من أجل الله وسراجاً من أجلى، تلك التى كانت من

أجل الله لم تستطع إطفاءها، أما ما كان من أجلى أطفأته، فكل ما فعلته أنت فى بغداد فعلته من أجلى، وهذا الذى فعلته أنا، فعلته من أجل الله، ولا جرم أن ذاك تكلفاً وهذا ليس بتكلف.

يقول أبو على الثقفى: قال أبو حفص: من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بميزان الكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده من جملة الرجال(٥٩٤).

سئل: الصمت أفضل للولى أم الكلام؟ فقال إن عرف المتحدث آفة الحديث صمت قدر ما استطاع وإن عمر عمر نوح. وإن عرف الصامت راحة الصمت لرجا الله أن يهبه عمرين كعمر نوح حتى يصمت.

قالوا: لماذا تكره الدنيا؟ قال: لأنها دار توقع العبد كل لحظة فى ذنب جديد قالوا: إن كانت الدنيا سيئة فالتوبة حسنة وتكون التوبة فى الدنيا أيضاً، فقال: بلى، لكننى على يقين بالذنب الذى فى الدنيا وأنت على يقين لا شك، وكلانا فى خطر.

قالوا: ما العبودية؟ قال: أن تترك كل ما تملك وتلتزم بما أمرت به(٥٩٥).

قالوا: ما الفقر؟ قال: إبداء الذلة فى حضرة الله.

قالوا: ما علامة الأحباب؟ قال: من يفرح الأصدقاء فى اليوم الذى يموت فيه، أى بحيث يخرج من الدنيا مجرداً فلا يبقى شىء يخالف دعواه فى التجريد.

قالوا: من الولى؟ فقال: من أيد بالكرامات، وغُيِّب عنها(٥٩٦).

قالوا: من العاقل؟ فقال: المطالب نفسه بالإخلاص(٥٩٧).

قالوا: ما البخل؟ فقال: ترك الإيثار عند الحاجة إليه(٥٩٨).

وقـــال : الإيثار هو أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك في أمر دنياك وآخرتك(٥٩٩).

وقـال : الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها والإقبال على الله، لاحتياجك إليه(٦٠٠).

وقـال : أحسن وسيلة تقرب العبد إلى الله دوام الفقر في كل حال، والتزام السنة في كل الأفعال وطلب القوت الحلال.

وقال : من لا يتهم نفسه في كل الأوقات والأحوال ولا يخالفها فهو مغرور، ومن نظر إلى نفسه بعين الرضا هلك.

وقال : الخوف سراج القلب به يمكن رؤية ما في القلب من خير أو شر.

وقال : لا يصح الفقر لشخص ما لم يكن العطاء أحب إليه من الأخذ.

وقـــال : لا تخش شخصاً يدعي الفراسة ولكن عليك أن تخشى فراسة الآخرين.

وقـــال : من يعط ويأخذ فهو رجل ومن يعط ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومن لا يعطي ويأخذ فهو ذبابة وليس شخصاً ولا خير فيه. قال أبو عثمان الحيري: سئل عن معنى هذا الكلام، فقال: من يأخذ من الله، ويعطي الله فهو رجل، لأنه في هذه الحال لا يرى نفسه فيما يفعل. ومن يعطي ولا يأخذ، فإنه نصف رجل، لأنه يرى نفسه فيما يفعل فيرى أن له - لأنه لا يأخذ - فضيلة. ومن لا يعطي ويأخذ فهو لا شيء لأنه يظن أنه المعطي والآخذ، دون الله (تعالى)(٦٠١).

وقـــال : من رأى فضل الله عليه في كل حال، أرجو ألا يكون من الهالكين(٦٠٢).

وقال: لا تكن عبادتك لربك سبباً لأن تكون معبوداً للمعبود(٦٠٣).

وقال: أفضل عمل لأهل الأعمال مراقبتهم لأنفسهم مع الله.

وقال: ما أحسن الاستغناء بالله، واقبح الاستغناء بالخلق(٦٠٤).

وقال: من تذوق جرعة من شراب الذوق فقد وعيه بحيث أنه لا يستطيع أن يثوب إلى رشده ثانية سوى عند اللقاء والمشاهدة.

وقال: لا ينقطع الحال عن العالم ولا مع القبول.

وقال: يعلم الخلق الوصول والقرب والمقامات العالية، وكل أملى أن يدلونى على السبيل إلى الحق وإن قطع كله فى لحظة.

وقال: العبادات فى الظاهر سرور وفى الحقيقة غرور، لأنها قد سبقت المقدور والواصل هو شخص لا يفرح بفعله، فلا يفرح بفعله سوى مغرور.

وقال: المعاصى بريد الكفر كما أن السم بريد الموت(٦٠٥).

وقال: من عرف أنه سيبعث ويحاسب ولا يجتنب المعاصى ولا يمتنع عن المخالفات لا شك أنه يعلم فى باطنه أنه لا يؤمن بالبعث والحساب.

وقال: قل لمن يحب أن يتواضع قلبه: صاحب الصالحين والزم خدمتهم.

وقال: نور الوحدة فى خدمته ونور الروح فى الاستقامة له.

وقال: التقوى فى الحلال المحض وكفى.

وقال: التصوف كله أدب.

وقال: ليس للعبد فى التوبة شيء لأن التوبة إليه لا منه(٦٠٦).

وقال: كل عمل لائق يكتب ويمحونه من ذاكرتك.

وقال: الكفيف من يرى الله بالأشياء ولا يرى الأشياء بالله، والبصير من كان نظره إلى الكائنات من الله.

يروى: أن رجلاً طلب منه وصية فقال: يا أخي! الزم باباً واحداً حتى تفتح لك كل الأبواب، والزم سيداً واحداً حتى يطيعك كل السادات.

قال محمش(٦٠٧): صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله (تعالى) على سبيل الغفلة والانبساط، وما كان يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة. فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله، حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره(٦٠٨).

ومن أقواله أنه قال عند النزع: انكسار القلب واجب في جميع أحوال تقصيره.

سئل: بما اتجهت إلى الله؟ فقال: بما يتجه الفقير إلى الغنى إلا بالفقر والذلة. وكانت وصية عبد الله السلمي(٦٠٩) عندما توفى ضعوا رأسي على قدم أبى حفص. (رحمة الله عليه).

ذكر حمدون بن القصار[٦١٠] (قدس الله روحه العزيز)

هو فريد القيامة، ودليل الملامة، هوشيخ أرباب الذوق وشيخ أصحاب الشوق هو سيد الأبرار حمدون بن القصار (رحمة الله عليه).

كان من كبار المشايخ، واتصف بالورع والتقوى، وحظى بدرجة عالية فى الفقه وعلم الحديث، وله آراء عجيبة فى رؤية عيوب النفس، ووصل فى المجاهدة والمعاملة إلى الغاية، وله كلام عال مؤثر فى القلوب. وذهب مذهب الثورى، وكان مريداً لأبى تراب وشيخاً لعبد الله بن المبارك، وابتلى بملامة الخلق، وانتشر مذهب الملامتية فى نيسابور بسببه، وهو مجتهدٍ فى الطريقة وصاحب مذهب، وتعده مجموعة من هذه الطائفة ولياً لهم ويقال لهم «القصاريون» ووصل فى التقوى إلى حد أنه كان بجوار فراش صاحب له ذات ليلة وكان فى النزع فلما مات، أطفأ حمدون السراج، وقال: لهذا السراج وارث حقيقى فى هذه الساعة ولا يجوز لنا إشعاله[٦١١].

وقال: كنت أسير يوماً على شاطىء بحيرة نيسابور، وكان هناك عيار اسمه نوح معروف بالفتوة، تقدم إلىّ، فقلت يا نوح! ما الفتوة؟ قال: فتوتى أم فتوتك؟ قلت: الاثنان قال: فتوتى هى أن أخلع القباء وألبس المرقعة وأمارس

معاملاتها لأصير صوفياً، وأجتنب المعصية فى ذلك الثوب حياء من الخلق. وفتوتك هى أن تخلع المرقعة حتى لا تفتتن بالخلق ولا يفتتن بك الخلق، ففتوتى حفظ الشريعة على الإظهار، وفتوك حفظ الحقيقة على الأسرار وهذا أصل عظيم(٦١٢).

يروى: أنه عندما علا شأنه وانتشرت أقواله جاءه أئمة نيسابور وأكابرها، وقالوا له ينبغى عليك أن تعظ الخلق ليكون كلامك فائدة للقلوب. قال: لا يجوز لى الكلام قالوا: لماذا؟ قال، لأن قلبى مازال متعلقاً بالدنيا والجاه، فلا يفيد حديثى ولا يؤثر فى القلوب، والكلام الذى لا يؤثر فى القلوب يكون استهزاء بالعلم واستخفافاً بالشريعة، والكلام مسلم به لشخص يكون فى صمته خلل الدين، فإذا تكلم ارتفع الخلل(٦١٣).

وقال: لا يجوز لشخص قط الحديث فى العلم طالما يردد كلام شخص آخر وينوب عنه، ولا يجوز له أن يتكلم طالما لا يرى أنه فرض واجب عليه حتى تكون له الصلاحية، قالوا: وما علامة الصلاحية؟ قال: كل كلام يقوله لا يحتاج إلى تكراره ثانية ولا يتدبر أثناءه ما سيقوله بعده. وكان قوله عن الغيب كما لو أنه كان يرد إليه من الغيب فيقوله وهو فان.

سئل: ما بال كلام السلف أنفع للقلوب من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفس، ورضا الحق، ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق(٦١٤).

وقال: ينبغى أن يكون علم الحق (تعالى) أطيب لك من علم الخلق أى أن معاملتك الحق فى الخلاء أفضل من معاملته فى الملأ.

وقال: من تحقق فى حال لا يستطيع أن يخبر عنه(٦١٥).

وقال: لا تفش على أحد ما هو واجب أن يخفى عليك أيضاً.

وقال: لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً(٦١٦).

وقال: من رأيت فيه خصلة من الخير، فلا تفارقه فإنه سرعان ما يصيبك من بركاته(٦١٧).

وقال: أوصيكم بشيئين: صحبة العلماء، واحتمال الجهال(٦١٨).

وقال: اصحبوا الصوفية فللسيئات عندهم أعذار والحسنات لديهم ليس لها أهمية كبرى حتى يعظموك بها فتقع فى الخطأ.

وقال: من نظر سير السلف عرف تقصيره، ورأى تخلفه عن درجات الرجال(٦١٩).

وقال: ما أطيب ما يصلك بيسر ودون عناء لكن العناء يكمن فى طلب الزيادة.

وقال: شكر النعمة هو أن ترى نفسك متطفلاً.

وقال: من استطاع منكم أن لا يعمى رؤية نقصان نفسه فليفعل(٦٢٠).

وقال: من ظن نفسه خيراً من نفس فرعون فقد أظهر الكبر(٦٢١).

وقال: إذا رأيت ثملاً يترنح فاحذر ألا تلومه خشية أن تبتلى بمثل ذلك(٦٢٢).

وقال: الملامة ترك السلامة.

وسئل عن الملامة فقال: الطريق إليها شاق على الخلق ومغلق لكنى أقول طرفاً منها فصفة الملامة رجاء المرجئة وخوف القدرية(٦٢٣) أى أن المرجئة قد

وصلوا فى الرجاء إلى حد أنهم كانوا يلومون كل شخص بسببه والقدرية وصلوا فى الخوف إلى حد أنهم كانوا يلومون كل الخلق بسببه. فكانت الملامة فى كل حال هى مرمى السهام.

وقال: لا أعرف الطبع الحسن إلا فى السخاوة، ولا أعرف الطبع السيء إلا فى البخل.

وقال: من عد نفسه ملكاً فهو بخيل.

وقال: حال الفقير فى تواضعه، فإذا تكبر بفقره فقد أربى على الأغنياء فى التكبر(٦٢٤).

وقال: التواضع ألا ترى شخصاً محتاجاً إليك فى الدنيا أو الآخرة.

وقال: مقام الفقير الحق على قدر تواضعه وكلما ترك التواضع ترك جملة الخيرات.

وقال: ميراث الذكاء العجب ولهذا أفسح أغلب المشايخ والأكابر هذا الطريق للأذكياء.

وقال: كثرة الأكل أساس كل الأدواء وهى آفة الدين.

وقال: من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما فى الدنيا وإما فى الآخرة(٦٢٥).

وقال: حقِّر الدنيا تعظم فى عين أهلها وتصبح مالكاً لها.

وقال عبد الله بن المبارك: أوصانى حمدون (قائلاً): لا تغضب من أجل الدنيا ما استطعت(٦٢٦).

سئل من العبد؟ فقال: من لا يَعبد ولا يحب أن يُعبد.

قالوا: ما الزهد؟ قال: الزهد ـ عندى ـ ألا تكون بما فى يدك أسكن قلباً منك بما فى ضمان سيدك(٦٢٧).

سئل عن التوكل فقال: التوكل هو إن كنت قد اقترضت عشرة آلاف درهم، فلا تنظر إليها قط، ولا تيأس من الحق (تعالى) فى أدائها.

وقال: التوكل هو الاعتماد على الله.

وقـــال: إن استطعت أن تدع أمرك إلى الله أفضل من أن تنشغل بالحيلة والتدبير.

وقال: لا يجزع من المعصية إلا من يتهم الله(٦٢٨).

وقـــال: لا يفرح إبليس ورفاقه بشىء قط كثلاثة أشياء: أولها: أن يقتل مؤمن مؤمناً والثانى: من يموت كافراً، والثالث: قلب خاف الفقر.

قال عبد الله بن المبارك: مرض حمدون، فقالوا له: أوصى الأبناء فقال: أخشى عليهم من الغنى أكثر من الفقر، وقال لعبد الله وهو فى النزع: لا تدعنى وسط النساء.

«رحمة الله عليه».

ذكر منصور بن عمار[٦٢٩] (قدس الله روحه العزيز)

هو السابق إلى طريق المعنى، وناقد نقد التقوى، هو جوهر خاتم الهداية، وأمين عالم الولاية، هو المشهود بالأسرار منصور بن عمار (رحمة الله عليه).

كان من حكماء المشايخ ومن سادات الطائفة، وله فى الموعظة كلمات عالية بحيث لم يعظ أحد أفضل منه وله بيان شاف ، وكان كاملاً فى أنواع العلوم وماهراً فى المعاملة والمعرفة ويبالغ بعض المتصوفة بشأنه، وكان من أصحاب العراقيين[٦٣٠]، ومقبولاً لدى الخراسانين.

وكان من مرو ويقال إنه كان من بوشنج[٦٣١]، وأقام فى البصرة.

وكان سبب توبته أنه وجد فى الطريق ورقة كُتب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم». فرفعها ، فلم يجد لها موضعاً فأكلها، فرأى فى المنام هاتفاً يقول له: إنا فتحنا عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الورقة[٦٣٢] ثم ارتاض مدة وبدأ مجالسه.

يروى: أن شاباً انشغل بمجلس لهو، وأعطى غلاماً أربعة دراهم ليشترى نقلاً للمجلس فمر الغلام فى طريقه على مجلس منصور بن عمار، وقال: أتوقف برهة (لأسمع) ما يقول. وكان منصور يطلب شيئاً من أجل فقير فقال:

من يعطنى أربعة دراهم، أدعو له أربع دعوات، قال الغلام: ليس هناك شيء أفضل من أن أعطيه هذه الدراهم الأربعة حتى يدعو لى تلك الدعوات، فأعطاه الدراهم، قال منصور أى دعاء تريده الآن؟ قال: أولاً: أن أتحرر، ثانياً: أن يتوب الحق (تعالى) على سيدى، ثالثاً: أن يعوض لى الأربعة دراهم، رابعاً: أن يرحمنى ويرحم سيدى ويرحمك ورواد مجلسك. فدعا منصور بن عمار وعاد الغلام إلى الدار، قال السيد: أين كنت؟ وما أحضرت؟ قال: كنت فى مجلس منصور بن عمار، واشتريت أربع دعوات بتلك الدراهم الأربعة، قال السيد: أى دعوات، فشرح الغلام حاله فقال السيد: حررتك وتبت، بالله لا أشرب الخمر قط، وسأمنحك أربعمائة درهم عوضاً عن الأربعة دراهم، أما الدعاء الرابع فلا يتعلق بى فقد فعلت ما بيدى. ورأى فى المنام ليلاً أن هاتفاً قال: فعلت ما بيدك بلؤمك وفعلنا أيضاً ما حولته إلينا بكرمنا ورحمناك والغلام ومنصور ورواد مجلسه.

يروى: أن منصور كان يعظ فى المجلس يوماً فأعطاه رجل رقعة كان قد كتب عليها هذا البيت:

وغير تقى يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوى الناس وهو مريض

فأجاب منصور: أيها الرجل، أعمل بقولى لأن قولى وعلمى يفيدانك ولا يضرك تقصيرى فى العمل.

وقال: خرجت ذات ليلة، ووصلت إلى باب دار، وكان شخص يناجى (قائلاً): إلهى هذا الذنب سرى على لا لأننى أخالف أمرك، لكنه كان من نفسى التى قطعت طريقى وعاونها إبليس لاجرم وقعت فى الذنب، فإذا لم تأخذ

بيدى من يأخذ بها، وإذا لم تغفر لى فمن يغفر لى. عندما سمعت هذا بدأت أقول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»(٦٣٣) ثم سمعت صوتاً، إذ بينما كنت أمر على باب تلك الدار فى الصباح سمعت صياحاً، فقلت: ما الحال؟ كانت هناك عجوز قالت: لقد مات ابنى بالأمس خشية من الحق تعالى. حيث قرأت آية فى الحى، فصاح صيحة وأسلم الروح. قال منصور: قرأتها أنا وقتلته.

يروى: أن هارون الرشيد قال له: أسألك مسألة وأمهلك ثلاثة أيام لتجيبها، قال: قل، قال: من أعلم الخلق ومن أجهلهم؟ فنهض منصور وخرج ثم عاد من الطريق، وقال: يا أمير المؤمنين، اسمع الإجابة، أعلم الخلق مطيع خائف، وأجهلهم عاص آمن.

وقال: سبحان الله الذى جعل قلوب العارفين أوعية ذكره، وقلوب الزاهدين موضع التوكل، وقلوب المتوكلين منبع الرضا، وقلوب الفقراء مكان القناعة، وقلوب أهل الدنيا موطن الطمع(٦٣٤).

وقال الناس على قسمين: مفتقر إلى الله فهو فى أعلى الدرجات بحكم ظاهر الشريعة وآخر لا يرى الافتقار لما علم أنه لن يكون هناك سوى ما قسمه الحق (تعالى) فى الأزل من خلق ورزق وأجل وحياة وسعادة وشقاء فهو فى عين الافتقار إلى الحق وفى عين الاستغناء عن غير الحق(٦٣٥).

وقال: إن الحكمة تنطق فى قلوب العارفين بلسان التصديق، وفى قلوب الزاهدين بلسان التفضيل وفى قلوب العباد بلسان التوفيق، وفى قلوب المريدين بلسان التفكير وفى قلوب العلماء بلسان التذكير(٦٣٦).

وقال: ما أطيب المرء الذى يقوم فى الصباح وتكون العبادة حرفته، والفقر رغبته والعزلة شهوته، والآخرة همته والموت فكرته، والتوبة عزمه، وقبول التوبة والرحمة أمله.

وقال: الناس على قسمين: عارف بنفسه وعارف بربه العارف بنفسه شغله المجاهدة والرياضة، والعارف بالحق شغله العبادة وطلب الرضا(٦٣٧).

وقال: قلوب العباد كلها روحانية، وطالما وجدت الدنيا سبيلاً إليها امتنع منها روحها(٦٣٨).

وقال: أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى(٦٣٩).

وقال: من ينشغل بذكر الخلق تقاعد عن ذكر الحق.

وقال: سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤك فى متابعتها(٦٤٠).

وقال: من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته فى دينه(٦٤١).

وقال: دع شهوات الدنيا، لترتاح من عنائها، واحفظ لسانك حتى تتحرر من طلب المعذرة.

وقال: فرحك بالمعصية حين تقدر وتظفر أسوأ من معصيتك.

وقال: كلما تحل بمكان أضرب حجراً على الحديد، فتحدث شرارة عنهما فإن احترق قل له اعتذر فإنك كنت قد اعترضت قافلة.

لما مات منصور، رآه ابوالحسن الشعرانى(٦٤٢) فى المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: قال آأنت منصور بن عمار، فقلت له: بلى، قال: أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب أنت فيها، قلت: يا إلهى إن الأمر على هذا

النحو، ولكن ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك ثناءً جميلاً وثنيت بالصلاة على نبيك (صلى الله عليه وسلم) وثلثت بنصيحة الخلق، فقال: (الحق تعالى) صدقت ثم أمر الملائكة (قائلاً): ضعوا له كرسياً حتى يمجّدنى فى سمائى بين الملائكة كما كان يمجدنى فى أرضى بين الآدميين[٦٤٣] «رحمة الله عليه».

الحواشي والتعليقات

الحواشى والتعليقات

(١) هو الإمام السادس للشيعة الإثنى عشرية، ولد عام ٧٧هـ وتوفى عام ١٤٣هـ، كان عالماً فى الدين، وزاهداً فى الدنيا، وورعاً، وقد أقام فى المدينة فترة يفيد الشيعة المنتمين إليه.

انظر: فريد الدين عطار نيسابورى، تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامى، چاپ دوم، ٢٥٣٥هـ. ش. (ص٨٢٦).، الإمام محمد على بن حزم الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ كتاب فى الفصل فى الملل والأهواء والنحل بهامشه كتاب الملل والنحل للإمام أبى الفتح عبدالكريم الشهرستانى المتوفى ٥٤٨هـ، القاهرة ٣١٧هـ - ١٣٢١م. الطبعة الأولى، (ص٢٢٤).

(٢) وردت فى النسخ الأخرى (الناقل عن على).

(٣) الرافضة: عندما توفى أبو جعفر محمد على انقسم أتباعه إلى فرقتين فرقة قالت بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن حسن بن علي بن أبى طالب الخارج بالمدينة وزعموا أنه القائم المهدى، وانه حى، ويقيم فى جبل الطمية فى طريق مكة نجد، وتبعهم المغيرة بن سعيد فى هذا فبرئت منه شيعة جعفر بن محمد ورفضوه فأطلق عليهم اسم الرافضة.

وقال فخر الدين الرازى: سموا بالروافض، لأن زيداً على بن الحسين خرج على هشام بن عبدالملك فطعن جنده فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه.

وقال أبو الحسن الأشعرى: سموا بالرافضة لأنهم رفضوا إمامة أبى بكر وعمر وأجمعوا على أن النبى استخلف على بن أبى طالب، وانقسم الرافضة إلى اثنتى عشرة فرقة العلوية، والأمرية، والإسحاقية، والناووسية، والإمامية، واليزيدية، والعباسية، والمتناسخة، والرجعية، واللاعنية والمتربصة.

انظر: سعد بن عبدالله أبو خلف الأشعرى القمى م٣٠١هـ، كتاب المقالات والفرق، صححه وقدم وعلق عليه د. محمد جواد مشكور، طهران ١٩٦٣م (ص٧٦، ٧٧).

الحافظ الإمام جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى البغدادى م. ٥٩٧هـ، تلبيس إبليس، (ص١٨).

(٤) أبو حنيفة: انظر الكتاب، (ص٣٠٨).

(٥) المنصور: هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن على الخليفة العباسي الثاني، ولد سنة ١٠١هـ، وتولى الخلافة عام ١٣٦هـ فأتم دور التأسيس للدولة العباسية، وبنى مدينة بغداد، وجعلها عاصمة للعباسيين، وقد بلغت في عهده درجة كبيرة من العظمة والازدهار، ووطد أمور الدولة لمن بعده وصان حدودها، واتبع سياسة القوة مع العلويين.

انظر : د. حسن أحمد محمود ، د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي ١٩٨٠م، الطبعة الرابعة، (ص١٣١، ١٣٢)، محمد بك الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، القاهرة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠هـ، الطبعة الثالثة، (ص٧٢).

(٦) الراوية المتعلقة بقتل جعفر الصادق تشبه جزءاً من قصة فرعون وموسى. «فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين».

انظر : سورة الأعراف، (الآية ١٠٧) ود. استعلامي، (ص٨٢٦).

(٧) داود الطائي : انظر الكتاب، (ص٣٢٤).

(٨) سفيان الثوري: انظر الكتاب، (ص٢٩٧).

(٩) يشير إلى جزء من معنى الآية سورة الأعراف (١٤٣).

(١٠) سورة النمل، الآية (٦١).

(١١) سورة التوبة، الآية (١١٢).

(١٢) سورة البقرة، الآية (١٠٥)، سورة آل عمران، الآية (٧٤).

ذكر اويس القرني:

(١٣) أويس القرني: هو أويس بن عامر، من مشايخ المتصوفة وسادات التابعين، كان معاصراً للرسول(ﷺ) قيل: إنه مات بالحيرة، وقيل مات مع على بن أبي طالب في صفين.

انظر ترجمته في كشف المحجوب، (ص٢٩١) من الترجمة العربية، حلية الأولياء جـ٢، ص٧٩). وانظر : د. استعلامي (ص٨٢٧).

(١٤) الأربعين هم مجموعة من أولياء الله عددهم أربعين ويسمون أيضاً بالأبدال وهم يثبتون وجود الحق تعالى بوجود هم ويقال إنهم من الثلاثمائة شخص المقربين للحضرة ومقامهم الشام.

انظر د. استعلامي، ص (٨٢٧).

(١٥) أشير إلى هذا الحديث في مثنوى مولانا جلال الدين حيث قال:

من يجد رائحة الرحمن من اليمن

كيف لايجد رائحة الباطل منى

آن كه يابد رحمن ازيمن

جون نيابد بوى باطل را زمن

نقلا عن د. استعلامي، (ص٨٢٧).

(١٦) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.

(١٧) سورة القمر، جزء من الآية (٥٥)

(١٨) ربيعة ومضر قبيلتان من أشهر قبائل العرب، تنتسب الأولى إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وتقيم بين اليمامة والبحرين، ومضر - بضم الأول وفتح الثاني - أخو ربيعة ويعد نبي الإسلام من نسله، وكان له صوت أجش وأول من قام بحداية النوق. وقد كان لأبناء مضر مقام الرياسة في مكة والحرم.

انظر. استعلامي، (ص٨٢٨).

(١٩) وردت في جـ٢ من حلية الأولياء (ص٨١، ٨٢)، وكشف المحجوب (ص١٠٠) من الترجمة العربية.

(٢٠) وردت في حلية الأولياء، حـ٢، (ص٨٧) ، وكشف المحجوب، (ص٩٩، ١٠٠).

(٢١) ورد هذا الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي حـ٨، (ص٤٤٨، ٤٤٩) .

(٢٢) عُرنه: بضم الأول وفتح الثاني والثالث مكان في عرفات.

د. استعلامي، (ص٨٢٨).

(٢٣) وردت في حلية الأولياء، جـ٢، (ص٨٢، ٨٣)، وكشف المحجوب، (ص١٠٠) من الترجمة العربية.

(٢٤) هرم بن حيان: من التابعين الذين كانوا يعيشون في عهد عمرو عثمان وقاتل في عديد من المعارك سخرت بوشهر في إحداها عام ١٨هـ وتوفي عام ٣٦هـ.

د. استعلامي، (ص٨٢٨).

(٢٥) وردت في كشف المحجوب (ص١٠٠، ١٠١).

(٢٦) وردت في حلية الأولياء، جـ٢، (ص٨٤، ٨٥، ٨٦).

(٢٧) ربيع بن خيثم: زاهد كان يعيش في القرن الأول الهجري وتوفي حوالي عام ٧٠هـ.

د. استعلامي، (ص٨٢٨).

(٢٨) وردت في حلية الأولياء، جـ٢، (ص٨٧) مع الاختلاف.

(٢٩) أبو القاسم علي الجرجاني من عارفي القرن الرابع الهجري، ومن نسل الجنيد وكان معاصراً لأبي سعيد بن أبي الخير.

د. استعلامي، (ص٨٢٨).

(٣٠) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.

(٣١) سورة المائدة، الآية (٥٤).

ذكر الحسن البصري:

(٣٢) الحسن البصري: هو أبو سعيد حسن بن يسار من زاهدي صدر الإسلام المشهورين، كان أبوه من أهل بيسان وكانت أمه تخدم أم سلمة، وولد في خلافة عمر، كتب تفسيراً للقرآن ورسالة في فضل مدينة مكة وله كتاب بعنوان الخلاص وتوفي ببغداد عام ٣٧١هـ.

انظر ترجمته في الرسالة القشيرية، (ص٥١)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص١٥٥)، كشف المحجوب، (ص٢٩٤) من الترجمة العربية.

وانظر د. استعلامي، (ص٨٢٩).

(٣٣) ـ أم سلمة : هند بنت سهل المعروفة بأم سلمة من زوجات الرسول، تزوجها الرسول عام ٤ هـ، وكان لديها ابن يدعى سلمة روى عنها ٣٧٨ حديث.

انظر د. استعلامي ، (ص٨٢٩).

(٣٤) وردت في صفة الصفوة، جـ٣، (ص١٥٥).

(٣٥) رابعة: انظر الكتاب (ص١٨٨).

(٣٦) الحجاج:

هو الحجاج بن يوسف الثقفي من رجال دولة بني أمية، ولد في الطائف حوالي عام ٤١ هـ٦٦١م، استعان به الخليفة عبدالملك بن مروان في قتال ابن الزبير فحاصره في مكة وقتله وصلبه عام ٧٣هـ، فكافأه الخليفة بأن ولاه على البلاد التي فتحها وهي مكة والمدينة واليمن واليمامة، ثم ولاه على العراق عام ٦٩٤م فقضى على فتنة الخوارج ودخل الكوفة وفي سنة ٧٨ هـ ضم الحجاج إلى ولايته العراق وخراسان وشرقي بلاد العرب كله، ثم ضم عمان وبلغ جنوده وادي السند، ومهد السبيل لقيام دولة الوليد، وتوفي عام ٩٥هـ.

انظر ترجمته في: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث عشر، ص٣٦٣: ٣٦٨، انظر: د. محمد حلمي محمد أحمد: الخلافة والدولة في العصر الأموي، القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

(٣٧) محمد بن كعب القرظي: قُرَظي بفتح الأول والثاني ينسب إلى قرظ في اليمن أو إلى الصحابي قرظة بن كعب. وقد اشتهر اثنان من الرواة والمحدثين بهذه النسبة اسمهما محمد بن عمار لامحمد بن كعب ويجوز أنه واحد سواهما. د. استعلامي، (ص ٨٢٩).

(٣٨) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.

(٣٩) عمر بن عبدالعزيز:

هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان خامس الخلفاء الراشدين، حفظ القرآن في صغره وتفقه في المدينة حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، استمرت خلافته سنتين وستة أشهر، توفي بدير سمعان عام ١٠١هـ.

انظر : أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، القاهرة ١٣٥٠هـ الجزء الأول، (ص ١١٩).

(٤٠) ثابت البناني:

أبو محمد ثابت البناني، من أتباع الحسن البصري، ومن أزهد رجال عصره توفي عام ١٢٣هـ.

انظر ترجمته في صفة الصفوة، جـ٣، (ص١٧٥)، وانظر د. استعلامي، (ص٨٢٩).

(٤١) سعيد بن جبير: مولى بني واله، كنيته أبو عبدالله بن الحارثية، من بني أسد بن خزيمة، قتل بأمر الحجاج عام ٩٥هـ.

صفة الصفوة، جـ٣، (ص٤٩) د. استعلامي، (ص٨٢٩).

(٤٢) مالك بن دينار، انظر الكتاب (ص٢٣٤).

(٤٣) حبيب العجمي، انظر الكتاب (ص٢٤٥).

(٤٤) أبو عمرو (إمام القراء): رجل لغوي وأديب ولد في مكة وتوفي في الكوفة في منتصف القرن الثاني، تنسب إليه قراءة من سبع قراءات للقرآن.

د، استعلامي، (ص٨٢٩).

(٤٦) سورة النجم، الآية (٣٣).

(٤٧) سورة النساء، الآية (١١٥، ١١٦).

مالك بن دينار:

(٤٨) مالك بن دينار، كنيته أبو يحيى، وهو من أهل البصرة، كان مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي، وكان يكتب المصحاف توفي عام ١٣١هـ.

انظر: صفة الصفوة: جـ٣، (ص١٨٤)، كشف المحجوب، (ص٢٩٨). د. استعلامي: (ص٨٣٠).

(٤٩) سورة آل عمران الآية (١٣٥).

(٥٠) وردت في صفة الصفوة، جـ٣، (ص١٨٤) مع الاختصار.

(٥١) جعفر بن سليمان: اسمه حفص بن سليمان وكنيته أبو سلمة وأصله من همدان، التحق بوزارة السفاح وقتل عام ١٣٣هـ.

د. استعلامي، (ص٨٣٠).

(٥٢) ابن المبارك: انظر الكتاب (ص٤٠٢).

(٥٣) سورة البقرة، الآية (١٥٢).

(٥٤) سورة غافر، جزء من الآية (٦٠).

ذكر محمد بن واسع:

(٥٥) محمد بن الواسع، يكنى أبو عبدالله وتوفي عام ١٢٠هـ.

انظر ترجمته في صفة الصفوة، جـ٣، (ص١٧٩ : ١٨٣) طبقات الشعراني، جـ١، (ص٢٩).

(٥٦) وردت في حلية الأولياء، جـ٢، (ص٣٥١).

(٥٧) قتيبة بن مسلم: أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو من فاتحي العرب وسادتهم، قتل في فرغانة عام ٩٦ هـ.

د. استعلامي، (ص٨٣٠).

(٥٨) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٠١).

(٥٩) وردت فى حلية الأولياء، جـ٢، (ص٣٥٠)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص١٨٢).

(٦٠) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٠١، ٥٧٦).

(٦١) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥١٧).

ذكر حبيب العجمى:

(٦٢) التروية وعرفة ٨، ٩ من ذى الحجة، د. استعلامى، (ص٨٣٠)، وردت فى حلية الأولياء، جـ٦، (ص١٥٤)، صفة الصفوة، (ص٢١٥).

(٦٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٦، (ص١٥٠).

(٦٤) وردت فى كشف المحجوب، (ص٢٩٧) من الترجمة العربية.

(٦٥) وردت فى كشف المحجوب، (ص٢٩٨).

(٦٦) أحمد بن حنبل: انظر الكتاب أنظر (ص٤٤٦).

(٦٧) وردت فى كشف المحجوب، (ص٢٩٨) من الترجمة العربية.

ذكر أبى حازم المكى:

(٦٨) بو حازم المكى: ذكر فى المصادر الأخرى بأبى حازم المدنى، وكان من معاصرى هشام بن عبدالملك وبناء عليه فقد عاش حتى أواخر القرن الأول الهجرى.

د. استعلامى، (٨٣١).

(٦٩) عمرو بن عثمان بن كرب: كنيته أبو عبدالله، وينتسب إلى الجنيد فى الصحبة وصحب أبا سعيد الخراز وغيره، مات ببغداد عام١٩١هـ.

كشف المحجوب، (ص٣٠٠). وانظر ترجمته فى: نفحات الأنس، (ص٢٨٤)، خزينة الأصفياء، جـ١، (ص١٧١).

(٧٠) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٠٠) من الترجمة العربية.

(٧١) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٠١) من الترجمة العربية.

ذكر عتبة الغلام:

(٧٢) عتبة الغلام: سمى بالغلام لجده واجتهاده مع صغر سنه، وكان يفتل الخوص، اشتغل بالعبادة، وقتل شهيداً فى بعض الغزوات.

انظر: صفة الصفوة، جـ٣، (ص٢٥١: ٢٥٣). وانظر: ترجمته فى جـ٦، من الحلية، (ص٢٢٦).

(٧٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٦، ص(٢٢٨)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٢٥٢ مع الاختلاف.

(٧٤) عبدالواحد بن زيد: كان من زاهدى البصرة وتوفى ١٧٧هـ.

د. استعلامى، (ص٨٣١).

(٧٥) وردت في حلية الأولياء، جـ٦، (ص٢٣٤)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٢٥٢).

(٧٦) وردت في حلية الأولياء، جـ٦، (ص٢٣٥)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٢٥٠)، كشف المحجوب، (ص٤٠٧) من الترجمة العربية.

(٧٧) وردت في حلية الأولياء، (ص٢٣٧)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٢٥١).

ذكر رابعة:

(٧٨) كانت رابعة مولاة لآل عتيك الذين ينتمي إليهم آل عدوة ولهذا تسمى رابعة العدوية وكنيتها أم الخير، ولدت في أسرة فقيرة، وتوفي والدها وهي في ريعان شبابها، وحدث أن حل قحط بالبصرة فتفرقت وأخواتها الثلاث، فرآها ظالم وباعها بستة دراهم، ونظراً لما كانت تعانيه في رقها من ذل ومهانة فقد انصرفت إلى الحياة الروحية والزهد، وبدأت تستشعر الحب لله ونذرت نفسها له.

انظر: عبدالرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، (ص١٠: ٦١)

(٧٩) ورد هذا الحديث في مسند بن حنبل، جـ٢، (ص٢٨٥).

(٨٠) أبو علي الفارمدي: من أهل فارمد أو فريومد التابعة لطوس، ولد عام ٤٠٢هـ وتوفي عام ٤٧٧هـ، عاصر الشيخ أبا سعيد، وأدرك مجلس الشيخ أبي القاسم القشيري وكان موضع اهتمام السيد نظام الملك.

د. محمد استعلامي، (ص٨٣١).

(٨١) ثمانية عشر ألف عالم يعتقد السابقون أن الوجود يشتمل على ثمانية عشر ألف عالم، وربما يوحي هذا العدد بالكثرة.

د. استعلامي، (ص٨٣١).

(٨٢) ورد هذا الحديث في مسند بن حنبل، جـ٢، (ص٤١٣).

(٨٣) سورة القمر الآية (٥٥).

(٨٤) سورة المائدة، الآية (٥٤).

(٨٥) صالح المري: هو صالح بن بشير بن وداع، ولد لأب عربي وأم خراسانية، وكان من المحدثين، ودعاه المهدي إلى بغداد للإفادة من علمه للحديث.

د. استعلامي، (ص٨٣٢).

(٨٦) سورة النازعات، الآية (٢٤).

(٨٧) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٥٥).

(٨٨) سورة الفجر، الآيات الأربع الأخيرة.

(٨٩) محمد بن أسلم، انظر الكتاب (ص٣٤١).

ذكر الفضيل بن عياض:

(٩٠) أبو علي الفضيل بن عياض، خراساني من ناحية مرو، ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، وقدم إلى الكوفة، وهو كبير، فسمع بها الحديث، وتعبد ومات بمكة عام ١٨٧هـ.

انظر ترجمته في : الرسالة القشيرية، (ص١٥)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص١٥٩)، حلية الأولياء ، جـ٨، (ص١٦١). كشف المحجوب، (ص٣٠٨) من الترجمة العربية.

(٩١) سورة الحديد الآية (١٦).

(٩٢) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(٩٣) سفيان عيينة: هو أبو محمد بن سفيان الأعور الكوفي من الزاهدين والعارفين المشهورين. د. استعلامي، (ص٨٣٢).

(٩٤) سورة الجاثية، الآية (٢١).

(٩٥) سالم بن عبدالله: من فقهاء ومحدثي أواخر القرن الأول الهجري.

د. استعلامي، (ص٨٣٢).

(٩٦) رجاء بن حيوة: هو أبو المقدام رجاء كندي من فقهاء المصري الأموي. د. استعلامي ، (ص٨٣٢).

(٩٧) وردت في كشف المحجوب، (ص١٢٤).

(٩٨) وردت في حلية الأولياء ، حـ٨، (ص١٠٥، ١٠٦، ١٠٧) ، وصفة الصفوة، جـ٢، ص(١٦١، ١٦٢، ١٦٣)، كشف المحجوب، (ص٣١٠ ، ٣١١) من الترجمة العربية مع الاختلاف.

(٩٩) وردت في حلية الأولياء ، جـ٨، (ص١١٣).

(١٠٠) وردت في حلية الأولياء ، جـ٨، (ص١١٤) مع الاختلاف.

(١٠١) وردت في حلية الأولياء جـ٨، (ص٨٨)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(١٠٢) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص٨٩)، الرسالة القشيرية، (ص١٥)، صفة الصفوة، جـ٨، (ص١٥٩).

(١٠٣) وردت في الرسالة، (ص٩٦).

(١٠٤) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، ص (٩٤)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(١٠٥) وردت في حلية الأولياء، حـ٨، (ص٩١) مع الاختلاف

(١٠٦) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص١٠٩).

(١٠٧) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص١٠)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(١٠٨) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص٨٧)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).

ذكر إبراهيم بن أدهم:

(١٠٩) أبو اسحق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك، خرج متصيداً فهتف به هاتف أيقظه من غفلته وجعله يسلك طريق الزهد والورع. صحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها سنة ١٦١ ، أو ١٦٢هـ.

انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص٢٧)، الرسالة القشيرية، (ص١٣)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٣٤)، حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٦٧)، كشف المحجوب (ص٣١٤)، من الترجمة العربية.

(١١٠) وردت في كشف المحجوب، (ص٣١٥) من الترجمة العربية.

(١١١) وردت في كشف المحجوب، (ص٢٤٣).

(١١٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص٣٠)، صفة الصفوة، حـ٤، (ص١٣٤) مع الاختلاف، كشف المحجوب، (ص٣١٤) من الترجمة العربية.

(١١٣) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤١)، الرسالة القشيرية (ص١٣) مع الاختلاف.

(١١٤) وردت في الرسالة، (ص١٣)

(١١٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٣١)، الرسالة القشيزية، (ص١٣).

(١١٦) أي تطهر وتعبد. د. استعلامي، (ص٨٣٤)

(١١٧) سورة هود، بداية الآية (١١٢).

(١١٨) وردت في اللمع، (ص٢٦٥).

(١١٩) وردت في حلية الأولياء، جـ٨ (ص٢٦) مع الاختلاف، كشف المحجوب، (ص٢٠٥) من الترجمة العربية.

(١٢٠) وردت في كشف المحجوب (ص٢٠٥) من الترجمة العربية.

(١٢١) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٦٧) من الترجمة العربية.

(١٢٢) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٨١) مع الاختلاف.

(١٢٣) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٨٢)، الرسالة القشيرية، (ص١٤).

(١٢٤) المعتصم : هو أبو إسحق محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد عام ١٧٩ هـ، كان والياً على الشام ومصر في عهد أخيه المأمون الذي ولاه عهده، فتولى الخلافة العباسية عام ٢١٨ هـ، وسار على سياسته نفسها، ولهذا يعد حكمه امتداداً لحكم المأمون فقد مال إلى الترك، وبنى لهم عاصمة جديدة، وتوفي في سامراء عام ٢٢٧هـ.

انظر : محمد بك الخضري ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، (ص٣١٢)، د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، (ص١٣٥).

(١٢٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٢٦٥) من الترجمة العربية.

(١٢٦) سورة الفرقان، الآية (٥٨) «وتوكل على».

(١٢٧) وردت في اللمع ، (٢٦٧) مع الاختلاف.

(١٢٨) سورة مريم، الآية (٩٣).

(١٢٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ٣٧).

(١٣٠) أحمد خضرويه، انظر الكتاب (ص ٥٤٣).

(١٣١) وردت في طبقات الصوفية، (ص ٣٨)، الرسالة القشيرية، (ص١٣).

(١٣٢) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص ١٥).

(١٣٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٢)، الرسالة القشيرية (ص١٣)،

(١٣٤) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣١٤) مع الاختلاف.

(١٣٥) وردت فى حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٧٩) مع الاختلاف، الرسالة القشيرية، (ص١٣، ١٤)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٣٧) مع الاختلاف.

(١٣٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٦٨)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٣٧).

(١٣٧) الصنوبرى: اسم شاعر حلبى توفى عام ٣٣٤هـ ولم يكن معاصراً لإبراهيم بن أدهم.

د. استعلامى، (ص٨٣٤).

(١٣٨) الرجاء المقصود رجاء بن حيوة أبو المقدام الكندى، كان يصحب الخلفاء ويأمرهم بالمعروف، فلما مات عمر بن عبدالعزيز انقطع عن صحبتهم.

انظر تزجمته فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٨١).

(١٣٩) أصل الكلمة (كوراسك) وهى كلمة پهلوية ساسانية

د. استعلامى ، (ص٨٣٤).

(١٤٠) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٧) مع الاختلاف.

(١٤١) وردت هذه القصة نظماً فى مثنوى مولانا جلال الدين، الجزء الثانى نورد بيتين منها:

هم زا براهيم ادهم آمده است كو زراهى برلب دريا نشست

دلق خود مى دوخت بر ساحل روان يك اميرى آمد آنجا ناگهان

نقلا عن د. استعلامى، (ص٨٣٤، ٨٣٥)

وترجمتها:

ورد عن إبراهيم بن أدهم أيضاً

أنه جلس على شاطئ بحر وكان يحيك مرقعته على الشاطئ فقدم أمير إلى ذلك المكان فجأة

ذكر بشر الحافى:

(١٤٢) أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها، ولد عام ١٥٠هـ وتوفى ٢٢٧هـ صحب الفضل ابن عياض، وكان عالماً ورعاً كبير الشأن

انظر ترجمته فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٣٦)، الرسالة القشيرية، (ص١٨)، صفة الصفوة، جـ ٢، (ص٢١٤)، كشف المحجوب، (ص٣١٦) من الترجمة العربية.

(١٤٣) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٨)، كشف المحجوب، (ص٣١٦) من الترجمة العربية مع الاختلاف.

(١٤٤) وردت فى صفة الصفوة، حـ٢، (ص٢١٤، ٢١٥) مع الاختلاف.

(١٤٥) وردت فى حلية الأولياء، حـ٨، (ص٣٣٦) مع الاختلاف.

(١٤٦) ثعلبة: سمى اثنان وعشرون شخصاً من صحابة الرسول بهذا الاسم ولايمكن القول أيهم هو المقصود.

د. استعلامى، (ص ٨٣٦).

(١٤٧) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٨) مع الاختلاف.

(١٤٨) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٩).

(١٤٩) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٢٠).

(١٥٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٤٥) وفى الرسالة القشيرية، (ص١٩).

(١٥١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٤٥) وفى الرسالة، (ص١٩)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٦).

(١٥٢) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٩).

(١٥٣) وردت فى اللمع، (ص٢١٤) مع الاختلاف.

(١٥٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٤٧).

(١٥٥) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٨).

(١٥٦) وردت فى كشف المحجوب (ص٣١٧) من الترجمة العربية.

(١٥٧) وردت فى حلاية الأولياء، جـ٨، (ص٣٤٣).

(١٥٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٥٤).

(١٥٩) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٥٠).

(١٦٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٤٥).

(١٦١) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٤٧).

(١٦٢) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢١) عن أحمد بن حنبل.

(١٦٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٣٦).

ذكر ذى النون المصرى:

(١٦٤) اسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض إبراهيم ولقبه ذو النون، أصله من النوبة وكان من قرية من قرى مصر يقال لها أخميم، كان أوحد زمانه علماً وورعاً وأدباً، توفى عام ٢٤٥هـ.

انظر ترجمته فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٣١)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).، صفة الصفوة، جـ٤ (ص٢٦١)، كشف المحجوب، ص(٣١١) من الترجمة العربية.

(١٦٥) ورد هذا الحديث فى إتحاف السادة المتقين للزبيدى، جـ٨، (ص٢١٨).

(١٦٦) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(١٦٧) وردت هذه القصة فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٥٧) مع الاختلاف. وهى تشبه قصة مالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم.

(١٦٨) سورة الأعراف، الآية (١٦٠).

(١٦٩) يجوز أنها «إنك تعلم ما نريد» سورة هود. الآية (٧٩). وردت على لسان قوم هود إلى هود.

(١٧٠) المتوكل: هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد الخليفة العباسي العاشر، ولد بفم الصلح عام ٢٠٦هـ، وتولى الخلافة عام ٢٣٢هـ، واستمر خليفة إلى أن قتل عام ٢٤٧هـ.

محمد بك الخضرى، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، (ص٣٤٦).

(١٧١) أحمد السلمى: أحمد بن محمد السلمى كان يعيش فى القرن الثالث الهجرى وعاصر ذا النون.

د. استعلامى، (ص٨٣٧).

(١٧٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٢٥)، كشف المحجوب، (ص٦٠٥) من الترجمة العربية.

(١٧٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٧٤)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص ٣٦٤).

(١٧٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٧٦، ٣٧٧)، صفة الصفوة، جـ٤ (ص٢٦٤).

(١٧٥) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(١٧٦) إشارة إلى الحديث لايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته...

(١٧٧) وردت فى اللمع (ص٦٨)، كشف المحجوب، (ص٥٤١) من الترجمة العربية.

(١٧٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٩٥).

(١٧٩) وردت فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص٢٦٣).

(١٨٠) وردت فى اللمع، (ص٣٤٢).

(١٨١) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٩٥).

(١٨٢) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٧٧).

(١٨٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٤٢).

(١٨٤) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٠٣).

(١٨٥) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٥٣)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٢٦٣).

(١٨٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٩٥)

(١٨٧) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٥٣)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٢٦٣).

(١٨٨) إشارة إلى فكرة النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية.

(١٨٩) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٨٠).

(١٩٠) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٥٢، ٣٦٨).

(١٩١) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٧٢).

(١٩٢) يوسف بن الحسين: انظر الكتب، (ص٥٨٠).

(١٩٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٣٧)، وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٧٤).

(١٩٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٥٣)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٢٦٣).

ذكر أبى يزيد البسطامى:

(١٩٥) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى، كان جده مجوسياً يدعى سروشان وأسلم، وكانوا ثلاثة أخوة آدم وطيفور وعلى كانوا جميعاً زهاداً وعباداً قيل إنه مات ٢٦١هـ وقيل ٢٣٤هـ.

انظر ترجمته فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٤)، الرسالة القشيرية، (ص٢٣) صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٩). كشف المحجوب (ص٣١٧) من الترجمة العربية.

(١٩٦) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣١٨) من الترجمة العربية.

(١٩٧) سورة لقمان، جزء من الآية (١٤).

(١٩٨) وردت في اللمع، (ص١٤٤)، الرسالة القشيرية، (ص٢٣)، كشف المحجوب، (ص٤٥٣) من الترجمة العربية.

(١٩٩) سورة البقرة، الآية (١٨).

(٢٠٠) وردت فى كشف المحجوب، (ص٢٦٢) من الترجمة العربية.

(٢٠١) الشيخ السلهكى: أحد تلاميذ أبى عبد الله محمد بن على الداستانى، ومن فحول متصوفة القرن الخامس ومشايخه.

د. استعلامى، (ص٨٣٩).

(٢٠٢) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٥)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٩).

(٢٠٣) أبو موسى: يقال أبو موسى الديبلى من المشايخ المعاصرين لأبى يزيد البسطامى.

د. استعلامى، (ص٨٣٩).

(٢٠٤) أبو تراب النخشبى: انظر الكتاب (ص٥٥١).

(٢٠٥) يحيى بن معاذ: انظر الكتاب (ص٥٥٧).

(٢٠٦) أحمد بن حرب: انظر الكتاب (ص٤٨٢).

(٢٠٧) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٥، ٣٦).

(٢٠٨) هذه الرواية نظمها سعدى فى بوستانه فى الباب الرابع فى التواضع قال فى بدايتها:

يكى بربطى در بغل داشت، مست به   شب درسر پارسائى شكست

وترجمته:

حمل شخص ثمل عوداً تحت إبطه ذات ليلة وضربه على رأس زاهد

(٢٠٩) أحمد بن خضرويه: أنظر الكتاب (ص٥٤٣)

(٢١٠) إبراهيم الهروى: يقال إنه أبو إسحق إبراهيم الهراتى الذى كان من أصحاب إبراهيم بن أدهم.

د. استعلامى (ص٨٣٩).

(٢١١) وردت في اللمع، (ص١٤٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢٣).

(٢١٢) حاتم الأصم: انظر الكتاب (ص٣٤٧).

(٢١٣) سورة الأنعام، الآية (٩١).

(٢١٤) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٠).

(٢١٥) القشيري: سبق التعريف به في الباب الثالث.

(٢١٦) وردت في كشف المحجوب (ص٣١٩) من الترجمة العربية.

(٢١٧) وردت في كشف المحجوب (ص٤٩٠، ٤٩١) من الترجمة العربية.

(٢١٨) وردت في كشف المحجوب (ص٤٩٠، ٤٩١) من الترجمة العربية.

(٢١٩) سورة الأعراف (الآية ٥٤)، سورة يونس (الآية ٣)، سورة الرعد (الآية ٢).

(٢٢٠) ورد هذا الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي، جـ٦، (ص٢٩٠).

(٢٢١) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٧٢).

(٢٢٢) وردت في طبقات الصوفية (ص٧١)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٩)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٩).

(٢٢٣) سورة الحديد، الآية (٣).

(٢٢٤) وردت هذه العبارة في كثير من سور القرآن منها سورة البقرة، الآية (١١٧).

(٢٢٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٦)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٥٨).

(٢٢٦) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٩) مع الاختلاف.

(٢٢٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٤)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٩)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٩، ١٠٠).

(٢٢٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٤).

(٢٢٩) طبقات الصوفية، (ص٧٣).

(٢٣٠) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٨)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠١).

(٢٣١) سهل بن عبد الله: انظر الكتاب، (ص٤٩٧).

(٢٣٢) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.

(٢٣٣) سورة النازعات، (الآية ٢٤).

(٢٣٤) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٦) مع الاختلاف.

(٢٣٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٢)، وحلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٩)، جـ٤، صفة الصفوة (ص٩٨).

(٢٣٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٦) صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٨).

(٢٣٧) وردت في صفة الصفوة، (ص١٠١).

(٢٣٨) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠١) مع الاختلاف.

(٢٣٩) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٩).

(٢٤٠) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠٢).

(٢٤١) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٣٤)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٩).

(٢٤٢) وردت في طبقات الصوفية (ص٧١)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٩).

(٢٤٣) تنكري، تنكرى: كلمة تركية قديمة بمعنى المعبود أو الله واستعملت في هذه العبارة على أساس أن عبادة الأصنام راجت في تركستان ويريد أبو يزيد أن يقول:

إن كل مافعلته حتى الآ قد كان عبادة للأصنام.

د. استعلامي، (ص٨٣٩).

ذكر عبد الله بن المبارك:

(٢٤٤) عبد الله بن المبارك: يكنى بأبي عبد الرحمن، كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بني حنظلة، وكانت أمه تركية خوارزمية: ولد سنة ١١٨ أو ١١٩هـ. وتوفي ١٨١هـ.

انظر ترجمته في صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٢١)، كشف المحجوب، (ص٣٠٦)، من الترجمة العربية.

(٢٤٥) ذو الجهادين: من يجاهد الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر أي يقاتل الكفار ويعادي النفس.

د. استعلامي، (ص٨٤٢).

(٢٤٦) سفيان الثوري: انظر الكتاب، (ص٢٩٧).

(٢٤٧) صفة وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٢٣، ١٢٤) مع الاختلاف.

(٢٤٨) رواية مشابهة للرواية التي وردت في ذكر مالك بن دينار.

(٢٤٩) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٠٧) من الترجمة العربية.

(٢٥٠) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٢٨).

(٢٥١) سورة الحج، الآية (٢٧).

(٢٥٢) سهل بن عبد الله المروزي: يبدو أنه سهل بن عبد الله التستري، أنظر الكتاب، (ص٤٩٧).

(٢٥٣) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٠٧) من الترجمة العربية.

ذكر سفيان الثوري:

(٢٥٤) سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن عدنان الثوري الكوفي، ولد عام ٩٧هـ وكان إماماً في علم الحديث، ومن آثاره الجامع الكبير، والجامع الصغير وكلاهما في الحديث وكتاب الفرائض. توفي بالبصرة عام ١٦١هـ. انظر ترجمته في صفة الصفوة، جـ٣، (ص٩٧). وانظر كشف المحجوب، (ص٢٤٢) من الترجمة العربية.

(٢٥٥) سفيان بن عيينه: أبو محمد سفيان الأعور الكوفي الأصل، ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ فهو من صوفية القرن الثاني الهجري وسكن مكة وتوفي عام ١٩٧هـ.

انظر صفة الصفوة، جـ٢، (ص١٥٤)، د. استعلامي، ص (٨٤٣).

(٢٥٦) صفة الصفوة، جـ٣، (ص٩٩) مع الاختلاف.

(٢٥٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٣٤)

(٢٥٨) عبد الله بن المهدي: كان خادم سفيان ومريده.

د. استعلامي، (ص٨٤٣).

(٢٥٩) وردت في صفة الصفوة، جـ٣، (ص٩٨).

ذكر شقيق البلخي:

(٢٦٠) شقيق البلخي: شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي، من أهل بلخ، ومن مشاهير مشايخ خراسان، وكان أستاذ حاتم الأصم، صحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه الطريقة.

انظر ترجمته في حلية الأولياء، جـ٨ (ص٥٩)،

الرسالة القشيرية، (ص٢٢)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٣٩).

(٢٦١) إبراهيم بن أدهم: سبق التعريف به.

(٢٦٢) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص٥٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٢)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٣٩)،

(٢٦٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٢، ٢٣).

(٢٦٤) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٢).

(٢٦٥) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص٦٤)، الرسالة القشيرية (ص٢٢)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٠).

(٢٦٦) ذو النورين: لقب الخليفة عثمان وسمي بذي النورين لأنه تزوج بنتان من بنات الرسول.

د. استعلامي، (ص٨٤٣).

(٢٦٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٦).

(٢٦٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٤)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٦٢).

(٢٦٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٥).

(٢٧٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٥)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٦٩).

(٢٧١) وردت في حلية الأولياء، جـ٨، (ص٦٤) مع الاختلاف.

ذكر الإمام أبي حنيفة:

(٢٧٢) الإمام أبو حنيفة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الخزاز هو إمام الفرقة السنية الحنفية، ولد عام ٨٠هـ، وتوفي ١٥٠ أو ١٥٣هـ ودفن في مقابر خيزران التابعة للكوفة، ومن آثاره: الفقه الأكبر، كتاب الرد على القدرية، كتاب العلم والمتعلم، كتاب الوصية.

انظر ترجمته في كشف المحجوب (ص٣٠٢) من الترجمة العربية.

د. استعلامي (ص٨٤٣)

(٢٧٣) أبو يوسف: المقصود يعقوب الأنصاري الذي كان تلميذاً لأبي حنيفة ووصل إلى منصب قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد.

د. استعلامي، (ص٨٤٤).

(٢٧٤) الشعبي: مستشار الخليفة في أمور الشرع والقضاء، توفي حوالي عام ١٠٠هـ. وكان من محدثي القرن الأول الهجري، ومن التابعين.

د. استعلامي (ص٨٤٤).

(٢٧٥) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٢٧٦) شريك: من محدثي القرن الأول.

د. استعلامي، (ص٨٤٤).

(٢٧٧) مسعر بن كدام: روى الحديث عن التابعين، توفي حوالي ١٥٠هـ.

د. استعلامي، (ص ٨٤٤).

(٢٧٨) سورة الصافات، الآية (٢٢).

(٢٨٩) سورة البقرة، (الآية ١٨٨).

(٢٨٠) محمد بن الحسن: أبوعبدالله محمد بن حسن الشيباني، ولد في واسط وتتلمذ على يد أبي حنيفة في الكوفة، وكان من عقلاء زمانه، وعاش ٥٧ عاماً.

د. استعلامي، (ص ٨٤٤).

(٢٨١) داود الطائي: أنظر الكتاب (ص٣٢٤).

(٢٨٢) أبو يوسف هو يعقوب الأنصاري ومحمد هو محمد بن الحسين وسبق التعريف بهما.

(٢٨٣) سورة لقمان، الآية (٢٤).

(٢٨٤) أبو علي بن عثمان الجلابي: سبق التعريف به.

ذكر الإمام الشافعي:

(٢٨٥) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الهاشمي، واحد من ألمة السنة الأربعة، ولد عام ١٥٠هـ في غزة، وتوفي ٢٠٤هـ في القاهرة ومن آثاره: كتاب الأم في الفقه، والمسند، وأحكام القرآن، والمواريث والسنن وسبيل النجاة.

انظر ترجمته في صفة الصفوة، جـ٢، (ص١٦٥)، كشف المحجوب، (ص٣٢٧) من الترجمة العربية، وانظر د. استعلامي، (ص٨٤٤، ٨٤٥).

(٢٨٦) وردت في صفة الصفوة، جـ٢، (ص١٦٦).

(٢٨٧) سفيان الثوري: سبق التعريف به.

(٢٨٨) سليم الراعي: من أنقياء القرن الثاني الهجري وعارفيه.

د. استعلامي، (٨٤٥).

(٢٨٩) سورة النازعات، الآية (٤٠، ٤١).

(٢٩٠) صفة الصفوة، جـ٢، (ص١٧٠)

(٢٩١) سورة البقرة، الآية (٣١).

(٢٩٢) ربيع بن سليمان: هو أبو محمد ربيع بن عبد الجبار المرادي المصري، ولد عام ١٧٣هـ. وتوفى ٢٧٠هـ في مصر، وهو مؤذن وراوي وكان من أصحاب الإمام الشافعي.

د. استعلامي (ص٨٤٥).

(٢٩٣) وردت في صفة الصفوة، جـ٢، (ص١٧٢).

ذكر الإمام أحمد بن حنبل:

(٢٩٤) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، سكن والده مرو، ولد عام ١٦٤هـ ببغداد بعد أن جئ به حملاً من مرو، وتوفى عام ٢٤١هـ وله مؤلف معروف في الحديث بعنوان المسند.

انظر ترجمته في طبقات الفقهاء لأبي إسحق الشيرازي المتوفى ٤٧٦هـ، بغداد ١٣٥٦هـ، (ص٧٥)، حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٦١). صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢١)، كشف المحجوب، (ص٣٢٨) من الترجمة العربية.

(٢٩٥) ورد هذا الحديث القدسي في الأسماء والصفات للبيقهي، (ص٣٢٧).

(٢٩٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩، ٣٣٠) من الترجمة العربية.

(٢٩٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.

(٢٩٨) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.

(٢٩٩) وردت في حلية الأولياء جـ٩، (ص١٨٦، ١٨٧)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢٩).

(٣٠٠) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٧٧) مع الاختلاف.

(٣٠١) كز: مقياس طول يساوي ١٦ عقدة زراع.

(٣٠٢) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٧٧)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢٥) مع الاختلاف. .

(٣٠٣) وردت في صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢٣) مع الاختلاف

(٣٠٤) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٦٩)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢٨).

(٣٠٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.

(٣٠٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.

(٣٠٧) سورة ق، الآية (١٧).

(٣٠٨) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٨٣)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٢٣) مع الاختلاف.

(٣٠٩) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٨٠) مع اختلاف الأعداد.

(٣١٠) محمد بن خزيمة: كان أبو بكر محمد بن خزيمة السلمي النيسابوري من الحافظين والمحدثين المشهورين. توفي ٣١١هـ.

د. استعلامي، (ص٨٤٦).

(٣١١) وردت في حلية الأولياء، جـ٢، (ص٢٣٤).

(٣١٢) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص١٨٩، ١٩٠)، صفة الصفوة، جـ٢ (ص٢٣٤).

ذكر داود الطائي:

(٣١٣) داود الطائي: أبو سليمان داود بن نصير الطائي، سمع الحديث وتفقه ثم اشتغل بالتعبد، كان معاصراً للخليفة المهدي العباسي ومن عارفي ذلك العصر المشهورين.

انظر ترجمته في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٣٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢١)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٨٦)، كشف المحجوب، (ص٣٢٠) من الترجمة العربية.

(٣١٤) حبيب الراعي: هو أبو حاتم حبيب بن سليم الراعي، صاحب سلمان الفارسي (رضي الله عنه، وكان صاحب أغنام، يقيم على شاطئ الفرات، ويسلك طريق العزلة.

انظر: كشف المحجوب، (ص٢٩٩) من الترجمة العربية.

(٣١٥) وردت في صفة الصفوة، جـ٣، (ص٨٧)، الرسالة القشيرية، (ص٢١) مع الاختلاف.

(٣١٦) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٤٧)، الرسالة القشيرية، (ص٢١)، صفة الصفوة جـ٣، (ص٩٢).

(٣١٧) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٤٤) مع الاختلاف.

(٣١٨) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٥٨).

(٣١٩) أبو ربيع الواسطي: هو أشعث بن سعيد البصري، كان من المحدثين.

د. استعلامي، (ص٨٤٦).

(٣٢٠) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٤٣، ٣٤٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢١)، صفة الصفوة، (٨٧، ٨٨).

(٣٢١) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٤٣)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٨٨).

(٣٢٢) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٥٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٢)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٩٣).

(٣٢٣) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢١) من الترجمة العربية.

(٣٢٤) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢١) من للترجمة العربية.

(٣٢٥) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٥٤)، الرسالة القشيرية (ص٢١)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص٩٠).

(٣٢٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢١) من الترجمة العربية.

(٣٢٧) وردت في حلية الأولياء، جـ٧، (ص٣٥٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢١) مع الاختلاف.

ذكر حارث المحاسبي:

(٣٢٨) حارث المحاسبي: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من أهل البصرة ومن زاهدي القرن الثالث الهجري وعارفيه، مات ببغداد عام ٢٤٣هـ. ومن مؤلفاته كتاب «الرعاية لحقوق الله».

انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص ٥٦) حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٧٣)، الرسالة القشيرة، (ص٢٠)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٠).

(٣٢٩) عبد الله بن خفيف: هو أبو عبد الله بن خفيف واسمه محمد بن خفيف، أقام في شيراز، كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ المشايخ في وقته، وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلم الحقائق، توفي عام ٣٧١هـ.

طبقات الصوفية، (ص٤٦٢).

(٣٣٠) رويم: هو أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد، من أهل بغداد، كان فقيهاً على مذهب داود الإصبهاني توفي عام ٣٠٣هـ.

طبقات الصوفية، (ص١٨٠)

(٣٣١) عمرو بن عثمان المكي: هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن عضض، انتسب إلى الجنيد في الصحبة، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ، توفي ببغداد عام ٢٩١هـ، وقيل ٢٩٧هـ.

طبقات الصوفية، (ص٢٠٠، ٢٠١).

(٣٣٢) وردت في الرسالة (ص٢٠).

(٣٣٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٠) مع الاختلاف في قيمة الميراث.

(٣٣٤) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٠)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٠) مع الاختلاف.

(٣٣٥) وردت في الحلية، جـ١٠، (ص٧٤، ٧٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢٠)

(٣٣٦) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٠٩)، طبقات الصوفية (ص٥٩).

(٣٣٧) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٠٧) مع الاختلاف.

(٣٣٨) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٠) من الترجمة العربية.

(٣٣٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٨٨).

(٣٤٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٥٩) مع الاختلاف، حلية الأولياء جـ١٠، (ص١٠٩).

(٣٤١) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٧٥) مع الاختلاف، صفة الصفوة جـ٢، (ص٢٤٠).

(٣٤٢) سورة القصص، النصف الأول، من الآية (٥٦).

(٣٤٣) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٧٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢٠)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٠).

ذكر أبى سليمان الدارانى:

(٣٤٤) أبو سليمان الدارانى: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى، سمى الدارانى نسبة إلى قرية «داريا» من قرى دمشق. توفى عام ٢٢٥هـ.

انظر ترجمته فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٥٤). الرسالة القشيرى، (ص٢٥). صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٨٩).

(٣٤٥) وردت فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٨٩).

(٣٤٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٥٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٥)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٩٠).

(٣٤٧) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٥٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٥)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٩٠).

(٣٤٨) أحمد بن أبى الحوارى: انظر الكتاب، (ص٥٤٠).

(٣٤٩) وردت فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٩٣) مع الاختلاف.

(٣٥٠) صالح بن عبد الكريم: كان عابداً من أهل بغداد، روى عن الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينه.

د. استعلامى، (ص٨٤٧)

(٣٥١) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٢٥).

(٣٥٢) وردت فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٨٩).

(٣٥٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٦١).

(٣٥٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٦٠) مع الاختلاف.

(٣٥٥، ٣٥٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٥٥، ٢٥٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٥)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٩٤).

(٣٥٧) معاذ بن جبل: كان من صحابة النبى (توفى ١٨هـ).

د. استعلامى، (ص٨٤٧).

ذكر محمد بن السماك:

(٣٥٨) محمد بن السماك: كنيته أبو العباس، من زاهدى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، كان من أهل الكوفة ثم قدم إلى بغداد، ومكث بها فترة، ثم عاد إلى الكوفة، وتوفى بها عام ١٨٣هـ.

انظر ترجمته فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٢٠٣)، صفة الصفوة، جـ٣، (ص١١٥).

(٣٥٩) سورة الاسراء الآية (١٠٥).

(٣٦٠) وردت فى صفة الصفوة، جـ٣، (ص١١٦).

ذكر محمد بن أسلم:

(٣٦١) محمد بن أسلم: هو أبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسي، خادم ابن أسلم، كان يعد من الأبدال ويقال له رباني هذه الأمة، توفي عام ٢٤٢هـ.

أنظر ترجمته في حلية الأولياء جـ٩ (ص٢٣٨)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١١٣)

(٣٦٢) عبد الله بن طاهر الأمير الثالث للأسرة الطاهرية، وابن طاهر ذي اليمدين، تولى العرش عام ٢١٣هـ وتوفي عام ٢٣٠هـ. ق. واتخذ نيسابور عاصمة له وبهزيمته مازيار بن قارن ومعاركه الأخرى ضم طبرستان وكرمان والري إلى منطقة نفوذه.

د. استعلامي، (ص٨٤٨)

(٣٦٣) وردت في حلية الأولياء، جـ٩، (ص٢٤١).

ذكر أحمد بن حرب:

(٣٦٤) أحمد بن حرب: كان زاهداً من زهاد نيسابور، ومن مؤلفاته كتاب الدعاء، وكتاب الزهد، وكتاب الحكمة وكتاب الكسب، توفي عام ٢٣٤هـ.

د. استعلامي، (ص ٨٤٨).

(٣٦٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٦١٢) من الترجمة العربية.

ذكر حاتم الأصم:

(٣٦٦) حاتم الأصم: هو أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان وقيل حاتم بن يوسف من قدماء مشايخ خراسان ومن أهل بلخ، توفي بواشجرد (إحدى قرى ماوراء النهر) سنة ٢٣٧هـ.

انظر ترجمته في طبقات الصوفية (ص٩١)، الرسالة القشيرية (ص٢٦)، صفة الصفوة جـ٤، (ص١٤٢).

(٣٦٧) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٦).

(٣٦٨) سعد بن محمد الرازي: يقال هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن شاذان المتوفى عام ٣٧٤هـ.

د. استعلامي، (ص٨٤٩).

(٣٦٩) سورة التكاثر، الآية (٨).

(٣٧٠) سورة الذاريات، الآية (٢٢).

(٣٧١) سورة المنافقين، جزء من الآية (٧).

(٣٧٢) حامد اللفاف: هو حامد بن محمود بن حرب النيسابوري من قارئي خراسان وروانها، عاش في القرن الثالث الهجري، توفي عام ٢٦٦هـ.

د. استعلامي (ص٨٤٩).

(٣٧٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٦)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٢).

(٣٧٤) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٢٦)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٢) مع الاختلاف.

(٣٧٥) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٤٢، ٥٤٣).

(٣٧٦) بلعم: هو بلعم بن بعور أبو بلعام بن باعور، كان من أهل الجزيرة وكانت لديه القدرة على التنبؤ.

د. استعلامى (ص٨٤٩).

(٣٧٧) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٧٦).

(٣٧٨) ثعلبه: اسم عدة أشخاص من صحابة الرسول (ﷺ)

د. استعلامى (ص٨٤٩)

(٣٧٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٧)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٨٧)، الرسالة القشيرية، (ص٢٦).

(٣٨٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٧).

(٣٨١) سورة البقرة، الآية (٨٨).

(٣٨٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٧)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٧٥)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٢).

(٣٨٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٦)، كشف المحجوب، (ص٣٢٦).

(٣٨٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٥).

(٣٨٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٥)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٧٩).

(٣٨٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٥، ٩٦).

(٣٨٧) سورة فصلت، جزء من الآية (٣٠).

(٣٨٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٣)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٧٨)

(٣٨٩) سورة النساء جزء من الآية (٧٧).

ذكر سهل بن عبدالله التسترى:

(٣٩٠) سهل بن عبدالله التسترى: هو سهل بن عبدالله بن يونس، من أهل تستر، صحب خاله محمد بن سوار، ورأى ذا النون بمكة، توفى عام ٢٨٣هـ، وقيل ٢٧٣هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص٢٠٦)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٨٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٤)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٥٩).

(٣٩١) سورة الأعراف، الآية (١٧٢).

(٣٩٢) وردت فى الرسالة، (ص٢٦).

(٣٩٣) وردت فى الرسالة، (ص٢٤).

(٣٩٤) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٢٥).

(٣٩٥) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢١٠)، وذكر يعقوب بدلاً من عمرو.

(٣٩٦) وردت فى كشف المحجوب، (ص٤٧٠) من الترجمة العربية.

(٣٩٧) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٩٣) من الترجمة العربية.

(٣٩٨) وردت فى اللمع، (ص٣٧٦).

(٣٩٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٢١٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٩٠).

(٤٠٠) وردت فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص ٥٩).

(٤٠١) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٤٤ـ) من الترجمة العربية.

(٤٠٢) وردت فى اللمع، (ص٧٩).

(٤٠٣) من أقوال على بن أبى طالب القصار. د. استعلامى، (ص٨٥١).

(٤٠٤) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٢١).

(٤٠٥) وردت فى صفة الصفوة، جـ٤، (ص٥٩).

(٤٠٦) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٦٦) من الترجمة العربية.

ذكر معروف الكرخى:

(٤٠٧) معروف الكرخى: هو أبو محفوظ معروف بن فيروز ينسب إلى كرخ التابعة لبغداد، كان من موالى على بن موسى الرضا (رضى الله عنه). توفى عام ٢٠٠هـ. وقيل ٢٠١هـ. ودفن ببغداد وقبره يستشفى به.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية (ص٨٣)، حلية الأولياء جـ٨، (ص٣٦٠)، الرسالة القشيرية، (ص١٥)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٠)، كشف المحجوب، (ص٣٢٥).

(٤٠٨) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٠)، (ص٢١١).

(٤٠٩) محمد بن منصور الطوسى: هو أبو جعفر محمد العابد الطوسى ولد عام ٢٦٦هـ وفى رواية ٢٦٨هـ وتوفى ما بين عامى ٣٥٤، ٣٥٦هـ.

د. استعلامى، (ص٨٥١).

(٤١٠) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٣) مع الاختلاف.

(٤١١) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٢) مع الاختلاف.

(٤١٢) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٣) مع الاختلاف.

(٤١٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٨)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٤) مع الاختلاف.

(٤١٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٩)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٧)، كشف المحجوب، (ص٣٢٥).

(٤١٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٩).

(٤١٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٠)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٧).

(٤١٧) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦١).

(٤١٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٨)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٧).

(٤١٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٠)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٧).

(٤٢٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٩).

(٤٢١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٨).

(٤٢٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٩).

(٤٢٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٩)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٢).

(٤٢٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٩٠).

(٤٢٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٩)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٧)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٢).

(٤٢٦) إبراهيم: ليس معلوماً أى إبراهيم هو ومن المسلم به أنه ليس إبراهيم ابن أدهم أو إبراهيم الخواص أو ابراهيم الرقى، لأن زمانهم لا يتفق ومعروف.

استعلامى، (ص٨٥٢).

(٤٢٧) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٧)، حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٠)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٢).

(٤٢٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٤)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(٤٢٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٨٥) مع الاختلاف.

(٤٣٠) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٢)، الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، (ص٢١٤).

(٤٣١) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٣).

(٤٣٢) محمد بن الحسين: أبو جعفر محمد بن الحسين البرجلانى، كان من برجلانالتابعة لواسط، وكان مريداً لمعروف، وتتلمذ على يده، توفى عام ٣٢٨هـ.

د. استعلامى (ص٨٥٢).

(٤٣٣) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٦).

(٤٣٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ٨، (ص٣٦٦)، الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢١٣، ٢١٤).

ذكر سرى السقطى:

(٤٣٥) سرى السقطى: هو أبو الحسن السرى بن المغلس السقطى، إمام البغداديين وشيخهم فى وقته، وأول من تكلم فى لسان التوحيد، توفى عام ٢٥٧هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص٤٨)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١١٦)، الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٢).

(٤٣٦) دايره، لانقطى: صفة لانقط تعنى التحرر وعدم الاهتمام بالتعينات والظواهر ودايره لانقطى تعنى عالم الحرية.

د. استعلامى، (ص٨٥٢).

(٤٣٧) وردت فى أسرار التوحيد، (ص٢٨٤).

(٤٣٨) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٢).

(٤٣٩) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٢٢) من الترجمة العربية.

(٤٤٠) وردت فى كش المحجوب، (ص٤٢٢) من الترجمة العربية.

(٤٤١) وردت في حلية الأولياء جـ١٠، (ص١٢٣)، الرسالة القشيرية، (ص١٧).

(٤٤٢) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٨).

(٤٤٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١١٦)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٣).

(٤٤٤) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص٥٣)، حلية الأولياء جـ١٠، (ص١١٦)، الرسالة القشيرية (ص١٨)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٥).

(٤٤٥) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٥٥)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٠، ١٢١)، الرسالة القشيرية، (ص١٨)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٣).

(٤٤٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٤).

(٤٤٧) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧).

(٤٤٨) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٣).

(٤٤٩) سورة الصافات، الآية (٦١).

(٤٥٠) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٨).

(٤٥١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٦).

(٤٥٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٤).

(٤٥٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١١٩)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٤).

(٤٥٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١١٨)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٩)،

(٤٥٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٤).

(٤٥٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤).

(٤٥٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياءجـ١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٤).

(٤٥٨) وردت فى طبقات الصوفية ، (ص٥٣).

(٤٥٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٢)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٤).

(٤٦٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٤).

(٤٦١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤).

(٤٦٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٤)

(٤٦٣) وردت فى صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٦).

(٤٦٤) سورة الانفطار، الآية (١٣).

(٤٦٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٤)، حلية الأولياء ، جـ١٠، ص(١٢٤، ١٢٥).

(٤٦٦) وردت فى اللمع، (ص٢٤٤)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص١٢٥)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٥) مع الاختلاف.

(٤٦٧) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧).

(٤٦٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٤٥).

(٤٦٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣).

(٤٧٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٤)، صفة الصفوة، جـ٢، (٢٤٥).

(٤٧١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٥).

ذكر فتح الموصلى:

(٤٧٢) فتح الموصلى: هناك فتحان موصليان هما: أبومحمد فتح بن محمد بن وشاح أبونصر فتح بن سعيد الموصلى، وقد اختلطت الروايات عنهما، والمقصود هنا هو فتح بن سعيد الذى توفى عام ٢٢٠هـ.

انظر ترجمته فى حلية الأولياء، جـ٨، ص(٢٩٢)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٥٨).

(٤٧٣) وردت فى حلية الأولياء جـ٨، (ص٢٩٣)، صفة الصفوة، جـ٤، ص(١٥٨).

ذكر أحمد بن أبى الحوارى:

(٤٧٤) أحمد بن أبى الحوارى: هو أبو الحسن أحمد بن أبى الحوارى، سكن دمشق، ونشأ فى بيت ورع وزهد فأخوه وأبوه كانا من العارفين الورعين توفى عام ٢٣٠هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص٩٨)، حلية الأولياء، جـ١٠، ص(٥)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٢٠١) ، كشف المحجوب، (ص٣٣٠) من الترجمة العربية.

(٤٧٥) وردت فى حلية الأولياء ، جـ١٠ (ص٨٨)

(٤٧٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٠).

(٤٧٧) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٦).

(٤٧٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٢)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٢).

(٤٧٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠١)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٧).

(٤٨٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠١).

(٤٨١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠١).

(٤٨٢) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٧).

(٤٨٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٢)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٢٠١).

ذكر أحمد بن خضرويه:

(٤٨٤) أحمد بن خضرويه: أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى، من كبار مشايخ خراسان، ومن المذكورين بالفتوة، توفى ٢٤٠هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٠٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٢)، الرسالة القشيرية، (ص٢٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٣)، كشف المحجوب، (ص٣٣٢).

(٤٨٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٣)، الرسالة القشيرية، (ص٢٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٣).

(٤٨٦) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٣) من الترجمة العربية.

(٤٨٧) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٢) من الترجمة العربية.

(٤٨٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٢) مع الاختلاف.

(٤٨٩) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٢).

(٤٩٠) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٣) من الترجمة العربية.

(٤٩١) وردت فى كشف المحجوب ، (ص٣٣٣) من الترجمة العربية.

(٤٩٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٥).

(٤٩٣) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٤) من الترجمة العربية.

(٤٩٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٦)، كشف المحجوب، (ص٣٣٤) من الترجمة العربية.

(٤٩٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٥).

(٤٩٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٢).

(٤٩٧) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٤).

(٤٩٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٤)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٣).

(٤٩٩) وردت فى طبقات الصوفية، (١٠٥).

(٥٠٠) وردت فى طقات الصوفية، (ص١٠٦) .

(٥٠١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٦) .

(٥٠٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٤) .

(٥٠٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٥) .

(٥٠٤) وردت فى طبقات الصوفية ، (ص١٠٦) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٨) ، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٣) .

(٥٠٥) وردت فى طبقات الصوفية، ص(١٠٤) .

(٥٠٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٥) ، كشف المحجوب، (ص٣٣٣) من الترجمة العربية .

(٥٠٧) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٦) .

(٥٠٨) سورة الذاريات، الآية (٥١) .

(٥٠٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٠٥) ، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٤٣) .

(٥١٠) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٢) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٨) ، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٤٣، ٤٤) .

ذكر أبى تراب النخشبى:

(٥١١) أبو تراب النخشبى: هو عسكر بن حين، ويقال عسكر بن محمد بن حصين من جملة مشايخ خراسان، تفقه على مذهب الإمام الشافعي وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل، توفى عام ٢٤٥هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٤٧) ، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٥) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٨) ، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٥٠) ، كشف المحجوب، (ص٣٣٤) من الترجمة العربية .

(٥١٢) وردت فى حلية الأولياء جـ١٠، (ص٤٩) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٩) ، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٥٠) .

(٥١٣) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٧) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٨) ، صفة الصفوة، جـ٤، ص(١٥٠) .

(٥١٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٦) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٨) .

(٥١٥) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٦) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٩) .

(٥١٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٩) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٩) .

(٥١٧) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٨) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٩) ، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٥٠) .

(٥١٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٤٧) ، الرسالة القشيرية، (ص٢٩) .

(٥١٩) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٥٠، ١٥١).

(٥٢٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٤٩).

(٥٢١) وردت في اللمع، (ص٢٤٤).

(٥٢٢) سورة الأنعام، جزء من الآية (١٢١).

(٥٢٣) طبقات الصوفية ، (ص١٤٩)، حلية الأولياء ، جـ١٠، (ص٥٠)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨).

(٥٢٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٤٨)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٥٠).

(٥٢٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٤٩).

(٥٢٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٤٩).

(٥٢٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٥١).

(٥٢٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٥١).

(٥٢٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٥٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٥٠)

(٥٣٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٥٠)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٥٠).

(٥٣١) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٤٩)، كشف المحجوب، (ص٣٣٤)من الترجمة العربية.

(٥٣٢) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٣٤) من الترجمة العربية.

ذكر يحيى بن معاذ:

(٥٣٣) يحيى بن معاذ: أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، خرج إلى بلخ، وأقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور ومات بها عام ٢٥٨هـ.

انظر ترجمته في : طبقات الصوفية، (ص١٠٧)، حلية الأولياء، جـ١٠، (٥١)، الرسالة القشيرية، (ص٢٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٠)، كشف المحجوب، (ص٣٣٥) من الترجمة العربية.

(٥٣٤) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٣٥) من الترجمة العربية.

(٥٣٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٣٥) من الترجمة العربية.

(٥٣٦) وردت في كشف المحجوب، (٣٣٥) من الترجمة العربية.

(٥٣٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٦٠٦) من الترجمة العربية.

(٥٣٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١١)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٥٨، ٥٩)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٨٧) مع الاختلاف.

(٥٣٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٤).

(٥٤٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٣).

(٥٤١) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٣)، كشف المحجوب، (ص٢١٢) من الترجمة العربية.

(٥٤٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٢).

(٥٤٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٠).

(٥٤٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٤).

(٥٤٥) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٠).

(٥٤٦) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص٨٤، ٨٧).

(٥٤٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٨٣).

(٥٤٨) وردت في صفة للصفوة، جـ٤، (ص٨٤).

(٥٤٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٠)، كشف المحجوب، (ص٣٣٥).

(٥٥٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٠).

(٥٥١) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٥٤).

(٥٥٢) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٠).

(٥٥٣) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٦٨)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٨٧).

(٥٥٤) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص٨٥).

(٥٥٥) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٦٠) مع الاختلاف.

(٥٥٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١١).

(٥٥٧) قيصرية نسبة إلى قيصر ملك الروم، وكسروية نسبة إلى كسرى ملك الساسانيين وشدادية نسبة إلى شداد صاحب أرم وعام قوم هود النبي وهذه الألفاظ الأربعة تعني الكفر ومخالفة الإسلام.

د. استعلامي، (ص٨٥٤).

(٥٥٨) وردت في طبقات ا لصوفية، (ص١١٣).

(٥٥٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٣).

(٥٦٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٢).

(٥٦١) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٢)، الرسالة القشيرية، (ص٢٧).

(٥٦٢) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٥٦) مع الاختلاف.

(٥٦٣) سورة الأنعام، جزء من الآية، (١٦٠).

(٥٦٤) وردت في صفة الصفوة، جـ٤، (ص٨٤).

(٥٦٥) معمرة: اسم حي أو جزء قديم من نيسابور.

د. استعلامي، (ص٨٥٥).

ذكر شاه شجاع الكرمانى :

(٥٦٦) شاه شجاع: أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى كان من أولاد الملوك وتزهد مات قبل سنة ثلاثمائة هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٩٢)، حلية الأولياء، جـ١٠، ص(٢٣٧).

الرسالة القشيرية، (ص٣٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٦٢)، كشف المحجوب، (ص٣٥٠).

(٥٦٧) مرآة الحكماء: ذكره الهجويرى فى موضعين فى كشف المحجوب واعتبره أثراً لشاه الكرمانى.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

(٥٦٨) وردت فى كشف المحجوب (ص٣٥٠) من الترجمة العربية.

(٥٦٩) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٩٧) مع الاختلاف.

(٥٧٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٩٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٨)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٦٢)، كشف المحجوب، (ص٣٥٠).

(٥٧١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٩١)، الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٧٢) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٧)، الرسالة القشيرية (ص٣٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٦٢).

(٥٧٣) وردت فى ا لرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٧٤) السيد على السيرجانى: ذكره الهجويرى، (ص٢١٥) من كشف المحجوب وعده من عارفى كرمان.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

ذكر يوسف بن الحسين :

(٥٧٥) يوسف بن الحسين: هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين، شيخ الرى، سمع الحديث عن أحمد بن حنبل، توفى عام ٣٠٤هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٨٥)، حلية الأولياء، جـ١٠، ص(٢٣٨)، الرسالة القشيرية، (ص٣٧)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص٩٤).

(٥٧٦) سورة المائدة، الآية(٥٤).

(٥٧٧) عبدالواحد بن زيد: إن كان المراد عبدالواحد بن زيد البصرى زاهد القرن الثانى، فهو لم يستطع أن يدرك مجلس يوسف.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

(٥٧٨) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٧٩) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٤٠)، الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٨٠) وردت في طبقات الصوفية (ص١٨٧)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٩)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٩٤).

(٥٨١) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٨٧).

(٥٨٢) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٨٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٨٩)، كشف المحجوب، (ص٣٤٨)، مع الاختلاف.

ذكر أبي حفص الحداد:

(٥٨٤) أبو حفص الحداد: اسمه عمرو بن سلم، ويقال: عمرو بن سلمه وهو الأصح، من قرية يقال لها كورد آباد على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى، مات سنة نيف وستين ومائتين.

انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص١١٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، ص(٢٢٩)، الرسالة القشيرية (ص٢٨)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠٧).

(٥٨٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٣٦) من الترجمة العربية.

(٥٨٦) سورة الزمر، الآية (٤٧).

(٥٨٧) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٠) مع الاختلاف، كشف المحجوب، (ص٣٣٧)، أسرار التوحيد، (ص٢٨٩) من الترجمة العربية - مع الاختلاف.

(٥٨٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٧).

(٥٨٩) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٧).

(٥٩٠) أبو بكر بن حنيفة: هذا الاسم ليس معروفاً في مصادر الصوفية وأقوالهم وأحوالهم، فإن لم يكن هناك تصحيف فاحتمال أن يكون المقصود أبا بكر بن على الفقيه الحنفي الذي اشتهر في القرن الرابع وكان من فقهاء زمانه، وكان يدرس في بغداد، وفي هذه الحالة فإنه عاش بعد عصر أبي حفص فلا تصح هذه الراوية.

د. استعلامي، (ص٨٥٦).

(٥٩١) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٧).

(٥٩٢) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٥، ١٤٦).

(٥٩٣) وردت في طبقات الصوفية ص(١١٧، ١١٨)، حلية الأولياء، جـ١٠، ص (٢٣٠)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨).

(٥٩٤) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٠)، الرسالة القشيرية (ص٢٨).

(٥٩٥) وردت في حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٠).

(٥٩٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٢١).

(٥٩٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٢١).

(٥٩٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٢٠).

(٥٩٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٢).

(٦٠٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٩)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣٠).

(٦٠١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٠).

(٦٠٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢١).

(٦٠٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢١).

(٦٠٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٧).

(٦٠٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٦)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٢٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨).

(٦٠٦) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٤١).

(٦٠٧) محمش: فى اللغة الفارسية تختصر التركيبات مثل «محمد شاد»، أحمد شاد «إلى» «ممشاد» «محمشاد» وهذا اللفظ يمكن أن يكون مخفف «محمد شاد» «أو» ممشاد الدينورى، أى العارف الشهير الذى توفى عام ٢٩٩هـ.

(٦٠٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٦).

(٦٠٩) عبدالله السلمى: كنيته أبو عبدالرحمن واسمه محمد وهو عارف القرن الخامس الهجرى وكتابه طبقات الصوفية فى عرف عارفى إيران وصوفيتها الكبار من المصادر القيمة جداً.

د. استعلامى، (ص٨٥٦)

ذكر حمدون القصار:

(٦١٠) حمدون القصار: هو حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابورى شيخ الملامتيين، عنه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور، توفى عام ٢٧١هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٢٣)، حلية الأولياء، جـ١٠، ص (٢٣١)، الرسالة القشيرية، (ص٣١)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١١٠) كشف المحجوب، (ص٣٣٨) من الترجمة العربية.

(٦١١) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٣١).

(٦١٢) وردت فى كشف المحجوب، (ص٤١٢) من الترجمة العربية.

(٦١٣) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٨) من الترجمة الربية.

(٦١٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٥) ، حلية الأولياء ، جـ ١٠، (ص٢٣١)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠٩)، كشف المحجوب، (ص٣٣٨) من الترجمة العربية.

(٦١٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٧).

(٦١٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٨)، الرسالة القشيرية، (ص٣١)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١١٠).

(٦١٧) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٨).

(٦١٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٧).

(٦١٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٧)، الرسالة القشيرية، (ص٣١)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠٩).

(٦٢٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٩)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١١٠).

(٦٢١) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣١)، الرسالة ا لقشيرية، (ص٣١).

(٦٢٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٦)، الرسالة القشيرية، (ص٣١)، صفة الصفوة، جـ٤، (ص١٠٩).

(٦٢٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٩)، حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣١).

(٦٢٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٨).

(٦٢٥) وردت فى طبقات الصوفية، (١٢٧).

(٦٢٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٢٦)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣١)، الرسالة القشيرية، (ص٣١).

(٦٢٧) وردت فى طبقات الصوفية ، (ص١٢٨).

(٦٢٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ١٠، (ص٢٣١).

ذكر منصور بن عمار:

(٦٢٩) منصور بن عمار: هو أبو السرى منصور بن عمار بن كثير من أهل مرو ومن قرية داندانقان وقيل إنه من يوشنج. أقام بالبصرة وكان من الواعظين الأكابر.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٣٠)، حلية الأولياء، جـ٩، ص(٣٢٥)، الرسالة القشيرية، (ص٣٠)، صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٠٤)، كشف المحجوب، (ص٣٣٨) من الترجمة العربية.

(٦٣٠) العراقيون: أى صوفية العراق. وقد ورد هذا الاصطلاح فى ترجمة الرسالة القشيرية عدة مرات.

د. استعلامى، (ص٨٥٧).

(٦٣١) بوشنج: بلدة نزهة خصبة، فى واد مشجر، من نواحى هراة بينهما عشرة فراسخ وقد تسمى «بوشنك» وقد تعرب فيقال «فوشنك».

نقلا عن طبقات الصوفية، (ص١٣٠).

(٦٣٢) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٣٠).

(٦٣٣) سورة التحريم، الآية (٦).

(٦٣٤) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٢٧).

(٦٣٥) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٩) من الترجمة الربية.

(٦٣٦) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٢٧).

(٦٣٧) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٣٩) من الترجمة العربية مع الاختلاف.

(٦٣٨) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٢٧) مع الاختلاف.

(٦٣٩) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٢٧)، الرسالة القشيرية (ص٣٠).

(٦٤٠) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٢٧).

(٦٤١) وردت فى حلية الأولياء، جـ٩، (ص٣٢٧)، الرسالة القشيرية (ص٣٠).

(٦٤٢) أبو الحسن الشعراني: هو اسماعيل بن محمد النيسابورى محدث النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وزاهده م ٣٤٧هـ.

د. استعلامى، (ص٨٥٧)

(٦٤٣) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٣٠) صفة الصفوة، جـ٢، (ص٢٠٥).

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

المراجع العربيـة

(١) إبراهيم الدسوقي شتا: التصوف عند الفرس، بدون تاريخ.

(٢) أبو اسحق الشيرازى: طبقات الفقهاء، بغداد ١٣٥٦هـ.

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى: الأسماء والصفات، راجعه وقدم له وعلق فهارسه حامد إبراهيم أحمد، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٤) أبو بكر محمد الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقى، سرور، القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

(٥) أبو بكر بن هداية الله الحسيبى الملقب بالمصنف: طبقات الشافعية، بغداد ١٣٥٦هـ.

(٦) أبو الحسن على بن عثمان الجلابى الهجويرى: كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق د. إسعاد عبد الهادى قنديل، بيروت ١٩٨٠م.

(٧) أبو عبد الرحمن السلمى طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م ـ الطبعة الثالثة.

(٨) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠هـ الجزء الأول.

(٩) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى: الرسالة القشيرية وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصارى، القاهرة، طبعة محمد على صبيح.

(١٠) أبو نصر السراج الطوسى: اللمع، تحقيق د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقى سرور، مصر ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

(١١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهانى: حلية الأولياء وطبقات الأطفياء، لبنان، بدون تاريخ،

(١٢) أحمد بن حنبل المسند، بيروت، ١٩٨٥م.

(١٣) د. أحمد معوض: شاعر الصوفية فريد الدين العطار وقصتاه رابعة وبكتاش، بدون تاريخ.

(١٤) أحمد ناجى القيسى: عطار نامه أو كتاب فريد الدين العطار النيسابورى وكتابه منطق الطير، بغداد ١٣٨٨هـ ـ ١٩٧٨م، الطبعة الأولى.

(١٥) إدوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

(١٦) د. أمين عبد المجيد بدوي: القصة في الأدب الفارسي، بدون تاريخ.

(١٧) د. بديع محمد جمعة: منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابوري، مراجعة وتقديم د. عبد النعيم محمد حسنين، ١٩٧٥م - الطبعة الأولى.

(١٨) جراهام بيلي الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية تقديم وتعليق وترجمة د. حسين مجيب المصري، القاهرة ١٩٨٨ك.

(١٩) جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس، بدون تاريخ.

(٢٠)جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي صفة الصفوة، ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م - الطبعة الأولى.

(٢١) د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف العالم الإسلامي في العصر العباسي، ١٩٨٠م، الطبعة الرابعة.

(٢٢) رضاد زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، بدون تاريخ.

(٢٣) سعد بن عبد الله أبو خلف الأشعري: كتاب المقالات والفرق، تصحيح وتقديم وتعليق، د. محمد جواد مشكور، طهران ١٩٦٣م.

(٢٤) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: كتاب معجم البلدان، تصحيح وترتيب محمد أمين الخانجي الكتبي، ١٣٢٣هـ، الطبعة الأولى.

(٢٥) عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، الكويت ١٩٧٨، الطبعة الرابعة.

(٢٦) عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، القاهرة ١٩٤٥م.

(٢٧) د. قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، راجعه أحمد ناجي القيسي، د. محمد مصطفى مراد، ١٩٧٢م - الجزء الثاني.

(٢٨) محمد الحسيني الزبيدي: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر، بدون تاريخ.

(٢٩) د. محمد حلمي محمد أحمد الخلافة: والدولة في العصر الأموي، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، الطبعة الأولى.

(٣٠) محمد بك الخضري: محاضرات تاريخ الأمم الأسلامية، الدولة العباسية، القاهرة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م - الطبعة الثالثة.

(٣١) محمد علي بن حزم الأندلسي: كتاب في الفصل في الملل والأهواء والنحل وبهامشه كتاب الملل والنحل للإمام أبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني، القاهرة ١٣١٧هـ - ١٣٢١م، الطبعة الأولى.

(٣٢) محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي الخير أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د. يحيى الخشاب، بدون تاريخ.

(٣٣) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تصحيح محمد شرف الدين يالتقا، رفعت بيكه انكليسى ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م.

المراجع الفارسية

(٣٤) أبو الحسن على عثمان الجلابي الهجويري: كشف المحجوب، تصحيح محمد عباس، ١٣٣٦ هـ. ش

(٣٥) أحمد سهيلي خوانساري: خسرو نامه فريد الدين أبو حامد محمد بن أبوبكر إبراهيم عطار نيشابوري، تهران ١٣٣٩هـ. ش.

(٣٦) بديع الزمان فروز انفر: شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابوري، تهران ١٣٥٣هـ . ش. چاپ دوم.

(٣٧) حمد الله بن أبي بكر المستوفي القزويني: تاريخ كزيده بسعي واهتمام ادوارد براون انكليسى، جلد أول.

(٣٨) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه :تذكرة الشعراء، بسعي واهتمام وتصحيح ادوارد براون انكليسى، ليدن ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م.

(٣٩) ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، تهران ١٣٣٩ هـ. ش. چاپ سوم، جلد دوم.

(٤٠) ذبيح الله صفا كنج سخن از شاعران بزرك پارسى كوى ومنتخب آثار آنان، تهران ١٣٥٤هـ.ش. جاب دوم، جلد دوم.

(٤١) رضا زاده شفق: تاريخ ادبيات ايران، تهران، ١٣٢١هـ. ش.

(٤٢) رضا قليخان هدايت: مجمع الفصحاء، ١٢٧١هـ، الجزء الأول.

(٤٣) رضا قليخان هدايت: تذكرة رياض العارفين، ١٣١٦ هـ. ش، چاپ دوم.

(٤٤) زهراى خانلر (كيا) فرهنكك ادبيات فارسى درى ايران، بدون تاريخ.

(٤٥) سعيد نفيسى جستجو در احوال وآثار تاريخى فريد الدين عطار نيشابوري، تهران ١٣٢٠ هـ. ش.

(٤٦) سيد جعفر سجادى فرهنكك لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفانى ١٣٥٤هـ. ش. چاپ دوم.

(٤٧) سيد علير ضانقوى: تذكره نويسى در هند وپاكستان، ١٣٤٣ هـ. ش.، ١٩٦٤م.

(٤٨) شبلى النعمانى شعر العجم ياتاريخ شعرا وادبيات ايران، ترجمة سيد محمد تقى فخر داعى كيلانى، تهران، ١٣٢٧هـ. ش. جلد دوم.

(٤٩) عبد الرحمن بن أحمد جامى: نفحات الأنس من حضرات القدس، تصحيح مهدى توحيدى پور، ١٣٣٦ هـ. ش.

(٥٠) على اكبر دهخدا: لغت نامه زير نظر دكتر محمد معين ودكتر سيد جعفر شهيدى، ١٣٤٥ هـ. ش.

(٥١) غلام سرور صاحب مرحوم لاهورى: خزينة الأصفياء، جلد دوم، بدون تاريخ.

(٥٢) فريد الدين عطار تذكرة الأولياء، بسعي واهتمام وتصحيح رنولد آلن نيكلسون، ليدن ١٣٢٢ هـ، ١٩٠٥م.

(٥٣) فريد الدين عطار: تذكرة الاولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات د. محمد استعلامى، ٢٥٣٥ شاهنشاهى چاپ دوم.

(٥٤) قاسم غنني بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، قسمت اول تاريخ تصوف دراسلام وتطورات وتحولات مختلفه آن ازصدر اسلام تا عصر حافظ، جلد دوم.

(٥٥) قاسم غنني السابق، طبعة تهران، ١٣٤٠ هـ. ش.

(٥٦) محمد بن عمر الرادوياني: كتاب ترجمان البلاغة، باهتمام وتصحيح احمد آتش، استانبول، ١٩٤٩م.

(٥٧) محمد بن المنور بن ابى سعيد بى ابى الخير اسرار التوحيد فى مقامات الشيخ ابى سعيد، باهتمام د. ذبيح الله صفا، تهران ١٣٣٢ هـ. ش.

(٥٨) محمد تقى بهار: سبك شناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى، تهران، جلد دوم.

(٥٩) محمد على مدرسي: ريحانة الأدب فى تراجم المعروفين بالكنية واللقب ياكنى والقاب، تبريز، چاپ دوم، جلد چهارم.

(٦٠) محمد نصير ميرزا حسين الشيرازى: آثار عجم، ١٣١٤هـ. ش.

(٦١) هرمان اته: تاريخ ادبيات فارسى، ترجمة د. رضا زاده شفق، تهران ١٣٥١هـ. ش.

(٦٢) كارنامه بزرگان ايران، ١٣٤٠ هـ. ش.

الرسائل

(٦٣) إبراهيم حامد المغازي: محمود الشبسترى ومدرسته فى التصوف، رسالة دكتوراه، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٦٤) ملكه على التركى: منظومة إلهى نامه للشاعر فريد الدين العطار، بحث غير منشور أعدته للحصول على الدكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها عام ١٩٧٩م.

دوائر المعارف

(٦٥) دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالانكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين فى العالم ويشرف على تحريرها تحت رعاية الإتحاد الدولى للمجامع العلمية.

هوتسما، وفنسنك، وكب، وهفننك، وليفى بروفنسال وشاده، وباسيه، وغيرهم.

إعداد وتحرير:

إبراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، د. عبد الحميد يونس، المجلد الثالث عشر.

الفهـرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org